قورينائية والفرس الأخمينيون

مُنذ إنشاء قوريني حتّى سُقوط أسرة باتوس

جميلة عبد الكريم محمد



إصدارات
الجوهرة

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت - ص.ب ١١٠٧٤٩

قورينائية والفرس الأخمينيون

منذ إنشاء قوريني حتى سقوط أسرة باتوس

قورينائية والفرس الأخمينيون

منذ إنشاء قوريني حتى سقوط أسرة باتوس

جميلة عبد الكريم محمد

أستاذ مساعد التاريخ القديم

اصدارات الجوهرة

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت - ص.ب ١١-٧٤٩

الطبعة الاولى 1996 م .

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت ، ص.ب ١١-٧٤٩

اصدارات
الجوهرة

الادارة : بيروت - شارع مدحت باشا - بناية كريدية
تلفون : 743166- 743167 - 736093
برقيا : دانهضة - ص .ب 749-11
فاكس : 232 - 4781 - 212 - 001
فاكس : 735295 - 1 - 00961

المكتبة : شارع البستاني - بناية اسكندراني رقم 3
غربي جامعة بيروت العربية
تلفون : 316202 - 818703

المستودع : بئر حسن - خلف تلفزيون المشرق - سابقا
بناية كريدية - تلفون : 833180

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

للأستاذ الدكتور رجب عبد الحميد الأثرم
أستاذ التاريخ القديم بجامعة قاريونس

هذا الكتاب الذي أقدم له عبارة عن رسالة في التخصص العالي تحصلت بها صاحبتها على درجة الماجستير في التاريخ القديم بامتياز عن جدارة واستحقاق وهي أول طالبة ليبية تقتحم هذا المجال الصعب من التخصص لأن المصادر التي استقت منها معلوماتها في معظمها من النقوش والآثار التي حفظتها لنا أطلال المدن الليبية القديمة. ومصادرها الأساسية الأخرى كانت باللغة اليونانية القديمة واللاتينية ومراجعها التي اعتمدت عليها كانت في معظمها باللغات الأجنبية وأقلها باللغة العربية.

ولعل مما سهل الأمر على الباحثة أنها كانت **أولاً** موظفة في مراقبة آثار مدينة شحات **وثانياً** كونها خريجة فرع الآثار بقسم الدراسات التاريخية والأثرية بجامعة قاريونس كلية الآداب والتربية فقد توفرت أمامها المصادر بأنواعها فضلاً عن أنها قد درست اللغة اليونانية واللاتينية والنقوش والفخار والتاريخ في مختلف عصوره فمكنها ذلك من التحليل والقياس والاستنباط. ولكن ومع ذلك فإن موضوع الكتاب كان صعباً جداً، استطاعت الباحثة أن تقدمه للقارىء في سهولة ويسر بعد إبداعها في جمع معلوماته ودراستها

دراسة علمية متأنية ووضعت أمامنا وبإسلوب مميز معلومات قيمة عن هذا البلد الذي نتشرف جميعاً بانتمائنا إليه، وأثرت بهذا الكتاب المكتبة الليبية والعربية التي في حاجة ماسة إلى هذا التخصص لتقدمه إلى الدارسين والمثقفين من أبناء العروبة بلغة سهلة وأسلوب جذاب ومعلومات قيمة ليس من السهل الحصول عليها لولا الجهود المضنية التي بذلتها الباحثة لتقدمه بهذا الشكل.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأخ الأستاذ عبد الرحمن الشريدي مدير المطبوعات والنشر بجامعة قاريونس التي لولا جهوده الصادقة في طبع هذا الكتاب لما رأى النور فله مني تحية حب وتقدير وإخلاص.

د/ رجب الأثرم
أستاذ التاريخ القديم
جامعة قاريونس
بنغازي/ الطير/ 1425 ميلادية

شكر وتقدير

يحتم الواجب ذكر الأشخاص والهيئات الذين كانوا وراء هذا العمل ومنهم: ـ مصلحة الآثار بالجماهيرية، وأخص بالذكر منها الحاج ابريك عطية، مراقب آثار شحات السابق والدكتور فضل علي محمد مراقبها الحالي، الذي تجاوز دوره بمنحي الفرصة للجمع بين العمل والدراسة إلى توفير الفرص للاتصال ببعض المتخصصين في الآثار ببعض البعثات الأثرية الأوروبية وطلب مساعدتهم، وقيامه بمراجعة مادة البحث في صورته النهائية.

وأذكر من مراقبة آثار شحات أيضاً الأستاذ عبد الحميد عبد السيد والأستاذ صالح ونيس مدير المكتبة بالمراقبة لما قدماه من تسهيلات كانت ذات قيمة كبيرة.

والزميل عبد القادر المزيني الذي أمدني بما توافر لديه من مراجع، والزملاء الذين لم يبخلوا يوماً بالتشجيع.

كما تجب الإشارة إلى دور قسم الدراسات التاريخية بجامعة قاريونس، لقبوله لي كطالبة دراسات عليا به، ودور قسم الآثار وأعضاء هيئة التدريس به، وأخص بالذكر منهم الدكتور فاروق شعبان والأستاذ عبد الله الرحيبي الذي قام بإجراء كثير من الاتصالات بجامعة اكسفورد وبعض الجامعات الفرنسية للحصول على بعض مواد هذا البحث، والأستاذ فؤاد بن طاهر والدكتور إبراهيم القواسمي الذي قام بمتابعة ومراجعة الجزء الأول من

البحث، وكان لتوجيهاته كبير الأثر ليصبح البحث على هذا النحو، والدكتور إبراهيم موسى الذي قام بمراجعة هذا العمل.

كما أود أن أنوه إلى مساعدة كل من الدكتور صباح جاسم بكلية الآثار بجامعة كمبردج وإلى معاونة البرفسور أندريه لاروند من جامعة السربون، ورئيس البعثة الأثرية الفرنسية العاملة ببعض مدن الجماهيرية، وجيمس ثورن والباحثة جويس رينولدز والباحثة ميتشل لتوجيهاتهم وإرسالهم للعديد من الدوريات الخاصة بهذا الموضوع.

كما كان الدكتور محمد الدويب بقسم الآثار بجامعة قاريونس، والسيد ساندرو استوكي رئيس البعثة الايطالية العاملة ببعض مدن الجماهيرية قد أبديا استعدادهما بالمساعدة.

ومن الواجب أيضاً أن أتطرق إلى ما قام به أستاذ اللغة العربية الأستاذ أحمد فهمي من مراجعة لغوية لهذا العمل، وإلى تكرم الأخوة بمعمل قسم الآثار بجامعة قاريونس بتصوير ما أُرفق بهذا البحث من صور فوتغرافية، وأخص بالذكر منهم أحمد يوزيان وصالح العقاب.

وفي الختام كان الدور الأهم قد قام به الدكتور رجب الأثرم، الذي عمل منذ زمن مبكر على توجيهي للبحث في هذا الموضوع، ثم تفضل بقبوله الإشراف عليه، ولم يبخل عليَّ بشيء من وقته ومكتبته.

فلكل هؤلاء جزيل شكري وتقديري . . .

محتويات الكتاب

المقدمة

تعتبر ليبيا من المناطق الهامة على البحر الأبيض المتوسط، وتربط بين جناحي القارة الأفريقية قديماً وحديثاً، وكان لهذا الموقع أثره الكبير على حياة السكان مما جعلهم على صلات وثيقة مع العديد من الحضارات التي ظهرت في المشرق كالفرعونية ثم الفارسية، كما ارتبط أيضاً بالهللينية، خاصة عقب تأسيس الهللينيون للمستوطنة «قوريني وشقيقاتها».

وقد وُجِّهت العناية من قبل بعض الباحثين، بالذات الأروبيين منهم، منذ زمن لدراسة التاريخ الليبي القديم، خاصة في أوجه علاقته وتأثره وتأثيره بالأمم القديمة الأخرى، كالفرعونية الهللينية، الفينيقية، كما حاول بعض الباحثين من أبناء ليبيا في الآونة الأخيرة الالتفات إلى بعض نقاط ذلك الاتصال وتناولها بالبحث الدقيق، بيد أنه، وبالرغم من تلك الجهود فإن نقاطاً أو أموراً كثيرة أخرى في التاريخ الليبي القديم لا تزال مبهمة، يكتنفها الغموض ومن ذلك مثلاً علاقة قوريناثية بالامبراطورية الفارسية الأخمينية.

وهذا الكتاب محاولة لدراسة مسألة قوريناثية والفرس والعلاقة بينهما منذ قيام امبراطورية الفرس الأخمينيين في الشرق الأدني، في القرن السادس قبل الميلاد، وامتداد سيطرتها باتجاه الغرب فشملت مصر وقوريناثية، وهي الفترة الزمنية التي تصادف أيضاً نشأة قوريني الهللينية في ليبيا، وينتهي البحث في تلك العلاقة بسقوط الأسرة الباتسية التي حكمت قوريني منذ إنشائها حتى 440 ق. م تقريباً، ولا يعني ذلك أن تلك العلاقة تنتهي عند هذا الحد الزمني

وإنما هناك من الدلائل ما يُشير إلى استمرارها إلى ما بعد ذلك التاريخ، ولكن البحث يقف هنا [440 ق. م] لضرورات عدة أهمها عامل الزمن وحجم البحث وغير ذلك.

هذه العلاقة بين قورينائية والفرس الأخمينيين أشار إليها هيرودوتس في بعض فقرات كتابه الرابع، إضافة لفقرتين أخرتين مبهمتين إلى حد ما في الكتاب السابع.

وقد أشار الباحثون، ممن تناولوا تاريخ قورينائية القديم، إلى تلك العلاقة إشارات عابرة لم تتجاوز ما سبق لهيرودوتس ذكره، باستثناء الدكتور ابراهيم نصحي في بحثه المقدم إلى المؤتمر التاريخي الذي عُقد في الجامعة الليبية ببنغازي، سنة 1968 م، والذي لم يتجاوز فيه هو الآخر محاولة إعطاء ترتيب زمني [خرونولوغي CHRONOLOGY] لحادث شهير في تلك العلاقة، وهي الحملة الفارسية الأولى على إحدى مدن إقليم قورينائية مع إعطاء تسلسل تاريخي [خرونولوغي] لأحداث عصر ملك من ملوك الأسرة الباتسية أو الباتوسية، وهو اركسيلاوس (الثالث)، والذي كان محور أساسي لفقرات كتاب هيرودوتس الرابع، المتعلقة بليبيا، سالف الذكر.

وعليه يمكن اعتبار هذا البحث لا يكرر بحوثاً سبق إليها باحثون آخرون، ولا يبدأ من نقطة وقف عندها أحد من الباحثين قبل هذا.

لا شك أن سبر أغوار فترة تاريخية لم تُطرق من قبل ليست بالهينة، ومن ذلك مثلاً فما يتعلق بتاريخ الفرس، كما في ليبيا أيضاً، انعدام وجود أي مؤلفات تاريخية وضعت بأقلام أبنائها، ومن ثم فأن من المشاكل التي تواجه الباحث هنا هي استنطاقه للمعلومات من مؤلفات لم تُضع في تاريخ الفرس أو التاريخ الليبي، أو اعتماده على مؤلفات لمؤلفين أحياناً أجانب لا يمتون لتلك الشعوب بصلة، بل في كثير من الأحيان يكونون من أعدائهم.

بيد أنه من جهة أخرى يمكن تلافي ذلك النقص باللجوء إلى المصادر

المادية من مكتشفات ودراسات أثرية، التي نشطت بفارس أو بقورينائية منذ بداية هذا القرن، والتي دأبت الدوريات العلمية الأوربية على نشرها منذ زمن.

هذا ولقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى بابين، كل منهما ثلاثة فصول، على النحو التالي:

الباب الأول: وعنوانه الفرس منذ ظهورهم في القرن التاسع ق. م وحتى سقوط امبراطوريتهم الأخمينية، التي سُميَّت كذلك نسبة إلى أحد أجدادهم، على يد الإسكندر المقدوني، في الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد، مع التركيز خلال البحث على الفترة الزمنية محور هذه الدراسة وهي القرن السادس والنصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد.

وتم تقسيم هذا الباب على فصوله الثلاث، بحيث خصص الأول للتاريخ السياسي لتلك الامبراطورية، وكيفية تحقيق تلك السيطرة وأهم عوامل نجاحها في ذلك.

بينما تناول الفصل الثاني الحروب الفارسية الهللينية، والتي اعتبرها كثير من المؤرخين مظهراً للنزاع بين البربرية والحضارة، أو الصدام بين الشرق والغرب، حيث تم دراسة ظروف ومجريات تلك الحروب وعلاقة أقليم قورينائية بذلك خلال الفترة الزمنية مدار البحث، كما تم التطرق إلى موقف الهللينيين في صقلية من هذه الحروب وربط ذلك بأسباب الصراع الهلليني القرطاجي في غرب البحر الأبيض المتوسط الذي تزامن في بعض مراحله مع تلك الحروب.

كل ذلك إضافة إلى تناول فترة ما يمكن تسميته، بلغة العصر، الحرب الباردة بين فارس والمدن الهللينية، والتي دأب فيها كل من الفريقين على التدخل في شئون الآخر دون استعمال السلاح وجر الجيوش، والاستعاضة عن ذلك بالذهب، وأثر هذا على الامبراطورية وتوابعها كقورينائية من جانب

أو على تلك المدن الهللينية من جانب آخر، وعلاقة ذلك بإقليم قوريناثية.

في الفصل الثالث يتم دراسة أنظمة الفرس الأخمينيين، من اقتصادية واجتماعية، وبعض مظاهر حضارتهم، من عمارة وفنون وغيرها، ودور الأقاليم الخاضعة لهم فيها، ومدى أثر أو تأثير ذلك على تلك الأقاليم.

الباب الثاني وقد عنون باسم قوريناثية في العهد الباتي، تناول فصله الأول نشأة مدينة قوريني ونظامها الملكي، المعروف باسم الباتي نسبة إلى أول ملوك تلك الأسرة، وهو باتوس (الأول).

ولما كانت تلك النشأة قد تم تناولها في معظم أبحاث تاريخ ليبيا القديم، ولما كانت المكتشفات الأثرية الجديدة لم تناف معظم تلك الآراء فإن البحث بخصوص نشأة هذه المدينة سيبدأ من حيث استقرار أولئك الهللينيين بالمدينة مع التنويه إلى ما ينافي تلك الآراء كالقول بسبب تهجيرهم من موطنهم الثاني بليبيا إلى قوريني أو الاستعانة بالفراعنة المصريين في فترة من فترات صراع الليبيين ضد أولئك المستوطنين، اضافة إلى تناول بعض النقاط التي لا زالت محور بحث خاصة ما يتعلق بطبقة البيري أو يكوي أو هجرة بعض القورينيين وتأسيسهم لمدينة برقة، مع التركيز على الأسباب التي دفعت باركسيلاوس (الثالث) إلى الاعتراف بالتبعية للفرس الأخمينيين، ومظاهر تلك التبعية في عهود خلفائه من الملوك.

وخُصص الفصل الثاني للحديث عن تأسيس مدينة برقة كأحد مظاهر أو نتاج تلك المشاكل التي عاناها البيت الباتي في قوريني، ومحاولة البحث لتأكيد موقع مدينة برقة القديمة، وظروفها الاقتصادية خاصة ما يتعلق منها بمينائها وظروف الخلط بين اسمه واسم المدينة فيما بعد.

الفصل الثالث، ولعله أهم فصول الكتاب، خُصص للحملات الفارسية التي أُرسلت ضد الاقليم، وبالتحديد ضد مدينة برقة، وهو بالإضافة إلى إيراد حيثيات تلك الحملات تناول أيضاً تأريخها [الحملات] وما تمخض عنها من

نتائج سواءً على مستوى الأقليم أو على مستوى الامبراطورية الفارسية.

والجدير ذكره في هذا المقام أنه ربما هناك من رأى بهذه الدراسة انعدام التوازن بين فصولها، [من حيث عدد الصفحات]، إذ تطول فصول البحث عن الفرس في حين تقصر فصول البحث عن قورينائية، وهذا مرده إلى طبيعة الموضوع أولاً فلكي تتضح صورة العلاقة بين فارس وقورينائية بجلا لا بد من تناول كافة أشكال ذلك الاتصال التي أوجدها الفرس بمتبوعيهم والذي تم هنا بشيء من الاختصار، والذي لو زاد [الاختصار] عن ذلك لربما انعدمت جدواه وتشوشت الرؤية، هذا من جانب، من جانب آخر كانت الاستطالة قد حدثت في الفترة الزمنية مدار البحث فقط، في حين تم الاكتفاء بالإشارة إلى بقية الفترة الزمنية للإشارة إلى استمرار علاقة قورينائية بالفرس إلى ما بعد النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد.

من جهة أخرى، وفيما يتعلق بالمظاهر الحضارية لدى الفرس، تم تناولها بهذه الكيفية التي قد لا تزيد عن صفحة واحدة عن الموضوع المطروح ـ للإجابة على التساؤل كيف يكون القورينائيون تابعين للفرس ولكل منهم لغته ـ ديانته مظاهره الفنية... الخ، وما دلائل تلك التبعية.

كما أنه جدير بالذكر هنا أن إطلاق تسمية أو صفة امبراطورية على الكيان السياسي الفارسي الأخميني، وكذلك تسمية أو صفة أباطرة على حكامها إنما هي تسميات حديثة، وإن كانت أصولها تعود للعهد الروماني، إذ تخلو جميع المصادر القديمة بشقيها المادي والأدبي من إطلاق تلك الصفات، وإنما توردهم باسم مملكة وملك.

كما وجب التنويه إلى أن الصفة الأخمينية والأخمينيين، والتي انحدرت من اسم جد هذه العائلة التي حكمت الامبراطورية الفارسية ـ مدار البحث ـ منذ نشأتها حتى سقوطها على يد الإسكندر المقدوني، تكرر ذكرها [الأخمينية] في متن هذا الكتاب تمييزاً لهم [الفرس] عن بقية بني عمومتهم،

كما تعد تمييزاً لهم عن بقية العائلات الفارسية الحاكمة لفارس لاحقاً كالساسانية وغيرها.

وهي [صفة الأخمينيون] نظراً لكثرة ورود اسم الفرس بالبحث فأنه [الاسم] اقتصر في كثير من الأحيان على ذلك فقط دونما إلحاق تلك الصفة به، وذلك منعاً للتكرار الممل ومنعاً للإطالة.

وفي الختام أرجو من الله أن يلقى هذا العمل قبولاً حسناً، ليكون لبنة متينة في أساس البحث العلمي الجاد في تاريخ ليبيا القديم.

قائمة الاختصارات

A. J. A	American Journal of Archaeology
A J S L	American Journal of Semitic Language and Literature
Aristot	Aristotle
Arr	Arrian
Athen	Athenaeus
B D A	The Annual of the British School of Archaeology
C.A.H	Cambridge Ancient History at Athens
Diod	Diodrus
Ed	Edition
Euse	Eusebius
Frag. Pers	The Fragments of the Persika
Hell	Hellenica
Herod	Herodutus
JNES	Journal of Near Eastern Studies
J H S	Journal of Hellenistic Studies

Kte	Ktesias
Loc. Cit.	Loco Citato
M E J	The Middle East Journal
Op. Cit.	Opero Citato
Paus	Pausanias
Pind.	Pindar
Plin.	Plinus
Pluta	Plutarch
S.E.G.	Supplementum Epigraphicum Greacum
Theoph	Theophrastus
Thuc.	Thucydides
Xen	Xenophon

قائمة الخرائط

خريطة رقم:

---

(1) نقلاً عن 'APXAIKOS' Ελλνισμος IΣτορια Του Ελληνιυου Εφνου"Β" Τομου, (Eu δοτιηη Αδηνων, 1971) .

---

(1)

الباب الأول

الامبراطورية الفارسية الأخمينية

الفصـــل الأول

الفرس منذ القرن التاسع ق. م
حتى القرن الرابع ق. م

فارس Fars أو إيران Iran كمصطلح جغرافي هو ذلك الجزء الأعظم من الأراضي الواسعة في آسية، تبلغ مساحتها اليوم 628 ألف ميل مربع، وهي تُعد في مجملها هضبة مرتفعة، إذ يبلغ ارتفاعها حوالي أربعة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر، تُحيط بها الجبال من كل جانب، ففي الشرق توجد سلاسل جبال متوازية تُعرف بجبال سليمان Sulaiman وفي الغرب توجد جبال كردستان أو زاجروس Zagros، وتمتد من الشمال إلى الجنوب ثم تنكسر باتجاه الجنوب الشرقي حتى تبلغ بحر عُمان Oman، وفي الشمال جبال البرز Elburz التي تُشبه سلسلة تمتد من الجنوب الشرقي حتى رأس الخليج العربي وهي تعد أعلى الجبال بفارس.

وعليه فإن فارس أو إيران يحدها من الشمال بحر قزوين Mar Caspium كما أن لها حدوداً مشتركة مع العراق Iraq وروسيا USSR وأفغانستان Afghanistan، ومن الجنوب الخليج العربي وبحر عُمان[1].

أما أصل الكلمة أو التسمية فقد اختلف بشأنها الباحثون، فالبعض يرى أن فارس وإيران اسمان استعملا للدلالة على (قطر) واحد ولكنهما غير مترادفين تماماً، إذ عندما هاجرت الأقوام الآرية[2] ARYAN والتي كان آخر

---

(1) جمال الدين الدناصوري، دولت أحمد صادق، محمد السيد غلاب، جغرافية العالم الإقليمية، دراسة إقليمية، الجزء الأول آسيا وأوربا، (القاهرة 1970) ص ص 37 وما بعدها؛ محمد محمد سطيحة، الجغرافية الإقليمية، دراسة لمناطق العالم الكبرى، (دار النهضة العربية، بيروت، 1974 م)، ص 369.

(2) من الأحداث الهامة في تاريخ (الشرق الأدنى القديم)، بالألف الثالث ق. م، ظهور العناصر الهند أوربية Indoeuropean أو الآرية في هجرات عظيمة من مواطنها، التي=

سيل شعبي منها قد تدفق على منطقة الشرق الأدنى Near East[1] حوالي سنة 1200ق. م، وعقب نزول بعض القبائل منه إلى الهضبة الواقعة أسفل بحر قزوين، سموا موطنهم الجديد إيران، ومعناها موطن الآريين وصارت المنطقة تُعرف لدى الهللنيين Ελληννες والرومان Roman باسم Ariana، وهي تسمية بالطبع مشتقة من آري.

ولعل من الأدلة التي اعتمد أو استند إليها هؤلاء الباحثون في تأييد هذه التسمية ما أورده زرادشت Zoroaster، إذ سمى سكان هذه الهضبة بالإيرانيين، ولعله أول من فعل ذلك[2].

= كانت على الأرجح السهول الأوراسية، جنوب روسيا والمناطق الرعوية ببحر قزوين.

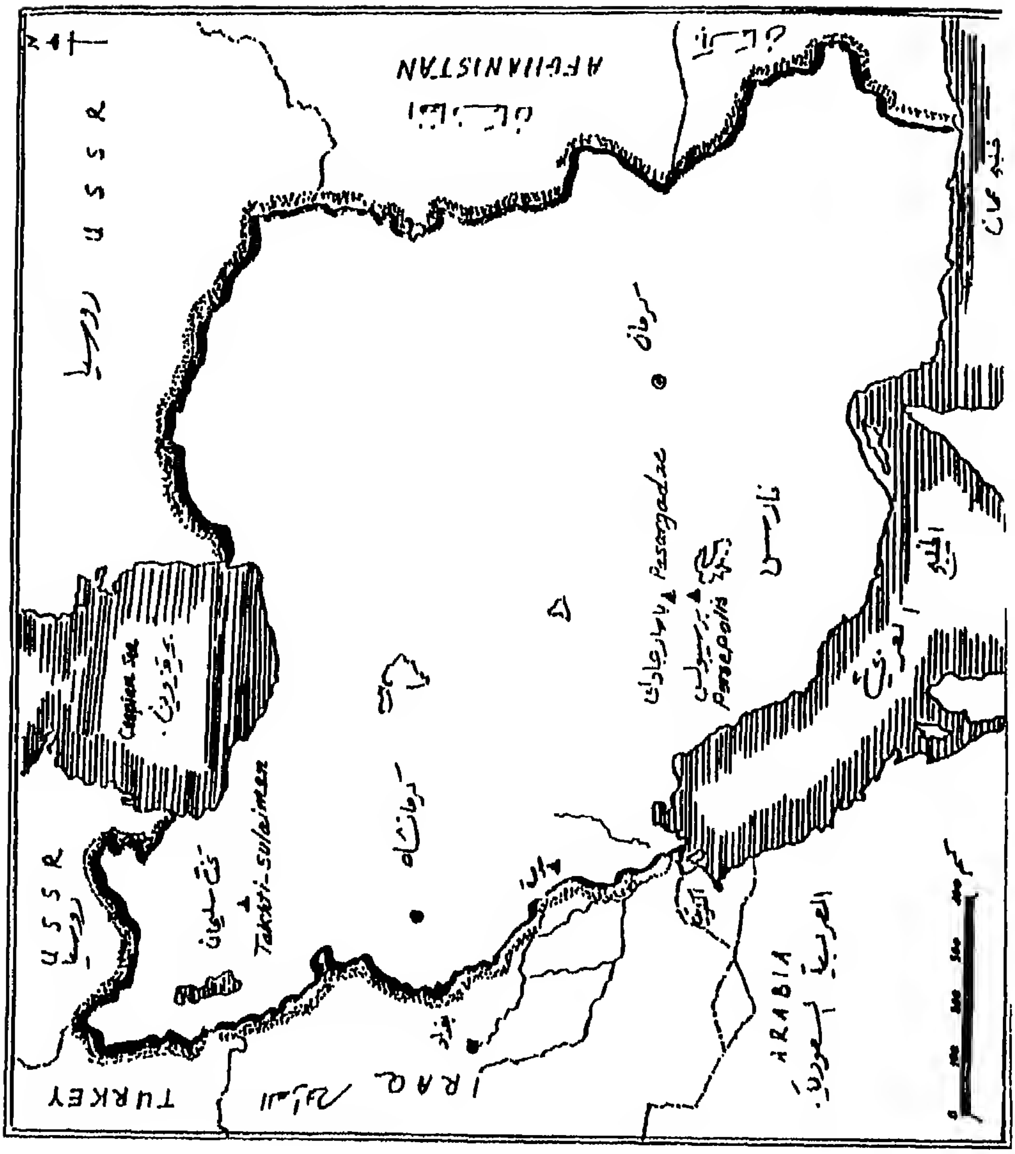
والهند أوربيون، عنصر من الجنس الأبيض، وهم أجداد أغلب الشعوب القاطنة أوربا وأمريكا اليوم، اتجهوا بعد هجرتهم تلك في سبل متفرقة حتى استقر بهم المقام في منطقة واسعة تبدأ غرباً من الحدود الشرقية للهند متجهة صوب الغرب مخترقة كل أوربا حتى المحيط الأطلسي، ومن هنا جاءت تسميتهم بالهند أوربيين وقد استوطن جماعة منهم أوربة الجنوبية «شمال إيطاليا ومنطقة الأدرياتيك» وانطلقوا بعد ذلك إلى الشمال، وقد ترتب على ذلك أن نزح سكانها الأصليون إلى بلاد الهللنيين، وقد أطلق عليهم اسم الشعوب الآخية.

ذلك في حين أُطلق على المجموعة التي هاجرت صوب الشرق واستقر بعضها بالهضبة الإيرانية اسم الشعوب الهندو إيرانيين. وللمزيد عن ذلك انظر:

Loon. H.W.V., **The Story of Mankind,** (New York, 1973), PP., 52 FF; Roebuck C., **The World of Ancient Times,** (New York, 1966), PP., 120 ff; ويلز هـ. ج، **معالم تاريخ الإنسانية، المجلد الثاني**، ترجمة عبد العزيز آجاويد، راجعه زكي علي (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1959 م)، ص ص 297 وما بعدها.

(1) الشرق الأدنى مصطلح إقليمي حديث، يعني الشرق القريب من مراكز الحضارة الهللينية القديمة، أي الأراضي المحيطة بالحوض الشرقي للبحر المتوسط من مصر غرباً إلى العراق وتخوم إيران شرقاً، ومن تركيا شمالاً حتى اليمن جنوباً، وفي مقابل هذا المصطلح هناك أيضاً «الشرق الأقصى» ويُقصد به البلاد الآسيوية المطلة على المحيط الهادي.

(2) عن زرادشت انظر ص 163 من هذا البحث.



خريطة رقم 1 - فارس

كما أن هناك أسطورة تذهب إلى أن لفظ إيران مأخوذ عن اسم إيرج بن فريدون[1].

أما التسمية فارس فإنها ظهرت لأول مرة في المصادر أو الحوليات الآشورية Written Annals، التي ورد بها أن شلمى نصار (الثالث) 858 ـ 824 ق. م Shalma Neser III قد استلم الجزية من ملوك بارسوا Parsua، الواقعة غرب بحيرة أورمية، وذلك حوالي سنة 836 ق. م كما ورد أن الملك شمشي حدد (الخامس) 824 ـ 810 ق. م Shamshi Adad هزم في سنة 820 ق. م تقريباً، زعيماً لمدينة بارسواش Parsuash أقصى جنوب ما يُعرف اليوم بكرمنشاه Kirmanshah.

كما قام تيجلات بلاسر (الثالث) ـ ق. م Tiglath Pileser III في سنة 737 ق. م تقريباً، بغزو بارسوا[2] Parsua.

ويذكر هيرودوتس Ηροσοτος أن مدينة باسار جاداي ΠεσαΡγαδαι سُميت كذلك تيمناً باسم القبيلة التي انتصرت على سائر القبائل بتلك الهضبة[3].

وعرف الهللنيون الفرس باسم بارسا، وذلك منذ القرن السادس ق. م كما أطلقوا على إحدى عواصمهم [الفرس] اسم برسيبوليس[4] Περσεπολις

ثم صُحِّحت هذه التسمية (بارسا ـ برسس) إلى فارس وفرس في اللغة العربية وهي التسمية التي نُصادفها في كتابات المسلمين الأوائل.

---

(1) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، (دار الأندلس، بيروت، الطبعة الرابعة، 1981)، ص ص 244 وما بعدها.

(2) Sykes. P., **A history of Persia**, VOL I, (London, third Edition, 1958), PP., 8 F; Benjamin S.G.W., **The Nations of the World, Persia**, (London, Sixth Imperssion, 1920), P., 16; Waterman L., **Royal Correspondence of the Assyrian Empire, II**, (New York, 1930), P., 109.

(3) Herod. ,I, 107.

(4) عن هذه المدينة أنظر ما سيأتي بالباب الأول، الفصل الثالث، صفحة

وعلى ذلك تكون لفظة فارس اسم وطني أصيل لإقليم في إيران، كانت تُطلق بادىء الأمر على إقليم صغير محدود، ثم شملت كل الامبراطورية، وهي أقرب إلى أن تكون معادلة لتسمية إيران إن لم تكن أقدم منها، والتسمية إيران لم يشع استعمالها إلا بعد البحوث المتأخرة، خاصة تلك التي تناولت هجرة الأجناس البشرية ومنها هجرة الهندو أوربيين.

ويبدو إن التأرجح بين التسميتين ظل شائعاً حتى سنة 1935 م عندما طالبت الحكومة الإيرانية في ذلك الوقت من الدول الأجنبية، مراعاة للتناسق والتوحيد أن يُطلق على البلاد رسمياً اسم إيران، وإن ظلت مع ذلك اللغة تُعرف باللغة الفارسية.

وعليه فإن التسمية التي ستُعتمد خلال هذا البحث هي الفرس، وذلك لاعتبارات عدة أهمها ما كنا قد بيناه من أن الفرس تسمية أقدم من إيران، إضافة إلى ذلك أن جميع مصادر البحث تذكرهم باسم الفرس، أيضاً لتكون التسمية ملائمة للإطار العام للبحث الذي يتناول زمن الامبراطورية الهخامنشية أو الأخمينية، والتي قامت منذ منتصف القرن السادس ق. م إلى ما بعد منتصف القرن الرابع ق. م.

وينتمي الفرس من حيث جنسهم إلى مجموعة القبائل الهندو أوربين التي وفدت على الهضبة [الإيرانية] في جموع عدة، جاءت على الأرجح من الشمال من ناحية جبال القوقاز.

وقد اشتملت هجرات الطائفة المتعارف على تسميتها بالهند إيرانيين على عدة قبائل منها الكيمريين Κιμμεριοι والاسكيثين ΣκυθΣωνοι والهاركانيين Υρκανιοι والميتريين Ματρη والميديين Μησους إضافة إلى الفرس وغيرهم(1).

(1) Wilber N.D,. **Iran, Past and Present,** (London, 1975, Seventh, Edition), PP., =25FF; Frye. N.R., **Persia,** (London, 1968), PP., 37FF.

استوطنت بعض هذه القبائل الهضبة [الإيرانية] الأمر الذي أضحت معه منطقة الشرق الأدنى القديم، منذ قدوم تلك العناصر مسرحاً لتطورات تاريخية هامة، إذ تباينت شعوبها وأصبحت في تنافس مستمر مع بعضها للفوز بقيادة المنطقة، وكثيراً ما كان نتيجة هذا التنافش أن عاشت تلك الشعوب في توازن أدى على المستوى البعيد إلى أن تبقى تلك الشعوب على مستوى متشابه من التنظيم الشعبي والسياسي، لذا كثيراً ما اتحدت بعضها ضد البعض الآخر للغاية ذاتها، وهي الاستئثار بقيادة وزعامة البقية[1].

أوضاع الهضبة سياسياً قبيل ظهور قورش (الثاني) وسيطرة الفرس عليها:

نتيجة للإنهاك الذي أصاب أورارتو[2] من جراء حروبها مع الامبراطورية الآشورية لم تستطع التصدي للكمريين بالقضاء عليهم، فاستقر أولئك بأقسام كبيرة من آسية مهددين مملكة الفريجيين φρυγων وليديا Λυδων وكليكيا Κιλκηων وذلك بعد أن لحق بهم السكيثيون، فهددوا آشور التي حاول ملوكها التصدي لهم بإيقاع الشحناء طرفاً من الزمان بين تلك القبائل الغازية، لإيجاد ما يشغلهم بعضهم ببعض عن سواهم، كما حاولت مسالمتهم في ظروف أخرى، والتقرب إليهم بالمصاهرة وغيرها[3]، ذلك نظراً لأن آشور كانت قد عجزت عن التصدي لهم فقد أنهكتها حروبها المتصلة السابقة في الوقت الذي كانت فيه هذه القبائل لا تزال فتية.

= جيمس هنري برستد، انتصار الحضارة، ترجمة أحمد فخري، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة)، ص 256 وما بعدها.

(1) أنطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب توفيق سليمان، علي أبو عساف، وقاسم الطوير، (بدون)، ص 173 وما بعدها.

(2) أنطون مورتكات، المرجع السابق ص 313؛ Waterman L., OP. Cit., P., 130.

(3) حيث قام أسرحدون بتزويج ابنته لقائد الأسكيثيين المسمى بروتوتياس، للمزيد: انظر: ـ

أنطون مورتكات، في المكان السابق؛ Herod., I, 103; IV, 1

وفي الوقت الذي كان فيه الأسكيثيون في عنفوان قوتهم، بدأ الميديون يلمون شتاتهم(1)، إذ كانوا في الفترة ما بين 835 ـ 705 ق. م مجموعة من القبائل الصغيرة على رأس كل منها حاكم محلي، يدفعون الجزية للآشوريين في الغالب، كما كانوا يجوبون الأقاليم المحيطة بما يعرف اليوم ببخارى وسمرقند، ثم هاجروا جنوباً، إلى أن وصلوا إلى الجزء الشمالي الغربي من الهضبة [الإيرانية] حيث اتخذوا من جبال ذلك الموضع الغني نسبياً بمعادنه المتعددة وأحجاره الكريمة موطناً(2). ثم تحالفوا مع السكيثيين والكيمريين مُشكلين بذلك خطراً استشعرته كل تلك الممالك، وذلك قبل أن ينقسموا إلى فرعين اتجه أحدهما إلى بحيرة أورمية Urumya، حيث استقروا جنوب البحر الأسود Pontus Euxinus وعند مدخل نهر الهاليس Ελας في حين استقر الاسكيثيون في الإقليم المعروف اليوم بأذربيجان(3) Azrabaijan.

أجزاء الوطن الميدي كانت تتكون من (ولايات أو مقاطعات) كانت متغيرة الحدود أو التخوم خالية أبداً من أي تنظيم فعال، تسودهم الغارات من أو على الميديين الآخرين أو غيرهم(4).

أول ذكر صريح للميديين نصادفه في الحوليات الآشورية، التي يرد فيها أن سرجون (الثاني) 721 ـ 705 ق. م Sargon II قد ألزم كل من الميديين والفرس دفع الجزية وفي موضع آخر أشير إليهم على أنهم «الميديون الخطرون»(5)، وأول ملوكهم جاء ذكره سنة 715 ق. م تقريباً، حينما قام ملكهم دايا أكوى Δηιοκης بالإغارة على سورية، ولذلك اعتبره بعض

(1) Herod. ,I, 130 FF; Herz Feld E, Archaologische Mittheilungen aus Iran, II, (1930), P., 101.
(2) Cameron G.G., History of Early Iran, (New York, 1936), p., 92.
(3) Herzfeld E., OP. Cit., PP. 91ff; Waterman L., OP. Cit., PP., 115 FF.
(4) Olmstead A.T., History of Assyria, (Chicago, 1923), PP., 117 FF; Cameron G.G., OP.Cit., P., 99.
(5) ويلز هـ. ج، المرجع السابق، ص 342.

الباحثين المؤسس أو الموجد للامبراطورية الميدية[1].

كما يُذكر بأن ملكهم كياكسارس (الأول) Κυαξαρης (Πρωτος) بدفع الجزية لسرجون الثاني سنة 715 ق. م، وفي زمن سنحار Sennacherib في عام 702 ق. م قام بغزو الولاية الآشورية في هار Harhar، ثم تعاظم مدهم إلى ضواحي كياشو، التابعة للآشوريين أيـ الأمر الذي أدّى بأسرحدون Ashur Hadon إلى التحالف مع الأسكيثيين الميديين وحلفائهم الكيمريين[2] وهو أحد الأسباب في ظهور الـ الأسكيثي الذي تعاظم في اجتياحه للمنطقة حتى حدود مصر، وذلك قبل يتمكن الملك الآشوري آشور بانيبال 668 ـ 627 ق. م Ashur baniapal أن يطفىء تلك النار المستعرة ويجبرهم على التراجع إلى الهضـ [الإيرانية][3].

عقب ذلك قويت ميديا بزعامة فراوريتس 708 ـ 653 ق. م aortes وتجلى ذلك في هجومه على آشور زمن آشور إيتيل إيلاني Ashur، حـ يُقتل فراوريتس في المعركة[4]، ليخلفه على العرش الميدي ابنه كياكسار (الثاني) 655 ـ 595 ق. م، الذي أعاد بناء الجيش الميدي في خط حديثة، وواصل به التهديد للآشوريين إلى أقصى مداه[5].

فقام بحصار نينوى Nineveh، التي أنجدها تدفق السكيثيين ـ البوابة الواقعة بين جبال القوقاز وبحر قزوين على الديار الميدية، ولـ الميديون بالتالي تحت السيطرة الأسكيثية بزعامة رئيسهم ماديس]δικης ابن بروتوتيس Προτοθευειω.

---

(1) od., I, 96 FF; Olmstead A.T., Op. Cit., PP., 156 ff.

(2) od., III, 75; VII, 11; Herzfeld E., OP. Cit., P. 118.

(3) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، Waterman L., OP. Cit., P., 166; الجزء الأول، (مطبعة الحوادث، بغداد، الطبعة الأولى، 1973 م)، ص 524.

(4) od, I, 102; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 636.

(5) :erman L., OP. Cit., PP., 167 FF.

يذكر هيرودوتس[1] أن الميديين كانوا يعدون أنفسهم للثأر من الأسكيثيين والاستقلال بأمورهم، حيث تمكن كياكسارس (الثاني) من هزيمتهم وإجلائهم عن منطقتهم، فلقد سار هذا العاهل «ووفق برنامج منسق منتظم» تطلّع فيه إلى غزو آشور والدول الآرامية أواسط الفرات، بعد أن تمكن من التحالف مع الكلدانيين وذلك حوالي سنة 615 ق. م واستطاع به [التحالف] بعد محاولات قليلة من حصار نينوى وإسقاط الامبراطورية الآشورية زمن ملكها زن ـ شوم أوشكين Zn Shum Oshken وذلك سنة 612 ق. م تقريباً[2]. وبسقوط الآشوريين تتوارى القبائل الأسكيثية والكيمرينية عن المشاركة في الأحداث، ويبدو أنها استكانت للسيطرة الميدية، أو عاشت مستقلة دون إثارة أمور تسترعي الانتباه.

وتذكر المصادر أن كياكسارس (الثاني)، قضى أواخر سني حكمه «الطويل» في إخضاع من سبق لهم أن كانوا أتباعاً للآشوريين، وذلك بعد أن اقتسم والكلدانيين أملاك الامبراطورية الهاوية، إذ استولى الكلدانيون على منطقة بابل وسوريا Βαβυλων في حين استحوذ الميديون على المنطقة التي كانت قبلاً موطناً للآشوريين في السهل الأعلى لنهر الدجلة والمرتفعات المُسماة بالمرتفعات الأرمينية[3] Αρμενινων.

ففي حوالي 585 ق. م كان هذا الملك [كياكسارس] قد وسّع رقعة أملاكه حتى شملت الجزء الشرقي من آسية، وهو الجزء الذي لم يدخل في حوزة الأشوريين قط، تلك الحيازة التي لم تتجاوز أبان مجدها إلى ما وراء جبال طوروس.

ومنذ هذا الوقت، وبعد أن كانت ميديا ولاية تابعة للأسكيثيين حيناً

(1) Herod., IV, 4.

(2) Herzfeld E., OP. Cit., P., 105 Olmstead A.T., OP. Cit. P., 649.
أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 324.

(3) أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 350.

وللآشوريين أو غيرهم أحياناً أخرى، أصبحت مملكة واسعة، اشتملت على معظم ممالك آسية الغربية باستثناء ليديا التي حاولوا غزوها، ولكنهم اكتفوا بعقد معاهدة صلح معها عقب تراجعهم عن عاصمتها سارديس Σαρδις، ليبقى نهر الهاليس الحد الفاصل بينهما[1]. وليصبح بالتالي الشرق الأدنى مُقسماً بين أربع قوى هي ميديا ـ الكلدانيون ـ ليديا ومصر، ولكن ميديا فقط من بينها من كان استحق إطلاق لفظ امبراطورية عليها[2].

كان قد تولى شئون الميديين بعد وفاة كياكسارس (الثاني) ابنه استياجسي Αστυαγης 585 ـ 550 ق. م[3]، الذي برهن على قلة اكتراثه بالمُلك الذي آل بين يديه، فأخذ يتنعَّم بما وجد في دعة وسكون، واحتذت الرعية حذوه، فلم يُحسنوا البذل والإنفاق، وأصبحت الطبقة الحاكمة أسيرة لأسباب الترف ومختلف البدع، وانكفوا ظالمين بعد أن عرفوا بانحيازهم للعدل زمناً[4].

---

(1) يذكر هيرودتوس و I , 103، أن ذلك التراجع قد حدث بسبب كسوف للشمس والذي كان يعتبره سكان الشرق الأدنى علامة شؤءم.
ويرجّح الباحثون اليوم بناءً على دراسات فلكية أن ذلك الكسوف قد حدث سنة 610 ق. م في حين ترجحّهُ أبحاث أخرى في سنة 597 ق. م، للمزيد عن ذلك انظر: هارفي بورتر، **النهج القويم في التاريخ القديم**، (بيروت، 1884 م)، ص ص 86 ـ 87.

(2) Olmstead. A.T., **OP. Cit.,** P., 650.

(3) إستياجس أو كما ترد في المصادر الفارسية الأخمينية Arshitivaiga تعني قاذف الرمح للمزيد عنه انظر: ـ

Herzfeld E., **OP. Cit.,** P. 140.

(4) من مظاهر الظلم والاستبداد اللذان أصبح عليهما الميديون، الرواية التي ذكرها هيرودوتس I ، 107 ـ 125 والتي تقول بأن إستياجس رأى حلماً في منامه فُسِّر بأن أحداً من نسله «ابن بنته فيما بعد» سيعزله عن الحكم، لذلك عهد إلى تزويج ابنته ماندينة Μανδεινα من رجل مغمور الذكر يُدعى كمبيز Καμβυσης وعندما أنجبت ماندينة ابنها قورش Kupos أمر إستياجس أحد رجال حاشيته واسمه هرباجوس =

كان إضافة إلى ذلك حروبهم التوسعية التي خاضوها، قد ضعضعت سيطرتهم على الأقاليم الخاضعة لهم، لذا وجدت بعض تلك الأقاليم مثل أنزان Anzan متنفساً للعمل على سلخ سيطرة الميديين عنهم، فقام حاكمها قورش (الثاني) Kupos (Δευτερος) باستمالة الكلدانيين وعقد تحالف مع نبوخذ نصر 605 ـ 562 ق. م Nebuchadnezzar، الحاكم الكلداني في بابل، فكان من نتاج ذلك التحالف سقوط الميديين ليُقام صرح الفرس الأخمينيين.

تولي الفرس الأخمينيين للقيادة السياسية وبدء تكوين امبراطوريتهم:

لقد ربطت أواصر قُربى متينة بين الميديين والفرس، خاصة عند استملاكهم للأراضي وطريقة استيطانهم، فهما يردان عادة في الوثائق الكتابية القديمة مترادفين أو متلاحقين.

لقد عاش الفرس بداية عهدهم كالميديين، أي قبائل رحل، تقيم في بعض الوديان بالهضبة جنوب شرق سلسلة جبال غرب فارس، كأقاليم يحكم كل منها رقيب عام يُسمى أمير أو ملك، يشنون الغارات على بعضهم البعض أو على الميديين(1).

كان أول ذكر للفرس، الذين قد يردون في بعض الأحيان باسمهم القديم جوتي Guti ـ كما سبق في الكتابات الحولية الأشورية، إذ استلم شلمى نصر (الثالث) حوالي 836 ق. م، الجزية من ملوك بارسوا Parsua غرب بحيرة أورمية وواصل مد سلطانه إلى أراضي الميديين جنوب شرق

= Αρπατος بإهلاك المولود، ولكن هذا الأخير سلّمه لأحد الرعاة الذي احتفظ به، «كابنة» وعندما كُشف هذا الأمر عاقبه الملك هرباجوس بأن أجبره على أكل لحم ابنه بعد قتله، وكان من نتيجة ذلك أن تواطأ هرباجوس مع الفرس الأخمينيين فيما بعد.
انظر أيضاً صفحة 16 هامش رقم ـ 1 ـ بهذا الفصل، من هذا البحث.

(1) Olmstead A.T., OP. Cit., PP., 234 FF.

مياههم [مياه البحيرة] في ديالا Diala، وفي سنة 820 ق. م وجدهم شمشي حدد (الخامس) في بارسواش Parasuash أقصى جنوب كومنشاه اليوم، وفي سنة 737 ق. م قام تيجلات بلاسر (الثالث) بغزو بارسوا Parasua، واستلم الجزية من الزعماء الميديين في أقصى جبل بكني[1] Bikini، وفي سنة 681 ق. م، قام سنحاريب Sennacherib بإبطال معارضة ضده قامت في بارسواش Parsuah وأنزان أو أنشان Anshan شمال غرب سوسة على نهر Kerkha بزعامة أخيمينيس Αχαμενς الذي كان تابعاً لعيلام في هذا الوقت[2].

حاولت آشور كما سبق ـ استقطاب بعض القبائل من الفرس لصالحها في حروبها ضد القبائل الأخرى أو الممالك مثل عيلام، والتي عقب قضاءهم عليها في سنة 647 ق. م أسكنوا إحدى طوائف الفرس بها، دانت بخضوعها للآشوريين زمناً[3].

والظاهر أن الفرس لم يكونوا، على الرغم من إقامتهم حكاماً من قبل آشور على جزء من عيلام، قد تأصلوا بعد، ولم يبلغوا شيئاً من درجات الاعتبار التي صاروا إليها فيما بعد. فقد كانوا في هذا الوقت أهل جبال أقوياء، تغلب عليهم الفظاظة، يحبون حياة الزراعة، خاليين من وجود أي منظمات جديرة بالاعتبار.

لذا رضخوا للعيش مشتتين تحت رعاية العديد من الممالك، إذ في الوقت الذي قبل فيه بعضهم بالانضواء تحت سيادة بني عمومتهم الميديين، كان هناك منهم من قام بخدمة الآشوريين، ولعلهم أُستغلوا في أعمال ضد الميديين وبقية إخوتهم من الفرس.

وعلى كل، فقد تمكنت تلك الطائفة التي أقامتها آشور، في منطقة

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 26 ـ 28 من هذا الفصل.

(2) Herod., III, 75, VIT, 2; Herzfeld E., OP Cit P., 118.

(3) Waterman L., OP. Cit., PP., 166 FF.

بارشوماش في عيلام من أن تصهر على الأقل عدداً من الطوائف أو القبائل الفارسية . . . التي وصل عددها حسب المصادر الآشورية 25 طائفة أو قبيلة فارسية[1]، أو كما يذكر هيرودوتس[2] أنهم كانوا ست طوائف تقيم في المدن وعشر تقيم في القرى وأربع تقيم في الخيام وتسكن الصحراء، أن تصهرها في قبيلة واحدة لترضخ لزعامة أخيمينيس Αχακενης كما حاول حلفاءه خاصة ابنه تايزب Τεασπιος 675 ـ 640 ق. م الذي يُعتبر ثاني ملوك الفرس، توسيع رقعة نفوذهم، حيث استغل هذا الأخير اجتياح الأسكيثيين للمنطقة حوالي 650 ق. م، فوضع يده في أول الأمر على الرقعة الواقعة غرب بارسوماش وأن يُعلن نفسه ملكاً على أنشان، كما تمكن من التوغل باتجاه الجنوب الشرقي في منطقة بارسا، وكان وصولهم ذاك الموضع بداية نشوء وتوطيد مملكتهم أو امبراطوريتهم التي سادت الشرق بعد زمن قصير من ذلك[3].

كان من حكمة تايزب، المأثورة عنه، أنه ابتعد عن الدخول في دائرة النزاع بين الممالك المجاورة له[4]، كما قام، رغم وقوعه تحت السيطرة الآشورية وقبل أن يتوفى، حوالي سنة 640 ق. م، بتقسيم ما وقع في حيازته بين ابنيه قورش (الأول) 640 ـ 600 ق. م وأريارامنا Αριαραμνεω 640 ـ 615 ق. م إذ خص ابنه الأول ببارسواش وأعطى للثاني (الأصغر) أنشان وبارسا[5].

---

(1) Sayce A.H., **Assyria, its princes and people,** (London.,?), PP., 63 F.
هارفي بورتر، المرجع السابق، ص .152; (London, ?), PP. 63 FF.

(2) أحمد كمال الدين حلمي، 3500 عام من، ;Herod., I, 125.
عمر إيران، الجزء الأول، منذ أقدم العصور حتى نهاية العصر الغزنوي، (مؤسسة علي جراح الصبّاح، الكويت، الطبعة الأولى، 1979 م)، ص 120.

(3) Hayden L.J., "Living Standards in Rural Iran," **MEJ**, III, 2, (April, 1949), PP., 311 FF; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, PP., 23 .FF.

(4) من ذلك مثلاً أنه رفض مناصرة شاماش شوم أكيد ملك بابل، الذي خلعه أشور بانيبال عندما طلب منه ملك عيلام ذلك، للمزيد انظر: ـ
Sykes P., **OP. Cit.**, PP., 115 FF.

(5) Lamb H., **Cyrus the Great,** (London, 1960), PP. 15 FF; Olmstead A.T., **History of Persian Empire,** (Chicago, 1963, Fourth Imperssion), P., 24.

وهكذا فإن مملكة فارس عند موت تايزب ـ الذي اتخذ من أنشان مقراً له ـ كانت تضم بالإضافة إلى أنشان بارسوماش وبارسا.

وقد استقلت هذه المملكة، عن السيطرة الميدية عقب مقتل فراوريتس سنة 653 ق. م تقريباً ثم قام قورش (الأول) حوالي سنة 549 ـ 548 ق. م بالاتحاد والتحالف مع عيلام وبإرسال معونة إلى Shamash Shumukin في بابل، والذي كان ثائراً على أخيه آشور بانيبال Ashur Baniapal ولكن عقب تمكن هذا الأخير من غزو عيلام وتدمير عاصمتها سوسة[1] Σουσ6α وبعد فترة قصيرة من ذلك، قام قورش (الأول) بعدما تأكد له قوة هذا الملك الأشوري ومقدرته بإرسال ابنه الأكبر المسمى أروكو Arukku مع جزية، إلى نينوى كإعلان على خضوعه وتبعيته له، وملتمساً استمراره في سيادته كملك على بارسواش[2] Parsuash.

من جهة أخرى، عقب تمكن الملك الميدي كياكسارس من القضاء على الأسكيثيين حوالي عام 625 ق. م استطاع أيضاً إخضاع قورش (الأول) وأريارامنا[3]، وإن ظلا مع ذلك يحكمان ما تحت أيديهما، بل حاول أريارامنا التوسع فتلقب بملك فارس، الملك الكبير، ملك الملوك[4] بعد أن استطاع لم شعث بقية بطون قبائل الفرس، التي كانت منتشرة بالمنطقة، يرأس كل منها شيخ، لعله كان يُلقب بلقب الملك[5].

ومن المصادر المهمة في تأريخ هذه المرحلة من تاريخ الفرس، إضافة

---

(1) Ibid, P., 31; Waterman L., OP. Cit., P., 410.

(2) أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 367، Olmstead. A.T., LOC. Cit.

(3) Olmstead A.T., OP. Cit., P., 32; LambH., OP. Cit., P., 19.

(4) Ibid.

(5) لم يبتدع الفرس هذه الألقاب، بل هي تقليد متوارث، فمملكة الأورارتور كان ملوكها يسمون أنفسهم الملك الكبير، ملك الكل، وسار على ذلك الآشوريون والكلدانيون أيضاً.

إلى ما أوردته نقوش الملوك [الفرس] اللاحقين، لوحة ذهبية عُثر عليها في مدينة أكباتانا(1) AγBαταγα كتبت باللغة الفارسية القديمة وبخط مسماري، خاصة بالملك أريارامنا، حيث يذكر فيها ألقاب أخيه قورش (الأول) فيصفه بالملك العظيم، ملك مدينة أنشان في حين يُعطي أو يصف نفسه بلقب «الملك العظيم، ملك الملوك، ملك بارسا» الأمر الذي ينبىء بنشوء ملكية مركزية فارسية(2).

خلف أرايارامنا، الذي توفى سنة 615 ق. م تقريباً، ابنه أريام أو أريامس Αριαμης ويؤكد ذلك لوحة ذهبية شبيهة بلوحة والده وقد نقش عليها «الملك العظيم، ملك الملوك، ملك بارسا، ابن أرايارامنا(3)».

ويعتبر هذا النقش حجة داحضة لأولئك الباحثين الذين اعتقدوا بأنه (لم يعتل ابن أريارمين «أريام» ولا حفيده هيزتازب عرش فارس، ولم يحملا حتى لقب ملك بل ترك كياكسارس بلاد فارس للجناح الآخر من الأخمينيين، الذين استمروا في حكم بلاد بارشوما كملوك تابعين(4)).

وخلف قورش (الأول) ابنه الأصغر كمبيز (الأول) حيث عاد وكما

(1) أكباتانا أو همذان حالياً، وضع أساسها الملك كياكسارس لتكون عاصمة للميديين، ويرى بعض الباحثين أن اسمها يعني مكان الاجتماع، وهي تسمية تعكس الأحوال السياسية خاصة العوامل الخارجية منها، ذلك أنهم كانوا أمام تهديد مملكتي أورارتوا وآشور، إضافة لتهديد القبائل المحيطة الأخرى، فهم بذلك كانوا بين خيارين، إما الانضواء تحت لواء الوحدة أو الخضوع لقوة أجنبية، وقد اختاروا الأول، الذي انعكس على اسم تلك المدينة، للمزيد عن ذلك انظر: نجيب ميخائيل إبراهيم، **مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني**، (دار المعارف القاهرة، الطبعة الخامسة، 1966 م)، ص 403.

(2) Burn A.R., **Persia and the Greeks, the Defence of the West, C. 546 - 478** B.C., (London, First published in 1962), PP., 25 FF; Herzfeld E., **OP. Cit.**, PP., 117 FF.

(3) Herod., I, 103 - 6; Olmstead A.T. **OP. Cit.**, P 360; Burn A.R., **OP. Cit.**, PP., 27 FF.

(4) أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 376.

سبق، خلفاء أرايارامنا، ليصبحوا مجدداً تابعين للميديين.

تزوج كمبيز (الأول) الذي كان أميراً على أنشان، من ماندينة Μανδεινα ابنة الملك استياجس Αστναγης، ملك ميديا وقد كان ثمرة هذا الزواج أن أُنجب قورش (الثاني) الذي صيَّر مملكة الفرس امبراطورية مشهورة عظيمة في الشوكة(1).

كان كمبيز (الأول) قبل أن يُسلم العرش لابنه، قد تمكن بعد وفاة ابن عمه أريام من أن يُلغي تقسيم جده للمملكة ويوحِّدها تحت سلطانه(2).

إن هذا التتابع الذي تم فيه بيان سيرة الفرس منذ النصف الثاني للقرن التاسع ق. م وحتى بداية النصف الثاني من القرن السادس ق. م أكدته إضافة إلى المصادر الآشورية المصادر الفارسية الأخمينية والمصادر الهللينية، وبغض النظر نهائياً عن الالتفات أو التطرق إلى الروايات الأسطورية التي اكتنفت التاريخ الفارسي وبشكل عميق في بعض مراحله(3).

- قورش (الثاني) وتأسيس الامبراطورية الأخمينية:

بدأ قورش (الثاني) Kupos (Δευερος) حكمه بعد والده حوالي سنة 559 ق. م مستهلاً عهده بتنظيم مملكته، وبإخضاع القبائل التي من أصل فارسي ولم تخضع بعد للهخامنشيين أو الأخمينيين(4).

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 34 هامش ـ41، والصفحة رقم 41 هامش رقم 1 من هذا الفصل.

(2) Huart C., **La Perse Antique et la Civilisation Iranienne,** (Paris, 1952), PP., 40 FF.

(3) من ذلك مثلاً ما يرد في مؤلفات المسلمين الأوائل ومنها المسعودي، المرجع السابق؛ أبو القاسم الفردوسي، **الشاهنامة ملحمة الفرس الكبرى**، ترجمة سمير ملطي.

(4) وهي قبائل مارافي Maraphii وماسبي Maspii ودريوسياي Derusiaei وجرماني Germanii ومارذي Mardi وساجارتي Sagartii وغيرها، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Herod., I, 125; IV 167; Olmstead. A.T., **OP. Cit.**, P., 34.

حاول الملك الكلداني نابونيدوس Ναπονιδος 605 ـ 562 ق. م استغلال هذه القوة النامية فتحالف مع الأخمينيين، آملاً أن يجد في ذلك التحالف قوة مضادة للخطر الميدي، الذي كان يُهدد باستمرار بلاد بابل، ولكن مما سيتضح بعد قليل، يبدو أن الأمر الذي لم يدركه نابونيدوس، أنه استبدل خطر بآخر.

فطن استياجس Ασιυαγης لقيام هذا الحلف، فطلب إلى قورش (الثاني) بصفته حاكماً معيناً من قبله، الحضور إلى أكباتانا، وذلك حوالي 552 ق. م. أي بعد ست سنوات من توليه الحكم، غير أن الأخير أبى الانصياع لهذا الأمر فما كان من استياجس إلا أن زحف على العاق قورش (الثاني)، ويذكر هيرودوتس أن هرباجوس Αρπαγος كان وراء هذا العصيان[1].

وقد نشبت عقب ذلك معركتان، قاد الأخيرة منهما استياجس نفسه وقد دارت عليه الدائرة فوقع أسيراً في يد حفيده الذي عامله معاملة طيبة بعد أن اتخذ من أكباتانا عاصمة جديدة لملكه الذي بدأ يتسع[2]، وذلك سنة 550 ق. م تقريباً.

وهكذا تم انتقال الحكم «بحزم وحكمة وروية» من أيدي الميديين إلى أيدي الفرس وهو فاتحة سجل انتصارات، جعلتهم فيما بعد أكبر كيان ظهر في الشرق القديم حتى زمانهم.

ويعتقد الكثير من الباحثين أن الدولة الفارسية قد بقيت في ظاهرها دولة ميدية ويفضل هؤلاء إطلاق تسمية الدولة الميدو فارسية The Medes and

(1) Herod., I, 107 - 25; Cameron G.G., **OP. Cit,** P., 193., Vaux W.S.W., **Ancient History From the Monuments, Persia From Earliest Period to the Arab Conquest,** (New York, 1884), PP., 18.

(2) Herod., I, 127; Kte. Pers, VI, Epit., 32; Xen., 1.5.2 - 3; Strabo., XV, 3 - 8; Diod., II, 34, 6; Sykes P., OP. Cit; PP., 139 FF.

Parsains United على هذه المملكة في هذه المرحلة من تاريخها السياسي[1].

ومثل هذا القول يحتم الوقوف عنده قليلاً للبحث في الصلة التي تربط الفرس بالميديين فهذه الصلة وإن لم تكن مباشرة في المصادر القديمة إلا أنها تُفهم ضمناً وذلك من خلال العديد من النصوص التي عادة لا تذكر أحدهما دون أن تُلحق به الآخرى، ومن كيفية معاملة كل منهما للآخر، فكليهما من الجنس الهندوأوربي من الفرع الهندوإيراني، عاشا متلازمين أو متجاورين، ونتيجة لهذه الصلة ونمط العلاقة التي قامت بينهما والمعاملة الخاصة لبعضهما، يضاف إليها رباط المصاهرة الذي ارتبط به الفرس مع البيت الميدي الحاكم، يُضاف إلى ذلك كله ما يُفهم من الطريقة التي اتبعها نابونيدوس الكلداني في تدوين ما حدث [خضوع الميديين لقورشُ فهو يعتبره انتقال الملك من أسرة إلى أخرى في تاريخ المملكة الميدية، مسألة عائلية محضة، ولم ينظر إليه نظرته إلى غلبة شعب على شعب، أو حتى وقوع ثورة من الثورات[2].

لكل تلك الاعتبارات والأسباب، التي يمكن أن نُضيف إليها بأنه لم يكن هناك ما يُشير إلى أن الميديين أبدوا تذمراً من تغيير الأسرة الحاكمة نرى أولئك الباحثين قد أطلقوا تلك التسمية «الدولة الميدوفارسية».

استشعر خطورة هذه القوة الناشئة الملك كروسيوس 560 ق. م Κροισος ملك ليديا Λυδων[3]، الذي يذكر عنه هيرودوتس[4] بأنه تخلى

---

(1) Vaux W.S.W., OP. Cit., P., 19.

نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 386.

(2) هارفي بورتر، المرجع السابق، ص 156.

(3) تقع ليديا بين المدن الأيونية Ιωνες وفريجيا Φρεγια على ساحل غرب آسيا الصغرى، تُحدها ميزيا شمالاً، وكاريا Καριη جنوباً، وهي بذلك تُمثل حلقة مهمة من حلقات الاتصال بين الشرق والغرب، للمزيد عنها انظر: ـ

Bury J.B., A History of Greece, VOL II, (London, 1963), PP., 225 FF.

(4) Herod., I, 12.

عن أحلامه في التوسع البحري، وأخذ يعمل في سبيل إرجاع صهره استياجس إلى عرشه المخلوع عنه، ولعله كان يأمل من وراء ذلك إضافة إلى الرابط الأسري، في الحصول بهذه الوسيلة على مقاطعة كبادوكية Καππαδοκια بالأناضول، نظراً لما تحويه من ثروات، إضافة إلى أنه بذلك يوسع حدود مملكته باتجاه الشمال الشرقي.

من الوسائل التي لجأ إليها كروسيوس في محاولته لتقويض قوة الفرس قبل أن يتعاظم شأنها، استعانته بمهابط الوحي الهللينية في بيثيا Πυδια وفي دلفي Δεγφοι مُغدقاً عليها أمواله ومستلهماً مشورتها بشأن هذا الخصوص، وقد أكدت له هذه الدور ـ كعادتها ـ في نبوءة غامضة أن فعل سوف يُحطم أمبراطورية عظيمة والتي خالها كروسيوس امبراطورية الفرس[1].

وفي هذا المجال، مجال محاربة الفرس، دعا كروسيوس، إلى عقد تحالف مع كل من اللاكيديمونيين Λακεδαιμονι أو الأسبرطيين والمصريين Αιγυπτιοισι بعد أن رفض نابونيدوس الكلداني الانضمام للحلف إذ كان قد تضامن مع قورش (الثاني) ضد استياجس فلم يكن يجسر على القيام بأي حركة لخوفه من انتقام الفرس.

حاول كروسيوس خطب ود أسبرطة، لأنها كانت قد أحرزت تفوقاً جرئياً ظاهراً، خاصة بعد حروبها مع تيجيا Tigia، الواقعة في أركاديا، وزعامتها لحكومات المدن الهللينية ولكنهم [الأسبرطيين] وإن كانوا قد وعدوا بالمساعدة إلا أنهم تقاعسوا عنها جرياً على عاداتهم في التمسك بسياسة العزلة التي أملتها عليهم ظروف عديدة[2].

(1) Herod., I, 53; Bury. J.B., OP. Cit. PP., 223 FF; Bury J.B. and Meiggs R., A **History of Greece to Death of Alexander the Great,** (London, Foruth Edition, 1975), PP., 143 FF.

(2) من هذه الأسباب وضع السكان في أسبرطة المجاورة لها، إذ حرمت أسبرطة بعضها من حقوق المواطنة وأنزلت بعضها إلى مرتبة العبيد، فكان هؤلاء يشكلون خطراً يستلزم من الأسبرطيين الحذر الدائم التام، ثم أن النظام الأسبرطي كان نظاماً =

في حين شارك فرعون مصر أماسيس Αμασις (أحمس الثاني) 568 ـ 526 ق. م، الذي يُعتقد بأن دافعه إلى ذلك كان إدراكه لخطر الفرس على بلاده، شارك بإرسال جيش صغير عن طريق البحر.

وعند محاولة تعليل ذلك، يمكن إضافة إلى ما سبق ذكره القول أن الفرعون المصري قد أدرك خطورة الفرس على بلاده، ذلك أنه إن لم يكن البادىء بالغزو فإنه سيُغزى في عقر داره، هكذا كان دأب الممالك التي قامت بالشرق الأدنى القديم استناداً إلى شواهد تاريخية سابقة[1]، ذلك إضافة لرغبتها في السيطرة على المنطقة المعروفة بالمعبر السوري أنها كانت ممالك داخلية، ولما كان البحر المتوسط[2] وسيلة مهمة من وسائل الاتصالات بالعالم الخارجي ولما كانت مصر هي الأخرى تهدف لذات الغاية، وبهدف تجاري أكثر إلحاحاً، كما لتأمين سلامتها إذ يعتبر المعبر السوري البوابة الأمامية لمصر وأكثر التهديد خطورة جاءها من خلاله، وذلك منذ الأسرة السادسة.

أما عن صغر الجيش المُرسل، فذلك نظراً لما كانت تعانيه مصر في

= عسكرياً، وغياب الجيش أوجز منه عن أسبرطة خليق بأن يُضعف الزعامة أو القيادة إضافة إلى أن اقتصاد الدولة الزراعي الذي كان يعتمد على أراضي محدودة لا يسمح بالقيام بتكاليف التزامات عسكرية تحمل الأسبرطيين إلى شواطىء آسية الصغرى على المدى الطويل، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Chrimes K.M.T., **Ancient Sparta,** (Published by the University of Manchester 2 nd Impression, 1952).

لطفي عبد الوهاب يحيى، **اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري**، (دار النهضة العربية، بيروت، 1979 م).

(1) من ذلك مثلاً ما قام به أسرحدون الأشوري، حوالي سنة 671 ق. م من غزوه لمصر واحتلاله لوادي النيل، لفترة زمنية، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Cormack G., **Egypt in Asia,** (London, 1908), PP., 40 FF.

(2) البحر الأبيض المتوسط، تسمية متأخرة ابتكرها المؤرخ الروماني جايوس يوليوس سولينوس.

هذه الفترة من مشاكل داخلية، أو لعل تلك المشاركة لصرف نظر السكان خارجياً.

اجتاز كرسيوس بتلك الإمدادات نهر الهاليس Ελας فتقابل مع قورش (الثاني) في شهر مايو سنة 547 قرب بتريا Πτερια في معركة غير فاصلة تراجع بعدها كرسيوس إلى قرب عاصمته ساردیس.

وظناً منه أن الفرس لن يلحقوا به، نظراً لحلول فصل الشتاء، قام بتسريح جنوده المأجورين، وأخبر حلفائه بتأخير إرسال نجداتهم إلى فصل الربيع القادم[1] غير أن قورش (الثاني) باغته قرب تلك المدينة في معركة غير فاصلة أيضاً، أيقن بعدها العاهل الفارسي بأن قوة الليديين كامنة في فرسانهم، الأمر الذي يبدو مما أقدم عليه قورش (الثاني) أنه لا يزال يعاني من نقصان جيشه حيث عمد إلى إعداد خطة حربية يؤخذ بها الليديون، وذلك بناء على مشورة هرباجوس Αρπαγος كما يذكر هيرودوتس[2].

هوجمت ساردیس طيلة أسبوعين من نهاية صيف عام 547 ق. م وقع في آخرها كركسيوس في أسر قورش (الثاني) الذي أمر بحرقه حياً ثم عفى عنه[3]، «وهكذا وقعت ليديا الأول مرة تحت حكم الشرق

---

(1) Herod., I, 75 FF; Xen., VII, 1.

(2) وذلك لما كانت قوة الفرسان تُعتبر دعامتها المهمة الخيول، لما كانت هذه الأخيرة تتميز بسرعة الحركة في الميدان، ولما كانت تتميز أيضاً بنفورها من الإبل، فإنه [قورش الثاني] عمد إلى جعل الإبل في مقدمة جيشه بدلاً من المؤخرة لحمل العتاد وأقام عليها جنوداً مزودين بسلاح الفرسان ثم أمر من بعدهم المشاة ثم وضع خلف هؤلاء قوة الفرسان بأكملها وهكذا أصبحت فرسان كرسيوس عديمة الجدوى، وهي التي كان يتوقع منها كل تفوق.
للمزيد عن ذلك انظر: -
Herod., I, 80; Olmstead A.T., OP. Cit., P. 40; Bury J.B., OP. Cit., PP., 226 FF.

(3) =Herod., I, 83 FF; Xen., VII, 2.

الأدنى»[1]، كما يُعتبر الفرس بذلك قد حققوا أول انتصار حاسم لهم على مملكة مقتدرة في حال اعتبار انتقال السيادة إليهم من الميديين قد تم بطريق قد يُعتبر سليم للغاية.

لقد قام قورش (الثاني) بالهجوم على ليديا أولاً، دون بقية حليفاتها لعدة اعتبارات لعل أهمها أن ملكها كروسيوس صاحب فكرة الحلف، فلا بد من ضرب الرأس المدبرة ثم أنها أقرب الحلفاء إلى فارس «مكاناً» إضافة إلى غِناها، إذ أن ولاية كليديا يُعتبر أمر فتحها والسيطرة عليها وعلى مواردها نصر عظيم لما يمثله ذلك من إيجاد دعامة اقتصادية قوية لدولة ناشئة كدولة الفرس، وبالتالي ضمان عدم توظيف هذه الموارد في مشاريع مضادة لمصالح الفرس. بعد سقوط ليديا، حاولت المدن الأيونية، والتي كانت تحت سلطان كروسيوس أن تقاوم قورش (الثاني)، كما بعثت أسبرطة Σπαρτη محذِّرة قورش (الثاني) ومُنذرة إياه ألا يتدخل في شئون المدن الهللينية «وإلا فأنهم لن يسمحوا بشيء من ذلك».

غير أن أسبرطة، لم تتجاوز ذلك إلى أي تدبير عملي، كما أن تفرق جهود المدن الأيونية في سبيل مقاومة قورش (الثاني)، مكّن هرباجوس، نائب أو والي قورش (الثاني) على تلك الأنحاء من أن يُخمد هذه الثورة، وبذا خضعت لسلطان فارس، كما دخلت ميليتوس Μιλητος حظيرة دولة فارس من تلقاء نفسها، وقد وضع بعض تلك المدن داخل حدود ولاية ساردیس بينما وضع بعضها الآخر، خاصة الشمالية، داخل ولاية

= ومن جهة أخرى فقد جسَّد فنانو الفخار الهللينيون فيما بعد، حادثة عفو قورش (الثاني) عن كرسيوس في العديد من الرسومات الملونة على أوانيهم الفخارية انظر عن ذلك: ـ

Κγριακιδη B., ΕΛΛΑΣ ΙΣΤΟΡΙΑΤΟΝ ΕΛΛΗΝΩΝ, (Athens, 1972), P., 179; Bury J.B and Neiggs R., OP. Cit. P., 145.

(1) أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 368.

داسكيليوم[1] Δασκυλειω.

ثم اصطدم قورش (الثاني) بعد ذلك بالقبائل التي كانت رُحّل بين بارثيا وهركانيا Υρκαινων ومنها قبائل الساكا Σακαι وقد نتج عن ذلك إضافة لسيطرة قورش (الثاني) على تلك الأنحاء، أن رحلت بعض القبائل الأخرى عن ديارها، خشية الوقوع تحت سيطرة الفرس[2].

وهكذا وباحتلال ليديا وإخضاع السواحل الهللينية والمدن الأيونية بآسية الغربية، وصلت حدود الامبراطورية الفارسية نحو الغرب لمدى أبعد وأكثر من المدى الذي وصلت إليه الامبراطورية الآشورية[3].

بعد مرور ست سنوات (545 ـ 539 ق. م) وهي الفترة التي قضاها قورش (الثاني) في محاربة القبائل الرحل على ضفاف نهر السند عاد واتجه بأنظاره صوب المملكة البابلية الكلدانية، فوجه هجوماً إليها، انحاز إليه خلاله جوبرياس Τωβρυας حاكم مدينة جوتيوم من قِبل الكلدانيين[4] والذي بادر باحتلال مدينة بابل Βαβυλων باسم الفرس، قبل وصولهم إليها، كما قام بإعدام بلشاصر Belshazzar. كما تمكن من أسر والده نابونيدوس الذي هرب إلى بورسيبا ثم أُبعد إلى كرمانيا Carmania.

بسقوط نابونيدس، يكون قورش (الثاني) قد تخلص من أكبر منافس له في الشرق القديم بعد كروسيوس، «ولأول مرة في التاريخ يُوحَّد غرب آسية

(1) Torrey C.C,. "The Bilingual Inscription From Sardis AJSL, XXXIV, (1918), PP., 185 FF.

(2) إذا أبحر الفوكيون غرباً، بينما نزل التيليويون في أبديرا على ساحل تراكية، وفي هذا الشأن كان بياس Bias قد أشار على الأيونيين بالارتحال ككتلة واحدة «جماعة» إلى جزيرة سردينية، بينما دعا طاليس الملطي إلى اتحاد جمع تلك المدن تحت زعامة مدينة مركزية لمواجهة ذلك الخطر.

(3) عن حدود تلك الأمبراطورية خاصة أبان مجدها انظر: ـ
Herzfeld E., OP. Cit.

(4) Xen, Kypoy, IV, 1.10; Vaux. W.S.W. OP. Cit., P.,22.

من البحر الإيجي Aegeam Sea إلى مشارف مصر تحت صولجان حاكم واحد»[1].

ويُعتبر سقوط بابل أكثر من مجرد انهيار امبراطورية، إذ أن ذلك يمثل نهاية عصر سيادة (الساميين) أو بداية عصر جديد وهو عصر سيادة الهندأوربيين[2].

وإذا تساءلنا عن دوافع قورش (الثاني) في غزوه بابل، فلعل أولها أن ذلك كان إكمالاً للانتشار السياسي بالمنطقة، التي تُعتبر مجالاً طبيعياً لهم، ساهم في ذلك الأوضاع الداخلية التي كان عليها البيت الحاكم في بابل، إذ تذكر المصادر أن هذا الغازي الجديد حينما زحف بجنوده على بابل، كان أكثر الشعب البابلي لا يرى فيه عدواً بل رسولاً للسلام والخلاص، نظراً لما كان يعانيه على أيدي حكامه السابقين[3].

تُضيف بعض الأبحاث الأخرى، إن محاولة قورش (الثاني) لغزو بابل لم تكن الأولى إذ سبقها محاولةً جرت في العام التاسع من حكم نابونيدوس وعندما عصى عليه ذلك عمل على إفساد قوماً من أهل بابل على حاكمها

(1) فيليب حتي، موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة أنيس فريحة، (دار الثقافة، بيروت ص 52).

(2) السامية تعبير أنثروبولوجي، يُطلق على أصحاب الثقافة السائدة في الهلال الخصيب كله وشبه جزيرة العرب، على الأقل منذ الألف الثالثة قبل الميلاد.
وقد دخل هذا التعبير إلى اللغات الأوربية عن طريق الترجمة اللاتينية للتوراة، ثم أحياه علماء القرن الثامن عشر، وأطلقوه على الشعوب التي اعتقدوا أنها انحدرت من صلب سام بن نوح، للمزيد عن ذلك أنظر: توفيق سليمان، نقد النظرية السامية، (دار دمشق، الطبعة الأولى، 1981 م)، ص ص 32) وما بعدها، أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1963 م ص 215).

(3) Smith S., **Babylonian Historical Texts**, (London, 1924), p., 16.
أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص ص 361/362.

يُعتقد بأنهم اليهود، فتمكن قورش (الثاني) بمساعدة هؤلاء العملاء من دخول بابل في السنة السابعة عشرة من حكم نابونيدوس(1).

عمد قورش (الثاني) في السنة الأولى من فتحه بابل، بإدارتها إلى جوبرياس السالف الذكر، ثم دخلها في العام التالي في احتفال مهيب أصدر فيه مرسومه الخاص بإعادة اليهود إلى فلسطين(2).

لا شك في أن لسياسة قورش (الثاني) الحكيمة والسلمية، إضافة إلى نجاحه العسكري المتكرر، كان لها تأثير بليغ في استسلام بقية بلاد آسية الصغرى، مثل Καρι للفرس دون حرب(3) كذلك كان الأمر مع الفنيقيين Φοινκες بقيادة مدينتي صيدا وصور وجزيرة قبرص ـ التي كانت قد بسط المصريون زمن أماسيس (أحمس الثاني) نفوذهم عليها وذلك عقب ضعف امبراطورية بابل الكلدانية، ثم انحازت الجزيرة للفرس وأعلنت خضوعها

(1) تعددت التواريخ التي يذكرها الباحثون لهذا الفتح، وإن كانت جميعها تكاد تتفق على السنة 539 ق. م، حيث يرى البعض أن ذلك كان في أكتوبر [التمور] ومن هؤلاء، إبراهيم أحمد زرقانة وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، (دار مصر للطباعة، القاهرة)، ص 420، في حين نجد في موضع آخر أن ذلك كان في 16 أبريل [الطير]، وأن زيارة قورش (الثاني) لمدينة بابل كانت في الثالث من شهر أكتوبر [التمور] كما عند هارفي بورتر، المرجع السابق، ص ص 154 ـ 155، ذلك في حين يرد في موضع آخر أن قلعة بابل وقصرها ظلا يقاومان حتى مارس [الربيع] سنة 538 ق. م، أنظر فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ترجمة جورج حداد، وعبد الكريم رافق، راجعه جبرائيل جبور، (دار الثقافة، بيروت، 1958 م)، ص 239.

(2) كان هؤلاء اليهود قد قام بسبيهم نبوخذ نصر، عقب حملتين شنهما ضدهم الأولى كانت حوالي 597 ق. م، والثانية 586 ق. م.

ووثيقة قورش أو مرسومه، عُثر عليه في مدينة أور عام 1879 م، وهو عبارة عن اسطوانة من الطين المشوي، نُقش عليها المرسوم، باللغة البابلية وتُحفظ الآن في British Museum لندن، للمزيد عن هذه الوثيقة انظر : ـ

Olmstead A.T., OP. Cit., PL. VI, PL. XL.

(3) Heard., I, 214; Olmstead A.T., OP. Cit.. PP., 45 FF.

التلقائي لهم، عقب استيلاء قورش (الثاني) على بابل[1].

في العام التالي لفتحه بابل، أشرك قورش (الثاني) معه في الحكم ابنه كمبيز (الثاني)، ومنحه لقب ملك بابل، كما عهد لابنه الآخر المُسمى برديا أو سمرديس Σαμβνσης كما ترد في المصادر الهللينية، بحكم الأقاليم الشرقية من الامبراطورية الفارسية، وقد ظهرت بوادر هذا التبدل السياسي في تأريخ الحوادث البابلية، حيث صارت المعاملات والعقود تؤرخ بسني حكم الملك الجديد وسني خلفائه[2].

قضى قورش (الثاني) طيلة العشر سنوات التالية (539 ـ 529 ق. م)، لم يثر عليه ثائر في أرجاء مملكته، التي ترامت أطرافها، باستثناء قبيلة المساجيت Μασαγεται التي يرى البعض أنها ذات أصل أسكيثي، والقاطنة للمناطق الواقعة بين بحر قزوين، وبحيرة أرال Oxiana Palus، حيث جرح أو قتل هناك وهو يحاربها[3]، وأُعيد إلى عاصمته باسارجاداي Πασαργαδαι التي شادها بعد فتحه لبابل، وقد دُفن في ضريح ضخم يُعرف اليوم باسم مشهد مداري سليمان[4] Madari - Sulaiman.

ـ أسباب وعوامل نجاح قورش (الثاني) في تكوين امبراطورية:

والآن عند محاولة تقييم أعمال قورش (الثاني) لاستنتاج أسباب نجاحه في تكوين امبراطورية، وجعل فارس مركز سيادة الشرق الأدنى القديم ما يزيد على القرنين من الزمان، فإنه يمكن تلخيص ذلك في أنه كان حكيماً عرف كيف يتصرف بالأمور وحسب الأوضاع بمهارة، فهو قبل أن ينطلق لتحقيق حلمه في السيادة قام بصهر قبائله المشتتة، التي كانت تُدين كل منها بطاعة

---

(1) Purcell H.D., **Cuprus**, (London, 1969), P., 87; Hill G., **A History of Cuprus, Vol.** I, (Campridge, 1949), P., 111.

(2) Burn A.R., **OP. Cit.**, P., 82.

(3) Herod., I, 214; Xen, Kupou., VII, 6 - 28; Strabo, XI, 88; Arrian., Alexander, VI, 29; Vaux W.S.W., **OP. Cit.**, P., 24.

(4) عن عمارة وتخطيط هذا الضريح أنظر: الباب الأول، الفصل الثالث صفحة 197.

لسيد، فتمكن بذلك من إيجاد دعامة مهمة لأي فتح، وهي الجيش، الذي اعتمد على النبالة والفرسان. استطاع به، رغم قلة عدده وإمكانياته من أن يباغت ممالك عظيمة، وذلك باقتناصه للفرص التي تُمكنه من النجاح، وبابتعاده عن الدخول ولعله في تراجعه عن غزو المدن الأيونية الواقعة على ساحل آسية الغربية يُلمس مدى حكمة هذا العاهل، إذ يدل ذلك وكما قال الشاعر أسخليوس Αεχηλεος على «أن هذا البطل الذي اختصه القدر بالحظ كان حكيماً»[1]، فتراجعه عن بحر إيجة رغم ما يمثله هذا البحر من أهمية في سبيل المصالح التجارية كان لهدف أكثر ضرورة وهو تأمين المناطق الشرقية من دولته، إذ ما أنفكت تلك القبائل النازلة بها أن تكون مصدر إزعاج وقلق، وقد خبِر ذلك من تجاربها السابقة مع الممالك الماضية، وكان ذلك أيضاً قبل زحفه على بابل التي كانت هي الأخرى قد ضربها الوهن، ثم أنها كانت مُقيدة باتفاق معه.

من أسباب نصره أيضاً أنه كان لا يزحف على بلد من البلدان إلا بعد تهيئة كل أسباب نجاح ذلك الزحف، ببذل كل غاية لتأمين التعاون التام بين جميع أجزاء أو فرق الجيش وقواده، وما إلى ذلك، ولذا كثيراً ما قِيل أن أسباب نجاحه كانت نجابته، شجاعته، انتظام عسكره، وجودة أسلحته.

من المعالم المهمة في شخصية قورش (الثاني) كيفية تعامله للشعوب المغلوبة، تلك المعاملة التي اتسمت في معظمها باللين والرحمة، جرد

---

(1) ولد الشاعر إسخليوس من أسرة عريقة بإحدى قرى أتيكة حوالي عام 525 ق. م، وقد فاز بأولى جوائزه في الشعر سنة 472 ق. م، في عيد الديونوزيا وذلك عن مسرحية «رباعية الحلقات» كانت ثانيهما عن الفرس، ويذكر أرسطو إن أسخليوس، بمسرحية «الفرس» هو الذي أحدث بالفعل تلك الثورة في المأساة الهللينية، للمزيد عنه، أنظر: برتوراسكو، عمالقة الأدب الغربي، الجزء الأول، ترجمها وراجعها دريني خشبة وأحمد قاسم جودة (مؤسسة روز اليوسف، القاهرة 1961 م)، ص ص 152 وما بعدها.

كروسيوس من قوته ولم يقتله، أعاد اليهود إلى فلسطين، أبقى على شرائع وعادات الشعوب وقوانينها، احترم عاداتها، لذا حصل على الجزية والجنود وقت الحاجة، وشعرت الشعوب بحريتها، وإن كانت تنضوي تحت لواء دولة الفرس.

وبكل التأكيد ما كان لقورش (الثاني) أن يحقق ذلك الفوز لولا تضعضع شركاءه القُدامى وتفككهم، فلم يستطع من هددهم الفرس أن يوحدوا صفوفهم لما استحكم بينهم من منافسات قديمة، بل أن تحالفهم إن تحقق كان أعجز من أن يتبلور في عمل مشترك.

أما عن تفصيل الناحية العسكرية من حيث التشكيل العسكري وأنواعه ومدى تشابه ذلك واختلافه مع ما وجِد عند الممالك المجاورة، إضافة إلى الاعتقاد الديني، كل ذلك سوف يتم تناوله بشيء من التفصيل في الفصل الخاص بتنظيمات الامبراطورية الفارسية[1].

كمبيز (الثاني) وفتح مصر وانضمام قوريني وبرقة للامبراطورية:

بعد موت قورش (الثاني)، تولى شئون العرش ابنه، ملك بابل ونائبه[2] المسمى كمبيز (الثاني) Καμβυσης عام 529 ق. م، فاستهل حكمه باغتيال أخيه بردیا أو سمرديس وذلك ربما لاضطرابات قامت عقب وفاة والدهما، أُتهم بتدبيرها، أو خشية من أطماعه في السيطرة والانفراد بشؤون الحكم، خاصة وأن كمبيز كان يعد العدة لإتمام ما أراده والده وهو فتح مصر، كما كان هذا الأخ كما يُذكر، ينال حظوة عند الرعية أكثر مما حاز كمبيز (الثاني)، وهذه العملية [القضاء على بردیا سراً]، كانت السبب فيما بعد في ظهور دعي تقمص شخصية المغدور والظهور باسمه مُدعياً أحقيته في

---

(1) انظر الصفحة 150 وما بعدها بالفصل الثالث، الباب الأول، من هذا البحث.

(2) Dubberstein W.H., "The Chronology of Cyrus and Cambyses" AJSL., LV, (1938)., P., 413; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 87.

حكم الامبراطورية، كما سيأتي إيضاح ذلك بعد قليل(1).

كان قورش (الثاني) قد أعد العدة قبل وفاته لغزو مصر، ولم تكن هذه النية خافية على المصريين، إذ كانوا قد تحالفوا مع اللاكيديمونيين والليديين ضد هذا الخطر الناشيء، وعند انفراط عقد ذلك التحالف، كما مر بنا(2)، سافر الفرعون (أحمس الثاني) أماسيس، بنفسه إلى قبرص Κυπρος التي أخضعها المصريون لسيطرتهم عقب اضمحلال سيطرة البابليين عليها(3)، حيث أخذ هناك يتدبر أمر الفرس بالتحالف مع بوليكراتوس 533 ـ 525 ق. م Πολυκρατς دكتاتور جزيرة ساموس Σαμος كما حاول التقرب من هلليني مدينة قوريني(4) Κυρηνη كما حاول استرضاء مستعمرات ومدن هللينية أخرى من بينها دلفي Δελφοι، التي كانت النار قد أتت على أحد معابدها فأسهم في عونها، كما قدم لأسبرطة ورودس Ροδος هدايا من الكتان الموشى بالذهب وإلى ساموس تمثالين باسمه لمعبد الآلهة هيرا(5).

أتم العاهل الفارسي الجديد، استعدادات الحملة، حيث أمَّن التعاون التام بين الجيش والأسطول البحري، فجعل مدينة Καδυτιος [غزة] مركزاً لحركات السفن الفينيقية والقبرصية التي كانت قد أعلنت خضوعها له [كمبيز] طواعية(6)، كما نبذ في هذا الوقت بوليكراتوس معاهدته السابقة مع الفرعون أماسيس (أحمس الثاني) وعرض خدماته على كمبيز (الثاني) إذ أرسل له أربعين سفينة حربية(7)، أُضيفت إلى سفن الفنيقيين وبعض المدن القبرصية الأخرى.

---

(1) أنظر الصفحة رقم 38 بهذا الفصل.

(2) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 18 بهذا الفصل.

(3) Herod., III, 39; Bury J.B., OP. Cit., P., 233; Hill G., OP. Cit., PP., 108 FF.

(4) انظر تفصيل ذلك بالصفحة رقم 208، بالباب الثاني، الفصل الأول، بهذا البحث.

(5) Herod., II, 182; Chrimes K.M.T., OP. Cit., P., 130, Bury J.B. OP. Cit., 232.

(6) Herod., III, 19; Hill G., OP. Cit., P., 115.

(7) Herod, III, 19, 44; Burn A.R., OP. Cit., P., 83.

كما اتفق مع «ملك العرب» فضمن حيادهم ومساعدتهم بتزويد جيشه بالماء[1] وذلك باستئجار الإبل وحمل المياه في أسقية جلدية فوق ظهورها.

قبل أشهر قليلة من وصول الحملة إلى مصر، مات أماسيس، في شتاء 526 ق. م ليتولى المُلك فيها ابنه الفرعون بسامتيك (الثالث) Ψαμμιτιχος (Τριτος).

دارت المعركة بين الجيشين المصري والفارسي، الذي يُرجّح أنه دخل الأراضي المصرية بعد إرسال الفرق الاستطلاعية الاستكشافية التي دارت حول صحراء سيناء قبل عبورها، وذلك حسب رأي بعض الباحثين أمثال بورن Burn إن الحملة اعتمدت في أساسها على الجيش البري دون البحري، ذلك لأن الأخير كان عنصراً غير معروف أو مألوف بالنسبة للفرس[2]، وهذا القول لا يمكن إثباته وإن كان بالإمكان نقده، فالفرس حال بدءهم غزو مصر تواردت عليهم بعض من أهم آساطيل البحر المتوسط في ذلك الوقت، إذ أصبح تحت سيطرتهم أسطول المدن الفينيقية [صور - صيدا] كذلك قبرص، كما أرسل بوليكراتوس سفنه وإن لم تصل للفرس كما يُذكر[3]، فإنها على الأقل لن تكون ضدهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن جميع غزوات الفرس السابقة أو اللاحقة باستثناء غزواتهم ضد المدن الهللينية الواقعة على ساحل آسية الغربية، أو ببلاد الهللينيين الأصلية، كانت تلك الغزوات يتضافر فيها الجيشان البري والبحري، وإن كنا لا نجد ذكراً واضحاً لدور الأسطول البحري خاصة في المعارك.

---

(1) Herod., I, 97; III, 4, 91; Burn A.R., OP. Cit., P., 84.
Olmstead A.T, OP. Cit., P., 88.
جان يويوت
مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، راجعه عبد المنعم أبو بكر، (مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1966 م)، ص 197.

(2) OP. Cit., P., 83.

(3) Ure P.N., "The Outer Greek World in the Sixth Century" Chapter IV. C.A.H. IV, P., 91.

ومن جهة ثالثة فإن أمثال هذا الباحث [Burn] إذا كانوا ينتظرون ظهور بحرية فارسية صرفة أو خالصة، فإن ذلك لن يظهر أبداً، طيلة عصر الامبراطورية الأخيمينية وبالتحديد الفترة الزمنية مدار البحث.

دارت المعركة بين الجيشين المصري الذي ضم بالإضافة إلى المصريين عناصر أخرى مرتزقة من الهللينيين والكاريين(1)، والفارسي الذي تقدمه فانيس، عند القلعة الأمامية على الحدود في بيلوزيوم BELYSIUM [تل الفرما](2).

ويذكر هيرودوتس أسباباً عديدة كان قد تحجج بها كمبيز (الثاني) لغزو مصر(3) كما يورد سير المعارك التي دارت حتى ارتداد المصريون إلى منف [ميت رهينة] حيث ضرب حولها حصاراً، انتهى بسقوط العاصمة ووقع بسماتيك (الثالث) أسيراً في يد كمبيز (الثاني)(4).

في أثناء حصار كمبيز (الثاني) لمدينة منف التقى أو استقبل وفداً أرسله أركسيلاوس (الثالث) يُعلن خضوع مدينة قوريني Κυρηνη وبرقة Βαρκη

---

(1) Herod., II, 154; III, 135 FF.

(2) يذكر هيرودوتس [I , 4; III،14]، أن فانيس من أهل هاليكرناسوس كان أحد قادة الجند المرتزقة الهللينيين عند المصريين، هرب منهم والتجأ إلى كمبيز (الثاني) وعرض خدماته عليه، وأطلعه على كافة تحصينات الجيش المصري، وقد استمر في خدمة الفرس طيلة عهد كمبيز (الثاني) وداريوس (الأول).

(3) Herod., III, 1; Parker R.A., "Persian and Egyptian Chronology", **AJSL, L VIII**, (1941), PP., 272 FF; Dubberstein W.H., **OP. Cit.**, P., 429.

(4) Kte., Pers, XII, Epit, 40, Frag, 30; Diod., X,13,14; Just., I,9.3; Polyainos, VII, 9. هذا من جهة أخرى يخالف ما ذهبت إليه الباحثة جرجيت مري، **مصر ومجدها الغابر**، ترجمة محرم كمال، (لجنة البيان العربي، القاهرة 1957 م) ص 128، إذ ترى أن الفتح الفارسي لمصر كان زمن الفرعون بسماتيك الرابع، كما يخالف أيضاً قول إسماعيل مظهر، **خطبة بداية الحكماء وهداية القدماء**، (المطبعة الدوارية، القاهرة، ؟)، ص 42، الذي يخلط بين الفتحين الفارسيين لمصر، فيعتقد أن كمبيز (الثاني) دخلها زمن نكتانيبو (؟).

إضافة إلى بعض القبائل الليبية، طواعية للفرس والقبول بدفع جزية سنوية لهم[1].

ولما كان سيتم في فصل خاص[2]، مناقشة الأسباب أو الدوافع التي كانت وراء إعلان قوريني وبرقة خضوعهما للفرس، وما هي القبائل الليبية التي قبلت بذلك ولماذا؟ فإنه سيُكتفى في هذا الموضع بالقول أن قوريني قد قبلت بالتبعية للفرس سلمياً وذلك في عهد أركسيلاوس (الثالث)[3] Αρκεσιλαος (Τριτος).

سار كمبيز (الثاني) بعد سقوط منف في النيل على متن السفن فوصل إلى طيبة Θηβα [الأقصر] واحتلها، ومنها عبر الصحراء حتى وصل واحة الخارجة.

وهكذا أصبحت مصر ولاية فارسية، كما يذكر مانيثون Manthon منذ شهر مايو سنة 525 ق. م، يحكمها (فراعنة) من الفرس منذ الأسرة السابعة والعشرين إلى الأسرة الحادية والثلاثين[4]، أي فتح الاسكندر المقدوني Μετας "Αλεεγδρος لها باستثناء فترة قصيرة ثار فيها المصريون على الحكم الفارسي[5].

وبانتصار الفرس على آخر دولة قوية في الشرق الأدنى وهي مصر

(1) انظر الصفحة رقم 224 وما بعدها بالباب الثاني، الفصل الأول.
(2) انظر الفصل الثالث، الباب الثاني، صفحة رقم 283 وما بعدها بهذا البحث.
(3) يخالف هذا القول رأي الدكتور مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم منشورات الجامعة الليبية، (المطبعة الأهلية، بنغازي 1966م، الطبعة الأولى) ص ص 59 ـ 60، والذي يقول فيه إن ذلك كان في عهد أركسيلاوس الرابع.
(4) مانيثون Manthon كاهن مصري، عاش في عهد بطليموس الثاني فيلادلفوس 282/246 ق. م، مؤلف كتاب «تاريخ مصر الهللينية» أهم ما به جدوله الذي وضع فيه تسلسل بأسماء الأسر التي حكمت مصر، ويُعرف بجدول مانثيون.
(5) انظر ما سيأتي بالصفحات رقم 57 وما بعدها بهذا الفصل من البحث.

أصبحت حدود الامبراطورية الفارسية مشتملة على الشرق المتحضر كله، من ما يعرف اليوم بأفغانستان والهند وتركستان والباكستان والقوقاز وشبه جزيرة البلقان حتى ضفاف نهر الدانوب وما كان يسمى ببلاد الكدانيين وآشور وفيها بين النهرين وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن إضافة إلى مصر والجزء الشرقي من ليبيا [قورينائية][1].

وبذلك تكون المرة الأولى التي يتم فيها توحيد مدنية وادي النيل بمدنية الفرات في دولة واحدة لمدة طويلة من الزمن[2]، كما كان لهذا الحدث [خضوع مصر للسيطرة الفارسية] أهمية خاصة في تاريخ المدن الهللينية، إذ بذلك الفتح، زالت من الميدان الدولة الثانية الموالية لها بعد مملكة ليديا، وهو الأمر الذي أهّل الفرس فيما بعد، لأن يشنوا الغارة عليهم، مستندون في ذلك إلى رعاياهم من الفينيقيين والقبارصة والساموسيين إضافة للمصريين.

أما عن تعليل سقوط مصر أمام أولى حملات الفرس وهي أي مصر، التي استطاعت في فترات سابقة عدة مقارعة أمم عتيدة، فبالإمكان القول أن أحد أسباب ذلك ضعف القيادة إذ تولى بسماتيك (الثالث) شئون الدولة قبل غزو كمبيز (الثاني) لها بست أشهر فقط تقريباً، وقد كان هذا العاهل [بسماتيك] الجديد أميراً في أواسط العمر، بعيداً عن شئون الحكم والإدارة طيلة حياته الماضية، ثم اعتماد الجيش المصري على الجنود المرتزقة، خاصة من الهللينيين منذ الأسرة السادسة والعشرين 663 ـ 525 ق. م وتقدم بعضهم في مراتب عليا ومتقدمة من الجيش والإدارة، وخيانة البعض من هؤلاء أو انحيازهم إلى جانب الفرس للإغراءات التي قُدمت لهم زيادة على أن هؤلاء المرتزقة لم يؤد بعضهم واجبه كما ينبغي[3].

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 19 هامش رقم (1) من هذا الفصل بهذا البحث.
(2) عن قورينائية أنظر الباب الثاني، الفصل الأول، صفحة.
(3) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 28 هامش رقم (4) بهذا الفصل من البحث.

من الآثافي أيضاً تخلي بوليكراتوس عن تحالفه مع مصر في أحوج أوقاتها إليه ويُضيف البعض أن إعلان قورينائية خضوعها وتبعيتها للفرس في وقت الحصار، أضعف روح المصريين المعنوية وفتَّ في عضدهم[1].

وتُعوَّل بعض الأبحاث على أسباب أخرى كالقول بأن كمبيز (الثاني) حينما غزا مصر عمد إلى وضع صفاً كبيراً من الحيوانات التي كانت مقدسة لدى المصريين مما منعهم من الدفاع، خشية إصابتهم تلك الحيوانات المعبودة[2].

هذا وقد أرسل كمبيز (الثاني) من مصر حملتين عسكريتين كما حاول إرسال حملة أخرى ضد قرطاجة[3] Καρχηδων وهذه الحملة أرادها بحرية لبعد المدينة [قرطاجة] عن مركز أو قاعدة عملياته الآن وهي مصر، ولما كان أسطوله البحري يعتمد على البحارة الفينيقيين فأنهم رفضوا تسيير أسطولهم لغزو أبناء جلدتهم وأهلهم القرطاجيين.

---

(1) Vaux W.S.W., OP. Cit., P., 48.

(2) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 29 هامش رقم (1) من هذا الفصل بهذا البحث.

(3) قرطاجة مدينة تقع على شاطىء أفريقية الشمالية، قرب مدينة تونس الحالية، تجاه الطرف الغربي بجزيرة صقلية، وقد أسسها مهاجرون من مدينة صور عند أواخر القرن التاسع قبل الميلاد (حوالي 825 ـ 814 ق. م) وبذلك كانت إحدى المستوطنات التي أنشأها الفينيقيون في غرب المتوسط بيد أنها أخذت تنمو سريعاً حتى غدت أعظم المستوطنات الفينيقية في غرب المتوسط، للمزيد عنها أنظر: محمد الصغير غانم، **التوسع الفينيقي في غربي المتوسط**، (بيروت، الطبعة الثانية، 1982 م)، ص ص 67 وما بعدها؛ ج كونتنو **الحضارة الفنيقية**، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، راجعه طه حسين، (الناشر شركة مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ؟) هنا وهناك؛ محمد أبو المحاسن، **عصفور المدن الفينيقية**، (دار النهضة العربية، بيروت 1981 م) ص ص 53 وما بعدها.

ومما يُثير التساؤل في هذا القول هو لماذا لا ينطلق كمبيز (الثاني) بحملته لضم قرطاجة من قوريني التي كانت قد اعترفت بهم؟ وبالتالي يكون قد تغلب على إحدى الصعاب التي يراها الباحثون أنها كانت وراء اختياره للحملة البحرية دون البرية لبُعد قرطاجة عن مصر، وبالتالي أيضاً يكون بالإمكان إرسال الجيشين البري والبحري يؤازر بعضهما بعضاً.

وما اتضح بالبحث هو أن كمبيز (الثاني) لم يقبل ذلك الأمر أولاً لأن أوضاعه بمصر لم تستتب، مما يمنعه عن مغادرتها وجزء كبير من جيشه خشية الانقلاب عليه وعزله في أفريقيا. وأيضاً الاعتراف الذي حاز عليه من قوريني لم يكن باسم هلليني المدينة بل هو باسم طبقة فقط من أولئك المستوطنين، إضافة إلى أن أغلب القبائل الليبية لم تعترف به سواء تلك التي كانت منتشرة بين مصر وأقليم قوريناثية أو بين هذا الأقليم وقرطاجة وهذه القبائل أو بعضها كان في حالة عداوة مع الهللينيين، وطبيعي أنها ستكون كذلك مع سادة أو حماة الهللينيين وهم الفرس. الأمر ذاته يمكن قوله على المناطق أو المسافة بين قوريني وقرطاجة، وهي التي منذ زمن مبكر قد زرعتها قرطاجة بمستوطنات ومحطات تجارية تدور في فلكها، وكان بعضها على درجة عالية من القوة التي لا يمكن الاستهانة بها مثل أويا ولبتس ماجنا إضافة إلى جهل الفرس، وربما التام، بالأوضاع في أقصى غرب البحر الأبيض المتوسط.

من جهة أخرى كانت قرطاجة دولة ذات سيادة تجنح في الغالب إلى السلم وفي حالة وجود حسن الجوار فأنها بالتالي تكون للفرس حداً آمناً جهة الغرب وهم [الفرس] إضافة إلى ذلك يمكنهم الإستفادة من إمكانياتها سلمياً.

التساؤل الآخر هو إذا كان الفينيقيون قد رفضوا المسيرة باتجاه قرطاجة لماذا لم يُسيِّر كمبيز (الثاني) بقية الأسطول، الذي كان يتكون من قبارصة وساموسيين ومصريين؟. ولكن يبدو أن كمبيز (الثاني) قد صرف النظر عن إرسال تلك الحملة عقب عدم موافقة الفينيقيين على ذلك، إضافة إلى ما سبق ذكره، نظراً لما كان يمثله الأسطول الفينيقي من ثقل في البحرية الفارسية، ثم لتمكن قرطاجة وقوة أسطولها البحري خاصة الحربي منه إضافة إلى أنه لا

يمكن الاعتماد على الأسطول المصري لتضعضع ولائه الجديد.

أخيراً لعل كمبيز (الثاني) قد فكّر في هذا المشروع في وقت متأخر من دخوله لمصر ولم يسعفه الوقت، نظراً لمجريات جديدة ظهرت في شرق الأمبراطورية لإتمام ذلك المشروع، خاصة وأن هيرودوتس يتحدث عن تلك الأحداث دون ترتيب زمني لها.

أما عن الحملات العسكرية التي أرسلها كمبيز (الثاني) من مصر فكانت الأولى ضد بلاد الأثيوبيين [بلاد النوبة] وذلك لما كانت تمثله هذه البلاد من امتدادات طبيعية للأراضي المصرية، وبالتالي كان لا بد من إخضاع الحد الجنوبي له في مصر، وإن كانت المصادر تذكر أن دافعه من وراء تلك الحملة كان حسب تعبيرها ليكشف نهاية الأرض(1).

خرج كمبيز (الثاني) بنفسه على رأس هذه الحملة، حيث هلك أكثر جيشه في طريقه إليها لنقض المؤن ثم لانسحاب الأثيوبيين نحو الجنوب كلما سار إليهم كمبيز (الثاني) إضافة إلى طول خط سير الحملة وظروفها المناخية(2) الأمر الذي تفسره بعض المصادر بقلة الأعداد والإرتجال في هذه الحملة، إضافة إلى الاستهانة بأمر سكان مروى ذلك على الرغم من كون كمبيز (الثاني) على رأسها بنفسه.

هذا وجدير بالذكر أنه تم العثور في السنوات الأخيرة على نقش ببلاد النوبة أو مروى Meroe كُتب باللغة الأثيوبية (؟) وقد ورد به اسم كمبيز (الثاني) الأمر الذي يدل على وصوله لتلك الأنحاء، وإن كان هناك خلاف حول تأريخه(3) ومما يؤكد ذلك الوصول ونجاح كمبيز (الثاني) في تلك الحملة هو ذكر أثيوبيا

---

(1) Herod., III, 18 FF, 97, 114; VII, 69; Diod., I, 33; III, 3.1; Strabo, XVII, 1.5; Plin., VI, 181; Burn A.R., **OP. Cit.**, P., 86.

(2) Herod., III, 20 FF; Parker R.A., **OP. Cit.**, P., 283; Burn A.R., **OP. Cit.**, P., 87; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P., 89.
Bury J.B., **OP. Cit.**, PP., 232 FF.

(3) Burn A.R., **OP. Cit.**, P., 88.

[كوشيا] في عداد الولايات الخاضعة للفرس، بل وتصويرهم في منحوتاتهم وهم يقدمون الجزية لملوك الفرس[1]، ومعلوم أن خلفاء كمبيز (الثاني) لم يصلوا إلى تلك الأنحاء مما يؤكد بالتالي أن فتحها كان زمن هذا العاهل وعقب حملته هذه، إذ لا ذكر أيضاً لحملة أخرى أرسلها ضد أثيوبية[2] Αιφιοπια.

الحملة الثانية التي أرسلها كمبيز (الثاني) وهو في مصر كانت ضد واحة آمون ـ بسيوة Αμμωνος التي كانت مقراً لجالية هللينية تربطها صلة وثيقة بالجالية الهللينية المقيمة في نيوكراتس بمصر[3] وهو [كمبيز] أراد بحملته هذه استكمال السيطرة على المنطقة بإخضاع هذه الجالية. يذكر البعض أنه أراد من ورائها أيضاً تدمير معبد الإله آمون، الذي كان له ـ في ذلك الوقت ـ شهرة خاصة، كمركز نبوءة حاز على ثقة بما يصدر عنه، وكانت إحدى نبوءاته سوء المصير لكمبيز (الثاني) وفتوحاته[4].

هذه الحملة يرى البعض من المتخصصين أنها من الدلائل التي تُشير إلى اختلاف الإلّه آمون Αμμωνος السيوى من حيث وظيفته عن آمون الطيبي[5].

(1) انظر تفصيل ذلك بالفصل الثالث من الباب الثاني، الصفحة رقم 278 وما بعدها من هذا البحث.

(2) Herod., III, 26.

(3) نيوكراتس أونوث كارت مدينة نقراش حالياً، قرب بلدة كوم جيف بمصر، استوطنها الهللينيون منذ أماسيس، كانت مركزاً تجارياً نشطاً، تربطها صلات طيبة بمعظم مدن بلاد الهللينيين وكانت هذه المدينة تُدير نفسها على النظام الهلليني أيضاً.
ويستبعد فرنسوا شامو، الإغريق في برقة، الأسطورة والتاريخ، نقله عن الفرنسية وشرح متونه وقدّم له محمد عبد الكريم الوافي، (منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1990 م)، ص 60 أمر وجود صلات بين نيوكراتس والجالية الهللينية بسيوة لاعتقاده بأن الأخيرة كانت أقرب إلى كونها مستعمرة حربية لوقوعها في قلب الصحراء!!.

(4) أحمد فخري، مصر الفرعونية، (مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، 1978م)، ص 434.

(5) =Bates O., The Eastern Libyan, (London, 1914), P., 198.

يذكر هيرودوتس عن هذه الحملة أنها سارت من طيبة[1] Θηβα فوصلت إلى الواحات الخارجة، وتزودت بالمؤن والإدلاء لهذا الغرض[2] ثم غادرت في طريقها إلى واحة سيوة، حيث مقر الإلّه آمون، ولكن ما حدث حسب ذكر هيرودوتس إن جندي منها لم يصل سيوة، ولم يُعد واحد منها إلى الخارجة، إذ طمرته رمال الصحراء ولا يزال سراً من أسرارها[3].

وإذا كان البعض من الباحثين يستنكر اليوم ضخامة ذلك الجيش الذي أرسل ضد معبد قد لا يتعدى حفنة من الكهنة أو عدد من المئات إذا شمل الأمر اتباعه المحيطين به[4] فأن الاستغراب يطول أيضاً خطة الهجوم كذلك، فإذا كان كمبيز (الثاني) قبل أن يقذف بجيشه داخل مصر عمد إلى إرسال فرق استطلاعية استكشافية، فلماذا حجم عنها هنا؟ على الرغم من أن هذه الأجزاء قد لا تقل وعورةً وغموضاً عن مدخل مصر من جهة سيناء بالنسبة للفرس.

من هنا يوسم البعض كمبيز (الثاني) بالديكتاتورية[5]، لاتخاذه هذا الموقف الذي ليس هناك ما يؤكده أكثر من رواية هيرودوتس سالفة الذكر.

من جهة أخرى، وكنتيجة بعيدة لهذه الحملة وصل الجمل إلى شمال

= عمر حاج الزاكي الإله آمون في مملكة مروى 750 د 350 ق. م، (مطبوعات جامعة الخرطوم، الطبعة الأولى، 1980 م)، ص 9.

(1) يؤكد ـ من جهة أخرى ـ انطلاق الحملة من طيبة اختلاف الإلهين آمون طيبة عن آمون سيوة.

(2) ذلك أن بعض الباحثين أمثال صادق نشأت ومصطفى حجازي، صفحات عن إيران، (مطبعة مخيمر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1960 م)، ص 5، يرى أن حملة كمبيز (الثاني) ضد الآله آمون أراد بها فتح قوريني وما بعدها.

(3) يعتقد فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 59 ـ 60، أن سيرة الحملة كان انطلاقاً من هيراقليوبوليس، وليس من طيبة عبر الواحة البحرية وليس عبر الواحة الخارجة وبالتالي يحتمل أن يكون هيرودوتس قد وقع في خطأ نتج عن جهله بجغرافية الصحراء.

(4) Burn A.R., OP. Cit., P., 86.

(5) Ibid.

أفريقيا إذ يرى البعض أن كمبيز (الثاني) باستئجاره للإبل من عرب شبه الجزيرة قد سجل أول وصول للجمل إلى مصر في العصر التاريخي، ومنها إلى الخارجة حيث استعمل كعماد رئيسي في نقل جنود الحملة ضد واحة سيوة وأمتعتهم[1].

إن هذه الحملات بما فيها مشروعه ضد قرطاجة Καρχηδων التي يرى بعض المتخصصين أن كمبيز (الثاني) كان يطمح من وراء نجاحها إلى تكوين امبراطورية أفريقية فارسية[2]، كان فشلها، حسب رأي بعض المصادر[3] ضربة قاصمة له [كمبيز] وهو الأمر الذي أدى حسب تلك المصادر أيضاً، وانعكس على سياسته وتصرفاته فيما بعد تجاه المصريين A"ιγυπτιοισι. غير أن المصادر المادية التي عثر عليها حديثاً تدل على أن كمبيز لم يكن كما صورته المصادر الأدبية خاصة هيرودوتس الذي يورد فظاعة معاملة كمبيز (الثاني) لجثة أحمس (الثاني) أو أماسيس وانتهاك حرمة العجل حسب (أبيس) معبود المصريين وسوء معاملته للكهنة واحتقارهم.

لا شك في أن هيرودوتس كان قد استمد آرائه في كمبيز (الثاني) من كهنة مصر خلال إقامته معهم[4]. ولا شك أيضاً في أن كلاهما يكن العداء للفرس وبالتالي لا بد أن تتأثر آرائهم في الفرس بذلك.

---

(1) بوفيل روبن هاليت، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، نقله إلى العربية الهادي بولقمة ومحمد عزيز، (منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 1988 م)، ص ص 81 وما بعدها.

(2) رجب عبد الحميد الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، منذ القرن السابع ق. م وحتى بداية العصر الروماني، (منشورات قورينا للنشر والتوزيع، 1975 م)، ص 39.

(3) Herod., III, 27 FF; Just., I,9; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 90.

(4) قام هيرودوتس بزيارة لمصر ما بين سنة 448 ـ 445 ق. م ومكث بها حوالي ثلاثة أشهر ونصف، للمزيد من ذلك أنظر: ـ وهيب كامل، هيرودوت في مصر (دار المعارف، مصر، 1946 م)، ص 15.

ومن أهم المصادر المادية التي تبطل قول هيرودوتس وغيره تمثال وزاحر راسنت[1] Uzahor- resenet الذي تبين نقوشه الهيروغليفية التي عليه أنه بعد استتباب الأمر للفرس في مصر، كان كمبيز (الثاني) قد نادى بنفسه فرعوناً كأنه من صميم المؤمنين بالإلّه آمون، كما تلقب بألقاب الفراعنة، وتزي بزي المصريين كما قام بتقديم القرابين لبعض الآلهة، وزيارة معابد بعضها الآخر، كما قام بمحاربة الفوضى التي أعقبت استيلائهم على أمور مصر، وقام أيضاً بتأسيس العديد من المدن[2].

لم يرد في متون نقش هذا التمثال، أي ذكر للأعمال التعسفية التي أوردها هيرودوتس وغيره من المصادر القديمة واستند إليها الباحثون المتأخرون[3].

ومن المصادر المادية أيضاً التي تُدحض أقوال تلك المصادر، لوحة عُثر عليها في سربيوم منف [ميت رهينة]، تذكر أن أحد عجول حب [أبيس] قد دُفن باحتفال مهيب في العام السادس من حكم كمبيز [522 ق. م] كما

(1) يوجد هذا التمثال الآن بمتحف الفاتيكان، ووزاحر راسنت مصري، كان يشغل منصب رئيس الأسطول البحري، زمن بسماتيك (الثالث) ويبدو أنه انحاز إلى جنب الفرس إذ صار من رجال حاشية كمبيز (الثاني)، كما مُنح العديد من الألقاب منها لقب رئيس الأطباء، لقب رئيس المراسم، ولقب مُرشد الملك، للمزيد عنه أنظر:
ـ سليم حسن، مصر القديمة، الجزء الثالث عشر، (مطابع دار الكتاب العربي، مصر ؟) ص ص 65 وما بعدها.

Burn A.R., OP. Cit., PP., 84 FF.

(2) Herod., III, 16; Strabo., XVII, 1.27, 46; Parker R.A., OP. Cit., P., 285; Olmstead A.T., Op. Cit., PP., 90 FF.

(3) Herod., III, 16,26,27,37,130; Strabo, XVII, 1.27; Diod., I, 46; Pluta., 44; Just., I,9; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 90;
Burn A.R., OP. Cit., P., 88; Vaux W.S.W., OP. Cit., PP., 26 FF;
سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 72 وما بعدها؛ جان يويوت، المرجع السابق، ص 198؛ محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، الجزء الأول، (دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1980)، ص 258.

عُثر على غطاء تابوت كان كمبيز (الثاني) قد قام بإهدائه إلى هذا العجل[1].

وقد ثارت هذه اللقى الأخيرة جدلاً حاداً بين العلماء المختصين[2] ما يهمنا منه هنا هو نتيجته التي تؤكد إن كمبيز (الثاني) كان حاكماً محسناً للمصريين وللآلهة المصرية وهو في ذلك يسير على المنهاج الذي كان والده قد اختطه قبله.

ـ ظهور برديا وموت كمبيز الثاني وما نتج عنهما:

أثناء فترة انشغال كمبيز (الثاني) في مصر، استغل أحد الكهنة ويُسمى في المصادر الفارسية جوماتا Gaumata في حين يرد اسمه بصيغ مختلفة في المصادر الهللينية منها سمرديس[3]، استغل غيبة كمبيز (الثاني)، كما استغل شبهه القوي بشقيق كمبيز (الثاني) برديا، الذي كان قد أقسم مع كمبيز (الثاني) إدارة شئون الامبراطورية منذ زمن والدهما قورش (الثاني) حيث كان برديا قد تولى شئون ميديا وأرمينية وكادوسيا Codusia ثم قُتل سراً بأمر من كمبيز (الثاني) عقب توليه العرش وقبل شروعه في غزو مصر[4].

استغل جوماتا أو سمرديس، تلك الظروف، ونادى بنفسه ملكاً في الحادي والعشرين من شهر مارس سنة 522 ق. م تقريباً، وذلك في موضع يُسمى Ashiyauvada بجبل Arakadrish بميديا[5]، فأشعل فتيل ثورة في

(1) ألن جاردنر، مصر الفراعنة ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973 م)، ص 397.

(2) للمزيد عن ذلك الجدل أنظر: ـ سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 64 وما بعدها.

(3) يرد اسم برديا بالصيغ التالية أيضاً: ـ تاناوكسارس Tanaoxares ومرفيس Merphis وماريوفيوس Maruphius وماردوس Mardos وتانيوكساركس Tanyoxarces للمزيد عنه انظر: ـ

Olmstead A.T., OP. Cit., P., 92; Olmstead A.T., "Darius and his Behistum Inscription", AJSL., LV, (1938), P., 398, n 10.

(4) Vaux W.S.W., OP. Cit., P., 25.

(5) Olmstead A.T., History of the Persian Empire, P., 92

فارس، إذ كان قد نادى بعدة مبادىء جعلت ولايات فارس الشرقية تعترف به، ولم يحل شهر يوليو إلا وكان قد عُرف في كل أرجاء الامبراطورية الفارسية تقريباً(1).

كان ظهور جوموتا (الدعي برديا) في ذات الوقت الذي مات فيه كمبيز (الثاني) الذي حال سماعه بظهور ذلك الدعي، غادر مصر، بعد أن أقام عليها ارياندس "Aβθυαvδηϖ" والياً(2)، متجهاً للقضاء على ذلك الدعي، ولكنه مات في الفترة ما بين يوليو وبداية أغسطس من سنة 522 ق. م(3) فكان ظهور هذا الدعي وتزامنه مع ذلك الظرف فرصة سانحة لحكام المقاطعات الخاضعة للامبراطورية الفارسية بإعلان تمردهم ومحاولتهم الاستقلال بها تحت أيديهم إضافة إلى تلك التي أعلنت اعترافها به.

يذكر أن ذلك كان نتيجة اجتذاب ذلك الدعي لأولئك الحكام بما كان قد أعلنه من مبادىء كالإعفاء من فرض الخدمة العسكرية، والإعفاء من دفع الأتاوات مدة ثلاث سنوات، والسماح لمعتنقي المجوسية بممارسة شعائرهم(4).

---

(1) Herod., III, 16 FF; Kte., Frag. Pers., XIII, Epit., 39; Xen., VIII, 7.11.,; Olmstead A.T., **"Darius and his Behisum Inscription"**. P., 394.

(2) Herod., IV, 166.

(3) يذكر هيرودوتوس 66 ـ 62، III أنه مات في مدينة أكباتانا كما يؤكد Pliny., V, 19 ذلك بينما يجعل المؤرخ Jusephus, Antiguities XI دمشق محل وفاته، أما عن سبب الوفاة فيذكر البعض أنه انتحر في حين يرد البعض الآخر أنه مات بسبب تأثره بجرح أحدثه بنفسه في إحدى نوبات الصرع التي كانت تنتابه من حين إلى آخر في حين يقول بعض آخر أنه مات نتيجة وقوعه عن ظهر فرسه.

Burn A.R. **OP. Cit.**, P., 93; Vaux W.S.W., **OP. Cit.**, P., 27;

Roebuck C., **OP. Cit.**, P., 162; Benjamin S.G.W., **OP. Cit.**, P., 96.

ول ديورانت، قصة الحضارة الفارسية، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، (مكتبة الخانجي، 1947 م)، ص 12؛ أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1963م)، ص 259.

(4) Herod., III, 67-97.

يمكن إضافة لذلك القول أن تلك الشعوب لم تتعود الخضوع زمناً طويلاً لنظام أو أن تنضوي تحت لواء حكم حاكم واحد فترة طويلة من الزمن، ولذا اعتقدت أو اعتقد حكامها، والذين كان جُلهم من أسر حاكمة سابقاً أبقي عليها في مناصبها بعد اعترافها بالفرس، اعتقد هؤلاء الحكام أن تبعيتهم للفرس قد انتهت بموت الملك، أي أنها حاولت أن تُعيد كرة من كرات تاريخها السياسي السابق، وقد وجدت هذه المقاطعات ـ أو بالأحرى وجد حكامها، إذ كانت ثورة أدعياء وحكام وليست ثورة شعوب ـ وجدت في شغور العرش بموت كمبيز (الثاني) وعدم وجود وريث له من نسله أو انقراض عقبه[1]، فرصة سانحة، فظهر الأدعياء في كل مقاطعة أو ولاية تقريباً من الامبراطورية حتى ليبدو أنه في لحظة من اللحظات إن فكرة الامبراطورية قد انتفت كليةً أو بتاتاً.

وظل الحال كذلك إلى أن تمكن داريوس (الأول) الذي سارع عقب وفاة كمبيز (الثاني) وستة من نبلاء العائلة الأخمينية[2] إلى استلام الحكم ومعالجة تلك الظروف الحرجة.

تقييم شخصية كمبيز (الثاني) 529 ـ 522 ق. م:

إذاً لقد مات كمبيز (الثاني) بعد أن ساس الامبراطورية مدة سبع سنين وخمسة أشهر، الفترة ما بين 529 ـ 522 ق. م.

وإذا حاولنا تقييم هذه الشخصية وأثرها على الامبراطورية الفارسية فإنه بداية يجب التنويه إلى أن جميع المصادر والمراجع تسمُها بالسلبية، ذلك لأن هذه الشخصية كان من سوء حظها أن تلت شخصية تميزت بعظمتها كما

---

(1) كان كمبيز (الثاني) قبل وفاته، قد تزوج مرتين، زوجته الأولى كانت أخته أتوسة Ατοσσα وزوجته الثانية كانت تُسمى روكسانا، قد ماتت وهي حبلى، ولم ينجب [كمبيز] من زوجته الأولى، لذا لم يكن له وريث من صلبه، انظر للمزيد: ـ .Herod., III, 34 FF.; Ktc., Pers. Epit. 12; Burn A.R. OP. Cit., P., 81.

(2) انظر تفصيل ذلك بالصفحة رقم 42 هامش رقم (1) بهذا الفصل من هذا البحث.

أعقبتها شخصية أخرى عظيمة أيضاً، فتبين مدى قزم أو قِصر كمبيز (الثاني) بينهما، والذي ساهم في إيجاده إيجاد تلك السمة، قصر مدة حكمه قياساً إلى غيره من سابقيه أو لاحقيه من ملوك الفرس الأخمينيين.

وما كان ذلك ليكون لولا ضعف في نفس كمبيز (الثاني)، فهو انتهازي أناني إذ سارع ودون وجه حق إلى انتحال لقب «ملك الأرض» وإضافته إلى لقبه السابق «ملك بابل» وذلك عقب وصول أنباء تؤكد وفاة والده قورش (الثاني) الذي كان يُقصر ذلك اللقب على نفسه فقط.

تلى ذلك بعمليته الخرقاء والتي اعترف بارتكابها قُبيل موته، لحرصه على بقاء الحكم في الأسرة الأخمينية ـ وهي التخلص بالقتل، وربما دونما حجة بينة من شقيقه برديا وعلى هذا المنوال يمكن قياس بقية أعماله التي ليس بها ما يخلّده سوى فتحه لمصر ومد حدود الامبراطورية الغربية حتى قوريني وبرقة وما كان له أن يفوز بذلك الخلود أيضاً لولا الأداة العسكرية العظيمة التي ورَّثها له والده ولولا ضعف وظروف سياسية حرجة كانت تمر بها مصر والمستوطنتان الهللينيتان قوريني وبرقة.

إن بقية سجل كمبيز (الثاني) لا يحوي إلا الفشل تلو الفشل، فالسنوات الأربع التي قضاها في محاربة قبائل المساجيت، قبل غزوه لمصر، لم تؤت ثمارها بشيء أكثر من تبديد جهد وقدرات مادية وبشرية، إذ ظل خطر تلك القبائل جاثماً إلى ما بعد وفاته، كذلك حملته ضد الإلّه آمون سيوة التي يبدو أنها تميزت بالتهور المفرط رغم المقدرات الضخمة التي أُتيحت لها، ثم اختتم حياته بتلك المظاهرة الصاخبة التي كانت نتيجة مباشرة لسياسته الرعناء، إنها ظهور الدعي برديا، ولعله كان من حسن حظ العائلة الأخمينية أن تخلصت من كمبيز (الثاني) الذي لوانه وسياسته على ذلك المنوال من التدهور والتخبط، تقابل أو حاول معالجة أمر الدعي برديا لجر الامبراطورية إلى التشتت الفعلي، وهو الأمر الذي حال دونه ظهور شخصية أخرى كانت أكثر

نفاذاً وأكثر إدراكاً وقُدرة على معالجة الأمر.

ولعلنا نجد في عدم تكرار اسم كمبيز بين أبناء الأسرة الأخمينية الحاكمة خير دليل على الازدراء الذي حازت هذه الشخصية، على العكس من بقية أسماء أخرى مثل قورش وداريوس وغيرهما.

داريوس (الأول) 29 سبتمبر [الفاتح] 522 ق. م:

بعد ظهور الدعي برديا وعقب موت كمبيز (الثاني) مباشرة، سارع إلى تولي شئون الامبراطورية الفارسية سبعة من زعماء العائلات الفارسية الارستقراطية كان على رأسهم داريوس (الأول)[1] Δαρειος (Πρωτος) وذلك خشية وقوع الامبراطورية في أيدي غير فارسية، خاصة وأن الملوك الفرس السابقين كانوا قد اعتمدوا على الكثير من الميديين، وكان هؤلاء [الميديون] قد تدرجوا في مناصب وظيفية عليا[2]، وأن يتبدد شملها بإعلان كل أقليم لاستقلاله.

ينتمي داريوس (الأول) إلى أحد فروع الأسرة الأخمينية والتي كانت تعيش في ظل عائلة قورش (الأول)، كان والده هيستاسبس Υσταςπεοςϖ"

(1) أورد داريوس (الأول) في نقوشه في بهستون، أسماء أولئك النبلاء على النحو التالي: ـ

فندا فارنا بن فايا سبارا VindaFarna the son of Vayaspara يوتانا بن ثوكرا Utana the son of Thukra جأباريو بن ماردونيا Gaubaruva the son of Marduniya فيدارنا بن باجا بيجنا Vidarana the son of Bagabigna باجابكشا بن داتيويا Bagabuksha son of Datuhya وأردومانش بن فاهوكا Ardumanish son of Vahauka للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Herod, III, 68; VI, 43 FF; Burn A.R., **OP. Cit.**, P., 94.

(2) من هؤلاء الميديين كان القائد هارباجوس Harpagus ومازاريس Mazares للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Vaux W.S.W., **OP. Cit.**, PP., 20 FF.

قد شارك مع قورش (الثاني) في حملته ضد المساجيت، وشغل والي على بارثيا Παρφια وهركانيا[1] "ΥΡκανιων".

انخرط داريوس (الأول) في خدمة كمبيز (الثاني) الشخصية في مصر، إذ كان من حملة الرماح الملكية[2]، وكان مع بعض قوات كمبيز (الثاني) في فلسطين عندما شاع خبر وفاة هذا الأخير وظهور الدعي برديا.

استطاع داريوس (الأول) ورفاقه الستة، خوض تسع عشرة معركة قتلوا فيها أو أسروا تسعة ملوك، وذلك في الفترة ما بين خريف سنة 522 ق. م حتى صيف عام 521 ق. م، إذ يذكر [داريوس] أن كل الامبراطورية تقريباً كانت قد قبلت ببرديا واعترفت به، ثم أن قتله [برديا] أعاد الآمال في نفوس البعض بالاستقلال ببعض الأقاليم عن الامبراطورية.

ففي الولاية التي كان يتولاها والده، حدث انشقاق رُفض فيه قبول الابن حاكم أو ملك عليهم[3].

وفي مرجيانا Margian قام فرادا Frada بالاستيلاء على سوجديانا Σογδιανη ثم قام بالإغارة على الساكا Σακαι وباكتيريا، كما قام بمد يد العون لمعارضي تولي داريوس (الأول) الحكم في أرخوسيا.

كما حاولت ستاجيديا Σατταγδαι الانفصال، كما ظهر في ميديا ثائر اسمه فراورتيس، وادعى أنه ينحدر من صلب كياكسارس.

---

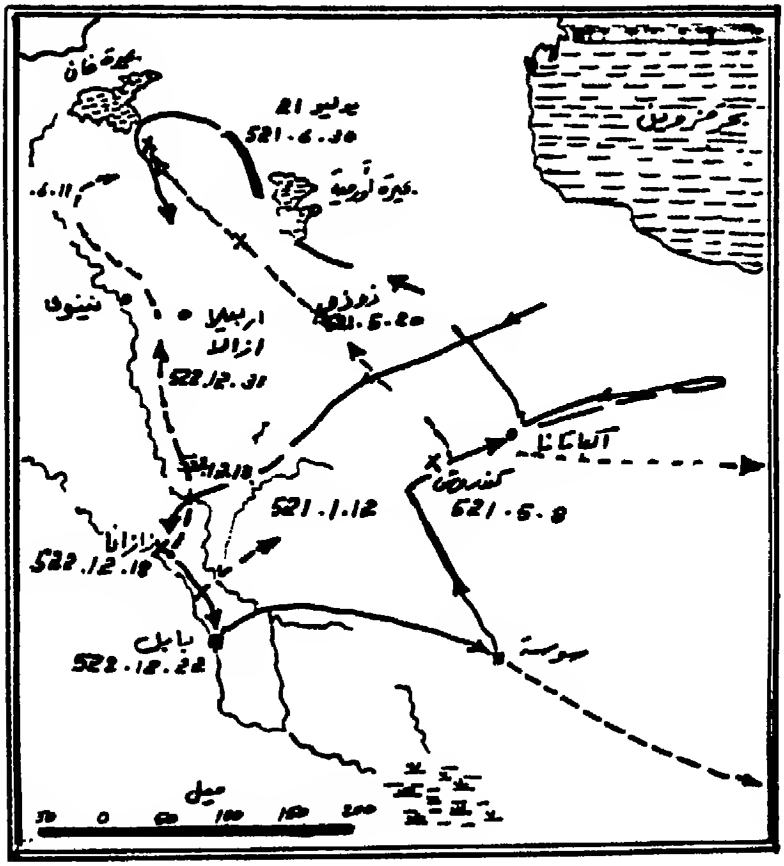
(1) Parker R.A., **OP. Cit.**, P., 302; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P., 110.
هذا ومن جهة أخرى واستناداً إلى نقوش داريوس نفسه وإلى ما أوردته المصادر الكلاسيكية فإن داريوس (الأول) يكون ابن لهستابس وليس ابناً لكمبيز (الثاني) كما يقول أحمد فخري، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (الطبعة الثانية، 1960 م)، ص 435.

(2) Herod., III, 73, 139; Xen., IV,2,46; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P 107; Hayden, **OP. Cit.**, P., 332.

(3) Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P., 110.

خريــطة رقــم ـ 2 ـ

حملات داريوس (الأول) عقب موت كمبيز (الثاني) وتاريخ كل منهما



وفي فارس [بارسا][1] موطن داريوس، قام ثائر من تاراڤا يُدعى Ambitious حاول احتلال العرش الشاغر.

في عيلام ثار هاشْشنا Hashshina بن أوكباتا رانما Ukbatarranma في بابل تعددت الثورات وقد استهلها متمرد ادعى أنه نبوخذ نصر(الثالث) بن نابونيدوس Nebuchad nezzar son of Nabunaid كما ثارت آشوريا، وطالت الاتهامات بمحاولة الاستقلال كل من أريادندس والي مصر وأوروتيس والي ليديا[2].

بدأ مد تلك الثورات بالتراجع عندما تمكن داريوس (الأول) ورفاقه من القضاء على برديا الدعي أو جوماتا أولاً، وقد أكد داريوس (الأول) ذلك فيما بعد، في نقوشه في بهستون، حيث يذكر «لقد منحني أهوار مازدا Ahura Mazda المساعدة في اليوم العاشر من الشهر [التاسع والعشرين من سبتمبر] إذ قَتلتُ جوماتا المجوسي ورفاقه في سترونجهولد في نيسيه، بميديا، أنا الذي جردته من المملكة وبواسطة أهوارا مازدا أصبحتُ ملكاً»[3].

وفي الثاني والعشرين من شهر نوفمبر سنة 522 ق. م تمكن من القضاء على نبوخذ نصر (الثالث) الذي صحّح داريوس (الأول) اسمه إلى نيدنتو ـ بل [بعل؟] ابن لانري Nidintu Bel Aniri [4].

هذا ولقد عُثر في أوروك Uruk على عدد من الألواح الطينية مؤرخة باسم هذا الدعي[5].

---

(1) **Ibid.**
(2) انظر تفصيل ذلك بالصفحة رقم 272 وما بعدها بالباب الثاني، الفصل الثالث.
(3) Herod., III, 70; Kte, Pers, XII, Epit.45; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P., 108.
(4) Herod., I, 187; III, 30, 31, 68, 72, 88, 93, 120, 129, 130, 150; VII, 68, 77, 224; Kte., Pers. I, Epit, 12, XII, 41, 44, 45; Xen., Kypoy II., VII, 8.2; Diod., II, 13. 1-2; X, 38; Justin, I,9. 4 FF; Polyaenus, VII, 11, 7; Aelian, Var. bist. VII, 11; Plato, Epist, VII, 332. A; Olmstead A.T., **"Darius and his Behistun Inscription,"** PP., 399 FF.
(5) =Olmstead A.T., **History of the Persian Empire**, P., 115;

ثم تمكن في التاسع من ديسمبر من نفس العام دادارشش Dadarshish والي باكتيريا من إلحاق الهزيمة بفرادا في مارجيانا حيث قُتل هذا الأخير.

واستطاع ڤڤانا Vivana والي أرخوسيا من إلحاق الهزيمة بالثائر في حصن Kapishakanish في التاسع والعشرين من ذلك الشهر[1].

وفي آخر أيام تلك السنة (522 ق. م) حقق Vaumisa نصراً في إزالا Izala بآشوريا.

ثم قام داريوس (الأول) بمساعدة فيدارنا Vidarna في الحادي والعشرين من يناير سنة 521 ق. م بالإغارة على هاشش وقتله.

كما تمكن ڤڤانا Vivana في العشرين من فبراير من العام نفسه بالقضاء على ڤاهيزداتا Vahyazdata في أراخوسيا[2].

في السادس من مارس من نفس العام أيضاً استطاع هستاسبس [والد داريوس] من هزيمة المعارضين في Vish Pauzatish والذين كانوا قد تحالفوا مع فراورتيس الميدي الذي هزم في الثامن من مايو في كوندوروش Kundurush[3].

في العشرين من شهر مايو 521 ق. م قام دادارشش بتحقيق نصره الثاني إذ قام بهزيمة ثائر في أرمينيا يدعى Artavardiya حيث قتل في زوزو[4] Zuzu.

بعد أربعة أيام من ذلك أمكن القضاء على ثائر ظهر في راخا Rakha بفارس وادعى أنه من نسل قورش (الثاني).

= طه باقر، المرجع السابق، ص 575.

(1) Olmstead A.T., OP. Cit., P., 113.
(2) Olmstead A.T., OP. Cit., P., 113; Burn A.R., OP. Cit., PP., 96 FF.
(3) Olmstead A.T., OP. Cit., P., 114.
(4) Ibid.

في الحادي عشر من يونيو يحقق Vaumisa نصره الثاني حيث يهزم أحد المتمردين في Autiyara بجبال تيارا[1] Tiyari.

ثم ظهر ثائر جديد في القسم الشرقي من ميديا واتخذ اسماً محلياً وهو جيتراتاتاخما Chithratatakhma ادعى هو الآخر إن نسبه يتصل بكياكسارس أيضاً، ولكنه أُلقي القبض عليه وسلم لداريوس (الأول) حيث أعدمه في أربيلا[2] Arbela في شهر سبتمبر 521 ق. م ظهر راغب جديد في العرش وذلك بقرية Dubala جنوب بابل اتخذ اسماً محلياً وهو أراخا بن خلديتا Arkha son of Khaladita وتمكن من احتلال العاصمة بابل ولقب نفسه ملك بابل، ولكنه قُضي عليه هو الآخر في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر، ويدعوه داريوس (الأول) بالأرميني الأصل[3].

ولم تهدأ بابل إذ ظهر فيما بعد ذلك بقليل ثائر جديد اتخذ اسم نبوخذ نصر (الرابع) واعتبر نفسه هو الآخر ابن لنابونيد، وتمكن فندافارنا VindaForna في السابع والعشرين من شهر نوفمبر من إلقاء القبض عليه وسُلِّمَ لداريوس (الأول) الذي عاقبه بطريقة قاسية[4].

ثم بعد ذلك بقليل تمت إقالة جوبرياس Τωβρυας ستراب أو أوالي بابل لاتهامه بمحاولة الثورة وعُين في الحادي والعشرين من شهر مارس سنة 520 ق. م والياً جديداً عُرف باسم يوشتاني Ushtani أو باسم هيستانيس Hystanes حسب المصادر الهللينية[5].

كانت آخر معارك داريوس (الأول) ضد المتمردين، قد خاضها في الثلاثين من شهر يونية سنة 521 ق. م ضد الأرمينيين في يوما Uyama ثم في تيجرا Tigra قرب بحيرة أورمية بتاريخ السادس والعشرين من شهر مايو سنة

(1) Ibid, P., 115; Burn A.R., OP. Cit., P., 100.
(2) Herod., II, 14; Olmstead A.T., Loc. Cit.; Burn A.R., OP. Cit., P., 103.
(3) Herod., III, 152 FF; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 115.
(4) Herod., I, 187; Pluta., Reg, imp. apophteg, 173 B; Olmstead A.T., Loc. Cit.
(5) Herod., VII, 77; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 116.

520 ق. م، ليتحول [داريوس] بعد ذلك، وبعد أن استتب الأمر بعض الشيء، خاصة في الجهات الشرقية، من الامبراطورية الفارسية ليتحول داريوس (الأول) المنتصر والذي قُصارى ما أُتيح له أنه تمسك في حقه بالعرش بكونه أدنى قريب للملك المتوفى [كمبيز الثاني][1] مع استناده على معاضدة فارسية قوية، تحول لمعاقبة أولئك الحكام الذين أحفظه سلوكهم أثناء هذه المحن، ويكافىء الذين مدوا له يد المساعدة وأظهروا ولاءهم له في هذا الوقت فكان إقالته لجوبرياس وتعيينه ليوشتاني والياً على بابل في الحادي والعشرين من شهر مارس سنة 520 ق. م ثم قيامه بأخذ أوروتيس ستراب أو والي ليديا وقتله وبالتالي كان استرداد سارديس وأيونيا وداسكليوم، وبهذا الشأن أيضاً كانت زيارته لمصر وإعدامه لأرياندس حوالي 518 ق. م[2] وذلك قبل أن يعود إلى عيلام لإخماد ثورة أخرى قامت بها.

لا شك في أن إعادة فتح داريوس (الأول) لأكثر أجزاء الامبراطورية كانت حافزه على أو إلى إعادة تنظيم إدارة ملكه على نحو دقيق ظل مثلاً يُحتذى في تنظيم وتسيير شؤون الدولة والامبراطوريات اللاحقة[3].

هذا العمل الفذ الذي قام به داريوس (الأول) بالإضافة إلى ما سبق ذكره لم يكن لدى قورش (الثاني) أو كمبيز (الثاني) فُسحة من الوقت للنظر

---

(1) ذلك كما بينا سابقاً لأن كمبيز (الثاني) لم يترك خلفاً له من صلبه، ثم أن داريوس (الأول) كان يركن، إضافة إلى صلة قرابته بكمبيز (الثاني) بنقاء دمه الفارسي الخالص للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Herod., III, 30-31, 61 FF; Kte., Pers. XII Epit. 41-44; Plato, Epist. VII, 332 A; Leg, 695 B; Just. I, 9. 4 FF; Polyaenus VII, 11.2;

محمد عبد القادر محمد، إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي، (مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 1982 م)، ص 65.

(2) انظر صفحة رقم 274 بالباب الثالث، من هذا البحث.

(3) انظر تفصيل ذلك بالفصل الثالث من الباب الأول، صفحة رقم 135 وما بعدها من هذا البحث.

إليه إذ كرسا فترة حكمهما للفتوح، وعليه فإن ما وضعاه من نظم للامبراطورية كانت في شكل تدابير مؤقتة ليس إلا.

وجه داريوس (الأول) عنايته بعد هذه الأمور التي استغرقت مدة تقارب سبع سنين وجه عنايته للاصلاحات الداخلية وللإنشاء والعمارة، فبدأ بإنشاء عاصمة خاصة وهي برسيبولس Περσεπολι كما جدَّد منطقة معابد (أي ـ أنا) بالوركاء، وشيد قصرين ببابل التي استمرت مقر الامبراطور الشتوي، أحد هذين القصرين لسكناه والآخر لسكنى ولي عهده وابنه اكسركسيس (الأول) (Πρωτος) Ξερξης كما أنشأ بها داراً للصناعة[1].

ومن ذلك أيضاً عنايته بالمعابد المصرية وإرساله في طلب وجاحر رسنت والأخذ برأيه في شؤون مصر، تلك المشورة التي ظهرت كما يقول وجاحر رسنت[2] في إعادة فتح المعابد وما كان يُلحق بها من مدارس للكهنة، خاصة في مدينة سايس وترميم ما يحتاج منها لذلك، كما أمر بجمع القوانين المعمول بها في مصر منذ بداية الأسرة السادسة والعشرين 663 ق. م حتى بداية العهد الفارسي بمصر 525 ق. م لإدارة البلاد بها[3].

ومن أهم الآثار الباقية في مصر وترتبط باسم داريوس (الأول) معبد هيبس بالخارجة والذي تكرر اسم داريوس (الأول) وألقابه الفرعونية في نقوش كما يظهر عليها وهو يقدم القرابين للآلهة المصرية كما كان يفعل أي

---

(1) خالد عبد المنعم العاني، موسوعة العراق الحديث، المجلد الأول، (الدار العربية للموسوعات، بغداد 1977 م)، ص 112.

(2) راجع ما سبق ذكره بالصفحة 37.

(3) Diod., I, 95; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, PP., 119 FF; Splegelberg W., **Die Sogenannte Dematische Chronik** (Leipzig, 1914, PP., 30 FF; Posener O., **La Premiere Domination Perse en Egypte**, (Cairo, 1936), PP.,

ومن الجدير بالذكر إن محاولة جمع قوانين البلد المفتوح وإدارته بها لم تقتصر على مصر فقط، بل قام بها داريوس (الأول) في ولايات أخرى، كما قام بذلك أيضاً فيما بعد الامبراطور الروماني جستنيان الذي اعتلى عرش بيزنطة من 527 إلى 565 م.

فرعون من فراعنتها السابقين[1].

كما أعاد فتح المحاجر في وادي الحمامات، إضافة إلى إقامته لقناة بحرية تصل النيل Νειλος بالبحر الأحمر "Ερυφρη Θαλασσν ومن ثم بالبحر الأبيض المتوسط مستخدماً في ذلك فرعاً من فروع النيل، هذه القناة التي أكد داريوس (الأول)، كما يتضح من النقش الذي عُثر عليه بمنطقة رشيد بمصر[2]، أنه أول من قام بذلك[3] كان قد أوجدها لاعتبارات عدة لعل أهمها، نظراً لما لمصر من أهمية خاصة اقتصادية ونظراً لما لمسه من بعدها عن مركز الامبراطورية في آسية، وما ظهر من محاولات للاستحواذ عليها فأنه أوجد هذه القناة لتكون مصر أقرب ما يكون بالعاصمة ولعله أدرك أيضاً، وهذا ما تؤكده حروبه فيما بعد مع الهللينيين أهمية التجارة خاصة ـ البحرية منها ـ إذ لما كانت خير وسائل للتقدم في ذلك الوقت بالإضافة إلى تحريرها من أيدي الهللينيين ومنع مزاحمتهم لحلفائه ورعاياه الفينيقيين في مجال التجارة، فأنه لذلك أوجد هذه القناة التي بلا شك يسرت نقل التجارة من

(1) يعتقد Posener O., OR Cit., PP., 64 FF أن هذه النقوش التي على جدران هذا المعبد قد عملت أو نُقشت قبل زيارة داريوس (الأول) لمصر وللمعبد وهو يورد لذلك علل ستُناقش عند الحديث عن الحملة الفارسية على برقة بالباب الثاني من هذا البحث.

(2) Kent R.C., "Old persian Texts, I,: The Darius Suez Inscription", JNES, I, (1942, PP., 221 FF).

(3) هناك بحوث مؤكدة بدرجة كبيرة، توصلت إلى أن هذه القناة كانت قد شُقت حوالي سنة 2000 ق. م ذلك على الرغم من أن المصادر القديمة تنسبها إلى داريوس (الأول) مثل: ـ

Herod., II, 158 FF; IV, 39, 42; Diod, I, 33,3,9; Strabo., XVII, 1, 25 FF; Pliny, VI, 165.

ومن الأبحاث التي أكدت قِدم هذه القناة.

Olmstead A.T., OP. Cit., PP., 145 FF;

سليم حسن، المرجع السابق، 695؛ صادق نشأت، مصطفى حجازي، المرجع السابق ص 7؛ محمد عبد القادر محمد، المرجع السابق، ص 71.

البحر المتوسط عن طريق النيل إلى البحر الأحمر فالمحيط الهندي عن طريق الخليج العربي، كما خلّصت المسافرين من عناء السفر المضني عن طريق البر.

بعد أن استتب الأمر داخلياً لداريوس (الأول) عاد إلى محاولة توسيع حدود الامبراطورية إذ يُذكر أنه سار حوالي عام 514 ق. م إلى الهند حيث فتح وادي السند والأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة الهندية(1)، هذه المنطقة التي صارت تدرُّ أعلى جزية على الامبراطورية(2).

وقد عثر في حفائر مدينة برسيبولس، على لوحتين إحداهما من فضة والأخرى من ذهب في موضع الأساس من المدينة(3)، على الأخيرة منهما نقش آرامي، ترجمته كما يلي: «داريوس، الملك العظيم، ملك الملوك، ملك بلاد، ابن هستاسبس الأخميني الملك داريوس يقول هذه هي المملكة التي أحكم من بلاد الاسكيثيين الذين وراء صغديان إلى بلاد كوشيا [أثيوبيا] ومن الهند إلى ساردیس، هذا ما رزقني أهورا مزدا أعظم الآلهة، فليحفظني أهورا مزدا وليحفظ داري»(3).

بعد ذلك بحوالي السنة تحول داريوس (الأول) نحو قبائل السكيثيين وذلك للسيطرة على الطريق التجاري الهام، التي كانت تمر بمناطق سكنى هذه القبائل، والتي تربط آسية بأوربة(4)، إضافة إلى محاولة تأديب تلك

---

(1) Herod., IV, 44; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P., 145.

(2) Herod., III, 94 FF; Diod., X, 38; Strabo, XIV, 2.20; Olmstead. A.T., **OP. Cit.**, PP., 144 FF.

(3) هذه اللوحة التي وُضعت بالأساس، لعلها تشبه ما وجد عند سكان العراق القدماء والتي تُعرف عندهم باسم تعويذة أسس، ومن جهة أخرى يمكن تأريخ هذا النقش على ضوء أسماء الأقاليم الواردة فيه قبل غزو داريوس (الأول) لبلاد الهللينيين.

(4) Grote G., **Histoire la Grece, Tome Sixieme,** (Paris, 1865), PP., 83 FF; Hammond N.G.L., **A history of Greece to 322 B.C.**, (OxFord, Second Edition, 1973), PP., 177 FF.

القبائل التي ما انفكت تغير على تخومه، تخربها وتنتهبها، وهو دأبها منذ عهد أجداده وستظل كذلك حتى فترات لاحقة له.

يمكن القول إضافة لهدف التوسع وتأمين الحدود أن داريوس (الأول) قد أراد بتلك الحملات إيجاد دعامة اقتصادية جديدة قوية لدولته وهي التجارة والبحرية منها بشكل خاص، والتي كان من مظاهرها أيضاً إرسال المستكشف سكيلاكس Σκυλακας إلى المحيط الهندي، وهو الأمر الذي ينسجم مع بقية تنظيماته والتي منها شبكة الطرق الجيدة التي ربط بها معظم أجزاء الامبراطورية كما أراد بحملته ضد الأسكيثيين المناورة لإتمام مشروعه القادم وهو غزو المدن الهللينية.

ويعتبر أكثر أعمال داريوس (الأول) أهمية وعظمة، بعد صيانة الامبراطورية من التشتت، تنظيماته شؤون الامبراطورية إدارياً وترتيب سياستها ووضع النظم للسير بمقتضاها في مختلف أجزائها، فقد قسمها إلى عدد من الولايات، حدد جزية كل منها السنوية، وأقام على كل منها والياً، ربط خضوعه وولائه له بقنوات عدة، كما ربط الامبراطورية بشبكة عظيمة من الطرق، كما أوجد وسائل الاتصالات أو البريد، أقام نظام نقد ثابت عوضاً عن المقايضة، إذ سك عملة ذهبية وأخرى فضية ثابتة الموازين «القدرة» ثم وجه عنايته لشؤون الجيش فنظّم فرقه وتسليحها، كما حاول إيجاد قواعد وأساطيل بحرية وذلك استناداً إلى رعاياه من الفينيقيين والقبارصة والمصريين وغيرهم مما كان لهم باع طويل في هذا المجال[1].

لقد بقي أكثر هذه التنظيمات معمولاً بها حتى أوقات متأخرة من التاريخ.

يرى البعض أن داريوس (الأول) لو ـ وحالت الامبراطورية أول ظهوره

(1) انظر تفصيل هذه التنظيمات بالفصل الثالث، الباب الأول، ص 150 وما بعدها من هذا البحث.

كما ذكرنا إذ كان ملكاً بلا مملكة ـ عمل على إعادتها للسيطرة الفارسية وصيانتها من التفكك وحسب، لكان قد فعل فعلاً عظيماً، ولكنه بوضعه لهذه النظم كان إبداعاً منفرداً غيّر من مسار الامبراطورية الفارسية وأمد في عمرها حوالي قرنين من الزمان.

هذه النظم التي استتب بها الوضع وشاع الأمن في كثير من الأجزاء ظهر انعكاسها على حالة الولايات التي عاشت فترة رخاء وازدهار ربما لم تشهدها من قبل.

والاستثناء الواضح، حدث حوالي عام 499 ق. م إذ حدثت اضطرابات داخلية في مدينة ميلتيوس، وهي مدينة أيونية على ساحل آسية الصغرى الغربي وكانت تحت الحكم الفارسي. وكان لتدخل بعض المدن الهللينية «بلاد اليونان» في شؤون هذه الاضطرابات أثر عليها، إذ تطورت حتى وصلت (إعلان) زحف الفرس على «بلاد اليونان» إذ قام داريوس (الأول) بحملتين عليها في 492 ق. م، إنتهتا بموقعة ماراثون Μαραθως وبانسحاب الجيش الفارسي إلى آسية[1].

في هذه الأثناء يرى البعض أن الثورة التي قامت في مصر، بغية طرد الحكام الفرس من البلاد كانت انعكاساً لتلك الهزيمة التي مُني بها الفرس في ماراثون[2].

ويُذكر أن داريوس (الأول) قبل وفاته عام 486 ق. م، كان يُعد العدَّة لغزوة جديدة لبلاد الهللينيين، لكنه مات قبل تنفيذها فقام بها خليفته على العرش وابنه اكسركسيس (الأول) Ξερξης (Πρωτοϖ) .

اكسرسيس الأول 486 ـ 465 ق. م Ξερξης (Πρωτος).

اكسركسيس (الأول) بن داريوس (الأول) من زوجته الثانية أتوسة

(1) انظر تفصيل ذلك بالفصل الثاني، الباب الأول، ص 88 وما بعدها من هذا البحث.
(2) انظر تفصيل ذلك بالفصل الثاني، الباب الأول، ص 90 وما بعدها من هذا البحث.

"Ατοσσα" ابنة قورش (الثاني) وأرملة أخيها كمبيز (الثاني) والتي تزوجها داريوس (الأول) كما يرى البعض لإيجاد رابط أسري يربط به نفسه بعائلة الحكام الذين سبقوه.

لم يكن اكسركسيس (الأول) بكر أبناء داريوس (الأول) إذ كان الأخير قد أنجب ثلاثة أبناء من زوجته الأولى، أبنة جوبرياس Τοβρυας كما أنجب ثلاثة أبناء آخرين من زوجته أتوسة، والتي استطاعت بما تملك من نفوذ وسطوة أن تجعله [اكسركسيس (الأول)] والياً على بابل لمدة اثني عشر عاماً، ووريثاً لعرش أبيه دون بقية إخوته(1).

تذكر المصادر إن اكسركسيس (الأول) كان قائداً للأسطول البحري خلال حملة والده على المدن الهللينية، كما تذكر تلك المصادر إنه تولى شؤون المُلك صغير السن كما كان وسيماً جميل الطلعة(2).

تولى اكسركسيس (الأول) العرش عقب وفاة والده حوالي سنة 486 ق. م مستهلاً عهده بالقضاء على الثورات التي قامت في بعض الولايات، إذ أرسل في عام حكمه الثاني حملة تأديبية ضد مصر، وكانت هذه الحملة بقيادة أخيه أخيمينس "ΑΧαιμενης" والذي أصبح والياً عليها بعدئذ(3)، كما زاد مقدار الجزية المفروضة عليها سنوياً كما منع عنها المال الذي كان والده يُرسله لها للإنفاق على المعابد بها، كما مُنعت الوظائف العامة عن المصريين «لدرجة حتى أن الوظائف الصغيرة، والتي لا أهمية لها قد أصبحت في يد الفرس»(4).

ويبدو أن الأمر في مصر بعد ذلك قد استتب للفرس، ويُدرك ذلك من

---

(1) HerzFeld E., **A new Inscription of Xerxes From Persepdis (New York, 1932), PP., 35 FF.**

(2) Herod., VII, 2; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, PP., 214 FF.

(3) Herod., VII, 7; Grote G., **OP. Cit.**, P., 282; Voux W.S.W., **OP. Cit.**, P., 44.; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P., 235.

(4) سليم حسن، المرجع السابق، ص 109.

نقوش تركها فارسي كان يقوم بزيارات متعاقبة، وعلى فترات، إلى وادي حمامات، إذ كانت المرة الأولى في العام السادس من حكم كمبيز (الثاني) واستمرت حتى العام الثاني عشر من حكم اكسركسيس (الأول)[1].

في العام التالي لقضائه على ثورة مصر، أي في العام الرابع من حكمه، حوالي 482 ق. م ادعى شخص جديد في بابل واسمه بيل شماني أو بعل شماني (؟) Bel-Shamani أحقيته في الحكم، حكم بابل، ويستدل على ذلك من بعض اللقى التي عُثر عليها ببعض المدن مثل بابل وبورسيبا Borsippa ودلبات Dilbat أطلق على نفسه فيها «ملك بابل، ملك الأراضي»، تؤرخ بالفترة ما بين العاشر من أغسطس إلى العشرين منه، سنة 482 ق. م.

كما قام مدعي آخر يُسمى شاماش ايربا Shamash eriba «لا يُعرف أصله» في مدينة بورسيبا، مطالباً بالعرش أيضاً، ولقب نفسه هو الآخر بلقب «ملك الأراضي» ويبدو أن هذه الثورة الأخيرة التي استمرت من الثاني والعشرين من شهر سبتمبر إلى العشرين من شهر أكتوبر من نفس العام 482 ق. م ـ كانت أشد من الأولى إذ قُتل فيها الوالي الفارسي على بابل والمُسمى زوفيروس Ζωφυρος وذلك قبل أن يتمكن قائد اكسركسيس وصهره، المدعو ميجا بيزوس من إخمادها[2].

ورغم قصر مدة هذه الثورات إذا استغرقت أشهر فقط، إلا أن نتائجها كانت ذات أثر بعيد، كان ختامه اضمحلال بابل وزوال مكانتها إذ يذكر هيرودوتس[3] «أن اكسركسيس (الأول) أتى منكراً في بابل لم يأته ملك من

---

(1) محمد عبد القادر حاتم وآخرون، Posener O., **OP. Cit.**, PP., 123 FF; **الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة، وآثارها، المجلد الأول، الجزء الأول** (وزارة الثقافة والإعلام، جمهورية مصر العربية ؟)، ص 426.

(2) Parker R.A. and Dubberstein W.H, **Babylonian Chronology, 626 B.C- A.D 45,** (London, 1942), P., 15; Cameron G.G., **«Darius and Xerxes in Babylonia».** **AJSL**, L VIII, (1941), PP., 319 FF, طه باقر، **المرجع السابق**، ص 578.

(3) =Herod., I, 183 FF; Kte., Pers. XIII, Epit, 52, 53; Aelian., Var. hist., XIII, 3;

ملوك الفرس السابقين، وذلك إن كلاً من قورش (الثاني) وكمبيز (الثاني) وداريوس (الأول) قد دخل هذا البلد بوصفه ملكاً وقد كان ذلك يُمثل في احتفال مُقدس مُهيب، وكان على العاهل أن يقوم في عيد رأس السنة في المعبد، بالقبض على يدي الإله بعل مردوك، بذلك يصبح توليه العرش البلاد رسمياً، غير إن اكسركسيس عِوضاً عن ذلك أمر بإبعاد تمثال بعل مردوك عن المعبد ومن ثم نجد إن ملكية بابل قد أُلغِيت».

إن هذه الثورات التي استهل بها اكسركسيس (الأول) حكمه وإن كانت في حد ذاتها لا تعدو كونها محاولات أفراد قلائل استغلوا بعض الظروف بإعلان الثورة أو التمرد والتي كان دافعها الأول طموح شخصي جداً إلا أن تأثيرها، خاصة على النظام الذي أوجده داريوس (الأول) كان عظيماً إذ قلَّل نسبة نجاحه بدرجة كبيرة.

بعد قضائه على هذه الثورات، واصل اكسركسيس (الأول) في خريف عام 481 ق. م ما كان والده قد بدأه من حروب ضد الهللينيين، ويذكر هيرودوتس أنه قاد لهذا الغرض جيشاً عرمرماً يُسانده اسطول ضخم، عَبَرَ به الهلسبونتوس "Ελλησπoντος" وانتهى ذلك الزحف بمعركة ثرموبيلاي[1] Θερμoπνλες.

ولما كان الهللينيون في الحروب السابقة مع الفرس، وهي الحروب التي يُطلِقُ عليها الباحثون المحدثون اسم الحروب الميدية الأولى،[2] والتي تقع في الفترة الزمنية 490 ـ 489 ق. م لما كانوا قد أحرقوا مدينة ساردیس، عاصمة ليديا وإحدى الولايات الفارسية حالياً، ومقر إحدى أهم حامياتهم العسكرية كما كانت مركزاً تجارياً هاماً، فأن الفرس عمدوا في عهد اكسركسيس (الأول)، وبعد دخولهم أثينة "Αϑηνα" في الزحف الذي قاده

Olmstead A.T., OP. Cit., PP., 236 F. =

(1) انظر التفصيل لذلك بالفصل الثاني، الباب الأول، ص 101.

(2) انظر التفصيل لذلك بالفصل الثاني، الباب الأول، ص 104.

تجاهها، عمدوا إلى تخريبها وحرق معبدها، ولكنهم اندحروا بعد ذلك في سيلاميس Σαλαμης سنة 480 ق. م، ثم انسحبوا من بلاد الهللينيين عقب فشلهم في معركة بلاتية Πλατεα سنة 479 ق. م.[1]

لا شك أن الاتجاه نحو الغزو والفتح دون سواه من رعاية شؤون الامبراطورية الأخرى كان له آثار سلبية واضحة، إذ أضحت الولايات الفارسية بالنسبة للحكام مجرد رعايا تابعة ومصادر للجند والخيول وفرض الالتزامات الأخرى، مما قطع عُروة مهمة من عُرى الارتباط بينهم وبين شعوبهم.

ثم انصب الاهتمام على فارس دون بقية الولايات، وانغمس حكامها في الترف واللهو وابتعدوا عن الرعية، فالملك «الامبراطور» يعيش في جناح خاص بالقصر، الذي بالغ في تزيينه وجلب ما يلزمه من آقاصي أطراف الامبراطورية[2].

وتُخبرنا قصة أستير، كيف كان الملك [الامبراطور] يُصدر أوامره، وكيف لا يظهر على الرعية إلا في أيام الاحتفالات، ولا يستطيع أحد من الرعية الاقتراب منه وكيف يخضع له الجميع ساعة يطل عليهم[3]، إلى غير ذلك من المظاهر التي تشير إلى أن العد التنازلي لنهاية الامبراطورية الفارسية قد بدأ منذ أواخر عهد هذا العاهل ولعله عقب فشله في بلاتية بالذات، سنة 479 ق. م، وإن كان هذا العد التنازلي قد بدأ بشيء من البطء الشديد.

(1) انظر التفصيل لذلك بالفصل الثاني، الباب الأول، ص 108.

(2) إذا أُستجلبت الأحجار الضخمة وغيرها من محاجر وادي الحمامات بمصر، وهذا ما أكدته النقوش المصرية الآرامية، من عصر هذا العاهل، والموجودة الآن بمتحف برلين. أنظر للمزيد: ـ سليم حسن، المرجع السابق، ص 110 هامش.

(3) أستير أو وشتي إحدى اليهوديات كانت محظية أكسركسيس (الأول) ثم زوجته، للمزيد عنها انظر: ـ

Gobineau J.A., **The Worl of the Persians,** (Geneve, 1971), PP., 111 FF.

ومن الدلائل التي تشير إلى هذا التدهور، أن اكسركسيس (الأول) ترك شؤون وإدارة القصر الامبراطوري، في أواخر أيامه منصرفاً إلى اللهو تاركاً تلك الشؤون في أيدي وزرائه، الذين أكثروا الفتن والمؤامرات ولذا ما لبث أن راح ضحية إحداهن، إذ قتله في نهاية عام 465 ق. م مدير قصره الملكي بالتآمر مع رئيس الحرس الملكي، ثم ولوا من بعده ابنه[1].

أرتاكسركسيس (الأول) 465/424 ق. م: "Αρταξερξης (Πρωτος)".

لم يكن أرتاكسركسيس (الأول) "Αρταξερξης (Πρωτος)" والذي تلقبه المصادر الهللينية[2] طويل اليدين Λονγιμανος بكر أبناء اكسركسيس (الأول) إذ كان له أخوين أكبر منه وهما داريوس (الثاني) وهستاسبس "Αρστασπεος" وكان هذا الأخير والي باكتيريا Πακτερι وللأول كان حق وراثة العرش عن أبيه إذ أنه البكر، ولكن لمؤامرات وأمور حدثت في القصر الملكي، أُتهم فيها داريوس (الثاني) بقتل والدهم ولي أمر الامبراطورية لاتاكسركسيس (الأول) فقام عليه شقيقه والي باكتيريا حوالي سنة 462 ق. م وهو الأمر الذي انتهى بإخماد محاولة الإطاحة تلك في واقعتين، وبقتل بقية إخوته[3].

نتيجة لتلك الأحداث تولى مع أرتاكسركسيس (الأول)، ملك «امبراطور» آخر يُدعى أرتابا نوس ∀Αρταβανος لمدة سبعة أشهر[4].

إذ كان قد تآمر معه على قتل إخوته، وهذه المدة مؤرخة له ببعض اللقى الأثرية التي عُثر عليها[5].

---

(1) Parker R.A and Dubberstein W.H., OP. Cit., P., 15.

(2) Vaux W.S.W., OP. Cit., PP., 51 FF;
أحمد كمال حلمي المرجع السابق، ص 133.

(3) Kte., Pers., Epit. 59-62; Diod., XI, 69; Just., III, 1; Aelian, var. hist., XIII, 3.; Olmstead A.T., OP. Cit., P. 290.

(4) Olmstead A.T., OP. Cit., P., 289.

(5) غريغوريوس أبي الفرج ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، (بيروت، 1890)، ص 87. =

ويعتبر الباحثون هذه الأشهر السبع ضمن سني حكم أرتاكسركسيس (الأول) الذي دام حوالي أربعين سنة.

كان أرتاكسركسيس (الأول) خلال مدة حكمه لين العريكة، سهل الانقياد مُحباً للسلام، غير مُحسن في تدبير الأمور، فوقع تحت تأثير وسيطرة أمه أمسترس "Αμεστιρης" مما ساهم في ميل أو انحدار الامبراطورية نحو الضعف بدرجة أكبر.

في عام حكمه الرابع، حوالي 461 ق. م وبعد عامين من قضائه على ثورة إخوته عليه، اعتصمت مصر(1)، خاصة الجزء الشمالي منها(2)، إذ ثار به أرتن حر إرو (إيناروس "Ιναρος")، الذي يُؤكد توكيديدس(3) Θυκυδιδης أنه أمير ليبي، وكانت منطقة نفوذه تمتد بين فرع النيل الكانوبي والصحراء والبحر.

وقد تزامنت ثورة (إيناروس) مع عصيان أو ثورة قام بها آمون حر (أمري أو أمير تاوس)، أميرها (سايس)، والذي يُرجح أنه ينحدر من عائلة بسماتيك، ملوك الأسرة السادسة والعشرين الماضية، فتعاضدا، إذ جمعهما هدف واحد وهو طرد حكام الفرس من مصر، فقام (إيناروس) بطرد جباة الجزية الفرس كما أقصى جنود الحامية الفارسية إلى منف (ميت رهينة) ثم

(1) وهذا ما أكده نقش عُثر عليه بوادي الحمامات، مؤرخ بالسنة الخامسة من حكم أرتاكسركسيس (الأول)، عن ذلك انظر: ـ

Couyat J. and Montet P., **Les Inscriptions du Ouadi Hammamot**, (Paris, 1912), PP., 61 FF;

سليم حسن، المرجع السابق، ص 1111.

(2) لم يثر الوجه القبلي ضد الفرس، ذلك أنه كان مقر إحدى الحاميات الفارسية في مصر.

(3) Herod., III, 12 FF; VII, 7; Kte., Pers., Epit. 63; Thuc., I, 103-104; Diod, XI, 71.3 FF; 74.1 FF;

محمد عبد القادر حاتم وآخرون، المرجع السابق، ص 89.

طلب مساعدة قوريني[1]، كما طلبها من أثينة، التي لا شك أنها اغتنمت هذه الفرصة لإضعاف خصم ناوأها كثيراً ودكّ أسوارها مرات عدة[2].

وتمكن الثوار خاصة عقب إرسال أثينة عدد من السفن الحربية والمزودة بعدد من القوات البرية، من التصدي لجيش فارسي، حيث قُتل أخمينس الوالي الفارسي بمصر، كما قُتل خارنميدس Χαρνεμηδος قائد القوات الأثينية، وأُرسل جثمان الأول إلى أرتاكسركسيس (الأول) في العاصمة سوسة Σουσα كإشارة على استمرار التحدي[3].

يبدو من مجريات الأحداث أن الامبراطور الفارسي عندما لاحظ صعوبة تحقيق نصر سريع على المصريين وحلفائهم، حاول تأليب أسبرطة Σπαρτη ضد أثينية Αθηνα" لإيجاد ما يشغلها عن مناصرة المصريين، إذ أن أثينة وأسبرطة قد أصبحتا عدوتين وذلك لأسباب وغايات ستتضح في غير هذا الموضع[4].

غير أن إرسال العاهل الفارسي لجيش جديد بقيادة ميجا بيزوس Μεγαβαξος ويمؤازرة أسطول بحري تحت إمرة أرتابازوس Αρταβαξος" حوالي 456 ق. م قوامه ثلاثمائة سفينة إلى الدلتا[5] Δελτα، يؤكد فشل الامبراطور الفارسي في مسعاه بالإيقاع بين أثينة وأسبرطة وإشغالهما عن مصر.

تمكن هذا المدد الفارسي الجديد من إلحاق الهزيمة بالمصريين وأعوانهم الذين اضطروا للإلتجاء إلى جزيرة بروسوبيس [تل الفرما]، حيث

---

(1) انظر تفصيل ذلك بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 237.

(2) انظر تفصيل ذلك بالباب الأول، الفصل الثاني، صفحة 127.

(3) Herod., III, 12, 15; VII, 7; Thuc., I, 104; Diod, XI, 71, 3 FF; 74.1 FF; Pluta., Themistocl, 31.3.; Olmstead A.T., OP. Cit., P;, 303.

(4) انظر الباب الأول، الفصل الثاني، صفحة 120 وما بعدها.

(5) Olmstead A.T., OP. Cit., P., 308.

مكثوا بها طيلة عام والنصف العام[1]، سقطوا بعدها ؛بواسطة خدعة أجادها ميجابيزوس، بتحويله النهر عن مجراه، وأُلقي القبض على (إيناروس) وستة الآف هلليني، أُرسلوا إلى سوسة، حيث أُعدموا[2].

وقد عُثر على ختم إسطواني للامبراطور أرتاكسركسيس (الأول) يظهر بنحوته ايناروس ساعة قتله وهو مرتدي تاج مصر المزدوج بالإضافة إلى عدد من الهللينيين الذين ينتظرون دورهم[3].

ويذكر ديودورس الصقلي[4] إن فلول الهللينيين الذين نجوا من الأسر لاذوا بالفرار إلى قوريني[5].

ورغم كف الأثينيين أو امتناعهم عن إرسال مساعداتهم للمصريين، وذلك بناء على بنود اتفاقية كالياس[6] CALLIAS إلا أن الثورة وإن خفت جذوتها إلا أنها استمرت في شكل حرب عصابات حتى وصلت إلى تتويج أمير تايوس (ملكاً على مصر)[7]، وقد أكد ذلك ذكر اسمه في نقوش معابد طيبة والخارجة[8].

هدأت مصر بذلك إلى حين إشعار آخر، ومما جدير بالذكر هنا أنه

---

(1) Thuc., I, 109; Parker R.A., OP. Cit., P., 295. Olmstead A.T., Loc Cit.

(2) Herod., II, 41, 140, 165; III, 15, 160; Thuc., I, 110; Kte., Pers., Epit., 64 FF; Diod, XI, 74. 5-6; 75; 77; Olmstead A.T., Loc. Cit.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 60.

(4) Diod., 77, 2-6;
إبراهيم نصحي، مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1966 م)، ص 7.

(5) انظر تفصيل ذلك بالباب الثاني، الفصل الأول، الصفحة 237.

(6) انظر تفصيل ذلك بالباب الأول، الفصل الثاني، الصفحة 124.

(7) محمد عبد القادر حاتم وآخرون، المرجع السابق، ص ص 124 ـ 125.

(8) Posener O., OP. Cit., P., 95;
سليم حسن، المرجع السابق، ص 125 وما بعدها؛ آلن جاردنر، المرجع السابق، ص 403

خلال هذه الفترة التي نعِم فيها المصريون بالسلام، كان قد زارها كثير من الهللينيين، بغرض التجارة والسياحة وغيرهما، ومن أولئك أسماء لمعت مثل هيرودوتس[1]، والمستغرب في أمر هذا المؤرخ، الذي زار مصر لأجل تأريخه للحروب الفارسية الهللينية، نجده في مؤلفة الموسم بالثاني والمتعلق بتاريخ مصر، قد أسهب وأطنب في ذكر تاريخها القديم، ولكنه يصمت صمتاً يكاد يكون تاماً عن الفترة التي عاصرها أو التي سبقته بقليل.

على صعيد تاريخ الامبراطورية الفارسية الخارجي، نجدها بعد هذا التاريخ 454 ق. م، قد تنعمت بالسلام ردحاً من الزمن، إذ كانت دول المدن الهللينية قد انشغلت عنها بحربها لبعضها بعض، وهي الحروب المعروفة باسم الحروب البلوبونيسية[2] Πελοπννησιακο Πολεμο.

أما على الصعيد الداخلي، فأنهم، أي الفرس، ما كادوا يفرغون من ثورة مصر حتى قامت سورية ثائرة بقيادة ميجابيزوس، الذي كان قد رُكن إليه في مهام عدة كان آخرها محاولته القضاء على ثورة مصر السالفة الذكر.

ولما كان هذا الثائر الجديد [ميجا بيزوس] خبير بشؤون الجيش الفارسي وبأحوال الأسرة الحاكمة، ولما رآه من ضعفها، فأنه أعلن التمرد والعصيان وتمكن من إلحاق الهزيمة بفرقتين من الجيش الفارسي، أُرسلتا لمحاربته، الأمر الذي دفع الامبراطور إلى مصالحته، «عقد معه معاهدة بشروط وضعها ميجابيزوس»[3].

وهي سابقة خطيرة، فهي وإن كانت المصادر لا تذكر شيئاً عن فحواها، إلا أنها ولا شك كانت حافزاً لأولئك الولاة المتأهبين للانفصال عن جسم الامبراطورية خاصة الولايات الغنية والقاصية.

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالصفحة 36 هامش (1) من هذا الفصل بهذا البحث.

(2) انظر تفصيل ذلك بالباب الأول، الفصل الثاني، صفحة 124.

(3) هارفي بورتر، المرجع السابق، ص 168.

وهكذا ظل أرتاكسركسيس آخر حكمه يُحاول إخماد تلك المحاولات قبل أن يقبع بعواصمه، محاولاً الاهتمام بالإنشاء والعمارة إلى أن مات بسوسة أواخر سنة 424 ق. م[1].

صارت أمور امبراطورية الفرس بعد وفاة ارتاكسركسيس (الأول) إلى ابنه الشرعي الوحيد[2]، أكسركسيس (الثاني) Ξερξης (Δευτερος) إذ حكم مدة خمسة وأربعين يوماً فقط قتله بعدها أخيه سوجد يانوس ليجلس هذا الأخير على سدة العرش لمدة نصف سنة[3]، قام عليه بعدها أخوه فقتله، وصار العرش ملكه واتخذ اسم داريوس (الثاني) كما لُقب بلقب نوثوس Νωθος حسب المصادر الهللينية[4] ليحكمها من الثالث عشر من فبراير سنة 423 ق. م، لمدة تسعة عشر عاماً [404 ق. م].

وعليه يكون قد تداول عرش فارس في فترة تقل عن السنة الواحدة ثلاثة أباطرة [أكسركيس (الثاني)، سوجديانوس، داريوس (الثاني)].

كان داريوس (الثاني) طيلة فترة حكمه واقعاً تحت تأثير ابنة أكسركسيس (الأول) وهي عمته وزوجته، المسماة بروشات أو برستس كما كان طيلة هذه المدة مُشتت الجهد بين محاولات إخماد حركات الانفصال والعصيان التي تعدد ظهورها خلال الإرباك الذي ساد العائلة الحاكمة وبين أمر التدخل في

(1) بنهاية هذا العاهل، الذي سبقه قبل ذلك بقليل سقوط أسرة باتوس في قوريني، وبالتالي يكون الإطار الزمني للبحث قد وصل مداه المحدَّد له، ولكن إجمالاً للفائدة وللدلالة على استمرار العلاقة الفارسية القورينائية، سوف يتم إعطاء فكرة مختصرة عن بقية العواهل الفرس، حتى ظهور الإسكندر المقدوني وإطاحته بهم.

(2) إذ يُذكر أن له ثمانية عشر أخاً غير شرعياً من محظيات وجواري والده.

(3) Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P., 355;
أحمد كمال حلمي، المرجع السابق، ص 134.

(4) Kte., Pers. XVIII, Epit. 75-79; Parker R.A and Dubberstein W.H., **OP. Cit.**, P., 16; Olmstead A.T., **Loc. Cit.**

حروب المدن الهللينية لبعضها بعضاً.

عمل داريوس (الثاني) قبل وفاته سنة 404 ق. م، وبتأثير من بروشات على أن يوصي بالعرش لابنه الأصغر قورش، الذي عقب توليه له ثار عليه أخيه ارتاكسركسيس (الثاني)، والذي لُقب في المصادر الهللينية بلقب منمون Mnemom «لذاكرته القوية» وتولى عنه العرش مبعداً إياه إلى ولاية آسية الصغرى[1] وذلك في صيف 403 ق. م، حيث اتخذ (قورش الثالث) من تلك الولاية «وكراً» جدَّد فيه العصيان لأخيه، إذ قام بتجنيد المرتزقة الهللينيين[2] «بلغ عددهم عشرة الآف جندي» كانوا بقيادة كلير خوس ΚλεpΧoς، زحف بهم على أخيه أرتاكسركسيس (الثاني)، حيث تقابلا عند كوناكسا Cunaxa، على مقربة من بابل، وذلك بربيع سنة 401 ق. م، حيث قُتل الطامع الصغير إلى العرش وجُرح المستحوذ عليه، الذي سمح لجيش

---

(1) كان الأمبراطور أكسركسيس (الأول) قد عمل على دمج ولايات آسية الصغرى في ولاية واحدة.

(2) كان قورش (الأصغر) خلال إقامته «بالمنفى الإجباري» قد عمل على تأليب بعض الولاة في تلك الأنحاء، إذ تمكن من الحصول على ولاء فارنا بازوس كما حصل على ولاء والي كاريا، إضافة إلى المرتزقة من الهللينيين، وهاجم بهم أخيه في كوناكسا، الذي بدوره كان قد استعد للقائه بجيش كان تحت قيادة والي سوريا أبروكوماس.
يذكر أكسينوفونس، فيما بعد، إنهم عقب فشل تلك المحاولة وموت قورش (الأصغر)، كان أرتاكسركسيس (الثاني) قد أرسل معهم مراقباً يُلاحظ سيرهم إلى خارج حدود الأمبراطورية، كما يُذكر إن ذلك المراقب [تسافرنس] حاول الإيقاع بالجنود والقضاء خدعة على قادتها، مما اضطرهم إلى اختيار أكسينوفونس قائداً آخراً لهم.
أما عن الإشارة إلى حملة قورش (الأصغر) هذه فقد أشارت إليها المصادر التالية: ـ
Xen., Κυρου Αναβασις, I,8.5; 9,31; II, 1.3 FF 2.1 FF; III; VII; III, 1,2; Ktc., Pers, XX, Epit, 88-90; Pers, XXI, Epit, 91-93; Pluta., Artox, 4-19; 11.1; 18.1; Olmstead AT., **OP. Cit.**, PP., 374 FF; Surridge H.A.D., **Cyrus a tale of the Ten Thousand**, (London, MDCCCXCVI), Passim.

أخيه الهلليني بالعودة إلى أوطانهم بعد أن عَيّن القائد الفارسي تسافيرنوس Tissaphernes لمراقبتهم حتى يجتازوا حدود الامبراطورية[1].

هناك أكثر من تساؤل يُثار حول هذه الحادثة، أولها لماذا لم يقض الجنود المستأجرون على القائد الفارسي ولم يتموا ما جاءوا من أجله؟.

ولعل الإجابة على ذلك تكمن في أن هؤلاء المستأجرين كانوا قد جاءوا لخدمة هدف واحد وهو قتل أو إقالة أرتاكسركسيس (الثاني) وإقامة قورش (الثالث) على العرش، وذلك مقابل عطاء مادي محدد يحصل عليه كل فرد منهم، ولما كان الأخير قد مات فإن أهم ركائز خطتهم قد ضاع، وبضياعه فقدوا المرشد أو الموجه، وأيضاً مصدر المورد المادي الذي جاءوا لأجله، وعليه فأن نجاحهم الآن يتمثل بالدرجة الأولى في العودة إلى أوطانهم سالمين.

التساؤل الآخر لماذا لم يحدث العكس، ويقضي أرتاكسركسيس (الثاني) على هؤلاء الغزاة؟، وهذا الأمر بالذات يستشهد به البعض من الباحثين[2] على أن أمور الامبراطورية الفارسية كانت قد وصلت زمن هذه الحادثة إلى درجة من الضعف عجزت معها عن أن تقاوم ـ وهي المشهود لها بقدرتها على حشد الجيوش الجرارة ـ أن تقاوم عدة الآف من الجند المرتزقة، لا يربطهم هدف أو عقيدة سوى العطاء المادي.

ولعل إضافة إلى ما سبق ذكره يكون أرتاكسركسيس (الثاني) قد تغاضى عن منازلة أولئك الجنود رغبة منه في عدم إثارة مشكل جديد مع المدن الهللينية، رعايا أولئك الجنود، خاصة وأن أمور صيانة العرش تتطلب كثير من الحرص والانتباه.

من جهة أخرى كان لاستعانة قورش (الثالث) بأسبرطة التي جند معظم

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالصفحة السابقة، هامش رقم (2).

(2) Vaux W.S.W., OP. Cit., P., 78.

جيشه منها انعكاس على سياسة أرتاكسركسيس (الثاني) حيال هذه المدينة، فحاول التقرب من أثينة، إذ شيدت الأموال الفارسية أسوار المدينة كما ألحقت الهزيمة بالأسطول الأسبرطي الأمر الذي دفع بالأخيرة للتقرب من الفرس ومصالحتهم، فكان أن عُقد بينهما صلح انتاكليداس أو سلام الملك Peace of Antalcidas of the King's Peace وذلك سنة 387 ق. م[1].

في هذه الأثناء كانت بعض الولايات الفارسية تعيش بمنأى عن تدخل الفرس المباشر بها، فمصر لا تزال مستمرة تُقيم وتُقعد فراعنتها بمرأى ومسمع من الفرس[2] وهم [الفرس] لا يزالوان مشدودين لعالم المدن الهللينية.

كما كانت مدن أقليم قورينائية تعيش حالة صراع مرير فيما بينها من جهة وبين طبقة ارستقراطية وعامة الشعب بها من جهة أخرى[3] وبين تلك المدن والقبائل الليبية من جهة ثالثة[4].

لكن عقب تفرغ الفرس من مشاغل المدن الهللينية مؤقتاً، عاد أرتاكسركسيس (الثاني) بأنظاره تجاه مصر ليعيدها لحظيرته، فأرسل واليه على سورية بحملة تجمع جيشها وقوامها عشرون ألف جندي من مختلف أرجاء الامبراطورية الفارسية يشد أزرهم مائتا ألف من المرتزقة الهللينيين الأثينيين كانوا بقيادة خبرياس Χαπριας تجمع في عكا، حاول الدخول لمصر والتوغل في أراضيها لكنها [الحملة] تراجعت عنها في صيف

(1) انظر تفصيل ذلك بالباب الأول، الفصل الثاني، صفحة 127.
(2) نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 403، أيتين دريوتون، وجاك فانديه، مصر، ترجمة عباس بيومي، راجعه محمد شفيق غربال، ص 663.
(3) رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 43.
(4) Goodchild R., **Benghazi the story of a City,** (Department of Antiquities, Cyrence, Second Edition, 1962), P., 2; Jones A.H.M., **Cities of the Eastern Roman Provinces** (OxFord, 1937), P., 355;
رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، نفس المكان.

373 ق. م[1]، لينشغل الفرس، مُجدداً في التدخل في النزاعات التي نشبت بين المدن الهللينية، وبعضها[2] ثم بأمور ولاية العرش، الأمر الذي جعل بعض الولايات التابعة للفرس تنهج نهجاً سياسياً متطرفاً[3].

هذه الأحداث كانت قد تزامنت مع اقتتال أبناء أرتاكسركسيس (الثاني) على عرش أبيهم في أواخر أيام عمره الذي بلغ أربعة وتسعين عاماً.

استطاع أرتاكسركسيس (الثالث) والملقب بأوخوس حسب المصادر الهللينية سنة 359 ق. م أن يُنّصب نفسه على العرش[4]، فقام باستفتاح عهده، جرياً على عادة عواهل الأسرة الأخمينية المتأخرين، بقتل جميع إخوته من الذكور والإناث، ليكون في مأمن من مؤامرات ودسائس انتزاع العرش، وذلك قبل أن يتجه بأنظاره لخارج عاصمته، محاولاً علاج تمرد مصر المستعصي، التي أرسل لها جيشاً لقي الفشل على أيدي ديوفانتوس الأثيني Διοφαντος ولاميوس الأسبرطي Λιμιας وهما قائدي قوات المرتزقة الهللينيين، التي كانت في خدمة نكتنابو (الثاني)[5] 359 ـ 341 ق. م وقد انعكست تلك الهزيمة على القلاقل في المدن الفينيقية، التي يُعتقد بأن نكتنابو (الثاني) كان مُباركاً لها، كما انعكست أيضاً على عصيان قصير الأمد قامت به قبرص[6].

عجز جيشان أرسلهما أرتاكسركسيس (الثالث) سنة 351 ق. م لإخماد

(1) Diod, XV, 42-43; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, PP., 406 FF.
(2) انظر الفصل الثاني، الباب الأول، صفحة 120 وما بعدها.
(3) من ذلك مصر التي كانت تقيم وتُقعد فراعنتها الذين تمادوا فعقدوا الأحلاف العسكرية مع الهللينيين وغيرهم لمحاربة الفرس، ومنها أيضاً قورينائية التي كانت مدنه تتصارع فيما بينها للسيادة داخل الأقليم بالتعاون الوثيق مع مدن العالم الهلليني.
(4) Olmstead A.T., **OP. Cit.**, PP., 419 FF.
(5) آخر فراعنة الأسرة الثلاثين، وقد اغتصب العرش من عمه جد ـ حر (تيوس). فليب حتي، **المرجع السابق**، ص 247.
(6) Hill G, **OP. Cit.**, PP., 90 F; Purcell H.D., **OP. Cit.**, PP. 139 FF.

ثورة المدن الفينيقية، مما اضطره إلى أن يسير إليها بنفسه سنة 345 ق. م على رأس جيش كبير قُدر عدّده بثلاثين ألف من الفرسان وثلاثمائة ألف من المشاة[1]، الأمر الذي جعل الملك الفينيقي تانيس أوتابنيت Tannes حال سماعه بذلك يُسلّم مدينته، إلا أن سكانها قرروا الموت جماعة، إذ أضرموا النار في بيوتهم التي كانوا معتصمين بها، فالتهمت حوالي أربعين ألف فينيقي وممتلكاتهم، في حين تم أسر القلائل الذين نجوا من ذلك الحريق، وهُجِّروا للإقامة ببابل وسوسة وذلك في أكتوبر [التمور] سنة 345 ق. م[2].

واصل الجيش الفارسي بعد ذلك، وإن كان الامبراطور قد سلَّم قيادته إلى باجواس أوباكواس Βογης سنة 345 ق. م، واصل مسيره نحو مصر في عدة بلغت حوالي ثلاثمائة ألف جندي بمساندة أسطول بحري من ثلاثمائة سفينة يقودها روديان منثور الرودسي[3] Ροδανος في حين لم يتجاوز الجيش المصري مائة ألف جندي منهم ستون ألف مصري وعشرون ألف من المرتزقة الهللينيين والعشرون الباقية ليبيون[4].

استطاع منثور حصار منف حيث احتمى نكتنابو (الثاني) في شتاء 342/343 ق. م واستطاع السيطرة على الوجه البحري، قبل أن تُرسل حملة أخرى في العام التالي، لتكمل السيطرة على مصر بإخضاع الصعيد.

وعلى ذلك يُعتبر أرتاكسركسيس (الثالث) مؤسس الأسرة الثلاثين في مصر، والتي أقام فرانداتيس Φαρανδατης والياً عليها بالإضافة إلى قبرص، في حين وُضِعت ولاية فينيقية تحت تصرف منثور، الذي مات بعد

---

(1) Diod, XVII, 40-6.; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 436.

(2) Diod, XVI, 43 FF; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 437;
أحمد كمال الدين حلمي، المرجع السابق، ص 135.

(3) روديان منثور Rhodian Mentor أحد المرتزقة الهللينيين من جزيرة رودس، كان في خدمة نكتنابو (الثاني) الذي أرسله لمساعدة الفينيقيين ولكنه استسلم للفرس ثم دخل في خدمتهم.

(4) Olmstead A.T., OP. Cit., PP., 438 FF.

ذلك بعامين[1].

عاش أرتاكسركسيس (الثالث) بقية سني عمره محاولاً القيام بإخماد حركات التمرد والثورات التي قامت في آسية أو في مصر[2]، ثم تمكن باجواس مدير القصر الملكي في سوسة، مستشار الامبراطور وقائد جيوشه من قتله بالسم، وذلك سنة 338 ق. م.

من السمات التي أضحت علامات مميزة للعائلة الأخمينية في فارس في هذا الوقت المتأخر، إدارتها بواسطة خصيان القصر الملكي وحريمه ومنهم باجواس سالف الذكر، الذي حالما قتل أرتاكسركسيس (الثالث) أقعد محله ابنه المدعو أرسس Αρσες ثم أدرك بعد ثلاث سنوات من ذلك أي في 336 ق. م إن صنيعته الجديدة غير لينة، فأسقاها من الكأس التي شرب منها والده قبله.

في هذا الوقت كان الإسكندر (الثالث) المقدوني Μεγς Αλεξαϖδρος" قد تحرك في ربيع سنة 334 ق. ، قاصداً الشرق مبتدئاً زحفه في أراضي الامبراطورية الفارسية الأخمينية، وهو الوقت الذي تزامن مع تنصيب باجواس للعاهل الفارسي الجديد داريوس (الثالث) على العرش، فكان عليه مقارعة الإسكندر (المقدوني) الذي عبر الهلسبونتوس لمحاربة داريوس (الثالث) في عقر داره، وجاءت موقعة إيسوس ISSUS سنة 333 ق. م خاتمة صفحات تاريخ تلك الأسرة الأخمينية السياسي، وليبدأ بالتالي صفحة جديدة في مرحلة تاريخية جديدة أدت إلى ما عُرف فيما بعد بالعصر الهللينستي Ελληνιστικοι Χρονοι".

---

(1) Diod., XVI, 46 FF; Aelian., Var. hist. IV, 8; VI, 8; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 440.

(2) وهي الثورة التي قادها خباشا، للمزيد عنها أنظر: ـ أتين دريوتون وجاك فانديتيه، المرجع السابق، ص 667، جان يويوت، المرجع السابق، ص 207.

الفصل الثاني

الحروب الفارسية الهللينية

تكون بلاد الهللينيين جزء من جبال البلقان Πελαγος تمتد صوب الجنوب، وهي تقع بين بحرين، بحر أيجة Aegean Sea الذي يفصلها من جهة الشرق عن آسية الصغرى والبحر الأدرياتي Adriatic Sea وأيونية اللذان يفصلانها من جهة الغرب عن إيطالية وصقلية Ιταλια, Σικελια ويكاد يشطر بلاد الهللينيين نفسها شطرين خليج كورنثة Κορινθια الذي يتوغل فيها من الغرب وخليج سارونيا Σαρονια الذي يقع في شرقها ويحول دون التقاء هذين الخليجين برزخ كورنثة الضيق الذي يصل جزئي البلاد الشمالي والجنوبي ببعضهما، لذا قامت كورنثة، التي تحكمت في التجارة البحرية بين الخليجين كما تحكمت في المواصلات البرية بين الشمال والجنوب، بدور هام في تاريخ الهللينيين منذ أقدم العصور.

عقب غزو القبائل الدورية، في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد، ومرور العصور المظلمة وما نتج عنها من اندثار للحضارة الميكينية Mycenean Civilization ونتيجة امتزاج السكان الأصليين بالعناصر الغازية الجديدة، اتخذ المجتمع الهلليني تكويناً جديداً عُرف «بدولة المدينة» والذي يُترجم عادة إلى مدينة مستقلة لها كل مقومات الدولة، قد لا تقتصر مساحتها على مدينة بذاتها، بل قد تشمل أيضاً مناطق محيطة قد تختلف في تضاريسها أيضاً وذلك منذ أوائل القرن الثامن قبل الميلاد.

ومما لا شك فيه أن ظروفاً عديدة ساهمت في إيجاد الصيغة السياسية لدى الهللينيين دون سواهم من الأمم التي سبقتهم أو عاصرتهم، لعل أهمها الظرف التاريخي(1).

---

(1) يُقصد بالظرف التاريخي، الفترة الزمنية التي ظهرت فيها دولة المدينة والأحوال السياسية للأمم المحيطة بها، من غير الهللينين، إذ أن صيغة «دولة المدينة» وُجِدت عند الهللينين ونمت وترعرعت بمعزل عن أي سيطرة أو توجيه أو تأثير خارجي، من الأمم والامبراطوريات المجاورة والتي كانت مراكز انجذابها إلى داخلها ولم تتجه =

وبالإجمال يمكن تلخيص تلك الظروف والمراحل التي مر بها التاريخ الهلليني بعد الغزو الدوري وحتى قيام النظام الديمقراطي Δεμοκρατη في النقاط التالية:

بما أن بلاد الهللينيين تتكون بدرجات متفاوتة من التكوينات التضارسية، جبلية سهلية، ساحلية، وكانت هذه التكوينات ذات تجمعات سكانية قامت أولاً على أساس قبلي صرف[1]، فإنها تكاملت مع بعضها بعضاً درءاً لخطر أو جلباً لمنفعة.

وأصبح الشخص الذي ترأس التجمع السكاني والذي أخذ على عاتقه مهمة توحيد «المنطقة» ملكاً عليها Βυσιλειος تركزت في يده السلطة فهو الذي يقود أي تعبئة عسكرية وهو مصدر التشريعات، والقائم على الأمور التنفيذية، وهو الكاهن الأعلى في منطقته، ثم أُله بعد ذلك.

شارك الملوك في إدارتهم مجلسان، أحدهما للأعيان والآخر للنبلاء[2]، وهذا الأخير شكلياً فقط، إذ ينحصر دوره في العلم بمجريات الأمور والموافقة على ما يتوصل إليه الملك ومجلس الأعيان الارستقراطيين، الذي كان يضم رؤساء القبائل والعشائر من قرارات.

ولعل أهم ما يُنسب للملوك من أعمال، ربطهم التجمعات القبلية تلك، بوسائل شتى[3].

= للخارج، أو بشكل آخر نحو بلاد الهللينين على عكس الحال مثلاً مع السومريين أو الفينيقيين، للمزيد عن ذلك انظر: ـ
لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص 95 وما بعدها.

(1) Glotz G., **The Greek City and Its Institutions**, Translated by: Mallinson N., (London, 1965, First Published), PP., 2 FF.

(2) Huart C., **OP. Cit.**, P., 95.

(3) يُعتقد بأن توحيد أقسام أثينة الثلاث، الجبل ـ السهل ـ الوادي، تم في عهد ملكها تيزثيوس.

«هذا إذن هو التطور الأساسي الذي تم في عصر الحكومات الملكية، وهو تطور سارت فيه المدينة خطوات واسعة على طريق التحول من مجرد مفهوم مكاني يُعطي معنى التجاور السكاني فحسب، إلى مفهوم سياسي يُعطي معنى الإنتماء التنظيمي، بكل ما يعنيه هذا من روابط وحقوق بين سكان المدينة[1]».

تمثل التطور الذي تلى ذلك، في الفترة ما بين 800 ـ 600 ق. في إحلال الحكومات الارستقراطية[2] "Αριστοκραια" في معظم بلاد الهللينيين محل الملكيات، فاختفى الملوك أو أُنزلوا إلى مناصب أقل "ΑΡΧων βασιλευς" ما عدا أسبرطة حيث احتفظ ملوكها بسلطانهم كاملاً خاصة في الحروب[3].

وإذا كان المحور الذي دارت حوله أحداث بلاد الهللينيين الآن محور سياسي فأنه في المرحلة التالية يصبح اقتصادياً، إذ أخذ الأرستقراطيين يملكون الآراضي الواسعة زراعية أو رعوية، ولما انتهت مهمات الملوك الأخرى، فأنهم أصبحوا لا يختلفون في شيء عن أفراد هذه الطبقة [الارستقراطية] لذا أخذوا يزحفون على سلطات الملوك الباقية في المدن، من سياسية وعسكرية، قضائية وتنفيذية[4].

ولم يحل القرن السابع قبل الميلاد، إلا وكانت أغلب المدن الهللينية قد تولى الحكم فيها الارستقراطيون بدلاً من الملوك، في هذا الوقت كانت التجارة لا تزال في مهدها.

قامت الحكومات الأرستقراطية في بلاد الهللينيين على ثلاث دعائم،

---

(1) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص 104.

(2) Flaceliere, Devambez & Schuhi, **A Dictionary of Ancient Greek Civilization,** (London, 1970) PP., 363 FF.

(3) Chrimes K.M.T., **OP. Cit.,** PP., 74 FF.

(4) Mireaux E., **Daily Life in the Time of Homer,** (London, First Published, 1959), PP., 47 FF, 148 FF.

اقتصادية، عسكرية وقانونية، فباحتكارهم [الأرستقراطيون] للأراضي على مختلف أنواعها تحكموا بحاجة الشعب من الغذاء، خاصة الحبوب، إذ كانت الغذاء الرئيسي للهللينيين وبذا كان الاقتصاد ركيزتهم الأولى.

ولما كانت هذه الطبقة دون سواها، قادرة على امتلاك الخيل، وعلى تسليح أبناءها فأنه ظهر من بينهم الفرسان للقيام بأي عمل دفاعي أو هجومي، والذي كان يتميز بكونه تعبئات مؤقتة خاصة تلك التي تقوم نتيجة الصراع حول الأراضي ولذا كانت الناحية العسكرية الدعامة الثانية التي استندت إليها الارستقراطية في حكمها للمدن الهللينية.

أما الدعامة الثالثة، فهي القانون، إذ وجدت هيئات استشارية وأخرى تنفيذية وثالثة تنظيمية، الأمر الذي أبطل تماماً ما كان لرؤساء العشائر والقبائل من صلاحيات فبدأت القوانين تتكاثر التي كانت بين أفراد المدينة الواحدة أو بين المدينة الأخرى(1).

أدّى البؤس الناتج عن احتكار الأرستقراطيين للأراضي، وعن زيادة عدد السكان بالمدن وزيادة متطلباتهم، وصرامة القوانين وجمودها، أدّى كل ذلك إلى ظهور الاستعمار الذي لقى تشجيعاً من الأرستقراطيين، الذين بدورهم، على ما يبدو، وجدوا فيه حلاً ومنفذاً للتخلص من المشاكل التي هددت طبقتهم.

هاجر الهللينيون من بلاد الهللينيين إلى شواطىء البحر المتوسط المختلفة وحين أطل منتصف القرن السادس قبل الميلاد، كانت مستوطناتهم تتناثر حول تلك الشواطىء في الشرق والغرب بدرجات متفاوتة من الكثافة(2).

---

(1) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، ترجمة طه حسين، (دار المعارف بمصر؟) ص ص 44 وما بعدها، كيتو هـ . د، الإغريق، ترجمه عبد الرزاق يسري وراجعه محمد صقر خفاجة، (دار الفكر العربي، القاهرة، 1962 م)، ص 127.

(2) استعمرت أو استوطنت خالكيس وأرترية كاتانا وليونتيني حوالي 728 ق. م ورجيوم=

وبذلك زاحم الهللينيون الفينيقيين في ركوب البحر الأبيض للأغراض التجارية كما كان لاحتكارهم بأقوام الشرق، وممالكه أثر على عدة نواحي في حياتهم[1].

شجع الاستعمار بدوره التجارة التي أصبحت مورداً جديداً حرك التطور السياسي لبلاد الهللينيين في المرحلة التالية.

كان النشاط التجاري يعتمد إلى حد كبير وبشكل متزايد على أبناء طبقة العامة «سواء أصحاب حرف يمدون التجار بالسلع التي تشكل أساس مبادلاتهم التجارية أو كبحارة وعمال نقل وعمال موانىء أو كجنود يخوضون المعارك العنيفة التي أدّى إليها وكان لا بد أن يؤدي إليها التنافس الحاد بين المدن الهللينية في مجال التجارة التي أصبحت تشكل المورد الاقتصادي الرئيسي لها[2]».

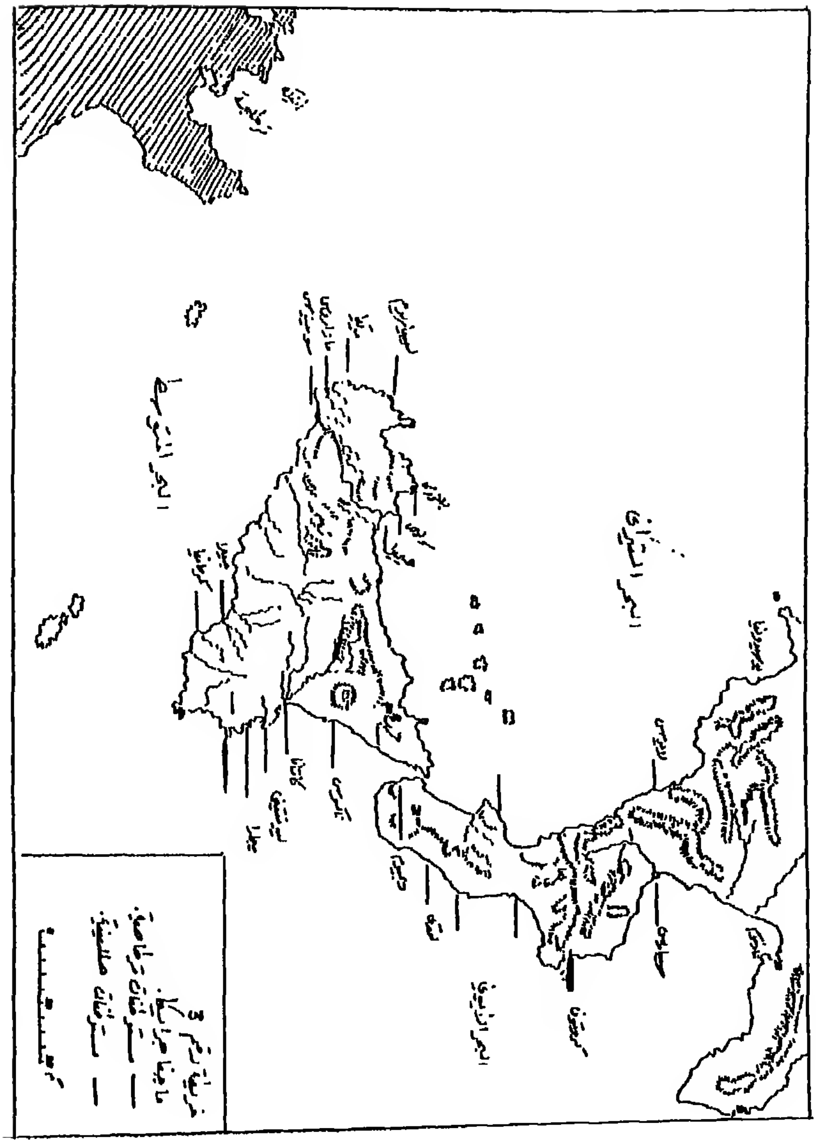
= حوالي 730 ق. م وكذلك كوماي (على خليج نابولي) حوالي 760 ق. م، واستعمرت ميجاراهيلايا في جزيرة صقلية حوالي 728 ق. م، كما استعمرت خالقدونيا حوالي 660 ق. م بالهلسيونتوس ثم بيزنطيوم، بينما احتلت كورنثة موقعاً حربياً هو بوتيديا بشمال بحر أيجة، كما استعمرت قبلها كوركيرا منذ سنة 735 وسيراكوز في جزيرة صقلية في 735 ق. م واستعمرت آخايا مدينة سيباريس منذ 721 ق. م، وكرتون في 710 ق. م كما أسست أسبرطة مدينة ثاراس [تارنتم] في 705 ق. م واستعمرت فوكيا حوالي 600 ق. م مساليا [مرسيلية] واستعمرت رودس جيلا حوالي 688 ق. م كما أنشأت أكراجاس حوالي 580 ق. م، وكلتاهما في جزيرة صقلية، ولذا صار يُطلق على الجنوب الإيطالي ماجنا جرايكا Magna Graecia واستعمرت ميليتوس كيزكوس حوالي 757 ق. م وأبيدوس على البحر الأسود حوالي 756 ق.م، كما أنشأت مركزاً تجارياً هاماً بمصر هو نيوكراتس حوالي 640 ق.م، واستعمرت ثيرا قوريني في ليبيا حوالي 631 ق. م، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Bury J.B and Meiggs R., **OP. Cit.**, PP., 70 FF; Hammond N.G.L., **OP. Cit.**, Bury J.B., **OP. Cit.**, PP., 86 FF; Grote G., **OP. Cit.**, PP., 65 FF.

(1) من ذلك مثلاً أنهم عرفوا الطب والتشريح ومبادىء النحت وبعض عناصر العمارة عن المصريين، كما أخذوا عن البابليين مبادىء الرياضة وغيرها.

(2) لطفي عبد الوهاب يحيى، **المرجع السابق**، ص 114.

خـريـطة رقـم ـ 3 ـ



رفضت الحكومات الأرستقراطية منح المساواة للتجار وأصحاب المصانع الذين لا يملكون أرضاً، ورزح الفلاحون تحت نير الأثرياء الذين شجعوهم على الاقتراض حتى فقدوا حريتهم أو وطنهم، وبدأ الرقيق في منافسة العمال الأحرار.

أمام تشبث الأرستقراطيين في معظم دول المدن الهللينية بمراكزها كان لا بد من انقسام الدولة الواحدة إلى شيع وأحزاب متناحرة لم تستطع واحدة منها أن تبلغ من القوة ما يمكنها من إحراز نصر حاسم، الأمر الذي أدّى إلى استغلال بعض الأفراد الطامعين لهذه الفوضى بإسقاط الحكومات القائمة، وإقامة أوتقراطية الفرد، وهي صورة من صور الحكم التي ظهرت قبل ذلك في الشرق، وعُرفت عند الهللينيين باسم الطغيان Τυραννος.

ظهرت الحكومات الإستبدادية في بعض المدن الهللينية وفي مستعمراتها وتوارثها حكامها وورّثوها لأبنائهم من بعدهم، مدة من الزمن، ثم لم يلبث المحرك البشري أن تجدد نشاطه فتحرك عصر الطغاة ليحل محله مرحلة جديدة عُرفت بالعصر الديمقراطي[1] Δεμοκρατη، وجدير بالذكر إن هذه المراحل من التاريخ السياسي التي مرت بها المدن الهللينية تنطبق على مستعمراتها أيضاً، وذلك لأنها [المدن ومستعمراتها] ارتبطتا بوشائج قوية، كما سيتضح فيما بعد.

الحملات الفارسية ضد المدن الهللينية:

أدت ظروف وملابسات عديدة، سيتم إيضاحها، إلى أن يقع صدام مسلح بين أمبراطورية الفرس الأخمينيين من جانب والهللينيين من جانب آخر، قاد فيه الفرس الأخمينيون أكثر من مرة جيوشهم ضد مدن الهللينيين.

هذه الحروب التي تعددت وجهات النظر حول أهميتها، أسبابها،

---

(1) Glotz G., OP. Cit., PP., 45 FF; Grote G., OP. Cit., PP., 301 FF; Bury J.B., OP. Cit., PP., 74 FF; Hammond N.G.L., OP. Cit., PP., 151 FF.

مراحلها ونتائجها لكل من الطرفين، تسمها كثير من المصادر بالحروب الميدية[1] The Median War وتُقسمها إلى مراحل مختلفة، يُصنفها البعض بحربين وآخر بثلاث وبعضها الآخر إلى خمس مراحل على النحو التالي:

- حملة تراكية وسكيثية 514 ـ 513 ق. م.
- ثورة المدن الأيونية 499 ق. م.
- حملة مقدونية 492 ق. م.
- حملة جزر بحر أيجة وأتيكة 490 ق. م.
- حملة وسط بلاد الهللينيين، أو المنطقة الوسطى بما في ذلك حملة ناكسوس سنة 500 ق. م[2].

فهي، أي هذه الحروب، خاضها الهللينيون دفاعاً عن أنفسهم وممتلكاتهم ومصالحهم المهددة من قبل الفرس الأخمينيين[3]، وذلك في حين هناك من المؤرخين أمثال جلوتس ينظر إليها من خلال المنظار الفارسي الذي أراد تأمين حدوده خاصة من ناحية الشمال لإيجاد حد طبيعي بتلك الأنحاء[4].

وما يمكن قوله في هذا الخصوص، وكما سيتضح بعد قليل أن أسباب تلك الحروب إضافة إلى ما سبق ذكره، قد تضافرت فيها أسباب وعوامل أخرى عجّلت بحدوث ذلك الإحتكاك العسكري.

- حملة داريوس (الأول) ضد السكيثين:

كما سبق وأن ذُكر فإن المدن الأيونية بساحل غرب آسية الصغرى،

---

(1) Frye R.N., **OP. Cit.**, PP., 25 FF; Lenormant F. & Chevallier E., **Ancient History of the East, to the Commenecment of the Median Wars**, VOL, II, (London, MDCCCLXX), P.,

(2) ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, ΑΡΧΑΙΚΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ, ΤΟΜΟΣ Β, (" Εχδοτιχη,Αφηνων, ΑΕ, 1971), PP., 282 FF ; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., ΕΙΚΟΝΟΤ- ΡΑΦΗΜΕΝΗ ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΩΝ ΕΛΛΗΝΩΝ, ΤΕΚΔΟΣΗ ΒΕΛΤΙΩΜΕΝΗ, (ATHENS,1972), PP., 181 FF.

(3) Burn A.R., **OP. Cit.**, P., 127;

(4) **OP. Cit.**, PP., 29 FF; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥ Σ, PP., 280 FF.

كانت قد وصلت في تاريخها السياسي، مرحلة إقامة الحكم الفردي [الطغاة]، وكما ذُكر كان داريوس (الأول) في نهاية القرن السادس ق. م ملك الملوك غير المنازع في أمبراطورية ترامت أطرافها فشملت المدن الأيونية تلك[1]، وكان هذا العاهل رغم تنظيمه إدارتها وتقسيمه لها إلى ولايات يُديرها ولاة[2]، إلا أنه لم يمس نظام تلك المدن «السياسي» التي كانت عليه منذ عهد قورش (الثاني)، وذلك ربما مرده لعدم التفاته إلى هذا الجانب نظراً لكثرة مشاغله منذ توليه العرش، وطالما كان ساكناً، ربما تغاضياً منه عنه وذلك كما يُحبذ البعض لأنه يتمشى وأهداف الفرس الأخمينيين في الإدارة[3]، وعلى ذلك فقد ظل الطغاة يحكمون في المدن الأيونية بآسية الصغرى.

يذكر هيرودوتس، وكعادته في معظم الأحوال بإرجاع الأحداث الهامة إلى أسباب شخصية جداً، يذكر إن أسباب ثورة المدن الأيونية ضد الفرس، تكمن في مطامع الديكتاتورين هيستائيوس "Ιστιαιος" طاغية ميليتوس Μιλητος وصهره أرستاجوراس "Αρισταγορας" الذين لعبا دوراً في حملة داريوس (الأول) ضد السكيثيين[4].

وجه داريوس (الأول) حوالي 514 ـ 513 ق. م، وراء حدوده الشمالية الشرقية لغزو قبائل الأسكيثيين، وكان على رأسها بنفسه، حيث عبر البوسفور على قنطرة من السفن[5].

وسارت الحملة إلى البحر الأسود ودخلت مصب التونة Twins حيث

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالفصل السابق، ص 21.
(2) انظر تفصيل ذلك بالفصل الثالث، الباب الأول، صفحة 142 من هذا البحث.
(3) محمود فهمي، تاريخ اليونان، (بدون)، ص 120.
(4) Herod., V, 36 FF; Olmstead A.T., OP. Cit., PP., 152 FF.
(5) أشرف على تمديد تلك القنطرة المهندس ماندروكلس كما ترك تحت حراسة كتيبة هللينية.

التقت ببقية الجيش البري، فتوغل حتى مصب نهر الفولجا وسار من تراكية إلى الدانوب Danub ثم عبر النهر حتى وصل مقر الأسكيثيين، ولكنه لم يظفر بهم، إذ قاوموه بأسلوب «حرب العصابات» فكانوا سريعي التنقل، ولم يلتحموا معه مباشرة، فلقي لذلك الأهوال الشداد إضافة إلى صعوبة مُناخ تلك الجهات وطول خط إمداداته، لذا قفل راجعاً، قبل أن تنقلب الحملة إلى كارثة، بعد أن ترك القائد ميجابيزوس Μεγαβαξος ليتولى مهمة إخضاع تراكية Θρακη.

هذه الحملة التي كان من أهم نتائجها إدخال كل من تراكية Θρακη ومقدونية Μακεδονια لحظيرة أمبراطورية الفرس الأخمينيين، اختلفت وجهات نظر الباحثين بشأنها ففريق يرى أنها كانت لتأديب قبائل الأسكيثيين ومنعها من الإغارة المتكررة على أطراف الأمبراطورية الفارسية من جهة، ومن جهة أخرى إقرار وتأمين وسلامة الحدود الشمالية الشرقية للأمبراطورية، كما يضمن لهم السيطرة على البحر الأسود، إضافة إلى الحصول على موارد تلك الجهات الاقتصادية، خاصة من الحبوب والمعادن الثمينة كالذهب[1].

ويرى فريق آخر أن هذه الحملة هدف داريوس (الأول) من ورائها، إخضاع تراكية أولاً وهو ما تم فعلاً، ثم أراد بمحاولاته وراء نهر الدانوب الاستطلاع أكثر مما قصد الغزو والفتح و «ذلك يُماثل تماماً ما قصده يوليوس قيصر C. Julius Caesar في بريطانيا»[2].

ذلك في حين يذكر البعض الثالث إنها [الحملة] هدفت إلى إخضاع الهللينيين القاطنين بين الدردنيل ونهر التونة، وبالتالي إضعاف روح الثورة

---

(1) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 262، Bury J.B., OP. Cit., P., 240

(2) السيرجون، أ، هامرتن، تاريخ العالم، المجلد الثاني، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة؟)، ص 400.

وجايوس يوليوس قيصر أبرز شخصية سياسية وعسكرية ظهرت في التاريخ الروماني في النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد (101 ـ 44 ق. م).

عند الأيونيين الذين يشعرون دوماً برغبتهم في الخلاص من السيطرة الفارسية[1].

والراجح إن هذه الحملة أُريد بها، كما سبق القول، أولاً إقرار أو إسكان قبائل السكيثيين نظراً لما سببته هذه من اضطرابات على الحدود الشمالية الشرقية للأمبراطورية وإن كانت قد أنتجت إضافة للهدف الأول السيطرة على تراكية ومقدونية.

ويؤكد صدق نية الإتجاه نحو السكيثيين دون غيرهم في هذه الحملة نقوش داريوس (الأول) نفسه في نقشي روستام، التي يرد فيها على لسانه «حقق أماني بلاده في القضاء على خطر السكيثيين»[2].

ويركن البعض إلى أن ثورة المدن الأيونية ضد الفرس الأخمينيين، كانت نتاج مباشر لفشل حملة داريوس (الأول) سالفة الذكر[3]، وهذا أمر غير وارد ليس لعدم تزامن أو تلاحق الأحداث [الحملة ـ الثورة] فقط وإنما ركوناً أيضاً إلى وجود أسباب أخرى أكثر عمقاً من تلك التي ذكرها هيرودوتس[4] كانت وراء اندلاع تلك الثورة سيتم إيضاحها بعد قليل.

ـ ثورة المدن الأيونية بساحل غرب آسية الصغرى على الفرس:

تعتبر هذه الثورة وأحداثها من الأمور الهامة التي صادفت الساسة الفرس الأخمينيين وجرتهم مباشرة لخوض غمار حرب طويلة الأجل، ضد المدن الهللينية وتوابعها وربما لم تنظف آوارها إلا بالثلث الأخير من القرن الرابع ق. م، أي بظهور الإسكندر المقدوني وغزوه للشرق.

---

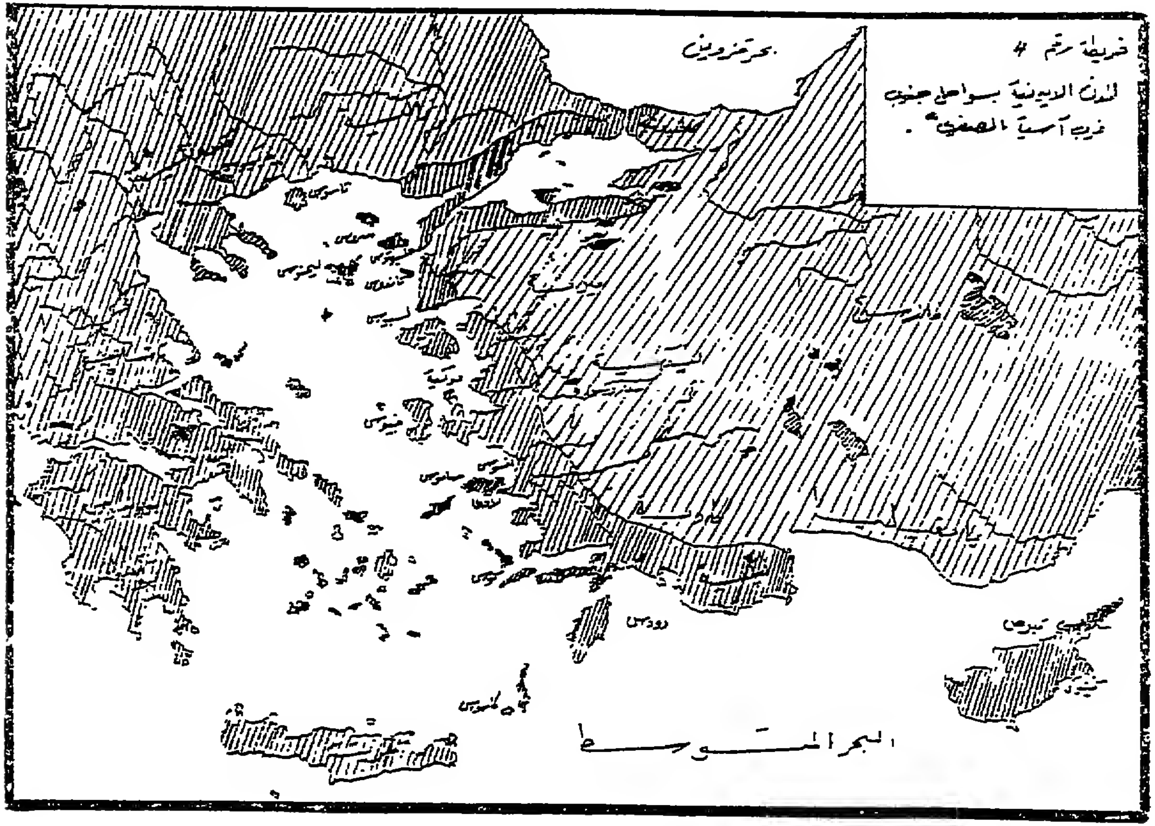
(1) KYPIAKIΔH B OP. Cit., P., 179.

(2) Kent R.G., "Old Persian Texts III. Darius Behistan Inscription", Column VII, JNES, II, (1943), PP., 110 FF;

(3) Lenormant F and Chevallier E., OP. Cit., P., 139.

(4) Herod., V, 28 FF; Burn A.R., OP. Cit., P., 193; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 152; KYPIAKIΔH B., OP. Cit., P., 179; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ P., 284.

خريطة رقم - 4 -


خريطة رقم 4
المدن الايونية بسواحل جنوب غرب آسيا الصغرى .
البحر المتوسط
رودس
قبرص

يـذكـر هيـرودوتـس[1] إن هـذه الثـورة، أشعـل فتيلهـا عنـدمـا طلـب هيستائيوس طاغية ميليتوس من الأمبراطور الفارسي السماح له بإقامة مستعمرة هللينية بإقليم ماكسيانيوس Μξιανος الواقع في منطقة خصبة على مجرى نهر ستريمون Στρυον وذلك مكافأة له على خدماته للأمبراطور خلال حملته على تراكية Θρακη.

ولما كانت هذه المنطقة غنية بالأخشاب الصالحة لصناعة السفن، كما كانت غنية بمناجم الفضة، فإن ذلك أثار ريبة وربما حسد ميجابيزوس، الذي أسر للأمبراطور بذلك، ولذا استدعى داريوس (الأول) هيستائيوس بكل لباقة وأبقاه في بلاطه كمستشار له لا يمكنه الاستغناء عنه، بينما في الواقع ـ الكلام لا يزال لهيرودوتس ـ كان أسيراً لدى البلاط الفارسي، ثم وكَّل أمر ميليتوس إلى الطاغية الآخر والذي كان متزوجاً من ابنة هيستائيوس وهو أرستاجوراس "Αρισταγορας.

حدث في هذه الأثناء أن طلبت جزيرة ناكسوس Ναξος مساعدة ميليتوس ضد الثوار الديمقراطيين، فأراد أرستاجوراس أن يستعين بالوالي الفارسي أرتافرنيس "Αρτφερνης والي سارديس، إذ كان أرستاجوراس يشك في إمكانية نجاحه بمفرده في إرجاع الحكام الأوليجاركيين إلى تلك الجزيرة، واستطاع إثارة طموح هذا الوالي بأن رسم أمامه مشروعاً ضخماً يتلخص في الاستيلاء على جزر السكيلادس Κυκλαδες وأيوبية Ευβοια إضافة إلى ناكسوس، ويستجيب الوالي لهذا الإغراء ويُقنع الأمبراطور داريوس (الأول) بالموافقة، ويُحاصر الأسطول الجزيرة ولكن النزاع يدب بين الرجلين، وتقاعس الأمبراطور عما وعد به أرستاجوراس واستمات سكان الجزيرة في الدفاع عنها، وبالتالي فشل أرستاجوراس في مسعاه وبهذا الفشل

(1) Herod., V, 28 FF; Burn A.R., **OP. Cit.**, P., 193; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P., 152; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., **OP. Cit.**, P., 179; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ P., 284.

تأكد له أنه لن ينجو من عقاب الفرس الأخمينيين فقلب لهم ظهر المجن واجتمع بمندوبي المدن الأيونية مُحرضاً إياهم على الاستمرار في مناهضة الفرس الأخمينيين.

تلك هي أسباب الثورة كما يراها هيرودوتس[1]، وهي أسباب يمكن إضافة إليها القول بأن آداة الحكم كانت قد أصبحت بالية في تلك المدن، فنظام الطغاة الذي حظي «برعاية» الفرس في المدن الأيونية بساحل غرب آسية كان قد انتهى وقته، والمدن الهللينية التي تسير على منهاجها المدن الأيونية كانت قد تجاوزته إلى أدوات حكم أخرى أكثر تحرراً وديمقراطية هذا أولاً، وثانياً، في نهاية القرن السادس ق. م كان هللينيو آسية الصغرى يبدو إنهم مقبلون على أزمة اقتصادية خاصة في المدن الكبرى التي تعتمد على الصناعة والتجارة مثل خيوس Χιος وميلتيوس Μιλητος وذلك ناجم عن اضطراب التجارة الأيونية عقب سيطرة الفرس الأخمينيين على تلك المدن من جهة ومن جهة أخرى كونهم حماة للفينيقيين الذين كانوا بدورهم منافسين أشداء للهللينيين بصفة عامة في التجارة والبحرية منها بصفة خاصة وليس هذا فحسب، بل أيضاً وقوف أولئك الفينيقيين في غرب المتوسط إضافة إلى الأتروسكيين، أمر عرقل النشاط الاقتصادي الأيوني.

هذا الضيق الاقتصادي، أُحكمت حلقاته على الأيونيين بسيطرة الفرس الأخمينيين على بيزانس Βυξαντλος حيث توقف أو تعرقل الاتصال بين تلك المدن والبحر الأسود، إضافة إلى الضرائب الباهظة التي فُرضت على هلليني آسية وكارية Καρια وليكية Λυκια وبامفيلية Παμφμλια حسب رأي البعض[2].

وعلى ذلك كانت أهم أسباب تلك الثورة، الناحية الاقتصادية أو الاقتصادية السياسية بالدرجة الأولى.

---

(1) Herod., V, 30 FF; Bury J.B., OP. Cit., P., 242.
(2) Burn A.R., OP. Cit., P., 195.

إنطلقت الشرارة الأولى للثورة عقب احتجاز السفن الفارسية العائدة من حصار ناكسوس الذي دام أربعة أشهر، وذلك في أواخر صيف وأوائل خريف سنة 499 ق. م[1].

ثم تلاها تكوين تلك المدن حلفاً فيما بينها[2] Koinon Ton Ionon الذي لعب دوراً هاماً في إحداث هذه الثورة، إذ تحول إلى برلمان حزبي اتخذ قرارات هامة تناولت توحيد العملة، لتوفير المال اللازم للقوات المتحالفة، ولكنه لم يتخذ قراراً بشأن توحيد القيادة، فكل مدينة لها قواتها، أسطولها، قيادتها، وإن كانت ميليتوس أكثر بروزاً من بين تلك القيادات، فقام أرستاجوراس بجولات في بلاد الهللينيين مستصرخاً مساعدتها، ولو أن أرستاجوراس استطاع الحصول على مبتغاه، ولو أن تلك المدن التي زارها سارعت إلى نجدة الأيونيين بشكل فعال، لربما كان الموقف قد تغير عما انتهى إليه.

استنجد أرستاجوراس بأسبرطة، فحاول إقناع ملكها كليومينيس Κλεομενης بسهولة القيام بحملة هللينية إلى قلب آسية الصغرى، ويذكر هيرودوتس[3]، أنه حاول رشوة هذا الملك، ولكنه فشل، وبعد فشله هذا، يبدو أنه لم يحاول أن يُعيد الكرة مع أي مدينة بلوبونيسية أخرى، ولعل السبب في ذلك إشاعة دلفي Δελφοι أن ميليتوس ستُدمر لسوء أفعالها[4]، لذا نراه يذهب إلى آجينة Α'ιγινηα وإلى أرترية "Ερετρια التي وعدت بالمساعدة، كما استجابت أثينة لذلك، وذلك على الرغم من وجود تنافس تجاري بينها وبين ميليتوس، وإنما تغاضت عنه لما لمسته من تهديد الفرس

(1) Herod., V, 36 FF; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., op. Cit., P., 180; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, P., 285; Burn A.R., OP. Cit., P., 198.

(2) Herod., V, 109.

(3) Ibid.

(4) انظر عن دلفي ومهبط الوحي بها، الباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 212 هامش (1).

لها، خاصة فيما يتعلق بهيباس[1] Ἱππιας ثم إن ميليتوس إحدى بنات أثينة، فقررت إرسال عشرين سفينة حربية، في حين كانت أرترية قد تبرعت بخمس سفن بجنودها، ويستنكر المؤرخ الجغرافي أسترابون[2] هذا الرقم على مدينة تمتلك أسطولاً كبيراً، ربما كان أكبر أسطول في غرب أيجينة، تُهيمن به على منطقة واسعة تشمل جزر أندروس Ἄνδρος وتينوس Τηνος وكيوس Κεος.

ويعلل بلوتارخوس قلة المشاركة هذه بذكره لظروف عديدة كانت عليها تلك المدينة منها اتحادها مع أثينة، ثم الأعمال العديدة الأخرى المكلفة بها خارج بلاد الهللينيين خاصة في آسية[3].

وإذا تساءلنا لماذا لجأ أرستاجوراس إلى بلاد الهللينيين ولم يلج إلى غيرهم خاصة وأن معظم أطراف الأمبراطورية الفارسية الأخمينية كان قد شهد محاولات انقلاب عدة على الفرس، عقب موت كمبيز (الثاني) وقبيل تولي داريوس (الأول) الحكم[4] فإن الإجابة على ذلك، ربما تكمن في إن الأيونيين كما ذُكر سابقاً كانوا واقعين ثقافياً وتوجههم الحضاري نحو الهللينيين، خاصة فيما يتعلق منها بأداة الحكم، التي أرادها الأيونيون

---

(1) هبياس بن الطاغية بيزا ستراتوس، حكم أثينة بعد والده، وفي عهد كثُر الإرهاب خاصة بعد الحادثة التي أدت إلى مقتل أخيه هيبارخوس، وهو الأمر الذي جعل الهللينيين عامة والأثينيين منهم بصفة خاصة، يمقتون وبشدة حكم الطغاة واستطاعت أسرة الكيموئيد التي كان أفرادها يعيشون بالمنفى، وبواسطة رشوة معبد دلفي أن يستطيع بمساعدة الأسبرطيين التغلب على هيباس الذي اضطر بعد حصار قصير إلى الاستسلام وحُكم عليه بالنفي سنة 510 ق. م وأفراد أسرته، فرحل إلى آسية الصغرى حيث لجأ بعد ذلك إلى الفرس، للمزيد انظر: ـ

ΙΣΤΟΡ2ΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, PP., 233 FF; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., OP. Cit., PP., 153; Glotz G., OP. Cit., PP., 170 FF.

(2) Strabo, IX, 447F; Burn A.R., OP.Cit., P., 199.

(3) Pluta., Moralia, 24; Burn A.R., Loc. Cit.

(4) راجع ما سبق ذكره بالفصل الأول، صفحة 38 وما بعدها.

ديمقراطية، بإقالة الطغاة، ولعل ذلك من جانب آخر ما عجزت عنه بقية الأمم الأخرى الخاضعة للفرس الأخمينيين كالمصريين أو الفينيقيين مثلاً على الرغم من أن هؤلاء الأخيرين كانوا هم أيضاً قد اتبعوا نظام المدينة الدولة.

كان الإعداد للثورة قد استغرق فصل الشتاء، ومع إشراقة شمس ربيع 498 ق. م[1] كانت (المدن الأيونية المتحدة) قد جمعت أسطولاً بحرياً بلغ تعداده في بعض المراحل من الثورة 353 سفينة[2]، موزعة على المدن بالشكل التالي:

ميليتوس	80 سفينة
بريني	12 سفينة
ميوس	3 سفن
تيوس	17 سفينة
خيوس	100 سفينة
أرترية	8 سفن[3]
فوكية	3 سفن
لسبوس	70 سفينة
ساموس	60 سفينة

تعاظمت أحداث هذه الثورة برفضهم استقبال جباة الضرائب الفرس[4]، ثم رسى الأسطول «الأيوني» في إفسوس "Εφεσος"، ومن هناك سارت الجيوش إلى داسيوس Καυσιος حيث عبرت جبال ثمولوس Τμωλος بقيادة خاربونيوس Χαροπινος إلى مدينة ساردیس، حيث

(1) Burn A.R., OP. Cit., P., 200; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., OP. Cit., P. 179; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, P. 288; Hammond N.G.L., OP. Cit., P., 205.

(2) Burn A.R., OP. Cit., P. 110; Olmstead A.T., OP. Cit, P., 155.

(3) كانت أرترية في بداية الثورة قد تبرعت بخمس سفن ساهمت في حصار ساردیس ثم أضافت ثلاث سفن أخرى فيما بعد.

(4) Herod., V, 98; Burn A.R., OP. Cit., P., 200.

حاصرتها، وتم عزل أرتافرنيس Αρταφερνης" في حاميته، الأمر الذي يوحي بتهاون الفرس الأخمينيين في الاستعداد أو تقدير أمر تلك الثورة التي التهمت نيرانها المدينة [ساردیس]، قبل أن يقفل الثوار راجعين إلى أفسوس حيث تم سحقهم بواسطة جيش فارسي جُمع من الولايات الفارسية الواقعة غرب الهاليس Ελλης"، و تولى جمعه أنساب داريوس (الأول) وهم دايرسيس Δαριοης وهيمايس Ὑμαιης وأوتانيس[1] Ὀτανης.

استطاعت هذه الجحافل حصر الثورة في المدن الأيونية، بعد أن كان لهيبها قد امتد إلى قبرص وغيرها من المدن مثل رودس Ροδος وكاريا Καρια، فتخلت الفرق العسكرية التي تمثل المدن الهللينية الأوربية عن الممرات التي كانت تحتلها وأبحرت عائدة إلى أوطانها، ليبدأ الفرس الأخمينيون معالجة الأمر بالطرق العسكرية إضافة إلى الوسائل الدبلوماسية[2].

مما يُثير التساؤل في هذا المقام، ما سر هذا لالإنسحاب السريع؟ وكيف تُرسل أثينة عشرين سفينة فقط؟ ولعل تفسير ذلك عائد إلى الصراع الحزبي، الذي كان في أثينة نفسها، فالحزب الديمقراطي، وهو حزب الكيمون، يخشى أن يستجيب الفرس لأطماع هيباس ومطالبه، في حين هناك الحزب المعارض الذي لا يمانع في مساعدة الفرس ولعل هناك من الأثينيين من رأى الاستعانة بهم في حال ما تهددت الديمقراطية الأثينية فالمساعدة إذن كانت موضع تردد، فحزب يوافق على إرسال المساعدة والحزب الآخر يقلل من عدد السفن ثم ينقلب الحزب المناصر لأسرة بيزاستراتوس[3]

(1) ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, P., 286.

(2) Herod; V, 99 FF; Thuc., 1, 14.3; 41.2; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 154.

(3) بيزاستراتوس، ابن هيبوكرانيس، أول الطغاة الذين حكموا أثينة، وكان ذلك في الفترة ما بين 561 ـ 528 ق.م، للمزيد عنه انظر: ـ

Herod; I, 61 FF; V, 94; Thuc., I, 104; III; Polyaemis, I, 23; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ, P., 253; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., OP. Cit., PP., 153 F; Bury J.B. and Meiggs R., OP. Cit., PP., 127 FF.

Πεισιστρατος فيصر على استدعاء الأسطول الأثيني حرصاً على عدم حصول المزيد من التورط في عِداء مباشر مع الفرس الأخمينيين، ذلك في الوقت الذي بدأ فيه الفرس بالاستحواذ على الموقف حيث أُعيد هيستائيوس إلى أيونية في محاولة لامتصاص النقمة الشعبية، ولكنه ينضم للثوار عقب فشل أرتافرنيس في التعامل معه[1].

استغرق الفرس الأخمينيون السنوات 497ـ495 ق. في إعادة سيطرتهم على المدن الثائرة، حيث أُستعيدت السيطرة على كل من أبيدوس Αβυσος" وبيركوت Berkot ولامبساكوس Λαμψακος وباسوس Παισος.

ومما تجدر ملاحظته في هذا الخصوص أن الفرس استعادوا سيطرتهم على مدينة سولوي SOLOI الواقعة في الجزء الشمالي الغربي، بواسطة خندق تم حفره أسفل جدران أسوار المدينة، استغرق حفره مدة خمسة أشهر[2]، حتى سقطت في نهاية صيف 496 ق.م وهو الأمر الذي سنراه متماثلاً مع ما جرى مع مدينة برقة بقورينائية[3].

ثم سقطت ميليتوس في أيدي الفرس بعد أربع سنوات من قيامها[4]، وأُنزل بها أشد العقاب إذ قُتل رجالها، وهُجر نساؤها وأطفالها إلى مدينة أمبة على مصب الدجلة[5]، ووضع حامية عسكرية في قلعتها، كما أُلحقت أيضاً هزيمة نكراء بالأسطول الذي كان قد تجمع عند جزيرة لادي Λαδη، تلك الهزيمة التي يرى هيرودوتس[6] إن تخاذل لسبوس وساموس كان وراءها.

---

(1) Bury J.B., OP. Cit., PP., 239 FF.

(2) Herod., V. 115.

(3) انظر تفصيل ذلك بالفصل الثالث، الباب الثاني، ص 265.

(4) ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, PP., 291 F, ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., OP. Cit., P., 180; Hammond N.G.L., OP. Cit., P., 209.

(5) وهذا الأمر سنراه يتكرر مع سكان برقة، أنظر الفصل الثالث بالباب الثاني، ص 269.

(6) Herod., VI, 11 FF; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 155; Grote G., OP. Cit., PP., 152 F.

في ربيع سنة 493 ق. م استرد الأسطول الفارسي بقية الجزر، خيوس، لسبوس، تندوس، ولم يُحل صيف تلك السنة حتى تم لهم إخضاع جميع المدن الثائرة في آسية الصغرى[1].

وهكذا عادت السيطرة الفارسية الأخمينية على تلك المدن كما كانت سابقاً، ولا شك في إن وراء ذلك عوامل أهمها ضياع وحدة كلمة الأيونيين أنفسهم أو الهللينيين بصفة عامة، ثم خذلانها أو تخاذلها وتقاعسها عن المساعدة خاصة في حال توفر نوع من الحماية لبعضها إضافة إلى توليهم أمور القيادة لأشخاص غير أكفاء لذلك، ثم عدم التوقيت الجيد لها، ونقص الإعداد المسبق لها على كافة الأصعدة.

يمكن بالتالي إجماع نتائج هذه الثورة في النقاط التالية:

الأولى: إعادة تنظيم الولايات الفارسية بآسية الصغرى [المدن الأيونية] فأقاموا في بعضها والتي يبدو أنهم لمسوا فيها الطمأنينة حكومات ديمقراطية، إذ يذكر أن الطغاة ظلوا يحكمون في جزيرة IANPASCOS وجزيرة خيوس Χιος ولامبساكوس[2] Λαμψακος.

الثانية: محاولة علاج أمر الضريبة أو الجزية المفروضة على تلك المدن[3].

الثالثة: ضرورة إعادة فتح تراكية ومقدونية وقد عُهِد بهذا العمل إلى القائد ماردونيوس Μαρδονιος

الرابعة: إذا كانت هذه الثورة قد عزّزت ثقة الهللينيين في أنفسهم، إذ تمكنوا من قول لا في وجه أعتى قوة وُجدت في ذلك الوقت، فأنها أيضاً نبّهت الفرس الأخمينيين إلى الخطر الذي يمكن أن تتعرض له الحدود الشمالية الغربية للأمبراطورية الفارسية إذا تكررت مثل هذه المساندة،

---

(1) Herod., VI, 6 FF.
(2) Ibid., VII, 106.
(3) Ibid, IV, 90; Thuc., 59,3.

وهو خطر تجسم فعلاً بإحراق ساردیس، فكان لا بد من اجتثاث الخطر من جذوره، من بلاد الهللينيين، مما يعني من جهة أخرى إن بلاد الهللينيين أصبحت أمام الخطر الفارسي الأخميني مباشرة.

حملة ماردونيوس على تراكية ومقدونية 492 ق. م:

كان داريوس (الأول) عقب إخماده لثورة المدن الأيونية قد قام بتسريح قادة جيوشه السابقين، مع بداية ربيع سنة 492 ق. م[1]، وولى قيادة أحد جيوشه للقائد ماردونيوس[2]، الذي سار به من ساردیس إلى كليكية Κιλικια إلى الهلسبونتوس قاصداً إعادة إخضاع تراكية ومقدونية Μακεδονια.

دواعي هذه الحملة تمثلت أولاً في تسكين الحالة بتلك الأنحاء التي كان قد اعتراها شيئاً من الاضطراب عقب ثورة المدن الأيونية، ثانياً حوض البحر الإيجي، كان بُحيرة هللينية، وما كان للفرس الأخمينيين أن يحتفظوا بشاطئه الشرقي ما لم يُسيطروا على شاطئه الغربي أيضاً، وثالثاً واستناداً إلى تلك النقطة الثانية ربما كانت هذه الحملة مرحلة تمهيدية لغزو أثينة وأرترية، وعليه فإن أهم نتائج هذه الحملة كانت إعادة تراكية ومقدونية للحظيرة الفارسية[3].

وعلى هذا الأساس تُعتبر حملة ماردونيوس في عداد حملات الفرس

---

(1) Burn A.R., **OP. Cit.**, P., 221; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P., 158.

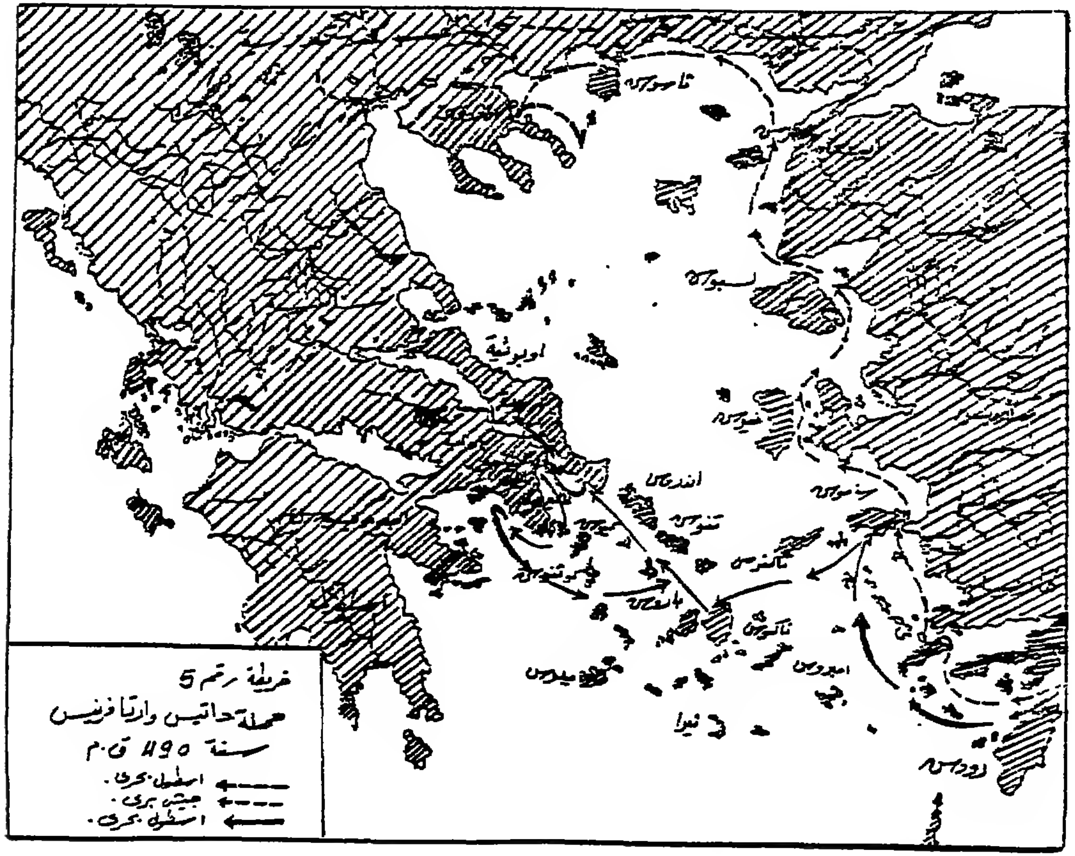
(2) ماردونيوس بن جوبرياس، أحد القادة السبعة الذين كانوا قد ساعدوا داريوس (الأول) في القضاء على برديا والثورات التي قامت عقب وفاة كمبيز (الثاني) وهو أيضاً صهر داريوس إذ أنه متزوج من إبنة داريوس المدعوة أرتوزوسترا Artozostra للمزيد عنه انظر: ـ

Herod., VI, 43.

(3) محمد أسد الله صفا، **الإسكندر المكدوني الكبير**، (دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، 1985 م)، ص 26.

Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P., 149.

خريطة رقم ـ 5 ـ



الناجحة إذ كان غرضها فعلاً إعادة تراكية ومقدونية فقط، إذ تعرض جيش هذه الحملة عند رأس آثوس "Αθως" بشمال أجينة، الذي يتصف بكثرة عواصفه الشمالية الشرقية لعاصفة أضاعت حوالي 300 سفينة من الأسطول البحري، وهي نصفه تقريباً، إضافة لحلول فصل الشتاء القاسي بتلك الأنحاء، وإغارة بعض القبائل القاطنة هناك على الجيش المنكوب، أدى كل ذلك إلى عودة ذلك الجيش إلى بلاد فارس(1)، وهو الأمر الذي أدى ببعض الباحثين للقول بأن حملة ماردونيوس، لم يكن هدفها تراكية ومقدونية فقط، بل إن تعرضها لذلك الأعصار ولتلك الظروف هو ما حال دون مواصلة مسيرها نحو أثينية وأرترية، وعلى ذلك أيضاً يصنّفون فشل أولى حملات الفرس الأخمينيين لغزو بلاد الهلّلينيين(2).

ولعل السبب الذي جعل أولئك الباحثين يعتقدون ذلك الاعتقاد هو الأرقام الضخمة التي أوردها هيرودوتس لأسطول تلك الحملة وجنودها، وهو أمر مشكوك فيه هذا من جهة، ومن جهة أخرى لماذا يقع داريوس (الأول) المعهود عنه الدقة والنظام والروِّية في معالجة الأمور، لماذا يقع في نفس الخطأ مرة أخرى، ألم يتعرض لنفس الظروف عند غزوه للسكيثيين سنة 514 ـ 513 ق. م؟.

حملة داتيس وأرتافرنيس على جزر بحر إيجة وأتيكة 490 ق. م:

عمل الفرس بعد عامين تقريباً من حملة ماردونيوس على مقدونية، على أن يرسلوا حملة أخرى بغية «تأديب أرترية وأثينة».

والمتتبع لسرد هيرودوتس وحوادث تاريخه، يرى بخصوص هذه الحملة وكأن داريوس (الأول) لم يكن له ما يشغل باله سوى معاقبة أرترية وأثينية؟.

(1) Herod., VI, 31 FF, 44 FF; Strabo, XIII, 5.91; Grote G, **OP. Cit.**, PP., 148 FF; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P., 159.

(2) KYPIAKIΣH B., **OP. Cit.**, P. 181; Langer L.W., (Compiled and Edited), **An Encyclopedia of World History, Ancient, Medieval and Modern Chronologically Arranged,** (Cambridge, 1960), P., 53.

إذ يورد [هيرودوتس] أن داريوس (الأول) رمى بسهمه في الهواء باتجاه السماء طالباً النجدة الإلهية لتساعده على الانتقام من الأثينيين.

«"Ω Ζευ 'Εκυενεσθαι μοι "Αθηναιους τι σαθαι...»

انصرم عام 491 ق. م في إعداد تجهيزات الجيش الذي أُريد به غزو أثينة وأرترية إذ - وذلك استناداً إلى الأرقام التي ذكرها هيرودوتس، كما تناولها بلوتارخوس وباوسانياس وكورنيلوس من بعده - كان جيشاً ضخماً جُمِع أسطوله من المدن الفينيقية ومصر وقبرص والمدن الأيونية بساحل غرب آسية الصغرى، كما جُمِع جنوده من مختلف أرجاء الأمبراطورية، وقد بلغ عدد العرب "Αραβες والليبيين "Αλβυς فيه 20،000 جندي حسب هيرودوتس[1].

عُهِدَ بقيادة هذا الحشد الهائل إلى كل من داتيس Δατις وأرتافرنيس "Αρταφερνης وتجمع في كليكية[2]، انضم إليه بعض الأفراد، أعضاء من أحزاب مطرودين من المدن الهللينية مثل هيبياس وديماراتس[3] Δημαρατος.

حاول داريوس (الأول) تفادي ما أصاب الحملة السابقة فعمل على إرسال هذه الحملة رأساً عبر بحر أيجة، وذلك بعد أن أرسل رُسله لجزر ومدن هذا البحر طالباً التراب والماء رمزي الخضوع له[4] «Την Τε Καυδωρ» سلمياً أو استعداداً أو تحذيراً لها ببدء الغزو، وقد طاعت معظم

---

(1) انظر تفصيل ذلك بالباب الثاني، الفصل الثالث، صفحة 291 وما بعدها.

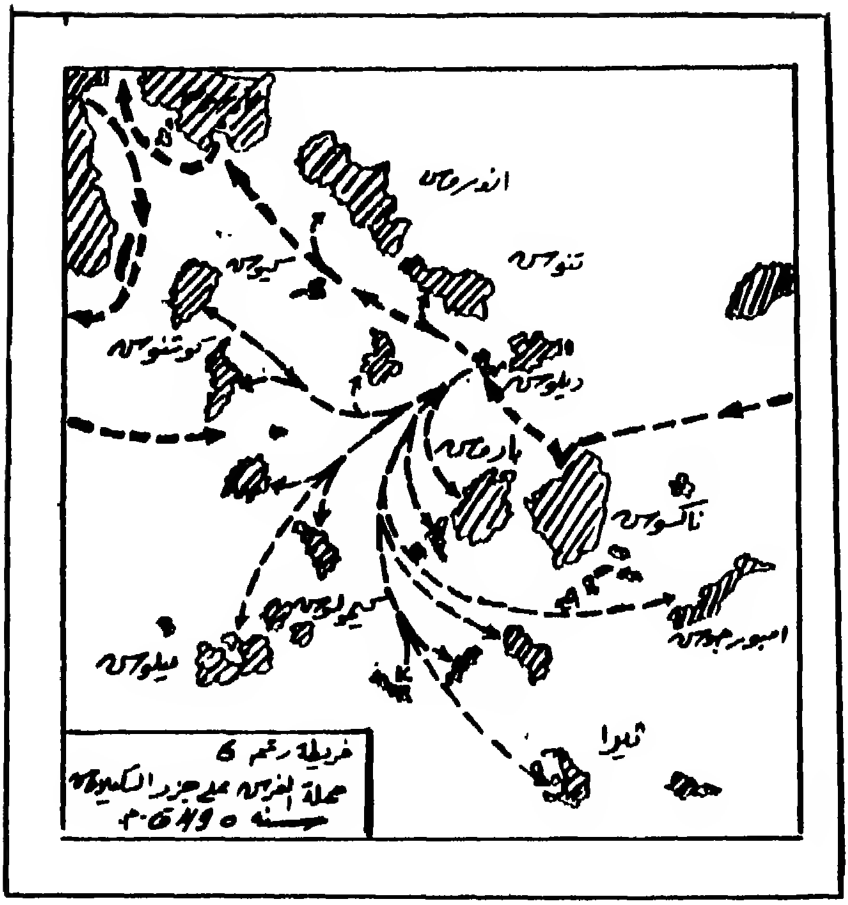
(2) Herod., VI, 94; VII, 74; ΚΥΡΙΑΙΔΗ Β., OP. Cit., P., 182.

(3) ديماراتس كان أحد ملوك أسبرطة ثم طُرد منها فلجأ إلى البلاط الفارسي، انظر عنه: -

Herod., VI, 48 FF, 61, 67, 70; VII, 3; Xen., Hell, III, 1.6; Chrimes K.M.T., **OP. Cit.**, PP., 137; Glotz G., **OP. Cit.**, P., 63; Bonnard A., **Greek Civilization From the Iliad to the Parthenon,** (London, Third impression, 1962), PP., 179 FF.

(4) Herod., VI, 48,50; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, P., 294; ΚΥΡΙΑΙΔΗ Β., **op. cit.**, p., 181.

خريطة رقم ـ 6 ـ



الجزر والمدن وأرسلت له ما طلب، وكان على رأس المدن الرافضة أسبرطة وأثينة.

سارت الحملة في وقت مبكر من صيف سنة 490 ق. م[1] من كليكية نحو الشمال وصلت ساموس ومنها سارت نحو الجنوب الغربي حيث عبرت بحر إيكاريان Ἰκαριου الى ناكسوس Ναξος التي فر بعض سكانها إلى الجبال، فاسترق الفرس الباقي منهم كما أُحرقت معابدها وبيوتها، وأُعلنت جزيرة خاضعة للفرس[2].

ثم سارت الحملة باتجاه ديلوس Δηλος حيث مقر الآلهة أبوللو "Απολλων" وأرتيميس "Αρτεμις" ولذلك لقيت هذه الجزيرة كل احترام وتبجيل من قبل قادة الحملة[3].

وبعد اجتياز بقية جزر السكلادس، التي أعلنت خضوعها للفرس، وصلوا ساحل جزيرة أوبئة Ἔυβοια 2 إذ حاولت التصدي لهم مدينة كارستوس Kapuetos الواقعة على الرأس الجنوبي للجزيرة[4] إلا أن مقاومتها انهارت أمام ضربات الفرس الأخمينيين الذين أصروا على إخضاع هذه المدينة، إذ أنها كانت على جانب كبير من الأهمية الاستراتيجية، وذلك

(1) Burn A.R., **OP. Cit.**, PP., 236 F;.
محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 280.

(2) وذلك عقاباً لها على مقاومتها لبعض سفن فارسية كانت قد حاولت حصارها بقيادة أرستاجوراس، دام أربعة أشهر خلال ثورة المدن الأيونية.

(3) لقد عُثر في السنوات الأخيرة بتلك الجزيرة على نقش باسم داريوس (الأول) منذور للإله أبوللو للمزيد عنه انظر: ـ

Highbaeger E.L., **"Theognis and the Persian Wars", Transactions of the American Philological Association,** L XVIII, (1937), PP., 103 FF; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, PP., 155 F.
ومن المصادر التي تحدثت عن وصول الفرس لتلك الجزيرة، انظر: ـ

Herod., VI, 95 FF; Pluta., apxoy, M.H., 36.

(4) Ι ΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ P., 308; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., **OP. Cit.**, P., 237.

لصلاحيتها كخليج طبيعي لاستقبال السفن الفارسية وبالتالي يكونوا [الفرس] في أوروبا على اتصال بقوادهم في آسية، فضلاً عن إنها قاعدة جيدة لشن الهجمات منها على أرترية وأثينة.

وبذلك أصبح الفرس على مقربة من أحد مقاصد حملتهم هذه.

اشتبك الفرس مع سكان أرترية في معارك يُذكر إنها كانت عنيفة خارج أسوار المدينة، ولكنها استسلمت بعد أسبوع من ذلك، ويرى هيرودوتس(1) إن خيانة رجالها لبعضهم كانت وراء ذلك الاستسلام.

وقد انتقم الفرس الأخمينيون لسارديس من هذه المدينة إذ أُشعلت النيران في بيوتها ومعابدها وفُرضت العبودية على سكانها الذين هُجِّروا للإقامة قرب سوسة(2).

بعد ذلك اتجه الفرس إلى أثينة، هدفهم الثاني وعوضاً عن الانتقال إليها مباشرة، قرروا الانتقال من أوبوئة "Oποιη إلى الشاطىء المقابل ونزلوا بالجيش عند سهل ماراثون Μαραθων.

كانت مدن بلاد الهللينيين في هذا الوقت أشبه في حياتها السياسية ببيت منقسم على ذاته، إذ أقوى مدينتين بها وهما أسبرطة وأثينة لم تكونا على وفاق مع بعضهما البعض إذا كانت أسبرطة ما تزال تشعر بالاستياء أزاء ما أبدته أثينة مؤخراً من روح العصيان والتمرد(3).

وفي حين رحبت تساليه Θεσσαλια بالفرس، انصرفت كورنثة Κορινθος للاهتمام بشؤون مستعمراتها وشؤون صناعتها وتجارتها.

أرجوس Αργος" كانت في حالة عِداء مع أسبرطة، أجينة Αγηναι"

(1) Herod., VI, 100.
(2) Ibid., 101 FF; Thuc., I. 18,1; Kte., Pers, XIII, Epit. 39; Pluta., Menex., 240; Burn A.R., OP. Cit., P., 238; Olmstead A.T., OP. Cit., PP., 160 FF; Hammond N.G.L., OP. Cit., P., 113.
(3) Herod., Vi, 5; Thuc, 11, 65; Paus, III, 4,3; Glotz G., OP. Cit., PP., 239 FF; Langer L.W., OP. Cit., P., 115.

كانت تتربص بأثينة الأمر الذي دفع بالأخيرة إلى التماس تدخل أسبرطة في الأمر لمنع انحيازها للفرس، وأثينة ذاتها كانت تمر بمرحلة من أحرج مراحل تاريخها السياسي، إذ كانت قد طردت هيبياس الذي يُمثل انهيار الحكم الديكتاتوري الفردي وعودة الحزب الديمقراطي، الذي تمثل في كليسثينيس Κλειοϑενης الذي أوجد إصلاحات دستورية[1]. رغم ما رافقها من نجاح يبدو أنها لم تقض على أنصار هيبياس، الذين كانوا في هذا الوقت يستخدمون ما حازوا من وسائل في سبيل إثارة الرأي العام ضد الديمقراطيين الأمر الذي يوحي بتآمرهم مع الفرس بتمهيد السبيل لهم قبيل الغزو.

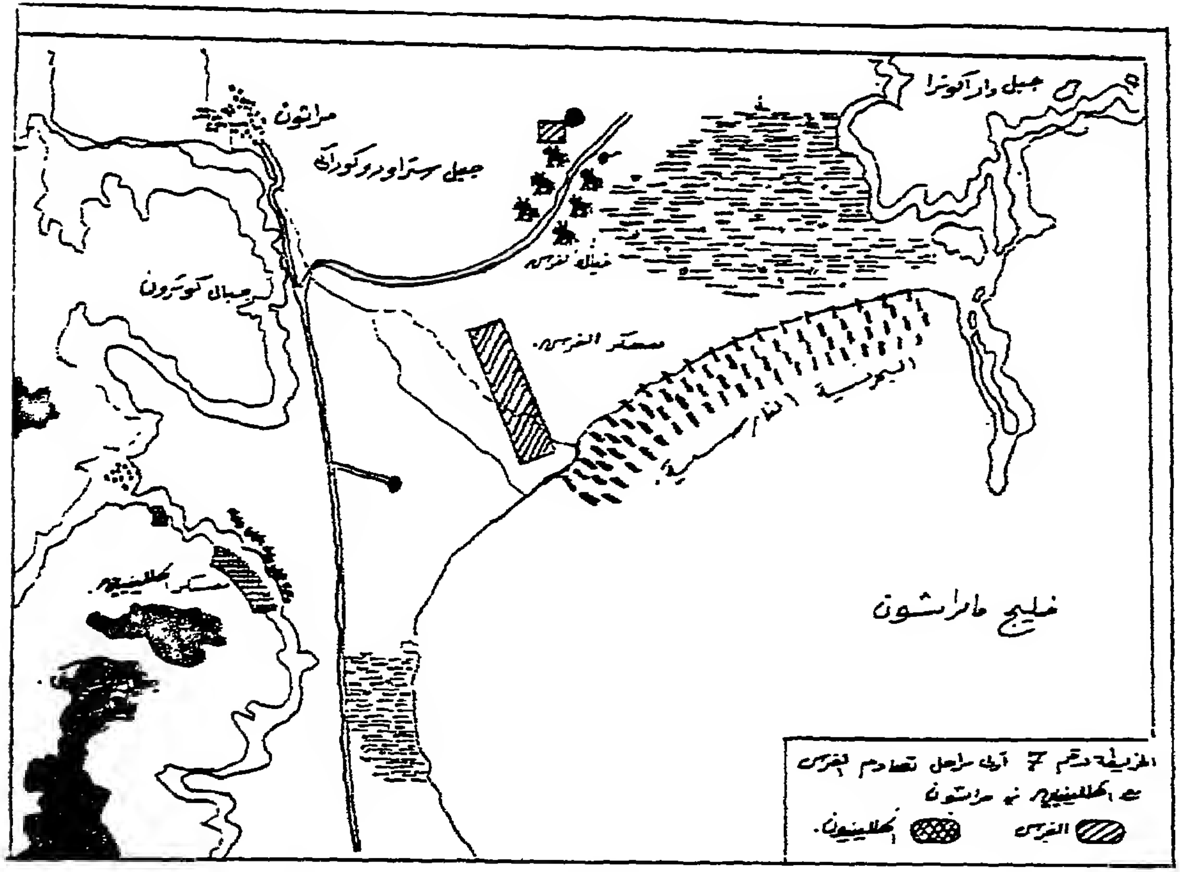
كان من دُعاة ضرورة مقاومة الفرس والتصدي لهم ثيمستوكليس[2] Θεμιστοκλνς الذي حاول إثارة حماسة الشعب، وتحريضه لمعارضة سياسة الحكومة تجاه قضية الغزو الفارسي المرتقب، وكان منهم أيضاً ملتياديس Μιλτιαδης زعيم الأرستقراطيين.

---

(1) ترأس كليسثينيس الجهاز التنفيذي في أثينة Αϑηναι فحاول معالجة النقص الذي ظهر في دستور سولون Σολον مما أوجد الطغاة فأعاد تقسيم المجتمع على أساس مكاني لا قبلي، مما قضى على التكتل الطبقي ورابطة الدم القديمة ليحل محلها عضوية الحي لتكون أساس المواطنة والحقوق السياسية، ولذلك ازداد عدد أعضاء مجلس الشورى من مائة من كل قبيلة من قبائل أثينة الأربع إلى خمسمائة عضو، خمسون من كل قبيلة من قبائله الجدد، بحيث يُقدم كل حي عدد يتناسب مع مساحته وعدد سكانه وأعطى بالإضافة إلى صلاحياته التشريعية صلاحيات إدارية.
ثم كان إصلاحه الذي لم يظهر أهميته إلا فيما بعد، وهو قانون النفي السياسي Οστρακισμος الذي تمكّن به الأثينيون، وذلك بجمع عدد معين من الأصوات، من نفي أي شخص لا ترغب المدينة في وجوده بها مهما كانت صفته وذلك لمدة محدودة من الزمن. للمزيد عنه انظر: ـ

ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, pp., 311 FF; BURYJj.B., op. cit., pp., 211 FF; ROTE G., op. cit., pp., 299 FF.

(2) ثيمستوكليس بن نتوكليس، أحد أبناء العامة، نال صفة مواطن أثيني استطاع بما يملك من موهبة وذكاء ونبوغ وخطابة أن يصل إلى منصب أرخون ARCHON ولم يتجاوز عمره الثلاثين عاماً، وانْتُخِبَ قائداً في الثانية والثلاثين من عمره.


مراثون
جبال كوتروني
معسكر الفرس
خيالة الفرس
معسكر الهلينيين
خليج ماراثون
الفرس
الهلينيون

خريطة رقم - 7 -

اجتمع المواطنون الأثينيون في سوق المدينة Αγορα" عقب نزول الفرس بسهل ماراثون، لمناقشة هذا الأمر الجلل، وقد تضاربت آراؤهم حول أنجح الوسائل للتصدي، ففريق رأى الانتظار ريثما يزحف الجيش الفارسي على المدينة للالتجاء إلى قلعة المدينة Ακροπολεις" في حين ارتأى الفريق الثاني منازلتهم حيثما حلوا، وإن اتفق الجميع على الإسراع في طلب نجدة أسبرطة[1].

«كان من حسن حظ أثينة أن وجِد هذا الرجل [ملتياديس] بين زعمائها في تلك الظروف»[2].

أسرع الجيش الأثيني البالغ تعداده عشرة الآف جندي، يُضاف إليهم ألف أرسلتهم بلاتية Πλατεα وسلك به القائد كاليماخوس[3] Καλλιμαχος طريقاً قصيرة رغم وعورتها إلى ماراثون للوصول إلى موقع استراتيجي لم يصل إليه الفرس الأخمينيون بعد، حيث نصب معسكره عند حصن قديم يُعرف باسم هيراكليثون يُشرف على جنود الفرس، دون أن يروه مما جعلهم في موضع يسيطرون به على الطريق المؤدي إلى مدينتهم أثينة.

من الخطوات الإيجابية، والمهمة ليس في تاريخ الحرب الفارسية الهللينية فحسب، بل وفي التاريخ السياسي لأثينة، إن قوّادها العشرة تخلوا

---

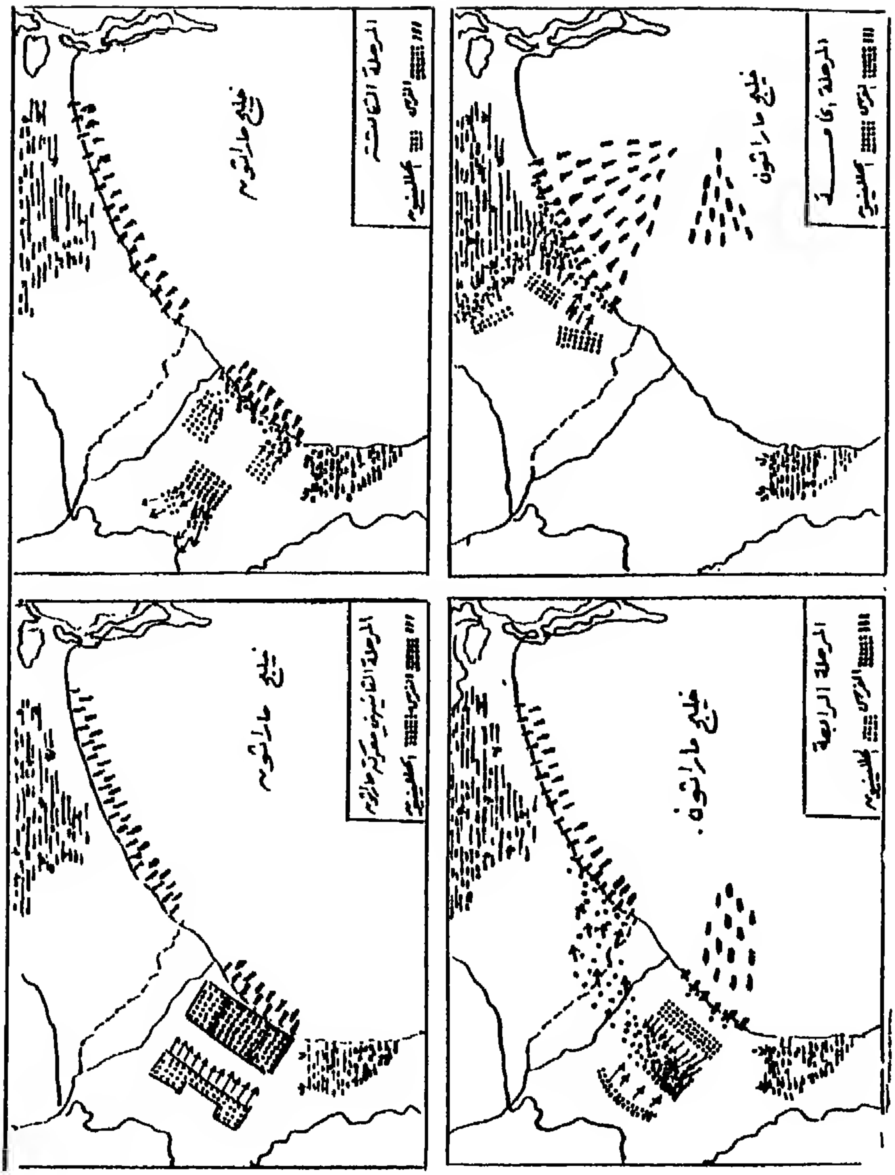
(1) أرسل مجلس الشعب في أثينة الرياضي فيدبيدس Φειδιππιδης المعروف بسرعة العدو إلى أسبرطة يُخبرها سرعة نجدة أثينة واستطاع هذا العدّاء قطع المسافة الفاصلة بين أثينة وأسبرطة ومقدارها يزيد على 220 كم في أقل من ثمان وأربعين ساعة، ثم عقب «انتصار» الأثينيين في ماراثون، نقل تلك البشرى إلى سكان المدينة، الأمر الذي أدى لإجهاده المتواصل فوقع عقب وصوله لأثينة مغشياً عليه وما لبث أن فارق الحياة.

للمزيد عنه انظر: ـ

Thuc., V, 54, 75, 76; Lioyd A., **OP. Cit.**, PP., 3 FF; Burn A.R., **OP. Cit.**, PP., 240 FF.

(2) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 283.

(3) كاليماخوس كان أرخون أثينة في تلك السنة.



عن حقهم في تولي قيادة الجيش بالتعاقب، وعهدوا بذلك إلى قائد واحد وهو ملتياديس[1].

كان من صالح الأثينيين أن يتأخر التحامهم بالفرس إذ كانوا يأملون خيراً من وراء رسولهم إلى أسبرطة لطلب نجدتها وعلى العكس من ذلك كان الفرس إذ أنهم بأرض معادية أولاً، ومجهولة بالنسبة لهم ثانياً، إضافة إلى بُعدهم عن مركزهم أو قاعدتهم الأساسية وصعوبة الحصول على الإمدادات، كما لا ننسى الظروف المُناخية المغايرة لما هو عليه في وطنهم وطبيعة تكوين جيوشهم التي جُمعت من أمم متباينة.

بعد انقضاء أسبوع على تلك الحال، وحالما راود أسماع قائدي الحملة الفارسية بواسطة عيونهم التي بثوها في صفوف الهلليين بأن النجدة الأسبرطية في الطريق إلى أثينة ونظراً لما لهذه المدينة من سمعة عسكرية جيدة، سارع الفرس بنقل جنودهم بغية الزحف على أثينة والإطباق على قلعتها «الأكروبولس» قبل وصول تلك النجدة.

ولما كان ملتياديس بجنوده في موضع يمكنه من مراقبة كل مجريات أوضاع الفرس فأنه سارع إلى حشد جنوده [1100] في الجناحين، حيث تمكن بذلك من الإطباق على الفرس الذين استدرجهم لقتال أصبحوا فيه بين فكي كماشة، وذلك صباح الثالث

---

(1) ملتياديس، هلليني من أهل أثينة، خرجت أسرته من البلاد فراراً من اضطهاد آل بيزاستراتوس واستطاع أن يُكوِّن ملكاً خاصاً في خرسوثيوس، وجعل من نفسه طاغية. رافق حملة داريوس (الأول) على بلاد السكيثيين لكنه بعد نشوب الثورة في المدن الأيونية انقلب على الفرس فاستولى على جزيرتي ليمنوس وأمبروس، ولكنه لم عِلم بقرب الأسطول الفارسي منه، هرب إلى تراكية ومنها إلى أثينة وقد ظلت تحوم حوله الظنون مدة من الزمن لميله للطغيان وعلاقته بالفرس حتى برأته المحكمة وأصبح من أبرز زعماء أثينة أثناء هذه الحملة، وتم انتخابه أحد القواد العشرة الذين يساعدون القائد العام، أنظر للمزيد عنه: ـ

Herod., VI, 33 - 41.

عشر من شهر سبتمبر [الفاتح] سنة 490 ق. م(1).

وبعد أن التحموا مع الفرس في قتال وجهاً لوجه، تذكر بعض المصادر أن الأثينيين تجنبوا التعرض لنبال الفرس المصيبة عن قُرب، كما أنهم بذلك أيضاً استطاعوا تعطيل قوة الفرس الفعالة وهي الخيّالة، إذ تم استدراجهم إلى جزء ضيق من ذلك السهل، دون اشتراك الفرسان في القتال، وهذه الخطة التي مكنت الأثينيين من صد الفرس يُعزى وضعها إلى ملتياديس(2).

يشك بعض الباحثين اليوم في إمكانية الحصول على النصر بتلك الكيفية، إذ يستنكر المؤرخ الألماني دلبروك Delbruck استطاعة الجنود الأثينيين النزول عن حصنهم حيث معسكرهم والإقبال عدواً عن مسافة ألف وخمسمائة متر، ثم الالتحام مباشرة في قتال وجه لوجه(3)، إذ أن تلك مسافة لا يُستهان بها على جندي مزود بعتاد ربما كان ثقيلاً، ثم ينقد هيرودوتس، في قوله إنما الأثينيون عملوا ذلك تجنباً للسهام الفارسية، فيرى أن تلك السهام غير مؤثرة في إصابتها إلا على بعد لا يزيد عن مئة متر(4).

وعليه فأن الهجوم الذي شنه الأثينيون على الفرس يكون قد وقع عقب محاولة هؤلاء الأخيرين الارتداد إلى الأسطول عند محاولتهم الإقلاع إلى ميناء أثينة ومن ثم يكون الفرس قد وقعوا في خطأ وهو عدم حماية مؤخرتهم.

وبالتالي أيضاً تكون قد نجحت الخطة التي وضعها ملتياديس وساهم الفرس في إنجاحها، الذين لجأوا إلى سفنهم التي أَسر منها الأثينيون سبع

---

(1) Herod., III, 2; VI, 108; IX, 28; Just, II, 9,9; Paus., I, 32, 36; Burn A.R., **OP. Cit.**, PP., 243 FF.

(2) Thuc., IV, 94, 95; Paus., I, 32, 3.

(3) ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, P., 296; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., **OP. Cit.**, P., 187; Hammond N.G.L., **OP. Cit.** P., 216;
محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 286.

(4) المرجع نفسه، ص 288.

سفن، كما وقع العديد من القتلى [1،400 فارسي - 192 أثيني](1).

أقلع الأسطول الفارسي بجنوده، إذ أراد القائدان أرتافرنيس وداتيس الهجوم على أثينة - التي كانت شبه خالية من رجالها - ولكن يبدو أن هذا الأمر لم يفت ملتياديس، الذي يذكر هيرودوتس(2) أنه لمَّ بقية جنوده وغادر ماراثون باتجاه أثينة التي وصلها حال رسو الأسطول الفارسي عند ميناء فاليرون Φαληρον.

ويستطرد هيرودوتس فيقول إن الفرس حال وصولهم ذلك الميناء، لاحظوا عودة الجيش الأثيني، فخافوا منازلته مرة ثانية؟! عادوا أدراجهم باتجاه آسية ذلك على الرغم من أنه [هيرودوتس] جرياً على عادته يذكر أن الفرس حينما أصبحوا في عرض البحر وهم في طريقهم إلى أثينة لمحوا درعاً يلمع في الشمس من على أحد القمم الجبلية، وتلك كانت إشارة من أنصار هيبياس بالمدينة باستعدادهم لفتح أبواب المدينة لهم حال وصولهم إليها(3)، الأمر الذي يوحي أو يثير تساؤلاً ملحاً وهو لماذا يتراجع الفرس عن هدف ما جاؤوا من أجله، خاصة وأن، حسب هيرودوتس هناك أعوان لهم بالداخل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا خوف من عردة الأثينيين الذين كانوا قد خرجوا لتوهم من معركة حامية الوطيس مع الفرس في ماراثون ثم ساروا مدة ثماني ساعات تقريباً سيراً على الأقدام حاملين عتادهم، فأي جهد أو قوة لديهم للتصدي؟.

ولكن ما درج المؤرخون عليه هو إن الحملة الفارسية الأولى ضد بلاد الهلليين قد انتهت بهزيمة ساحقة مُني بها الجيش الفارسي(4).

(1) Olmstead A.T., **OP. Cit.,** PP., 160 FF; Bury and Meiggs R., **OP. Cit., P.,** 216; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β **OP. Cit.,** P., 189.

(2) Herod., VI, 101 FF; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., **OP. Cit.,** P., 187.

(3) Burn A.R., **OP. Cit.,** P., 251.

(4) Bury J.B. and Meiggs R., **OP. Cit.,** PP., 161 FF; Hammond N.G.L., **OP. Cit.,** PP., 217 FF; Benjamin S.G.W., **OP. Cit.,** P. 105.

وهذا أمر مشكوك فيه، إذ أن الحملة قد انتهت بدون خسارة أو كسب على الأقل من الناحية العسكرية، وبتحديد أكثر على الصعيد الفارسي الأخميني، فالفرس أرادوا تأديب أرترية وأثينة على قحتهما بتدخلهما في شؤون مدن تقع تحت سيطرة الفرس، وهم فعلوا ذلك، على الأقل بصورة واضحة في أرترية، وتراجعهم المفاجىء عن أثينة، حسب رأي هيرودوتس، يجب البحث عن أسباب أخرى له، إذ أن سقوط ألف وأربعمائة جندي، رقم لا يُعتد به في كتائب جرَّارة قادرة على التجدد باستمرار ثم أن المصادر المادية اللاحقة[1]، والتي تُحيط الأثينيين بهالة عظيمة من الشجاعة وحُسن التصرف والتدبير، لا يمكن الركون إليها تماماً، إذ أنها جُسِّدت في تاريخ لاحق لتلك الأحداث.

كان لهذه الحملة أثاراً على الجانبين، وإن كانت عند الفرس أقل وضوحاً منها عند الهللينيين، الذين بتمكنهم من الوقوف في وجه التمثال الفارسي الهائل في ميدان مكشوف قد تعززت ثقتهم في أنفسهم وبأنظمتهم خاصة الديموقراطية، إذ أن استعانة داريوس (الأول) بهيباس الذي رافق الحملة، وهو الطاغية الذي لا زالت ذكرى أفعاله عالقة أو ماثلة للأثينيين، قد جاء بعكس ما كان يُرجى من عملية إرفاقه بالحملة إذ تأهب الأثينيون لدفع الخطر الفارسي القادم لإعادة الطغاة المتمثل في هيباس وما يمثله من مساوىء.

وهنا أيضاً يتضح مدى إغفال الفرس الأخمينيين وإساءة تقديرهم لمدى استعداد الأثينيين لأن يتغاضوا عن خلافاتهم في سبيل توحيد الصفوف ضد خطر الطغاة.

من جهة أخرى تأكد تعزيز ثقة الأثينيين في أنفسهم بتقاعس أسبرطة عن نجدتهم إذ تحججت عندما وصلها رسول أثينة، بانشغالها في مناسبة دينية

(1) انظر تفصيل ذلك بالصفحة التالية من هذا البحث.

[عيد كارينا] يمنعها من مباشرة أي عمل عسكري قبل اكتمال البدر وهو الأمر الذي تم بعد عدة أيام حيث كانت معركة ماراثون قد انتهت، وحينما وصل جنودها ميدان المعركة لم يسعهم إلا إكبار نجاح أثينة[1].

استرسل الهللينيون، خاصة الأثينيون فيما بعد في تمجيد هذه الحادثة، التي صوروها على أنها نصر ساحق حققه الهللينيون على الفرس، وبدأوا ذلك بإقامة نُصب تذكارية بساحة القتال نُقش عليها أسماء الصرعى الهللينيين، الذين سُجِّلوا حسب القبائل التي أرسلتهم وأسماء القادة الذين سقطوا في هذه المعركة، كما أقاموا «مسلة» مليتياديس جالب النصر[2]، ثم جسدوا هذه الحوادث بالنحت البارز bas-reliefs على ثلاث أفاريز، بسوق [أجورا] مدينة أثينة بعد قرن من الزمان من هذه الحوادث ففي الأفريز الأول صُور المقاتلين الأثينيين والبلاتئيين وهم يهاجمون جنود الفرس وفي الأفريز الثاني تم تصوير الفرس منهزمين، يدفع بعضهم بعضاً إلى المستنقع[3].

بينما يُصور الثالث السفن الفينيقية والأثينيين يقومون بذبح من يلجأ إليها من جنود الفرس الأخمينيين.

ومن الشخصيات التي ظهرت بهذه النحوت هناك كاليماخوس Καλλιμαχος وملتياديس، ومن الشخصيات الفارسية داتيس وأرتافرنيس وغيرهم، ذلك إضافة إلى العديد من المناظر الأسطورية[4].

كما جسَّد الفنانون بالرسم على الفخار هذه الواقعة على أوانيهم

(1) Herod., VI, 120; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, PP., 306 FF, ΚΥΡΙΑΚΙΔΙΣ B., OP. Cit., P., 183; Burn A.R., OP. Cit., P., 253.

(2) ΚΥΡΙΑΚΙΔΙΣ B., OP. Cit., P., 189; Bury J.B., OP. Cit., P., 255; Bury J.B and Meiggs R., OP. Cit., PP., 160 FF.

(3) يُقصد بالمستنقع ذلك الذي يقع في القسم الجنوبي من وادي خارادارة الواقع في سهل ماراثون.

(4) Beazleg J.D. and Ashmole B., **Greek Sculpture and painting to the end of the Hellenistic Period,** (Cambridge, 1966), PP., 43 FF, Figs 95, 98 FF; Furtwangler A., **Masterpieces of Greek Sculpture,** (Chicago, 1964), PP., 47 FF.

الفخارية بنفس الكيفية تقريباً، إذ عُثر على آنية نوع أمفورا Amphora رُسم عليها داريوس (الأول) وسط مجموعة أشخاص [كبار مستشاريه] إذ يظهر وهو يُشير لمسألة إعداد الحملة لغَزو بلاد الهللينيين، ويُرى أسفل بطن الآنية الموظف المسؤول عن الخزينة، يجمع الضرائب لذات الغرض وقد بدت في أعلى الآنية من اليسار الآلهة حماة الهللينيين، وفي اليمين صورة امرأة جالسة تُمثل آسية تقودها الآلهة أبات Apate ربة الخداع(1).

ويبدو أن الإشادة بهذا الأمر استمر حتى العصر الحالي، إذ تقرر سنة 1896 م إدخال سباق الجري [العدو] الذي عُرف بسباق ماراثون ضمن ألعاب الدورة الأوليمبية(2).

ويتمثل أهم آثار هذه الحملة على الصعيد الفارسي، إضافة للجهد المبذول في غير برامج إصلاحية، وإهدار مقدارات بشرية ومادية في غير نواحي إيجابية، فأنها صرفت اهتمام القيادة إلى تلك النواحي، من حدود الامبراطورية والتراخي عن بعضها الآخر، إذ استغلت بابل ومصر هذه الظروف وقامتا بثورة، يُعتقد بأن زُعمائها في مصر كانوا لوبيون، وقُدِّر لها ألا تخمد إلا في عهد أكسركسيس (الأول) خليفة داريوس (الأول) وابنه(3).

ولكن ومع ذلك فأن الفرس الأخمينيين بالرغم من انتهائهم إلى تلك

(1) KYPIAKIΔΑΙΣ B., OP. Cit., P., 196; Bury J.B., OP. Cit., P., 256; Cotterill H.B., **Ancient Greek,** (London, 1922, Second Edition), P., 236.

هذا ومن الجدير بالذكر أيضاً، أن تاريخ هذه الآنية المعروفة باسم داريوس فاز يرجع إلى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، وهي من الطراز الإغريقي، وتُحفظ الآن بأحد متاحف نابولي، وقد قام بمراجعتها ودراسة نقوشها الدكتور أحمد السمان، والأستاذ فؤاد أبو النجا عضوي هيئة التدريس بقسم الدراسات التاريخية والأثرية بجامعة قاريونس ـ كلية الآداب، كما قامت بذلك أيضاً الباحثة الإنجليزية جويس رينولدز خلال زيارتها لمدينة شحات سنة 1988 م.

(2) KYPIAKIΔΑΙΣ B., OP. Cit., P., 189; Burn A.R., OP. Cit., P. 253.

(3) راجع ما سبق ذكره بالفصل الأول، الباب الأول، ص 53.

النتيجة [إرتدادهم عن أثينة، وثورة عليهم في مصر وبابل] استمروا في حكم تلك الامبراطورية التي ترامت أطرافها، بل تمكنوا من إعادة سيطرتهم على من حاول الخروج عن طوعهم وبإصرار.

حملة أكسركسيس (الأول): 479 - 480 Εκστρατεια [Ι]ερςη

لم يكن من المنتظر أن يحتمل الفرس عار الهزيمة التي أصابتهم في ماراثون وأن يتخلوا عن أخذ الثأر لتلك الهزيمة ولساردیس من أثينة التي لم يُصيبها أذى من الحملة الأولى.

وعلى الرغم من عدم وجود معاهدة أو اتفاق يفصل بين الحملتين مدة عشر سنوات إلا أن المؤرخين المحدثين اصطلحوا تسمية حملة أكسركسيس (الأول) بالحرب الميدية الثانية(1).

أرجأ الفرس عن بدء غزوة أكسركسيس (الأول) لبلاد الهللينيين، ثورة مصر عليهم التي يُذكر إنها قامت انعكاساً لهزيمة الفرس في ماراثون(2)، كما يُعتقد بأن زعمائها لوبيون، أو أنها قامت بتحريض من الهللينيين مستوطني نيوكراتس(3)، واستمرت حتى العام الثاني من حكم أكسركسيس (الأول)، ثم وفاة داريوس (الأول) وما تبع ذلك من إجراءات إضافة إلى ثورة قام بها بيل شماني في بابل سنة 482 ق(4). إضافة إلى عملية إعداد الجيش الذي عُنِيَ به أكسركسيس (الأول) كثيراً.

---

(1) تمييزاً لها عن الحرب الميدية الأولى [حملة داتيس وأرتافرنيس].

(2) Herod., VII, 7; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥ2Σ, PP, 294 FF, Burn A.R. OP. Cit., P., 286; Olmstead A.T., OP. Cit., PP., 230 FF.

(3) وهذا أمر مشكوك فيه لعدم ثبوت ذلك أولاً، ثم لانصراف أولئك المستوطنين الهللينيين لأمور التجارة دون غيرها وعدم ورودهم في أي أحداث سابقة أو لاحقة فيما يتعلق بالعلاقة بين المصريين والفرس.

(4) Herod., I, 183; Arr., VII, 17; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 236

خلال فترة العشر سنوات الفاصلة بين الحملتين، حدثت أمور عدة ببلاد الهللينيين على الصعيد السياسي، ففي أثينة حدثت تبدلات مهمة في دستورها(1)، فقد ظلت الصراعات الحزبية مستمرة إذ أن رؤساء الحزب الديمقراطي لم يتغاضوا تماماً عن ماضي ملتياديس إذ أنهم بعد حملة فاشلة قام بها [ملتيادس] على جزيرة باروس Παρος حاكموه بسبب إهدار ممتلكات الأثينيين وحُكم عليه بغرامة فادحة(2).

ثم أخذ الحزب الديمقراطي يسيطر على مجريات أمور أثينة، وبرز من بين رجاله السياسي ثيمستوكليس Θεμιστοκλης «أعظم رجل دولة قيادة أثينة السياسية والعسكرية في أخطر دور في تاريخها»(3) فمن الأمور التي أولاها هذا القائد الأثيني عنايته في أثينة إصراره على ضرورة

(1) كان كليثينيس قد وضع دستوراً عدّل به دستور سولون، وتمثل إصلاح كليثينيس في إعادة تقسيم الأثينيين إلى أربع قبائل كل منها ثلاثة أثلاث، مربوطة بالمكان وليس بالقرابة، وجعل عضوية المكان أساس حقوق المواطنة والحقوق السياسية المتعلقة بها، وعلى ذلك زاد عدد أعضاء مجلس الشورى من أربعمائة عضو إلى خمسمائة، خمسين عن كل قبيلة، عضويتهم لسنة واحدة فقط، إضافة لإيجاده قانون النفي السياسي. والتعديل الذي حدث هو على طريقة انتقاء الحكام [الأرخون] بحيث يكون بالقرعة من بين الخمسمائة أعضاء مجلس الشورى، كما أصبح اختيار القادة العسكريين العشرة يتم بواسطة الشعب عوضاً عن أن تختار كل قبيلة قائداً، زد على ذلك تغيير نظام القيادة في حالة النفير والحروب، بأن يحدد رئيساً واحداً عند إرسال أي حملة عسكرية أو حدوث أي تعبئة، أنظر للمزيد: ـ

Thuc., I, 93.3; Paus., I, 1,2; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, PP., 272 FF.

أرسطاطاليس، المرجع السابق، ص ص 82 وما بعدها، لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ص 312 وما بعدها، وراجع أيضاً ما سبق ذكره بالصفحة رقم 88 هامش (2) بهذا الفصل.

(2) بلغت تلك الغرامة خمسون تالنت، ظل إبنه يسددها بعد أبيه الذي توفى بعد هذا بقليل.

(3) هناك ترجمة كاملة لحياة هذا السياسي قام بها توكيديدس.

إيجاد أسطول بحري أثيني.

وإذ كان البعض يعتقد بأنه أراد ذلك لتكون أثينة على استعداد لملاقاة الفرس الذين لا بد أنهم قادمون لغسل عار هزيمتهم في ماراثون، فإن هناك أسباباً أخرى تضافرت مع تلك النظرة المستقبلية وهي بما أن بلاد الهللينيين فقيرة من ناحية الأراضي الزراعية وبما أن حاجات الشعب الأثيني زادت بزيادة عدده وبتقدمه في بعض النواحي، بحيث ما كان كمالياً بالأمس أصبح ضرورياً اليوم، خاصة في مجال الغذاء الذي يتمثل في الحبوب والتي كان يُسد نقصها باستيرادها، بالتجارة عن طريق البحر الأسود ومدن سواحل آسية الغربية، والتي وقعت منذ فترة تحت سيطرة الفرس فجالت في تلك الأنحاء الأساطيل الفينيقية الأمر الذي أدّى بالمدن الهللينية إلى غزوها لبعضها البعض، بحثاً عن الغذاء، وإن تسترت وراء أهداف وحجج سياسية، كما في الحروب بين أثينة وأجينة، استطاعت في نهايتها أثينة إخضاع الثانية، ولكن لعدم امتلاكها [أثينة] أسطولاً بحرياً قوياً لم تستثمر تلك السيطرة مما يؤكد القول بأن نية أثينة من وراء إيجاد الأسطول كانت التجارة أولاً، ثم الحرب بعد ذلك، خاصة في علاقتها مع جيرانها من المدن الهللينية الأخرى شروعها [أثينة] في إصلاح مرفأ بيرثيوس قبل حملة داتيس وأرتافرنيس سنة 490 ق. م ثم مواصلتها ذلك العمل الذي توقف إبان الاجتياح الفارسي الأخميني.

في هذا الخصوص أيضاً، خصوص البحث عن مصادر غذاء يمكن تصنيف لجوء ثيمستوكليس إلى تحسين علاقته بالمدن الهللينية بغرب البحر المتوسط، خاصة بهيرون Ιερων" طاغية سيراكوزة Συρακουσαι وذلك على الرغم من مناوءة أثينة لمثل النظام السياسي الذي كان عليه ذلك الحاكم[1].

(1) أنظر تفصيل ذلك فيما سيأتي بالصفحة 113 وما بعدها من هذا الفصل.

وصادف إبان تحريض ثيمستوكليس للحكومة الأثينية بضرورة إيجاد أسطول أن أُكتشفت عروق جديدة للفضة بجبل لوريون Λαυρειον قرب سيونيون Sounion باتيكة[1] "Αττικη" والتي استثمرتها الحكومة على نطاق واسع فاستطاع ثيمستوكليس أن يُقنع مواطنيه والحكومة التي كان من أشد معارضي برنامجه فيها أرستيديس[2] "Αριστειδης" بأن ينفقوا هذه الأموال في إعداد وبناء أسطول بحري أثيني، حديث قوي، وهو الأمر الذي تم خلال عامي 482 ـ 481 ق. م إذ أضحت أثينة تمتلك مائتين سفينة من ذوات الصفوف الثلاثة من المجدفين.

في العام 480 ق. م أصبح ثيمستوكليس رئيساً للحكومة بوصفه قائداً عاماً Atrotegas Autocarator، ومن هنا يُقال «لقد أتاح تأخر الفرس لأثينة فرصة نادرة لا تُقدر، إذ استطاعت أن تأخذ أهبتها للأمر»[3].

في تلك الأثناء كانت أسبرطة، في الفترة ما بين الحملتين منكفئة على ذاتها في مشاكل داخلية منها عداءها مع جارتها أرجوس "Αργος" ثم مشاكلها مع العبيد[4].

وإن كانت رغم ذلك تنظر للأحداث بعين الحذر، إذ عندما أدركت نية أكسركسيس (الأول) في غزو بلاد الهللينيين، اجتمعت وأثينة لإتخاذ التدابير تجاه هذا التهديد فأرسلت الرسل تطلب المدن الهللينية لحضور اجتماع بذلك الخصوص.

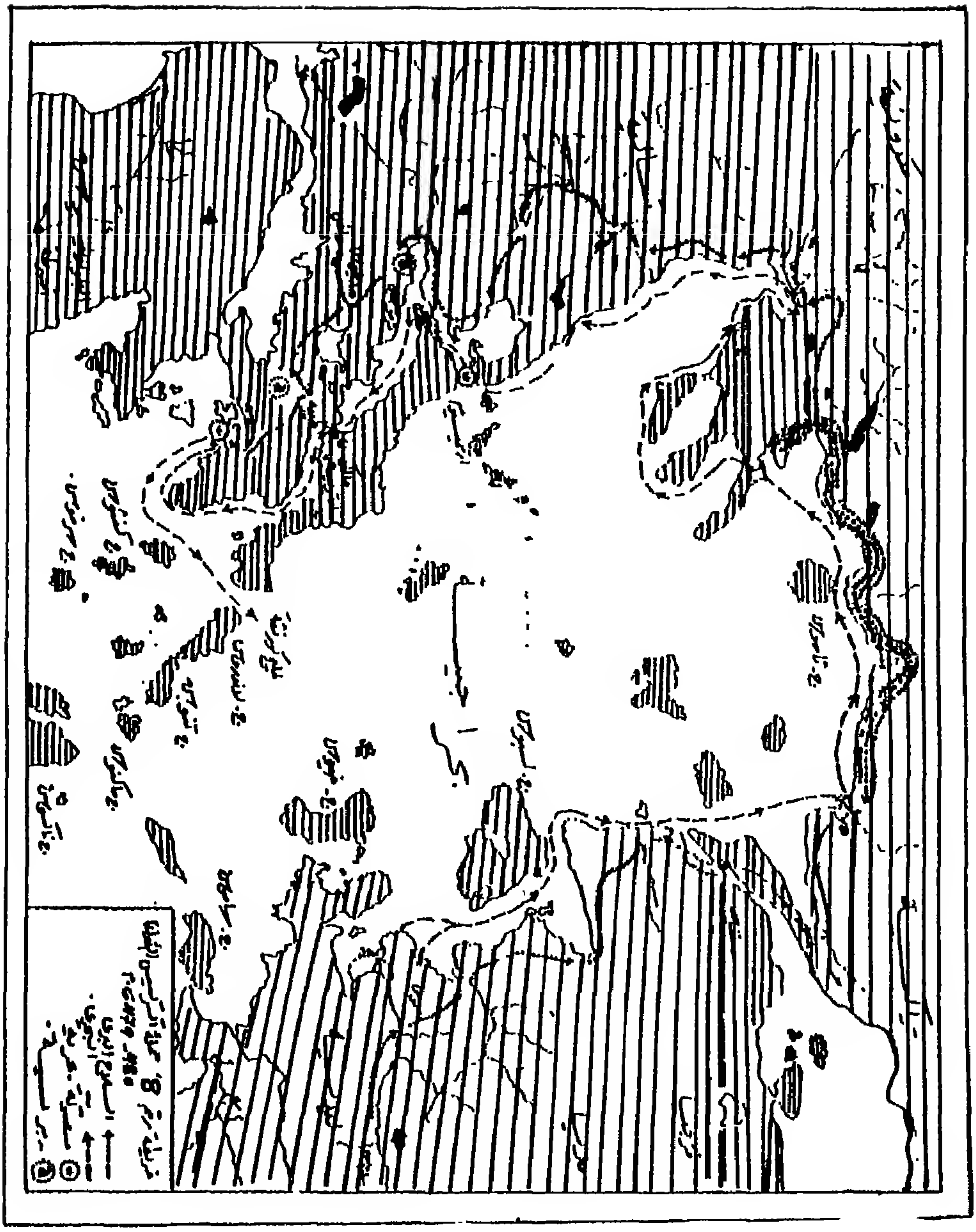
---

(1) Herod., VII, 144, 145; Pluta., Them, 4; Thuc., I, Broneer O., "Themisthokles", Hesperia, VII, (1937), PP., 228 FF; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, P., 342.

(2) وذلك استناداً إلى قانون كان قد تقدم به كلسثينيس إلى الأكليزيا Ecclesia يُعطي بموجبه بعض الامتيازات للحزب الديمقراطي الذي أراد أن يجند منهم البحارة اللازمين للأسطول فعارضه أرستيدس خشية أن تزداد أهمية هذه الطبقة.

(3) سيرجون .أ. هامرتن، المرجع السابق، ص 411.

(4) Herod., IX, 9; Pluta., Them, 6; Chrimes K.M.T., OP. Cit., PP., 348 FF.



خريطة رقم ٨

وقد اتفقت إحدى وثلاثون مدينة منهن على القيام بواجب الدفاع المشترك، وبتحديد عدد المقاتلين الذين ينبغي أن تُرسلهم كل مدينة، ومُهمة كل منهم[1].

ويُبرر اشتراك أسبرطة في اتخاذ تلك التدابير، إضافة لما ذكره المؤرخون[2] بأنها أُحرجت في مؤتمر كورنثة، فقبلت بإرسال جيش منها إلى ثرموبيلي Θερμοπυλες إضافة لذلك يمكن القول بأنها كانت تخشى إن وقعت أثينة تحت السيطرة الفارسية الأخمينية فقدان مكانتها المميزة بين المدن الهللينية، كما أن ولا بد أن هذا الجار الذي سوف يحل [الفرس] والذي لا شك في أنه سيكون ثقيلاً، سيُملي عليها إتباع سياسة مُعينة قد لا تكون على استعداد لقبولها، ومن جهة أخرى إن هي تخلت عن أثينة في هذا الظرف فإن هذه الأخيرة إن كُتب لها الفوز في صد الفرس وحدها فأن أوضاعها ستتغير بلا شك، وهذا ما بدأت طلائعه تظهر بعد معركة ماراثون، الأمر الذي سيُقلل دون ريب من مكانة ووضع أسبرطة بين المدن الهللينية.

ولما كانت تلك المدن عارفة، وخاصة أثينة بما في نفس أسبرطة فأنها سُلِّمت القيادة على فرعي الجيش البري والبحري، إذ تولى قيادة الأول الملك ليونيداس Λεωνιδας والثاني أوربياديس[3] Ευριπιδης وإن ظلت عملياته

---

(1) عُرف ذلك بالحلف الهلليني أو اجتماع كورنثة، وقد تخلفت عنه، إضافة إلى مدن أخرى، المستوطنة الهللينية في قوريني، وذلك لأسباب سيتم إيضاحها في الباب الثاني الفصل الأول الصفحة 233، 298 وما بعدها من هذا البحث.

(2) ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, P., 346.

(3) يقوم الدستور الأسبرطي، الذي يُنسب إلى شخصية تحمل اسم ليكورجوس Lykourgos يقوم على أربعة أسس، أولها جهاز دستوري، ثم مجلس للشيوخ، ثم مجلس شعبي، وعدد من المشرفين وهذا النظام يمثل استثناء في نظم المدن الهللينية، وظلت أسبرطة محافظة عليه حتى وقت متأخر من تاريخها.
ويقوم على رأس الجهاز الدستوري ملكان، كل منهما رقيب على الآخر، ومن ثم مقيداً لسلطته، للمزيد انظر: ـ =

تدار وفق تخطيط أثيني.

وعلى الرغم من ذلك فأن بعض المدن ظل جانبها غير مأموناً(1).

لم يتوان الفرس الأخمينيون من جانبهم عن اتخاذ كافة الأساليب والتدابير عند إعدادهم لحملتهم هذه والتي أُريد لها أن تكون برية وبحرية في ذات الوقت ليتضافر السلاحان، ويضمن بالتالي تموين الأول، وذلك تفادياً للخطأ الذي وقعت فيه حملة داريوس (الأول) سنة 490 ق. م وهو الأمر الذي يؤكد من جهة أخرى ما سبق وإن قيل عن سبب تراجع الفرس الأخمينيين عن أثينة.

خرجت الحملة التي جُمعت عناصرها من خمس وأربعين أمة، من سوسة بتاريخ العاشر من شهر أبريل [الطير] سنة 481 ق. م(2)، وهي تضم أكبر قوى أمكن جمعها حتى ذلك الوقت لدرجة أن خلت آسية من رجالها كما يقول أسخليوس Αεσχηλεος.

وصلت [الحملة] كارتاليا Kritalla في كبادوكية Καππαδοκια ومنها سارت في فصل الخريف إلى ليدية حيث أمضت فصل الشتاء.

من التدابير التي اتخذت استعداداً لانتقال هذا الحشد الهائل، الذي تُقدره بعض الأبحاث بملايين الجنود(3) إلى بلاد الهللينيين إقامة مراكز للتخزين في نقاط عدة على الطرق التي سوف يسلكها الجيش حتى مقدونية،

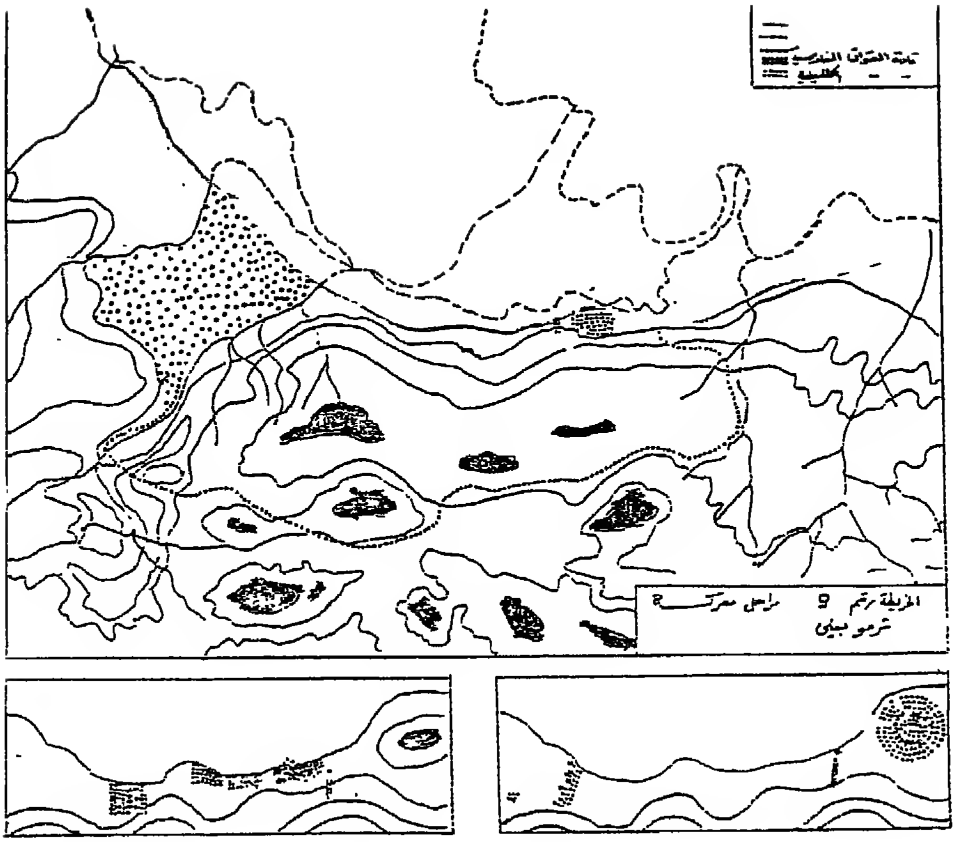
= Herod., I, 65, 147; Xen., Lakedaimonion Politeia, VI,, 51; Aristot., Politika II; Chrimes K.M.T., OP. Cit., PP., 321 FF;
لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ص 140 وما بعدها.

(1) إذ كان الأرستقراطيون الحاكمون في طيبة وتسالية على اتفاق مع الفرس، كذلك كانت آرجوس وآخائية، كما امتنعت كريت عن المشاركة بحجة أن نبوءة دلفي حذَّرتها من الحرب.

(2) Herod., VII, 37; Burn A.R., OP. Cit., P., 312.
وهذا ما أكدته أيضاً دراسة فلكية حديثة لكسوف حدث للشمس في ذلك الوقت.

(3) ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, P., 318.

الخريطة رقم ـ 9 ـ



ثم إقامة جسر مزدوج في مضيق الهللسبونتوس[1] كما حُفرت قناة عند برزخ أكتي "Ακτη" تجنباً لكارثة أخرى في آثوس "Αθως".

كانت الخطة الفارسية، كما اتضح فيما بعد، ترمي إلى عزل أقليم أتيكة، وربما شبه جزيرة البلوبونيسيوس عما جاورهما، وضرب أهم مدينتين به، وهما أثينة وأسبرطة، الأولى عقاباً لها على ما أنزلته بالفرس في ماراثون، وقبل ذلك مساندتها ثوار المدن الأيونية في آسية وإحراقهم سارديس، والثانية لإرغامها على التخلي عن مساندة أثينة.

بعد تضارب الآراء بين الزعماء الهللينيين في تحديد أصلح مكان يمكن مقابلة الفرس فيه وهي الآراء التي يبدو فيها ترجيح المصالح الخاصة دون سواها[2]، وبعد أن فشلوا في صد الفرس عند ممر ثيمبي Θημπη تم اختيار ثرموبيلي Θερμοπυλες وهو ممر ضيق يُعتبر المنفذ الوحيد إلى كل بلاد الهللينيين الشرقية الواقعة إلى الجنوب من جبل أوتة.

والميزة الأخرى التي تحققت للهلينيين باختيارهم لهذا الموقع، أنه كان يمنع الفرس من استخدام سلاح الفرسان والمركبات، وهما الأمران اللذان يفتقدهما الأثينيون على الأقل، كما أنه يقلل من فرصة استخدام كل السلاح البحري الفارسي لضيق الموقع، إضافة إلى أن هناك حائطاً قديماً رفعه سكان

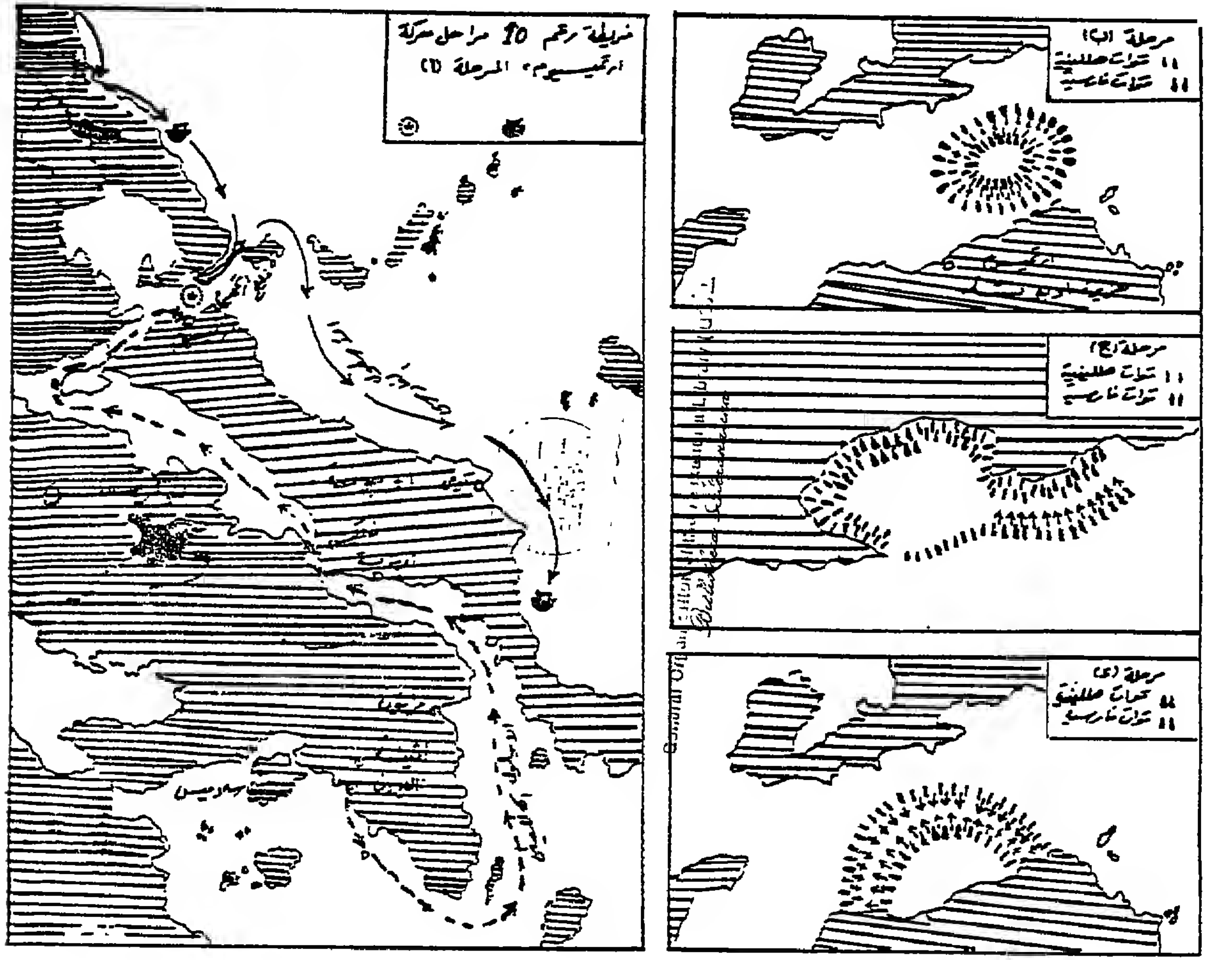
---

(1) أقيم الجسر في أضيق مكان، وهو الواقع بين سستوس وأبيدوس، وقد أقيم الجسر الأول بواسطة الفينيقيين والمصريين وعندما حطمته الزوابع قبل مرور الحملة عبره، قام بتجديده المهندس هاربالوس من ساموس.

تمثل الجسر الأخير في ربط صفين متوازيين من السفن ببعضها، بعد أن ألقيت مراسيها محكمة ومُدت فوقها الأخشاب والرمال وغُطيت بالطين والأغصان كما أُقيمت على جوانبها حواجز خشبية عالية، حماية لها من الرياح، وحِفاظاً على الحيوانات المرافقة للحملة عند عبورها وعدم خشيتها لمنظر البحر، للمزيد انظر: ـ

Herod., I, 36 FF; Burn A.R., OP. Cit., PP., 319 FF.

(2) إذ رأت أثينة أن أفضل مكان هو جبال ستيرون، مما يعني حماية أتيكة دون سواها في حين قالت أسبرطة برزخ كورنثة، مما يعني حماية شبه جزيرة البلوبونيسيوس دون غيرها.


خريطة رقم 10 مراحل معركة
ارتميسيوم، المرحلة (أ)
مرحلة (ب)
قوات هللينية
قوات فارسية
مرحلة (ج)
قوات هللينية
قوات فارسية
مرحلة (د)
قوات هللينية
قوات فارسية

خريطة رقم - 10 -

فوكية Φωκαια في الوسط حماية لأنفسهم من غارات جيرانهم، زيادة على أن قصر المسافة بين رأس أرتميسيوم[1] Αρτεμισιον « حيث مكن الأسطول الهلليني وثرموبيلي، من شأنه أن يُسهل التعاون المستمر بين الأسطول البحري والجيش البري.

ولذا عندما تناوش الفرس الأخمينيون بالهللينيين، الذين كانوا حوالي 1،400 رجل، تحت قيادة لونيدس، تمكن هؤلاء من صد الفرس ومنعهم من دخول الأقليم لمدة ثلاث أيام، إذ تمكنت بعدها فصيلة من المغيرين الإحاطة بمؤخرة أو ظهر ذلك الملك ورجاله[2]، ويذكر هيرودوتس بأن الملك الأسبرطي حالما رأى ذلك سرَّح الجنود المرافقين له باستثناء الأسبرطيين، وهو يرى [هيرودوتس] أن ذلك كان لإدراك هذا الملك هلاكهم لا محالة في حال اشتباكهم مع الفرس، ولذا أبقى على حياتهم بتسريحهم في حين ظل الأسبراطيون مرابطين، لأن قوانينهم تمنعهم من ذلك[3].

يشك بعض الباحثين اليوم في هذا، إذ إن ليونيدس، إنما أخذ ذلك الإجراء إلا بهدف ملاقاة الفرقة التي اخترقت الممر، ويستدل على ذلك بأنه حالما ابتعد هؤلاء عن ليونيدس لاذوا بالفرار[4].

ثم اشتبك هذا الملك، ومَنْ بقي معه من الجنود، مع الفرس في قتال ضارى لمدة يوم كامل، سقط في نهايته ليونيدس وجنوده الأسبرطيون[5] إضافة

(1) يقع رأس أرتميسيوم في أقصى شمال جزيرة أوبوئية.

(2) يذكر هيرودوتس VII ،212-215 إن أحد الهللينيين ويُدعى إيبالتيس "Επιαλτης أطلع الفرس على أحد الدروب السرية بالجبل حيث كان يعسكر الملك ورفاقه، فتمكنت فرقة فارسية من اختراق ذلك الممر ومباغتة المدافعين عنه.

(3) Herod., VII, 204-238.

(4) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 313.

(5) أقام الهللينيون فيما بعد [حوالي 440 ق. م] نصباً يُخَلد هذه المعركة نُقش عليه عدة أبيات (أيها الغريب إذا مررت بأسبرطة فقل للذين هناك أننا راقدون في هذا المكان امتثالاً للقوانين التي فرضوها) للمزيد عن ذلك انظر: ـ محمد كامل عياد، المرجع =

إلى اثنين من أخوة اكسركسيس (الأول) قتلى[1]، فأخذت بعد ذلك فرسان وعربات الفرس تنساب خلال ممر ثرموبيلي الضيق متقدمة نحو أثينة، ذلك في حين كانت تدور في البحر سلسلة من الالتحامات البحرية، إذ كان قائد الأسطول البحري الفارسي أخمينيس[2] "Αχαιμενης" موزِّعاً أسطوله بين موانىء خليج بوغازيكوس Μαλιακος حماية لها من العواصف[3]، ومكتفياً بإرسال قوة صغيرة منه تحت قيادة أحد مساعديه للدوران حول جزيرة أوبوئة.

بذل ثيميستوكليس قصارى جهده ـ ويذكر أنه لم يتوان عن استخدام الرشوة ـ لإقناع الملك ورئيس الأسطول أوريباديس، بالهجوم على الأسطول الفارسي، في هذا الظرف الملائم فضرب في اليوم الأول السفن الأيونية، إذ أغرق منها ما يقارب الثلاثين وفاجأ في اليوم الثاني السفن الكليكية وقضى عليها.

عندئذ أدرك الفرس مغبة تشتت أسطولهم ووقعه بذلك لقمة سائغة في أفواه بحارة الهللينيين الذين تضافرت معهم العوامل الجوية، إذ ثارت عاصفة دمرت جزء من ذلك الأسطول فقرر أخمينيس، بعد جمعه للأسطول، القيام بهجوم على الأسطول الهلليني، وانتهى الإشتباك الذي بدأ وقت الظهر، انتهى عقب وصول خبر هزيمة الهللينيين في ثرموبيلي، بانسحاب الأسطول الهلليني، بعد أن غنِم منه المصريون خمس سفن، الأمر الذي يعني فتح الطريق إلى أثينة.

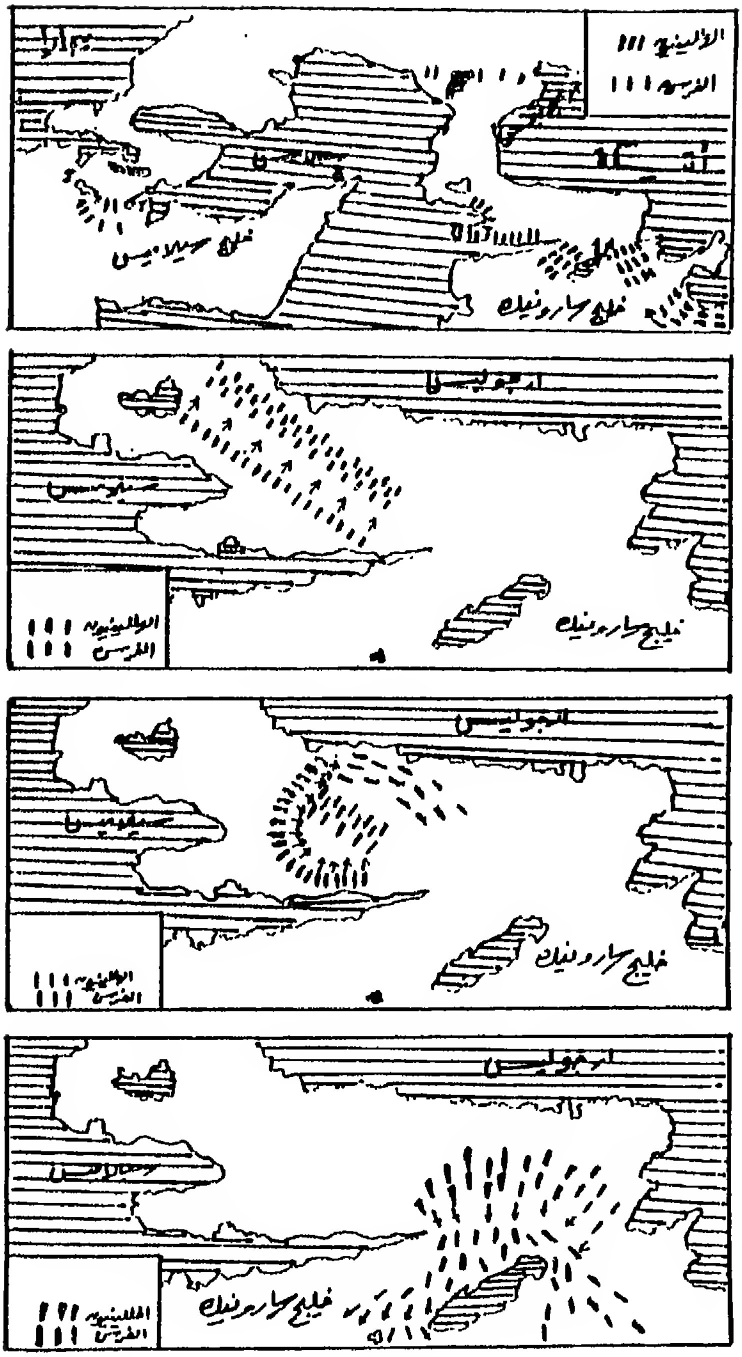
= السابق، ص 314. من جهة أخرى أثار الرقم المسجل به نقاشاً حاداً بين العلماء للموازنة بينه وبين الجيش الفارسي وهو الأمر الذي سنتطرق إليه بالباب الأول، الفصل الثالث، صفحة 150 وما بعدها.

(1) كان يرافق أكسركسيس بحملته هذه ولاة جميع الولايات، أنظر تفصيل ذلك بالصفحة 150.

(2) أخمينيس أخ أكسركسيس (الأول) ووالي مصر.

(3) إذ كان الأسطول قد تعرض لزوبعة أو عاصفة دمرت بعض قطعه وذلك حينما أمساه.

خريطة رقم - 11 -



الفرس الأخمينيون في أثينة:

سار الفرس واجتازوا لوكريس Λυκρος وبثوتية Βοιωτια حيث رحب بهم الطيبيون Θηβαις انتقاماً من أثينة[1]، في حين أنزلوا العقاب ببلاد الفوكيين والبلاتيين، لعدم انضمامهم إليهم، وظل الجيش الفارسي سائراً في تقدمه حتى دخل أثينة بعد ستة أيام من معركة ثرموبيلي، فنصب أكسركسيس (الأول) «خيمته» على مرأى من الأكربولس، الذي حاصره مدة أسبوعين، بعد أن وجد أثينة خالية من سكانها[2]، اقتحمه وأشعل الفرس في معابده النار، بعد أن نُهبت محتوياتها وذلك في اليوم الحادي والعشرين من شهر سبتمبر [الفاتح] سنة 480 ق. م[3].

(1) وذلك لذكرى أحداث ماضية كانت فيها أثينة قد ساعدت بلاتية على الانفصال عن الحلف البووتي، والذي كانت تتزعمه أسبرطة ثم قامت [أثينة] بمحالفة بلاتية ضد طيبة للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Bury J.B., **OP. Cit.**, PP., 202 FF; Hammond N.G.L., **OP. Cit.**, PP., 153 FF; Broneer D.O., **OP. Cit.**, PP., 228 FF.

(2) قرر ثيمستوكليس عقب هزيمتهم في ثرموبلي وفي ارتميسيوم، وبعد أن تبين له تقاعس أسبرطة عن نجدتهم بعدم إرسالها بقية الجنود الذين وعدت بإرسالهم، ثم انهماكها في عمل تحصينات خاصة بشبه جزيرة البلوبونيسيوس، الأمر الذي يجعل اتيكة عُرضة لأول هجوم يقوم به الفرس عليها، لذا قرر ثيمستوكليس ترحيل أو تهجير سكان أثينة من نساء وأطفال وشيوخ مع ما يستطيعون حمله من حوائجهم، وبعد أن رصد مبلغاً مالياً لكل غير قادر منهم، إلى سيلاميس Σαλανιβα وأجينة وترزوين.

وقد ساعده على تحقيق برنامجه هذا، نبوءة ـ يُعتقد بأنه كان وراءها ـ أطلقتها كاهنة دلفي، فحواها أن الفرس سيدمرون أثينة ولن ينجو من ذلك إلا من لاذ بالجدار الخشبي الذي أوّله ثيمستوكليس بالسفن، في حين رأى البعض أنه الاكروبولس فتحصن به. للمزيد انظر: ـ

ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, pp., 313 FF. ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., **OP. Cit.**, p., 15.

(3) دلت الاكتشافات الأثرية الحديثة على صدق وقوع هذه الحوادث، إذ كُشف عن وعثر على العديد من القطع المعمارية والفنية، والتي كان الأثينيون عند إعادة تشييد مدينتهم عقب اندحار الفرس عنها، قد ردموها، وهي تظهر وبها آثار الحريق الذي =

وبذلك يكون الفرس قد حققوا غاية طال الأمد بها، وبروا بيميناً أقسمها عاهلهم داريوس (الأول).

ـ معركة سيلاميس وانسحاب اكسركسيس من أوربة: ـ

احتفل أكسركسيس (الأول) بدخوله لأثينة وزف تلك البشرى إلى ساردیس للغاية ذاتها، وفي هذه الظروف الحرجة وقع الهللينيون مرة أخرى فريسة لتضارب الآراء، إذ كان الأسطول الفارسي بعد دخولهم أثينة، قد رسى بمينائها، في حين لجأ الأسطول الهلليني إلى سيلاميس Σαλαμινα الممتدة في البحر بين أتيكة وميجارة Μεγαρα ويفصلها عن البر مضيق لا يزيد عرضه في الطرفين بين 1ـ 2 كيلومتر، حيث اتخذ الأسطول الهلليني مواقعه في تلك الممرات الضيقة بين الجزيرة وأراضي القارة المواجهة لها.

أراد ثيمستوكليس استدراج الفرس إلى سيلاميس للإطباق عليهم، وهم في موضعهم ذاك إلا أنه جُوبه بالرفض، إذ رأى أمراء السفن الهللينية إن مكانهم غير آمن فأرادوا الإقلاع كل إلى مدينته للدفاع عنها منفرداً، فاحتال حتى اضطروا لملاقاة سفن الفرس[1]، التي حاولت في ليلة التاسع والعشرين من شهر سبتمبر [الفاتح] سنة 480 ق. م، سد مدخل خليج سيلاميس على

= تعرضت له، بينما كشف عن بعضها وهي في حالة سليمة وجيدة، ويُعتقد بأن سكان أثينة قد قاموا بدفنها على أمل العودة إليها وذلك قبل تهجير ثيمستوكليس لهم عن المدينة.

(1) إذ أرسل ثيمستوكليس إلى معسكر اكسركسيس (الأول) رجلاً ثقة يُدعى سكينيوس وعهد إليه بأن يتظاهر بأنه قد ضل طريقه وعندما وقع بين يدي الفرس أشاع فيهم بأن الهللينيين في حالة يُرثى لها من الإنقسام على الذات وقد قرروا الرحيل ومغادرة سيلاميس الليلة. لذا قرر اكسركسيس (الأول) إرسال السفن المصرية حالاً لسد المخارج على السفن الهللينية ومن الجدير بالذكر إن أعداء ثيمستوكليس وجّهوا إليه، فيما بعد، بناء على هذا التصرف تهمة الإتصال بالفرس فنُفي عن أثينة سياسياً، فرحل عنها إلى عدة مدن قبل أن يستقر به المقام في بلاد الامبراطور ارتاكسركسيس (الأول) الفارسي.

الأسطول الهلليني العازم على الافتراق.

نظراً لقلة عدد سفن الهللينيين وخفة حركتها، فأنها ألحقت أضراراً بالغة بالسفن الفارسية نتيجة الارتباك وتحطيم السفن لبعضها بعض، فتشتت، وإن لم تُلحق به هزيمة ساحقة، فلاذوا [الفرس] إلى الفرار كالأسماك يتهددها الشباك حسب قول أسخليوس[1].

يربط بعض المؤرخين بين معركة سيلاميس Η μαχη Των μ Σαγαμινα وبين معركة أخرى خاضها الهللينيون في هيميرا Ἱμερα بغرب المتوسط ضد القرطاجيين Καρχηδων سواء من ناحية الهدف أو الغاية أو من حيث التضافر الزمني[2].

ظل الجيش البري الفارسي الذي لم يُهزم بعد، محتلاً معظم أراضي بلاد الهللينيين بالرغم من انقطاع مدد الأسطول عنه، بعد معركة سيلاميس، مما أحرج موقفه فسحب أكسركسيس (الأول) جانباً منه، إذ كان بالإضافة إلى ما سبق، فصل الخريف قد قارب على الانتهاء، كما طالت غيبة العاهل عن عرشه وامبراطوريته، فقام بسحب الثلث من تلك القوى من أثينة عن طريق الهللسبونتوس حتى أوصلها إلى تراكية Θρακὶν

ويُعَوِّل البعض الآخر من الباحثين على أن خروج أكسركسيس (الأول) من بلاد الهللينيين والعودة إلى آسية كان بسبب ما أشاعه ثيمستوكليس بين الفرس من أن الهللينيين عازمون على هدم الجسر المقام بين سستوس وأبيدوس، وبالتالي حبس الامبراطور في أوربة، وهذا الأمر لا يستند إلى أدلة أخرى أكثر من رواية هيرودوتس[3].

---

(1) عن هذا الشاعر راجع ما سبق ذكره، بالباب الأول، الفصل الأول، ص 25 هامش رقم (1).

(2) انظر تفصيل ذلك بالصفحة 113 وما بعدها بهذا الفصل.

(3) Herod., VIII, 107 FF.

الأمر الذي يجعل الأقرب للاعتقاد إضافة إلى ما سبق هو إن ذلك الانسحاب كان لأن الأسطول الفارسي كان قد فقد معظم قطعه، الأمر الذي يستحيل معه إتمام بقية الفتح بهجوم بري فقط، مما يعني توقفها إلى حين وصول إمدادات جديدة، وهذه أمور جمعها لم يكن من السهولة بمكان، على ما يبدو[1].

والمستغرب في أمر هذا الانسحاب الذي يراه كثير من الباحثين انهزاماً[2]، هو لماذا لم يحاول الأسطول الهلليني، التعرض له خاصة وأن المصادر الهللينية[3] تذكر أن الفرس فقدوا في آخر معاركهم [سيلاميس] مائتين سفينة في حين كانت خسائر الهللينيين أربعين سفينة فقط؟!

وإن قوبل التبرير بانقسام الرأي الهلليني في أمر تلك الملاحقة أو قوبل بأنها تمت، ولكنها كانت متأخرة بسبب خمرة النصر التي أسكرت الهللينيين فأخرتهم عن متابعة الفرس الأخمينيين في الوقت المناسب، فأنه لا يُقبل عجز ثيمستوكليس عن إيجاد مثل ذلك العمل، خاصة وأن له باع طويل في الدسائس والحيل، الأمر الذي يوحي بضرورة إيجاد أسباب أخرى لتقهقر الفرس عن أوربة، ومن ذلك مثلاً أن بعض الأبحاث ترى أن للتقهقر علاقة بالفينيقيين الذين عقب معركة سيلاميس ألقى أكسركسيس (الأول) تبعة ذلك الفشل الذي أصابهم عليهم [الفينيقيين] الذين توعدهم فلاذوا بالفرار هاربين ولما كان لا يثق في ولاء الأيونيين، رغم اشتراكهم معه في هذه الحملة، فأنه قرر الإياب[4].

وإذا كان غير مقبول القول بفرار الفينيقيين، إذ استمروا بعد هذه

---

(1) وذلك قياساً على ما جرى لبرقة التي جُمعت مساهمتها في هذه الحملة قسراً، انظر تفصيل ذلك بالباب الثاني، الفصل الثالث، الصفحة 286 وما بعدها.

(2) KYPIAKIAH B., OP. Cit., PP., 210 FF; Hammond N.G.L., OP. Cit., PP., 242 FF; Bury J.B., OP. Cit., PP., 282 FF; Burn A.R., OP. Cit., P., 470.

(3) Herod., VIII, 113 FF.

(4) Myers P.V.N., A History of Greece, (London, 1895), P., 210.

الحادثة عماد الأسطول الفارسي، ولعبوا دوراً مهماً في الحياة السياسية والاقتصادية الفارسية، ويكفي تدليلاً على ذلك ما سيرد بعد قليل وما ذكره ديودورس الصقلي[1] فيما بعد من أن السفن التي أرسلتها أثينة لمصر في ثورتها ضد أرتاكسركسيس (الأول) قد وقعت في يد الفينيقيين[2] وعليه فأن الأسباب التي كانت وراء ذلك الانسحاب ذات علاقة بالتموين خاصة إذا قبلنا الرأي القائل بأن عدد أفراد الحملة كانوا حوالي خمسة مليون رجل[3] إضافة إلى حلول فصل الشتاء، كما يمكن القول بشيء من الترجيح أن ذلك عائد إلى تكوين أكسركسيس (الأول) نفسه، إذ عقب هذه الحملة انغمس في حياة الملذات، مُبتعداً عن أي نشاط عسكري، بمعنى آخر أنه مل لعبة الحرب هذه خاصة وأنه شاهد تدمير أثينة فاكتفى بذلك وترك الجزء الباقي من الجيش تحت قيادة مردونيوس Μαρδονιος لاستتباب بقية أمور السيطرة على تلك الأجزاء المستحوذ عليها من بلاد الهللينيين وربما معاودة الفتح في الربيع القادم وهو أمر حال دونه تطور الأمور كما سنرى.

قضى مردونيوس فصل شتاء سنة 480 ق. م في تسالية، ومع إشراقة شمس الربيع حاول الاتصال بالهللينيين، إذ أراد فصل عُرى اتحادهم الذي يبدو أن أمده قد طال عما سبق، ولإخماد جذوة حميتهم التي بدأت بشائرها تظهر في احتفالاتهم بانتصارهم على الفرس، إذ اجتمع القادة الهللينيون واقتسموا الغنائم والجوائز وقرروا إجراء احتفالات عامة تخليداً لتلك الأحداث[4]، فأرسل لهم [مردونيوس] الملك المقدوني الإسكندر (الثاني) يعرض عليهم باسم أكسركسيس (الأول) منح الاستقلال التام في شؤونهم الداخلية ومنح مالية، وإعادة إصلاح مدينتهم مقابل اعترافهم بالفرس

(1) Diod., XI, 74. 5-6; 75; 77;

(2) راجع ما سبق ذكره بالفصل الأول، الباب الأول، صفحة 57.

(3) انظر تفصيل ذلك بالباب الأول، الفصل الثالث، صفحة 155.

(4) Bury J.B., OP. Cit., PP., 269 FF; Bury J.B. and Meigges R., OP. Cit., PP., 169 FF; Myers P.V.N., OP. Cit., PP., 230 FF.

ومولاتهم، وقد فشل الإسكندر في هذا المسعى[1].

ويُستنتج من هذا الاتصال الدبلوماسي أن الجيش الفارسي رغم كونه لا يزال أكبر بكثير من جيوش الهللينيين مجتمعة، وهو الأمر الذي يبدو أنه منع الهللينيين من استثمار نجاحهم في سيلاميس بالسرعة المطلوبة، إذ توقف الأسطول الأثيني عن إبداء أي حركة تجاه الفرس طيلة فصل شتاء 480 ق. م وحتى بداية ربيع 479 ق. م الذين ظل فيهما الفرس معسكرين بأتيكة، إذ ظلت سفنهم [الهللينيين] مرابطة عند أجينة لم تبد حِراكاً.

يُستنتج من هذا الاتصال، على الرغم من ذلك أنه كان يُعاني المشاكل التي لعل أهمها على الإطلاق مشكلة التموين[2] فالجيش الفارسي أو ثلثيه حسب بعض الآراء[3]، لا يمكن لأقليم أتيكة أن يسد احتياجاته، وهو الذي عجز في كثير من المناسبات عن إعالة سكانه الأصليين وحدهم، فما بالك بهؤلاء، وفي وسط محيط من الأعداء؟!.

ربما عقب بدء الأثينيين في طلب النجدات من المدن الهللينية الأخرى، لمواصلة الحرب ضد الفرس، بدأ مردونيوس أيضاً استعداداته ويدل إخلاء أثينة من سكانها للمرة الثانية على تأخر وصول تلك النجدات وعلى استشعار خطر الفرس الفعلي مجدداً، الذين دخلوا المدينة للمرة الثانية في شهر يونيو [الماء] سنة 479 ق. م، ولكنهم تراجعوا عن تدمير أو تخريب أي من منشأتها التي بدأ بعض سكانها العائدين إليها في إقامتها، ويُفسر ذلك

(1) Burn A.R., OP. Cit., P., 503; Hammond N.G.L., OP. Cit., P., 284; Bury J.B. and Meiges R., OP. Cit., PP., 179 FF.

(2) Maurice F., "The Size of the Army of Xerxes" JHSL, (1930), PP., 215 FF.
من جهة أخرى سيتم التطرق لهذه النقطة بالإيضاح بالفصل الخاص بتنظيمات الفرس العسكرية وذلك بالصفحة 150 وما بعدها من هذا البحث.

(3) إذ تورد بعض المصادر أن اكسركسيس (الأول) عاد إلى سادرديس بثلث جيشه في حين عاد ارتابازوس إلى تراكية بالثلث الثاني، بينما ظل مردونيوس بالثلث الباقي في بيوتيا.

التصرف برغبة مردونيوس في مواصلة الاتصالات الدبلوماسية بالأثينيين لجعلهم يجنحون للاستسلام، ويعترفون بالفرس، حيث أرسل لهم مبعوثاً جديداً، يُدعى موريخيدس Μουρχιδης من أهل الهللسبونتوس، والذي حضر اجتماع عقده الأثينيون في سيلاميس[1]، وطلب فيه منهم، ما كان قد طلبه الإسكندر (الثاني) قبل ذلك.

فعاد بنفس الرد، الأمر الذي يعني وبإصرار، مواصلة الأثينيين حروبهم ضد الفرس. ولما كانت أثينة في مواجهتها السابقة مع الفرس اعتمدت على أسطولها، الذي لم يعد يُجدي نفعاً في البر، وعلى سياسة وبراعة أعظم رجالها، ثيمستوكليس، الذي اتُّهم بالاتصال بالفرس ونُفي، فإنها أي أثينة بعثت وميجازة وبلاتية، إذ أنهما المهددتين مباشرة بعد أثينة من قبل الجيش الفارسي الرابض على أراضي أتيكة، بعثت تلك المدن إلى أسبرطة طالبة ضرورة الإسراع في إرسال جيشها ومهددة في حالة الرفض أو التأخر بالانفصال عن التحالف الذي عُقد قبيل مجيء أكسركسيس (الأول) في كورنثة[2].

سارعت أسبرطة بعد مناقشة استغرقت عشرة أيام إلى إرسال جيشها بقيادة باوسانياس Παυσανιας والذي كان أعظم جيش تدفع به أسبرطة خارج أرضها، ولكنها لم تفعل إلا مُكرهة[3].

- معركة بلاتية Ἡ μαχη Των Πλαταλων:

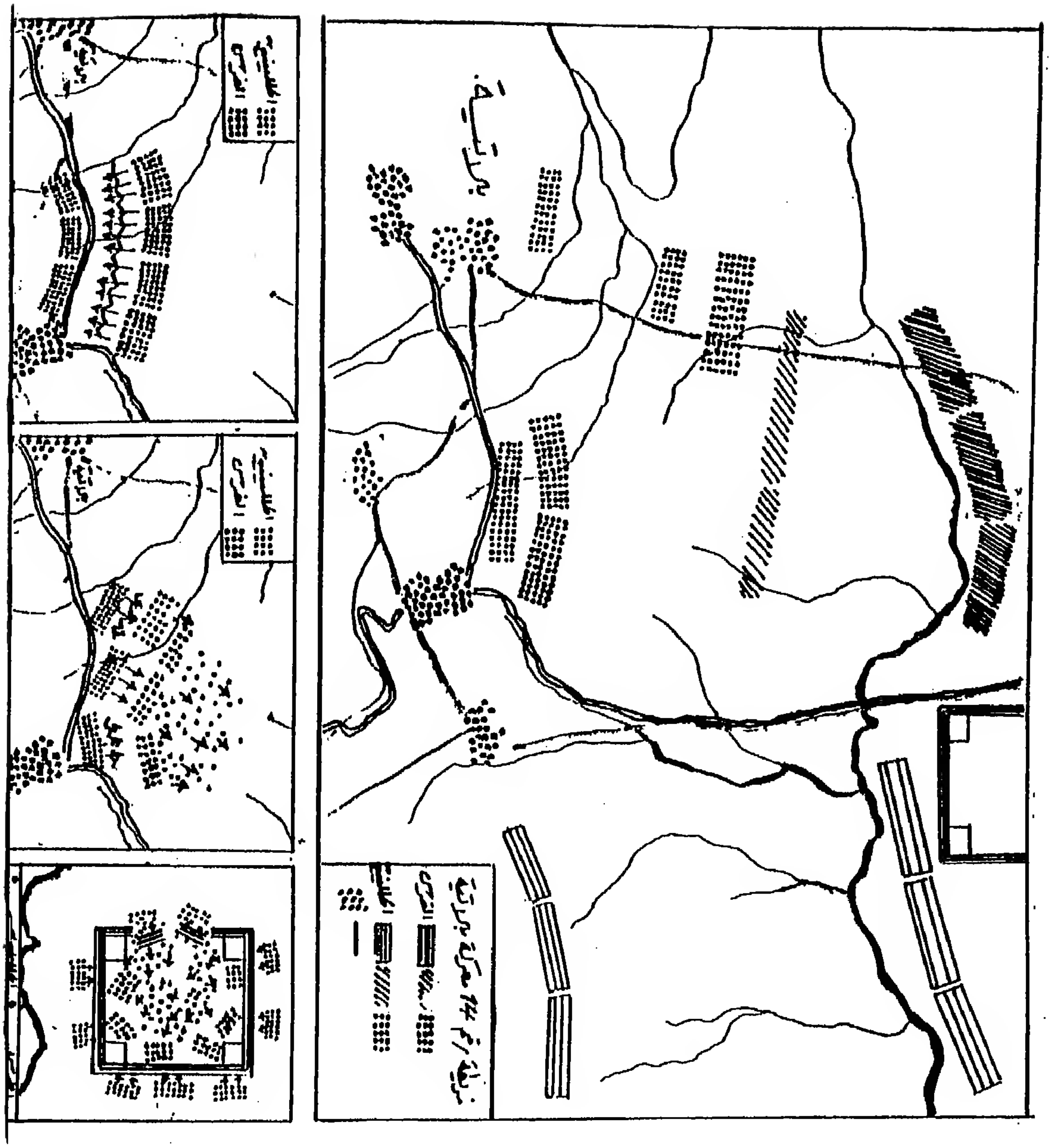
حالما تنامى أو تناهى خبر تلك الاتصالات ووصول ذلك المدد إلى

---

(1) وهو اجتماع مجلس الشورى Βοηλν وما يُعرف بالخمسمائة منذ تعديلات كليسثينيس للدستور الأثيني، والمهم في إيراد هذا الخبر هو أن أثينة حافظت على شكلياتها الدستورية حتى في أحرج الأوقات.

(2) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 99 من هذا الفصل بهذا البحث.

(3) Lang M., "Scapegoat Pausanias", **Classical Journal**, LXIII, (1967), PP., 79 FF.


خريطة رقم 14 معركة براتية
الفرس
براتية

مسامع الفرس بأثينة خرجوا منها، بعد تخريبها «لم يتركوا فيها بيتاً قائماً ولا جداراً مرتفعاً». منسحبين إلى قواعدهم بطيبة ليكونوا في حال اشتباكهم مع الهللينيين في مأمن من ناحية الظهر، إذ وقع اختيارهم على بلاتية لتكون المسرح الجديد للتصادم المقبل، وهي مدينة تقع في الجنوب الغربي بين نهر سويرس وجبل ستيرون، بعد أن خصص قائدهم، جزء من جيشه للاشتراك به في هذا الالتحام المرتقب، وزرعه على نقاط من ذلك الموضع تُمكنه من الاستفادة من الخيالة التي يمتاز بها على الهللينيين، الذين بدأوا يتمركزون على سفوح جبل ستيرون، بعد أن انضم إليهم أرستيدس بصحبة بعض الفرق الجديدة التي كان قد جمعها من أثينة وبلاتية[1].

لم يهتم الأثينيون حتى هذا الوقت بإبداء أي نشاط بحري فعلي ضد الفرس خشية أن ينتهوا إلى معركة بحرية حاسمة تجعل الأسبرطيين في غِنى عن هذا الأسطول مما يؤدي إلى الكف عن مواصلة دفاعهم المشترك مع الأثينيين في أتيكة ضد الفرس وبالتالي خسران أثينة على البر.

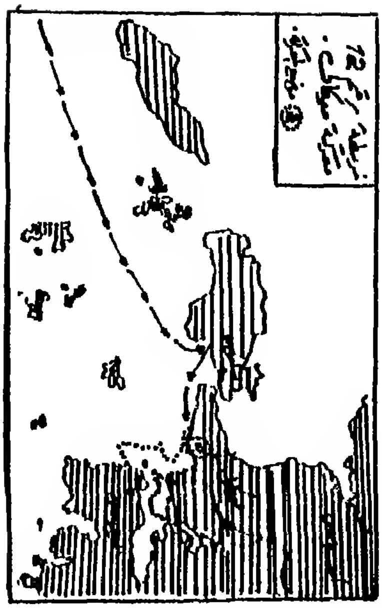
هاجم مردونيوس الهللينيين، عندما كانوا يُغيِّرون مراكزهم دون نظام، بعد مرور فترة من الزمن بذل فيها كل من الخصمين قُصارى جهده لاستدراج الآخر وإغوائه بالاشتباك علماً بأن التأخير كان لا يزال في صالح الفرس، نظراً لما عُرف عن الهللينيين من انقسامات في الرأي.

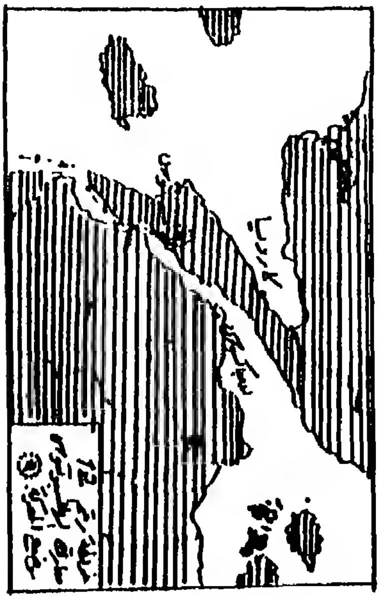
ولما قام مردونيوس بالهجوم صبيحة السابع والعشرين من شهر أغسطس [هانيبال] سنة 479 ق. م[2] «كان الإغريق [الهللينيين] مقسمين، لم يكن أي قسم منها يُساعد الآخر»[3] فتقابل مع الأسبرطيين والتيجيين الذين حاولوا أن يشقوا طريقهم داخل معسكر الفرس بقيادة أومفارتيوس

(1) Lang M., OP. Cit., PP., 85 FF.

(2) Burn A.R. OP. Cit., P., 533; Bury J.B., OP. Cit., P., 289; محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 331.

(3) سليم حسن، المرجع السابق، ص، 569.





Αμομφαρετος" ذلك على الرغم من انقطاع النجدات عنهم بفعل الهللينيين الموالين للفرس(1).

لا شك أن هذه المعركة كانت عنيفة إذ انتهت بسقوط قائد الفرس مردونيوس قتيلاً الأمر الذي أربك صفوفهم، حتى تمكّن من يليه في المرتبة وهو القائد أرتابازوس Αρταβαξος" التقهقر ببقية الجنود ثم العودة بهم إلى آسية بعد ذلك(2).

ذلك في حين واصل الهللينيون حروبهم ضد بني جنسهم، ممن ظاهر الفرس من قبل، فبعد أن التحم الميجاريون والكورنثيون الذين كانوا متحصنين وراء أسوار بلاتية بالخيَّالة الطيبين، إذ أراد الأول اغتنام مخلفات الفرس مما أدى إلى قتل ستمائة رجل من الكورانثيين والميجاريين(3)، يُذكر إنه بعد عشرة أيام من معركة بلاتية زحف جيش هلليني على طيبة، وضرب بأوسانياس حصاراً حولها، أسقط به الحكومة الأوليجاركية حليفة الفرس وأقام أخرى بديلة ديموقراطية، ثم أمر بإعدام رجال الحكومة السابقة عند وصوله إلى كورنثوس دونما محاكمة(4).

ـ معركة ميكالي Η μαχη Της Μυκαλης" : ـ

يقول توكيديدس Θουκυδιδης إن مصير الحرب الفارسية تقرر سريعاً، في معركتين بحريتين ومعركتين بريتين، ويُقصد بالمعركتين البحريتين أرتيمسيوم وسيلاميس والمعركتين البريتين بلاتية وثرموبيلي.

ذكر فيما سبق الآراء التي قيلت حول تجميد الأسطول البحري الهلليني [الأثيني] خلال الأشهر ما بين سيلاميس وبلاتية، ولكن بعد هذه المعركة الأخيرة [بلاتية] والتي بها اندحر الخطر الفارسي عن أتيكة، تحرك هذا الأسطول من مرساه بجزيرة ديلوس Δηλος والذي كان يبلغ عدده مائة وعشر

---

(1) Myers P.V.N., OP. Cit., P., 218; Bury J.B. and Meigges R., OP. Cit., P., 183.

(2) Maurice F., OP. Cit., P., 235; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., OP. Cit., P., 218.

(3) Ibid, P., 219; Benjamin S.G.W., OP. Cit., PP., 122 FF.

(4) Lang M., OP. Cit., P., 87; Chrimes K.M.T., OP. Cit., PP., 404 FF.

سفن، تحت قيادة الملك الأسبرطي ليونيداس، تحرك بعد أن أضاف إليه الهللينيون عدد آخر من القطع بقيادة كسانثبوس Ξανϑιππος وأبحر باتجاه جزر السكيلادس لحمايتها، إذ تواردت الأنباء تحمل أو تعلن عن قيام حركات انفصالية قام بها سكان بعض تلك الجزر ضد الفرس.

كان الفرس الأخمينيون في هذا الوقت قد جروا بعض أسطولهم إلى اليابسة في ميكالي Μυκαλη الواقعة قرب النصف الجنوبي للشاطىء الغربي لآسية الصغرى عند الشواطىء الشرقية لجزيرة ساموس، فاستولى ليونيداس على مراكزهم في تلك الأنحاء ولكنه فشل في الاستيلاء على أسطولهم، إذ قاموا بإحراقه حتى لا يقع في أيدي الهللينيين[1].

تذكر أبحاث في هذه الحروب، إن معركة ميكالي تزامنت «في نفس اليوم» مع معركة بلاتية[2] وهذا أمر غير مؤكد، أولاً لانعدام الأدلة على ذلك، ثانياً كما سبق توضيحه منذ قليل عن أحداث تلك المعركة الأخيرة، ثم حتى لو تم افتراض إن هناك محاولة للاتصال قد حدثت بين جنود ميكالي وجنود بلاتية، فأنها قياساً إلى وسائل اتصال ذلك الوقت ومواصلاته، تبدو

(1) لما كان البعض يتساءل عن دور الأسطول الفينيقي، والذي هو جزء مهم في البحرية الفارسية بعد معركة سيلاميس وذهب بعضهم مذاهب شتى في ذلك كالقول بأنهم فروا أو عُوقبوا وما إلى ذلك، ولما كانت إحدى عقائد الفينيقيين الدينية تقوم على التضحية البشرية عن طريق الحرق، وهو ما يذكر أنه قد قامت به مؤسسة قرطاجة، وربما قام به أيضاً سكان صور وصيدا في ثورتهم الفاشلة ضد الفرس فيما بعد، فإن ذلك من القرائن التي تشير إلى أن هذا الأسطول ربما كان جزء من الأسطول الفينيقي، خاصة وأن المصادر تؤكد أنه أُحرق من قبل أهله.
من جهة أخرى لا يمكن الجزم هل كانت معركة ميكالي معركة كبرى، أم مجرد غارة يسرتها الصدفة، أم قصد بها الهللينيون تحرير بني عمومتهم في آسية، أم إنها محاولة للقضاء على آخر أسطول فارسي في بحر إيجة؟!.

(2) Hill G.F., Sources For Greek History Between the Persian and Peloponnesian Wars, (OxFord, 1962), P. 131;
محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 337.

عملية غير قابلة للاعتقاد بأن تتم في يوم واحد.

على أثر تراجع الفرس قامت مدن أيونية أخرى بالثورة عليهم [الفرس] وذلك بطرد حكامهم المنصبين بها من قبلهم [الفرس اخمينيين]، ومنها جزيرة ساموس ولسبوس وخيوس، اعتمادا على مساندة كانوا يأملونها من الهللينيين الذين لا زالوا مجتمعين في الحلف الهلليني.

غير أن ما حدث بعد ذلك هو أن أسبرطة ارتأت هجرة أو تهجير سكان المدن الهللينية الآسيوية وتوطينهم بالمدن التي ساعدت الفرس خلال اجتياحهم لبلاد الهللينيين وهو الأمر الذي لم يقبله هؤلاء، كما عارضته أثينة التي وجدت فيها تلك المدن حليفةً قادرةً على الدفاع عنها، فعقدوا معها معاهدات خاصة تكفلت فيها بحمايتهم(1).

وعلى ذلك انضمت كثير من سفن تلك المدن للأسطول «الأثيني» وسار جميعه متجهاً صوب سستوس في خرسونيسوس بتراكية، سنة 478 ق. م، إذ عاد الأسبرطيون والبلوبونيسيون إلى ديارهم، ظاهرياً بحجة حلول فصل الشتاء وفي الحقيقة وكدأبهم دائماً رأوا أن مهمتهم قد انتهت بدفع الفرس عن بلاد الهللينيين، فأثروا حياة العزلة على المغامرة كما لا يُخفى ما وراء الأثينيين من أسباب تدفعهم إلى عكس الصورة مع الفرس بمهاجمتهم بعد هجومهم ولعل الأهم في ذلك رغبة أثينة في تحرير طريق المضايق لإعادة فتح منافذ التجارة مع البحر الأسود، وعليه ومنذ الحين تبدأ مظاهر الشقاق بين الأثينيين والأسبرطيين، وباستيلاء الأثينيين على مدينة سستوس التي اشتد دفاع الفرس عنها، وذلك بعد ثلاثة أشهر من معركة بلاتية تكون حملة أكسركسيس (الأول) قد انتهت، كما يُعتبر هذا الحدث آخر ما كتب عنه هيرودوتس، وإن لم ينته التحرش الفارسي بالهللينيين أو العكس، والذي ظل يظهر في صور وأشكال عدة خفية حيناً وبينة أحياناً، استبدل فيها الفرس الجيوش الجرارة

(1) ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΨΣ, PP., 354; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., OP. Cit., PP., 197 FF.

بالسلاح الذهبي، وهي سياسة مارسها الفرس طيلة قرن ونصف قرن من الزمان، أي حتى مجيء الإسكندر المقدوني وقضائه على الامبراطورية الفارسية الأخمينية.

تزامن معركة هيميرا ومعركة سيلاميس:

كان الهللينيون لظروف عديدة قد استعمروا جنوب إيطالية Ἰταλια وجزيرة صقلية Σικελια منذ ما يقارب منتصف القرن الثامن قبل الميلاد(1)، وذلك استناداً إلى ممصادر أدبية ومادية، إذ يذكر استرابون إن أقدم مستعمرة هللينية في الغرب هي كيمي Κυμη وقد أكدت الحفريات والدراسات الأثرية ذلك إذ أرجعت تأسيس تلك المدينة إلى حوالي 750 ق. م وإن كان اتصال الشعبين ببعضهما حسب أوديسة هوميروس يعود إلى فترة أقدم من ذلك بكثير.

كان من بين الذين أسسوا مستوطنات لهم بتلك الأنحاء الكورنثيون الذين أسسوا مدينة سيراكوزا Συρακουσα حسب ذكر توكيديدس، حوالي 733 ق. م لتصبح فيما بعد عاصمة لجزيرة صقلية «إلى حد أنها كانت تعتبر أثينة الغرب» وذلك بعد أن تعددت المدن الهللينية المؤسِسَة والمؤسَسَة بجنوب إيطالية وبجزيرة صقلية لدرجة صارت تُعرف باسم بلاد الهللينيين الكبرى Magna Graecia وذلك بعد أن أزاحوا سكانها الأصليين عنها(2).

ارتبطت هذه المستعمرات بأمهاتها المدن المؤسسة، بروابط عدة بل إن كثير منها مرت بذات مراحل تاريخها السياسي أيضاً.

وإجمالاً يمكن أن نرى ماجنا جرايكا، بلاد الهللينيين ثانية في كافة نواحيها تقريباً، إذ كانت قد انتقلت مثل أكثر المدن في شبه جزيرة بلاد

---

(1) راجع ما سبق ذكره بهذا الفصل، بالصفحة رقم 72 هامش رقم (1).

(2) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، (منشورات الجامعة الليبية؟)، ص 58 وما بعدها.

الهللينيين نفسها من الحكم الأرستقراطي إلى الديكتاتوري أو الطغاة إلى الديموقراطي.

من أهم مظاهر حياة تلك المستعمرات السياسية في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، ذلك الصراع السياسي والحزبي بين تلك المدن وبعضها من جانب وبين تلك المدن مجتمعة والصقليين [سكان صقلية] من جانب آخر أو صراع أولئك والفينيقيين من جانب ثالث(1).

وتشتمل ظواهر ذلك النزاع في كثير من أوقاته على المنافسة الشديدة للاستحواذ على الزعامة السياسية بين الأطراف الأولى، والتجارية بصفة خاصة فيما يختص بالفينيقيين مستوطني قرطاجة، التي أُسست على أيديهم حسب ذكر بعض المصادر الأدبية حوالي 814 ق. م(2)، والتي كان موقعها الجغرافي يساعدها بالإضافة إلى طبيعة مستوطنيها وبفضل حكامها، على التوسع الإفريقي، أو في الحوض الغربي للبحر المتوسط، والتي كان في طليعتها صقلية، لما لها من موقع استراتيجي، فاحتلوا بها حسب قول توكيديدس مراكز عدة كما احتلوا الجزر الصغيرة الواقعة قرب الشاطىء لممارسة التجارة مع الصقل، خاصة بعد أن استغلت هذه المدينة [قرطاجة] انحطاط صور، مدينتها الأم، وفرضت شيئاً فشيئاً حمايتها على المدن الفينيقية الأخرى التي انتشرت في شمال الحوض الغربي للمتوسط أو بالمغرب القديم، ثم ما لبثت أن سيطرت عليها، وذلك استناداً إلى نتائج حفائرها الأثرية التي أُجريت في صلامبو 1944ـ1947 م، التي بينت اتساع مجال هذه المدينة التجاري وضخامة ثرواتها(3).

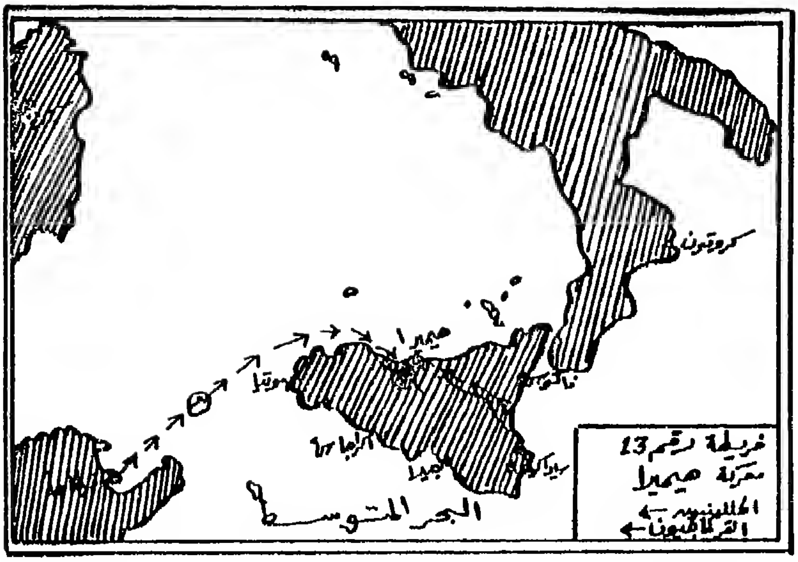
ويظهر أن العلاقات كانت في بادىء الأمر حسنة بين الفينيقيين

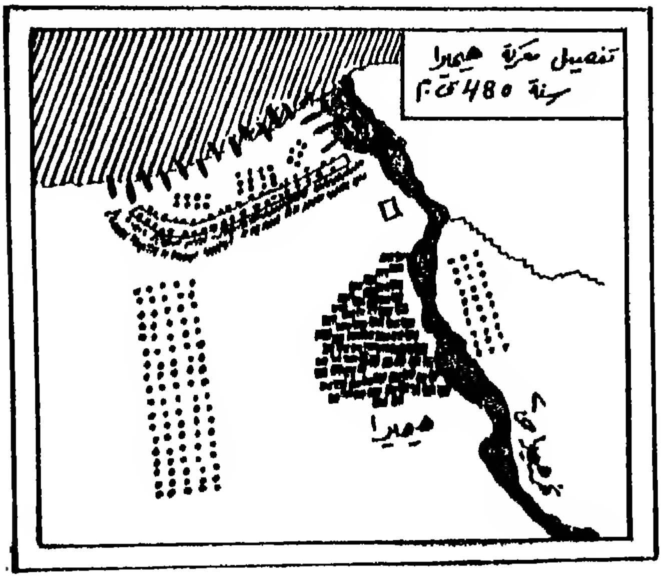
(1) المرجع نفسه؛ Burn A.R., OP. Cit., PP., 476 FF.

(2) المرجع نفسه، ص 108.

(3) ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΥ ΕΘΝΟΥΣ, P., 323; Burn A.R., OP. Cit., PP., 164 FF, 478 FF; Hammond N.G.L., OP. Cit., 267 FF.

خريطة رقم ـ 13 ـ





والهلليين، والأخبار المتواترة لا تذكر أي صدام بينهما حتى نهاية القرن السابع ق. م إذ تجنب كل منهما استعمار أو التدخل في مناطق نفوذ الآخر.

ولما لم تكن قرطاجة من القوة بحيث تمنع الهلليين عن استعمارهم لصقلية واقتصرت في ذلك على التمركز في القسم الغربي في كل من موتيا MOTYA وسوليس Συλμς وبانورموس Πανορμος فإنها أي قرطاجة ما كان لها أن تقف عاجزة أمام نشاط منافسيها الهلينيين خاصة في المجال التجاري في وقت بلغت فيه جميع الأطراف من القدرة العسكرية على إخراج منافسيها أو إزاحتهم.

فحينما تحالف جيلون Τελων طاغية سيراكوزا مع ثيبرون Θεπρον طاغية أجرجيني ضد بعض المدن الأخرى في الجزيرة، والتي كانت تميل إلى الجانب القرطاجي في علاقتها في ذلك الوقت مثل سلنيوس وهيميرا[1]، دعى الأمر قرطاجة إلى الدخول في سلسلة من الحروب مع هذه المدن [ضد التحالف]، وقد تجلى ذلك في عدد كبير من العمليات الحربية، البحرية والبرية، قسمها الباحثون إلى مراحل ثلاث، يهمنا في هذا المقام، المرحلة الأولى، إذ وقعت فيها معركة هيميرا.

فقد اصطدمت مدينة أكراجاس مع مدينة هيميرا، وتمكن حاكم الأولى ثيرون من الانتصار على حاكم الثانية تريلوس، مما دعاه للاستنجاد بقرطاجة التي كان قد وقَّع إتفاقية «سرية» ربما هدفت إلى تقسيم الجزيرة بينهما[2].

فكان أن أرسلت قرطاجة حملتها تلك التي يُبالغ هيرودوتس[3] في إيراد أرقامها بقيادة هاملكار Hamlicar سنة 480 ق. م وقد مُنيت بهزيمة ساحقة بل فُرض على قرطاجة لذلك غرامة مالية كبيرة بعد إحراق أسطولها[4].

---

(1) محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 105 وما بعدها.

(2) رشيد الناضوري تاريخ المغرب الكبير، الجزء الأول، (دار النهضة العربية، بيروت 1981 م)، ص ص 180 وما بعدها.

(3) يبلغ عدد رجال تلك الحملة 200,300,000 سفينة حربية، و 3000 سفينة نقل.

(4) Herod., VII, 153 FF, 166; Diod., II, 20, 21, 22, 62, 2-3; Thuc., I, 14, 14.2; 17;=

هذا الحدث الذي يعتبره الكثيرون خروجاً بقرطاجة وسياستها من النطاق الأقليمي إلى المستوى الدولي، يربطه بعض المؤرخين بمعركة الهللينيين والفرس في سيلاميس سنة 480 ق. م سواء من ناحية الهدف والغاية أو من ناحية التضافر الزمني.

وقد أوردت معظم الأبحاث التاريخية المتعلقة بالحروب الفارسية الهللينية بياناً وافياً بتلك الآراء[1]، «قد عاصر الصراع اليوناني [الهلليني] الفارسي الشديد صراع آخر نشب بين الاتجاه نحو الشرق وبين الإتجاه نحو أوربا أو بتعبير أصح بين الآرية وغير الآرية، فضربت قرطاجة ضربة قصدت بها إلى السيادة على صقلية وكان الأترورين يكافحون في سبيل سيادتهم على إيطاليا، وقد تحدثنا أنفسنا بأنه ربما كان هناك تواطؤ بينهما على عمليهما المتشابهين»[2] وإذا كان مثل هذا الباحث لا يقر بالاتفاق على تزامن المعركتين [سيلاميس وهيميرا]، فإن هناك من يصر على ذلك «فلما أيقن الهللينيون هجوم أكسركسيس (الأول) عليهم سنة 480 ق. م، بعثوا يستغيثون جيلون، الذي أجابهم على شرط أنهم يرأسونه على جنودهم أو بوارجهم، فأبوا ذلك، ولم يسر لمساعدتهم، وإن كان اضطر لمحاربة القرطاجيين في تلك السنة»[3] الأمر الذي يُستشف منه توحيد كلمة الهللينيين ببلاد الهللينيين أو بالمستعمرات بإيطالية ضد الفرس الأخمينيين وقرطاجة التي لا يربطها رابط بهم سوى حُسْن الجوار أو كون الهللينيين أعداء للطرفين.

ذلك في حين يورد باحث آخر، وجهة نظر مخالفة للسابق، بحيث تكون العملية كما لو كانت تدبير فارسي «أن أهل قرطاجة اتفقوا معه

---

(1) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 372. = Burn A.R., OP. Cit., PP., 476 FF.

(2) سيرجون أ ـ هامرتن، تاريخ العالم، «الصدام بين فارس واليونان»، ترجمة عبد الحافظ معوض، مراجعة محمد بدران، ص 59.

(3) Willem H., OP. Cit., P., 69.

[أكسركسيس (الأول)]، فهاجموا الهللينيين في سيسيليا تلك السنة، وما ذلك ببعيد لأن إخوتهم الفنيقيين كانوا يومئذ خاضعين للفرس[1]».

ومما يسترعي النظر في هذه القضية - التي كان أول من أشار إليها المؤرخ أيفورس Ephoros الذي عاش زمن الإسكندر (الثالث) المقدوني، إذ ذكر إن أكسركسيس (الأول) أرسل وفداً إلى قرطاجة يطلب إليهم مهاجمة الهللينيين في صقلية للحيلولة دون إقدامهم على مساعدة إخوانهم في شبه جزيرة الهللينيين - أن المؤرخين والبحاثة وخاصة الغربيين منهم استندوا إليها بشكل كبير في مجال تعرضهم للصراع بين الشرق والغرب، وهو ما يراه البعض تزوير مقصود، كقول مومسن، أكبر مؤرخي الألمان، حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، «إنها خطة مُدبرة من أعظم المشاريع السياسية قد قذفت في الوقت نفسه بالجحافل الأسيوية على شبه جزيرة اليونان [الهللينيين] وبالجحافل الفينيقية على صقلية لمحو الحرية والحضارة بضربة واحدة من وجه الأرض»[2] أو كقول جلوتس «. . . على أن السبب المحتم للنضال الحاسم بين اليونانيين والساميين هو على الأرجح المعقود بين الفرس والفينيقيين الغربيين، والقصد إنما كان القيام بجهد مشترك لإيقاف اليونانيين في الغرب كما في الشرق[3]».

وإذا كان من المؤكد استناداً إلى ما يورده هيرودوتس، اتصال الفرس بالفينيقيين بقرطاجة، سواءاً مباشرة أو عن طريق رعايا الفرس من الفينيقيين الشرقيين الذين أُحترمت رغبتهم منذ زمن مبكر في عدم التعرض لبني عمومتهم هؤلاء في قرطاجة[4]، فأنه من المشكوك فيه أن يكون هناك اتفاق مسبق بين الأطراف الأربعة في هذه القضية فلا الفرس اتفقوا مع القرطاجيين،

(1) Hammond N.G.L., OP. Cit., PP., 267 FF; Bury J.B., OP. Cit., P., 301.
(2) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 372.
(3) نفس المرجع، نفس المكان.
(4) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، صفحة 31 وما بعدها.

لأنه لو حدث ذلك لما صمت عنه هيرودوتس هذا أولاً، وثانياً لكان اكسركسيس (الأول) تباهى بذلك فيما تباهى به عند استعراضه وإعلانه المتكرر والمكثّف عن حملته، قبل انطلاقها باتجاه بلاد الهللينيين بما حشد فيها، وأعد لها، ثالثاً لم يتعرض المؤرخون والكتاب القدامى [المعاصرون لتلك الأحداث] لمثل هذا الاتفاق رغم تناولهم لأحداث تلك الفترة، ثم أن المؤرخ أيفورس الذي كان أول من أشار لذلك، يُعتبر في عداد المؤرخين الهللينستيين، الذين يُعتقد بأنهم لا يتورعون في التدقيق عند تسجيلهم للحوادث التاريخية القديمة(1).

ولعل من الأمور الملفتة للنظر في هذا الخصوص إن أرسطو في كتابه الشعر ذكر عند حديثه عن المصادفات والاقترانات التي لا تدل على أي معنى وقوع معركتي سيلاميس وهيميرا في وقت واحد ومعلوم أن أرسطو كان معاصراً لإيفورس(2).

ولا القرطاجيين تعهدوا بذلك، وإن كان من الممكن، في حالة وجود فارق زمني بسيط لا يتعدى الأشهر بين طلب تريلوس النجدة وإرسالها له، الاعتقاد بأنهم استغلوا ذلك الظرف، والذي كان مرتقباً من كل الطرفين، الهللينيين والفارسيين الذين كانوا يجهزون حملتهم على مرئى ومسمع من الجميع، حتى من الهللينيين أنفسهم وهي، أي قرطاجة بذلك تكون قد استغلت هذا الظرف لتكون المدن الهللينية في شاغل عنها ببعضها، ونجحت بمساعدة تريلوس الذي يربطها به اتفاقية في حين هدفت من وراء ذلك إلى تحقيق هدف خاص جداً وهو فتح طريق تجاري لها.

ولا الهللينيين اتفقوا في تخطيط ذلك، ذلك لأن القرائن تشير إلى أنهم

---

(1) فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص 267.

(2) Aristot., Poetics, 23 (1459 a); Burn A.R., OP. Cit., P., 476.
محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 377.

كانوا على حالة من انقسام الرأي شديدة، وفي حالة تنافس حادة، ويكفي تدليلاً على ذلك ما طلبه جيلون من توليه الرياسة عندما طلبت منه المدن الهللينية ببلاد الهللينيين المساهمة في إعداد العدة للتصدي لأكسركسيس (الأول) بل في رده ربما الدليل القاطع إذ طلب رئاسة أو مكانة مرموقة، ولكنه لم يعتذر أو يتحجج بأنه مهدد من قِبل أصدقاء أو أعوان الفرس في الغرب، بل لماذا لم يستثمر نجاحه بعد هيميرا ويغزو قرطاجة في ديارها ليقضي على أحد أقطاب الفرس، إذ كانوا ينظر إليهم كذلك؟.

ثم لعلنا نجد في الحوادث التاريخية اللاحقة لهذه الحادثة ما يؤكد صدق ما سبق، فبعد هيميرا لم تنزوي قرطاجة، بل ظلت تساهم وبفاعلية في أحداث مدن جنوب إيطالية وصقلية، ففي فترة الحروب البلوبونيسية ببلاد الهللينيين، ساعدت قرطاجة من هللينية بجنوب إيطالية مثل سجيستا، وهي حليفة لأثينة، بل نجد هذه المدينة قد انضمت إلى نطاق سيادة أثينة فترة من الزمن، في الوقت الذي كان فيه الفرس يساندون أسبرطة ضد أثينة، الأمر الذي يؤكد أن قرطاجة كانت خارجة في سياستها عن الدوران في فلك السياسة الفارسية.

مثال آخر أنه حينما انتهز أحد الساسة القُدامى، وهو هرموكراتيس "Ιρμοκρατης" في سيراكوزا، غضب مواطني هذه المدينة إثر هزيمتهم أمام هانيبال القرطاجي، الذي غزاهم لفض نزاع لهم مع مدينة مجاورة(1)، وبدأ هذا السياسي [هرموكراتيس] يعمل ساعياً لتوطيد مركزه في تلك المدينة، فأنه لجأ إلى الفرس مناوىء أثينة في هذا الوقت [410 ق. م]، وتمكَّن من الحصول على المال اللازم من الفرس، وجهَّز به أسطولاً بحرياً دعم به قوة سيراكوزا [عدوة قرطاجة] بل لجأ أيضاً إلى أسبرطة حليفة الفرس الآن، طالباً معونتها الحربية، ولما كان هذا النشاط يستهدف به بالدرجة الأولى الوقوف

(1) ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, pp., 354 FF; bURY J.B., op. cit., pp., 465 FF, 635.

في وجه المدن الهللينية الأخرى بجنوب إيطالية وبصقلية والتي بالتالي هي حليفة قرطاجة، فإن هذه الأخيرة سعت للأمر نفسه، إذ لجأت إلى أثينة خاطبة ودها وطالبةً معونتها ومعاضدتها ضد سيراكوزا [المتحالفة مع أسبرطة والفرس] فكان أن قامت أثينة بعد ذلك الإتصال بإعداد لحملة برية بحرية ضخمة قادها هانيبال بن جزجو وهيملكو، وقد جرى ذلك الصدام في مدينة أكراجاس سنة 406 ق. م، وهذا مما يؤكد أن غزو قرطاجة لهيميرا لم يكن إلا حلقة خاصة بقرطاجة من سلسلة حلقات صراعها ضد المدن الهللينية بإيطالية وصقلية، تتالت بعدها حلقات أخرى لم تكن فيها على وفاق مع السياسة الفارسية تجاه بلاد الهللينيين بل استمرت إلى ما بعد سقوط امبراطورية الفرس بل وظلت حتى وقت متأخر من قيام الأمبراطورية الرومانية التي دمرت قرطاجة في 146 ق. م[1]، وربما لذات الأسباب التي دعتها منذ هيميرا أو ما قبلها للتدخل في شؤون تلك المدن.

(1) إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 340.

العلاقة الهللينية الفارسية
بعد اندحار اكسركسيس (الأول)
حتى قيام مقدونية

عاد أبناء العم الهللينيون للانشقاق على بعضهم، بعد اعتقادهم أو على الأقل اعتقاد بعضهم بانقضاء الخطر الفارسي، إذ بعد امتناع أسبرطة عن مواصلة المسير واستثمار نجاحهم في ميكالي (؟) بالتحول من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم ضد الفرس، فإنها قامت بإرسال حملة حربية ولكنها كانت ضد إحدى المدن الهللينية ببلاد الهللينيين، ضد تسالية، بقيادة ملكها ليوتيخيداس Λεωτυχοδης تحت تبرير أنها كانت مساندة للفرس أبان اجتياحهم للأراضي الهللينية، وهو الأمر الذي لم تقبل به أثينة واعتقدته ناتج عن مصالح شخصية أخرى[1].

الأمر ذاته قامت به أثينة، إذ استطاعت تأليب الرأي العام الهلليني على ضرورة مواصلة برنامج تحرير المدن الهللينية بآسية الصغرى من سيطرة الفرس[2]، وظهرت نتيجة ذلك في إرسال حملة بقيادة بوسانياس

---

(1) Lang M., OP. Cit., PP., 170; Oliva P., **Sparta**, (Amsterdam, 1971), PP., 139 FF; Jones A.H.M., **Sparta**, (OxFord, 1967), PP., 54 FF.
واعتقدت أثينة أن غرض أسبرطة ذاك كما نبين، هو إسقاط الحكومة القائمة والمتمثلة في أسرة الووادي المعارضة لأسبرطة وإحلال أخرى موالية لها.

(2) والملاحظ هنا أن أثينة ذاتها كانت تهدف لمصالح خاصة فبالإضافة إلى فتح المنافذ التجارية هناك فان برنامجها ذاك كان يهدف إلى إعادة سيطرتها على المستعمرة التي=

Παυσανιας سنة 478 ق. م، التي سارت أولاً إلى قبرص واستطاعت السيطرة على المدن التي أقام فيها الفرس حكاماً تابعين لهم، وإن لم تستطع إخضاع المستعمرات الفينيقية بالجزيرة، ثم استولت على بيزنطيوم Βυξαντιο ثم اتجهت إلى البوسفور حيث استولت على مدينة بيزانس[1].

وإذا تسائلنا عن أسباب هذه الانتصارات المتلاحقة التي حققها الهللينيون على الفرس عقب اندحارهم عن بلاد الهللينيين، والذين لا يزالون رغم ذلك الاندحار شديدي البأس، قادرين على مواصلة القتال، فأن الإجابة لعلها تكمن في ضعف الجهاز الإداري، ذلك الضعف الذي بدأ يدب في الامبراطورية الفارسية منذ عهد أكسركسيس (الأول) الذي تذكر المصادر أنه عقب عودته من حملته تلك قبع في قصره تاركاً إدارة شؤون الامبراطورية في أيدي وزرائه الذين تنازعت أهواؤهم[2].

بدأت المدن الهللينية بآسية تتنافر من حول أسبرطة لتجتمع حول أثينة في الوقت الذي أعاد فيه الأيفورس باوسانياس إلى أسبرطة[3].

= كانت لها في تلك المنطقة منذ زمن مليتاديس.

(1) Meiggs R., The Athenian Empire, (OxFord, 1973), PP., 39 FF; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΕ, PP., 363 FF.

(2) راجع ما سبق ذكره بالفصل الأول، الباب الأول، صفحة 55 وما بعدها.

(3) الأيفورس أحد الأركان الثلاث التي قام عليها التنظيم السياسي، الأسبرطي فبالإضافة إلى ذلك كان هناك الملكان ومجلس الشيوخ أو مجلس الجيروسية.

والأيفورس أو مجلس الأبلة Απελλα كانت تشمل عضويته جميع الاسبرطيين ما فوق سن الثلاثين، وصلاحياته تتمثل في انتخاب أعضاء مجلس الشيوخ، وهيئة المشرفين وأعضاء الجهاز التنفيذي إضافة للأمور المتعلقة بالسلام والحرب وخلافة الملوك.

وقد خشي هذا المجلس باستئثار باوسانياس بالنفوذ، خاصة وأنهم رأوا من العلامات ما يدل على ذلك فاستُدعي إلى أسبرطة ورُمي بتهمة مات على أثرها جوعاً في أحد المعابد حوالي 471 ق. م، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Lang M., OP. Cit., PP., 171 F; Oliva P., OP. Cit., PP, 184 FF; Jones A.H.M., =OP. Cit., PP., 56 FF.

وبذلك تكون هذه المدينة قد عادت للانضواء على ذاتها فترة من الزمن وهو الأمر ـ إضافة لظروف أخرى عديدة ـ أدى بأثينة لأن تكون زعيمة تحرير المدن الهللينية بآسية الصغرى، التي لا زالت تحت السيطرة الفارسية «وهكذا التقت المصلحتان، مصلحة المدن اليونانية [الهللينية] الآسيوية في التحرير من السيطرة الفارسية، التي أصبح من الوارد الآن بعد المواجهة الفارسية اليونانية [الهللينية] أن تكون أشد إحكاماً من ذي قبل تثبيتاً لحدودها الغربية في آسية الصغرى ومصلحة أثينة في تزعم هذه المدن توسيعاً وتمكيناً للنشاط التجاري الآثيني في بحر أيجة[1]».

عقدت تلك المدن حلفاً مع أثينة، عرف بحلف ديلوس ConFederacy of Delos وكان هدفه، كما حدَّده توكيديدس[2] الأخذ بالثأر للخسائر التي أوقعها الفرس في بلاد الهللينيين غير أن المؤرخين المحدثين[3]، يفسرون ذلك الهدف بشكل أوسع، وهو تحرير كل المدن الهللينية الآسيوية من السيطرة أو النفوذ الفارسي.

تعهد في ذلك الحلف، كل حليف بتقديم عدد معين من السفن، أو مقدار محدد من المال، لمن لا يملك الأولى، وذلك لاتخاذ الاستعدادات لردع الأخطار الفارسية.

وبمرور الوقت أخذت أثينة تتسلط على بقية الحليفات، فأجبرت مدناً هللينية أخرى على الدخول في الحلف[4]، كما منعت من حاولت الخروج أو

= راجع أيضاً ما سبق ذكره بهذا الفصل، صفحة 120 هامش.

(1) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص 162.

(2) I, 99, 105, 2; V, 77.9.

(3) Barnes J., "Cimon and the first. Athenian Expedition to Cyprus". **Historia Zeitschrift Fur Alte Geshichte II,** (1950), PP., 163 FF; Hammond N.G.L., OP. Cit., PP., 269 FF.

(4) إذ بعد قيام كيمون CIMON 476 ق. م بحملة على تراكية واستيلاؤه على الحصون الفارسية على طول الساحل أجبر كارستوس على الانضمام لهذا الحلف. =

الحياد عنه[1]، وهو الأمر الذي يوحي بتحويلها بهذا الحلف من أهداف عامة إلى أهداف خاصة يخدم أغراضها فقط.

وقد تأكدت تلك المزاعم، عقب إقدامها [أثينة] على سلسلة من المعارك التي أجبرت الفرس على التراجع عن سيطرتهم على بعض مدن آسية الصغرى المطلة على بحر أيجة، ومن أهمها معركة نهر يوريمدون Eurymedon في بافيلية على الساحل الجنوبي من آسية الصغرى سنة 466 ق. م[2].

بعد تدعيم أثينة لنظاميها الدستوري [الديموقراطي] والاقتصادي[3]، وجدت نفسها أمام منافسة جديدة من قبل أسبرطة التي بدورها اختطت منهاجاً سياسياً خاصاً بها مكنها من تزعم حلف عرف باسم الحلف البلوبونيس.

وكما تعارف المؤرخون على تسمية ذلك الصراع بالحروب البلوبونيسية تعارفوا على تقسيمه إلى مراحل ثلاث، تبدأ الأولى في 431 ق. م، واستمرت لمدة عشر سنوات تبادل فيها الفريقان [الآثيني- الأسبرطي] الهجمات، كانت خطة الآثينيين فيها هي عدم الاشتباك مع أسبرطة في أي موقعة برية لضعفهن في هذا الجانب والتحصن داخل أسوارهم، وهو الأمر الذي يعني ترك أتيكة للاجتياح، في حين قام الآثينيون بالهجوم على

= Barnes J., OP. Cit., P., 166.

(1) لما كان دستور هذا الحلف والذي كان حلفاً هجومياً دفاعياً، غير مكتوب وغير محدد بشروط، إلا أنه عندما حاولت ناكسوس أن تنسحب منه سنة 467 ق. م، قامت أثينة بهدم أسوارها وأجبرتها على تسليم أسطولها، كما فرضت عليها بالإضافة إلى ذلك جزية كعقاب لها على ذلك Miggs R., OP. Cit., PP., 70 FF.

(2) Ibid, PP., 75 FF, 86; Bury J.B., OP.Cit., P., 337.

(3) عمل بركليس Περικλνς على أن يكون ترشيح طبقة أولئك الذين يملكون زوجاً من الثيران Zeugitae لوظيفة آرخون Archon جائزة كما بدأ في دفع أجور للمحلفين في المحاكم العامة، وكان هذا الإصلاح ذا بال فقد مكن المواطنين الفقراء من العمل في دور القضاء، للمزيد عن ذلك انظر: -

Raubistschek. A.E., "The peace Policy of Pericles", American Journal of Archaeology, (1966), PP., 37 FF.

البلوبونيسيون بغارات ساحلية بغية القضاء على تجارتهم ثم تدمير ميجارة للقضاء على محاصيلهم الزراعية.

إنتهت هذه المرحلة بصلح نكياس The Peace of Nicios وذلك في من عام 421 ق. م، بشروط أهمها السلام لمدة خمسين عاماً(1).

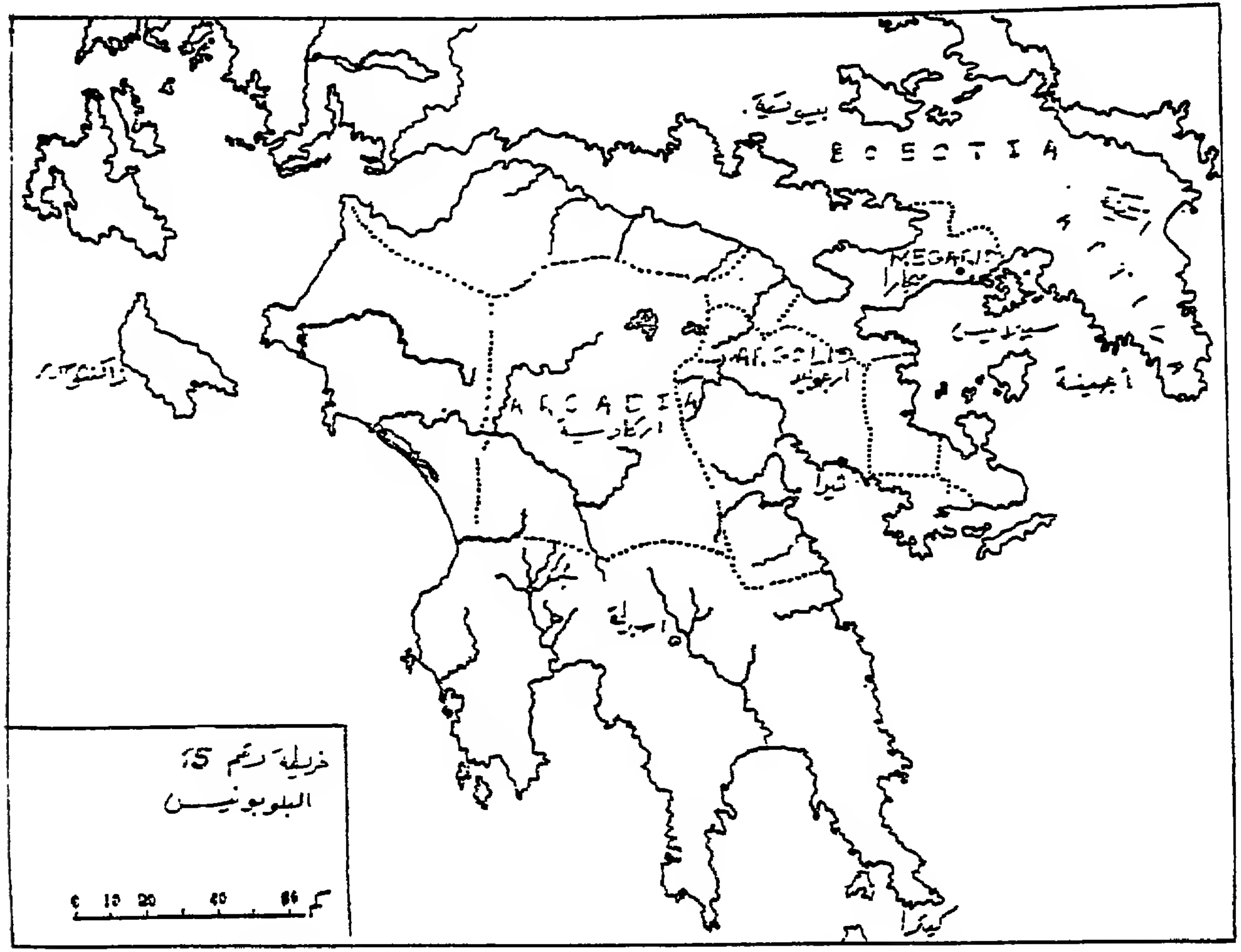
المرحلة الثانية من تلك الحرب، استأنفتها أثينة قبل انقضاء مدة الاتفاق بزمن طويل، وذلك حينما أدرك حكامها بأن إمكانياتهم تمكنهم من تحقيق نصر ربما حاسم على أسبرطة، ومما عجل بذلك الاستئناف أن الفرس، بعد أن مروا بمرحلة ساد فيها الارتباك على الصعيد العائلي، إذ قتل فيها أكسركسيس (الثاني) وسوجديانوس، ثم تولى الحكم داريوس (الثاني)(2)، بدأوا يقومون بتحريض مدن الحلف الآثيني على زعيمته أثينة، نظير ما قامت به هذه الأخيرة من مساندتها بالجند المرتزقة لوالي ساردیس والمسمى Pissuthnes سنة 413 ق. م، والذي قتله داريوس (الثاني) على ثورته تلك والتي يُذكر أنها لولا انشقاق أولئك المرتزقة عن الثائر وابنه لكانت ليدية قد خرجت عن ذوع الفرس(3).

وما يهمنا في هذه المرحلة إضافة لخضوع ليدية ومساندة أسبرطة هو تلك المنافسة التي أوجدها، ما يحبذ البعض تسميته غيرة أسبرطة والفرس من نهضة أثينة الأدبية والسياسية، التي نمت بعد اندحار الفرس عنها وترعرعت في عصر بركليس Περικλῆς، ولعل أكثر ما أزعج الفرس في نمو أثينة السياسي والاقتصادي بدء امتداد نشاطها داخل حدود الامبراطورية الفارسية، إذ كانت [أثينة] قد ساندت ثورة المصريين بزعامة إيناروس بإرسالها السفن

(1) Thuc., IV, 75.2; V, 1; Diod, XII, 72,4,73; Just, XVI, 3.9 FF; Aristophan, Pax, 107 FF; Meiggs R., OP. Cit., PP., 340 FF; Oliva P., OP. Cit., PP., 164 FF; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 310.

(2) راجع ما سبق ذكره بالفصل الأول، الباب الأول، صفحة 56.

(3) Herod., III, 160 FF; Kte., Per, 66 FF; Olmstead A.T., OP. CIt., P., 359; P., 364.



خريطة رقم ـ 15 ـ

التي ساهمت في تعزيز تلك الثورة[1]، وهو الأمر الذي يوحي ببدء أثينة في استغلال إمكانيات ذلك الحلف في برامج بعيدة مكانياً، في محاولة منها لإشغال الفرس داخلياً، أو لعلها وهذا أقرب إلى توجهاتها كانت تهدف إلى استعادة مستعمراتها التجارية بالخارج الأمر الذي دفع بارتاكسركسيس (الأول) رداً على العمليات الأثينية أن يُرسل معونته إلى أسبرطة سنة 458 ق. م فأُلحقت بذلك الهزيمة بأثينة في تاناجرا Tανaγρα مما دفعهم إلى التماس عقد الصلح مع الفرس، وهي المعاهدة التي عُرفت باسم صلح كالياس Peace of Callias وذلك سنة 449 ق. م[2].

أما عن منافسة أثينة وأسبرطة، فأنه إضافة لما ذُكر، اختلاف أديولوجيتهما فالأُولى تسودها الديموقراطية المحضة في حين الثانية تقبض عليها يد الارستقراطية الحديدية فوقعت المدن الهللينية الأخرى بينهما، وهو الأمر الذي جعل عملية وقوع الصدام المسلح بينهما مجرد توقيت، فكان ذلك في سنة 431 ق. م، والذي تعارف المؤرخون على تسميته بالحروب البلوبونيسية Πελοποωησιακο Πολεμο.

«تعتبر الفترة بين نهاية الحروب الفارسية وبداية الحروب البلوبونيسية من العهود التي تمثل لنا مجرى التاريخ اليوناني [الهلليني] أحسن تمثيل، فهي تتصف بنشاط الحياة الاقتصادية وازدهار الحضارة، كما إنها حافلة بالمنازعات الحربية والتقلبات السياسية[3]».

داريوس (الثاني) تمكن أيضاً من إجبار كل من كلازوميناي

(1) راجع ما سبق ذكره بالفصل الأول، الباب الأول، ص 58.

(2) Raubitschek A.E., :The Treaties between Persia and Athens" **Greek, Roman and Byzantine Studies,** V, (1946), PP., 151 FF; Meiggs R., **OP. Cit.,** PP., 129 FF; Burn A.R., **OP. Cit.,** PP., 562 FF; Olmsteead A.T., OP. Cit., P., 308.
وكان من أهم شروط صلح كالياس، أن تتخلى أثينة مستقبلاً عن دعمها للثوار وعلى وجه الخصوص في مصر وقوريني.

(3) محمد كامل عياد، **المرجع السابق**، ص 388.

Κλαξοηεναι وتيوس Τεος ولبيدوس Λαβυδος وأفسوس Εφεσος" فوكيا Φωκαια وقوريني على إعادة اعترافهن بالخضوع للسيطرة الفارسية، ودفع المتأخر من الضريبة أو الجزية المفروضة عليهن وإنزال حاميات عسكرية فارسية ببعضهن[1].

أرادت أثينة في المرحلة الثانية هذه، قطع أحد شرايين أسبرطة الاقتصادي فأرسلت قوة بحرية لإخضاع سيراكوزا، بغية السيطرة على المدن الهللينية بجنوب إيطالية، وذلك في الفترة ما بين 414/413 ق. م[2].

ثم عادت الحرب وانحصرت ضد المدن الهللينية وبعضها ببلاد الهللينيين خاصة ضد أثينة وحليفاتها، الأمر الذي أدى ببعض قوادها للانقلاب عليها، وانتهى الشوط بتدمير أثينة براً وبحراً سنة 413 ق. م[3].

حوالي هذا الوقت كان نفرنيس المصري قد استعان بالأسبرطيين، فأمدهم بما كانوا في حاجة إليه من غلال وسلاح ومال لحروبهما ضد عدو مشترك[4] وهو الفرس الذين ظلوا طيلة عهد داريوس (الثاني) يُساندون الضعيف ضد القوي حتى يقوى ثم ينقلب ميزانهم ليضعفوا الثاني وهكذا.

لم تستثمر أسبرطة نجاحها أو نصرها عام 413 ق. م بالسرعة المطلوبة، لقلة إمكانياتها البحرية التي حاولت استكمالها بالاستعانة بالفرس الأخمينيين الذين بعد فترة رأوا فيها أن الطرفين [أسبرطة - أثينة] منهكين معاً،

---

(1) من المُستنتج، وكما سيتم إيضاحه في الباب الثاني من هذا البحث، أن قوريني حتى نهاية الأسرة الباتية بها، لم تقم فيها حامية فارسية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يُؤكد هذا القول إن قوريني ظلت هذا التاريخ 414 ق. م تابعة للفرس وهو ما ينافي رأي شامو، المرجع السابق، ص 253.

(2) راجع ما سبق ذكره بهذا الفصل، صفحة 118 وما بعدها؛

Bury J.B., OP. Cit., PP., 484 FF; Hammond N.G.L., OP. Cit., PP., 387 FF.

(3) Ibid, PP., 395 FF; Bury J.B., OP. Cit., 487 FF.

(4) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 64 وما بعدها.

ماطلوا في تحقيق ذلك الطلب الذي ساهم فيه أيضاً انشغال داريوس (الثاني) بالقضاء على الثورات في سورية وفي مصر[1].

تورد المصادر أنه في سنة 411 ق. م عقد الأسبراطيون معاهدة مع داريوس (الثاني) وقد وقّعها كل من تيسافرنيس Tissa Phernes وفارنابازوس، عادت بمقتضاها المدن الهللينية الواقعة على سواحل آسية الصغرى، مقابل بحر أيجة، للسيطرة الفارسية وذلك مقابل إمدادات بحرية أرسلها العاهل الفارسي ووضعت تحت قيادة ليساندروس Λυσανδρος التي تمكن بها الأسبرطيون من إخضاع المدن الحليفة لأثينة الواقعة على مداخل البحر الأسود، لخنق أثينة تجارياً، كما تمكنوا بها أيضاً من تدمير الأسطول الأثيني في موقعة أيجو سبوتامي Αλγος Ποταμοι" سنة 406 ق. م[2]، وبعد أن كانت أثينة قبل ذلك قد انتصرت على الفرس في موقعة أرجينوساي[3] Ἡ Νικη Σπισ "Αργινονσες.

بانتصار أسبرطة على أثينة واستسلام الثانية لشروط أملتها الأولى، التي قامت بوضع حكومات أوليجاركية في المدن حليفة أثينة سابقاً[4]، ينتهي عصر سيادة أثينة وانفراط عقد امبراطوريتها، ليشهد العالم الهلليني قيام أسبرطة التي بدأت بإحكام سيطرتها على كل المدن التي كانت خاضعة لأثينة من قبل، إضافة إلى التي كانت تحت سيطرتها قبل ذلك.

لا شك أن سيطرة أسبرطة، لاختلاف توجهاتها عن أثينة، كانت قاسية مريرة على تلك المدن مما أدى بها إلى الثورات المتكررة، خاصة بينها وبين

---

(1) Raubitschek A.E., OP. Cit., P., 155.

(2) Jones A.H.M., OP. Cit., P., 92; Hammond N.G.L., OP. Cit., P., 417; Bury J.B., OP. Cit., P., 503.

(3) Jones A.H.M., OP.Cit., P., 91; Hammond N.G.L., OP. Cit., P., 415.

(4) الشروط التي استسلمت بمقتضاها أثينة لأسبرطة تسليم المدينة وما تبقى من سفن وهدم القلاع والأسوار والحصون، التنازل عن الأملاك الخارجية ثم أقيم في أثينة بعد ذلك حكومة الطغاة الثلاثين.

المدن الهللينية بآسية بوجه خاص، وهو الأمر الذي أدى للاتصال بالفرس، الذين كانوا قد مروا بمرحلة داخلية شهدت موت داريوس (الثاني) وتولى الامبراطورية أرتاكسركسيس (الثاني) منيمون الذي ثار عليه أخيه قورش (الصغير)، الذي كان قد استعان بالأسبرطيين[1]، لهذا السبب إضافة إلى مماطلة أسبرطة في إعادة المدن الهللينية الآسيوية للسيطرة الفارسية، كما نصت اتفاقية سنة 411 ق. م، بدأ أرتاكسركسيس (الثاني) بمساندة أثينة عن طريق كونن Κοινον الذي خرج على حين غرة من قبرص بأسطول فارسي عظيم انقض به على أسطول أسبرطة عند شواطىء كيثوس Κυϑνος ودمره، ثم دخل مرفأ بيرئيوس وشرع في إعادة تعمير وإنشاء ما تهدم من المدينة [أثينة] خاصة أسوارها المعروفة بالأسوار الطويلة[2].

دفع هذا الأمر أسبرطة للإسراع بإرضاء الممول الكبير، الفرس، أرتاكسركسيس (الثاني)، فكان اتفاقية أو صلح الملك سنة 387 ق. م The King's Peace إذ فاوض أنتاكليداس الأسبرطي الفرس في إجراء تسوية هللينية عامة، تُصبح كل المدن الهللينية بموجبها مستقلة في حين تعود كل المدن الهللينية بآسية إلى السيطرة الفارسية[3].

في سنة 386 ق. م أجبرت البحرية الأسبرطية [من حيث المظهر فقط إذ كانت فارسية المحتوى] أثينة على قبول أو الاعتراف بهذا الصلح، وذلك بحِصارها، كما قبلت طيبة ذلك الأمر رهبةً.

هذا الأمر ـ الذي يراه الكثيرون وصمة أدبية مُشينة في تاريخ أسبرطة ـ اتخذته في سبيل إحكام سيطرتها على المدن الهللينية الأوربية، كما أثارت به

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالفصل الأول، الباب الأول، صفحة 62.

(2) من المفارقات العجيبة أن هذه الأسوار التي شيدها بركليس ضد الفرس، هدمها الذهب الفارسي وأعيد تشييدها به أيضاً.

(3) Xen., Hell, V, 1.6, 25 FF; Diod., XIV, 110; Pelop. 30; Polyaenus, II, 24 Aelian, Var. hist., XIV, 39; Athen., II, 48 E; Olmstead A.T., OP. Cit., PP., 394 FF

توجسات كثيرة بينها، يُعتبر من جانب الفرس نجاحاً دبلوماسياً، فهي أي فارس نجحت في اتباع سياسة فرّق تسد، فهي أرادت أن ينشغل عنها المدن الهللينية ببلادهم خاصة أثينة، لما لها من تطلعات مزعجة، فانشغلت بنفسها وكُف بلاها عن الفرس، بعدم تدخلها أو تحريضها لمدن تقع تحت السيطرة الفارسية، وهذا ما تحقق وكان، وإن كان بعد مُضي أكثر من قرن من الزمان، وإنفاق الكثير من المقدرات المادية والبشرية، ناهيك عن الآثار الجانبية الأخرى.

بعد ذلك ولظروف عديدة، ما لبثت سيطرة أسبرطة على المدن الهللينية أن هوت ليقام صرح سيادة جديدة وهو سيادة طيبة من بيوثية، والتي بدأت بسلسلة من التحركات أكدت بها سيطرتها على المدن الهللينية.

ولما كانت صاحبة هذه السيادة الأخيرة، أقل باعاً من سابقتيها في مجالات الحضارة وفي الماضي التاريخي فإن سيطرتها أو سيادتها على المدن الهللينية سرعان ما تلاشت، لتحاول أثينة مجدداً ملء ذلك الفراغ، ولكن سرعان ما انسلخن حليفاتها الجدد عنها، في الوقت الذي كانت فيه قوة جديدة تستأثر بالسلطان وهي مقدونية Μακεδονια.

الإسكندر المقدوني وزحفه على الفرس:

تقع مقدونية جنوب شرق أوربة، في شبه جزيرة البلقان Πελαγος ممتدة من بحر أيجة باتجاه الشمال ما بين إبيروس Επειρος" غرباً وتراكية شرقاً.

كان سكانها ملل عديدة، معزولة عن العالم الخارجي، قبل أن تنصهر في بوتقة وحدة سياسية منذ القرن السابع قبل الميلاد، إذ لم تعرف نظام المدينة الدولة الذي عرفه جيرانها الهللينيون، وإن كانت قد اقتبست عنهم كثير من مظاهرهم، بتأثير أو عن طريق المستوطنات التي أنشاءها الهللينيون على سواحلها، وبفضل ملوكها فيما بعد، الذين أخذوا ينهلون من مناهل الحضارة

الهللينية منذ القرن الرابع قبل الميلاد[1].

كانت مقدونية قبل أن تتبوأ سيادة العالم القديم، يعتمد اقتصادها على مصادر متنوعة، وإن كانت تصلح قاعدة لدولة إلا أنها قاصرة عن إمداد إمبراطورية.

كان المقدونيون يخوضون من أجل الاستحواذ على العرش سلسلة من الحروب الأهلية والاغتيالات قبيل وعقب تولي الملوك عروشهم وسط حالة تتفشى فيها الفتن والتهديد بالاجتياح والغزو الخارجي وذلك قبل أن يؤول الأمر إلى عائلة أرجيد Arged التي تربعت على عرش مقدونية لزمن طويل، ظهر خلاله أكثر من ملك[2]، كان أعظمهم الملك الإسكندر (الثالث) الابن الأكبر لفيليب (الثاني) والذي صار يُعرف فيما بعد بالإسكندر الأكبر أو الإسكندر المقدوني، والذي كان على يديه نهاية الفرس الأخمينيين السياسية.

عقب مناداة الجيش به ملكاً، قام الإسكندر (الثالث) جرياً على عادة أسلافه بقتل جميع معارضيه أو ممن وجهت إليهم تهمة اغتيال فيليب (الثاني)، ثم خاض غمار عدة معارك أعاد بها مدن حلف كورنثوس لسيطرته من جديد، ونودي به في اجتماع تلك الرابطة قائداً للحملة المزمع إرسالها إلى آسية، حيث سار إلى تراكية فسحق مقاومتها الشعبية، وعبر الدانوب فأخمد ثورة الداشيين، ثم دار لسحق تحالف الليري قام ضده وغزا مقدونية أثناء غيابه عنها[3] ثم اقتحم طيبة ودمرها عندما أعلنت رفضها لزعامته عقب سماعها بإشاعة موته[4] ثم في ربيع سنة 334 ق. م تحرك قاصداً الشرق،

(1) Weigall A., **Alexander the Great,** (London, 1935), PP., 23 FF; Cary G., **The Medieval Alexander,** (Cambridge, 1967), PP., 17 FF.

(2) Fuller J.F.C., **The General ship of Alexander the Great,** (London, 1958), PP., 15 FF.

(3) Weigall A., **OP. Cit.,** PP., 122 FF;
تارن. و. و، الإسكندر الأكبر ترجمة زكي علي، مراجعة محمد سليم سالم، (مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 1963)، ص ص 27 وما بعدها.

(4) KYPIAIΔH B., **OP. Cit.,** PP., 382 FF; Fuller J.F.C., **OP. Cit.,** P., 81.

مبتدئاً زحفه في أراضي الامبراطورية الفارسية على رأس جيش أدخل عليه تعديلات هامة اعتبرت ابتكارات في فن الحروب، وجعلت منه أول من حقق جيشاً نظامياً متوازياً، عرفه العالم القديم[1].

يُعدِّد الباحثون دوافع الإسكندر التي حركته للسير تجاه الفرس الأخمينيين فيضع المؤرخون الهللينيون القدامى[2] والمؤرخون والباحثون الغربيون من بعدهم[3] عملية الأخذ بالثأر لغزو بلاد الهللينيين في المرتبة الأولى إذ يرى هؤلاء أن الإسكندر (الثالث) كان مصمماً على قتال الفرس، وهي فكرة نشأ عليها بتأثير معلمه أرسطو Αριστοτελης".

وهي فكرة لا تختلف عن رأي غيره من فلاسفة زمانه «أن البرابرة جميعاً أعداء بالسليقة وأنه من اللائق أن يشن الهللينيون الحرب عليهم، ولو أدى الأمر إلى استرقاقهم أو إبادتهم[4]» في حين يقول البعض من الباحثين على جرى الإسكندر (الثالث) الذي تضافرت عوامل مولده وفطرته وتنشئته وراء الشهرة والمجد ولذة المغامرة[5] أو أنه أراد علاج التناقضات التي اعترت النظم السياسية الهللينية والتي لم يكن بالوسع إيجاد حل لها داخل بلاد الهللينيين إلا بقلب النظام القائم رأساً على عقب، ولم يكن الزمان يساعده على ذلك، ولذا لم يعد هناك سبيل للتخفيف من حدة التناقضات أو تجاوزها إلا بتحويلها إلى مواجهة خارجية، تحمل الحرب إلى الخارج والسلم إلى الداخل[6].

---

(1) Ibid, PP., 281 FF;
محمد أسد الله صفا، المرجع السابق، ص 175 وما بعدها.

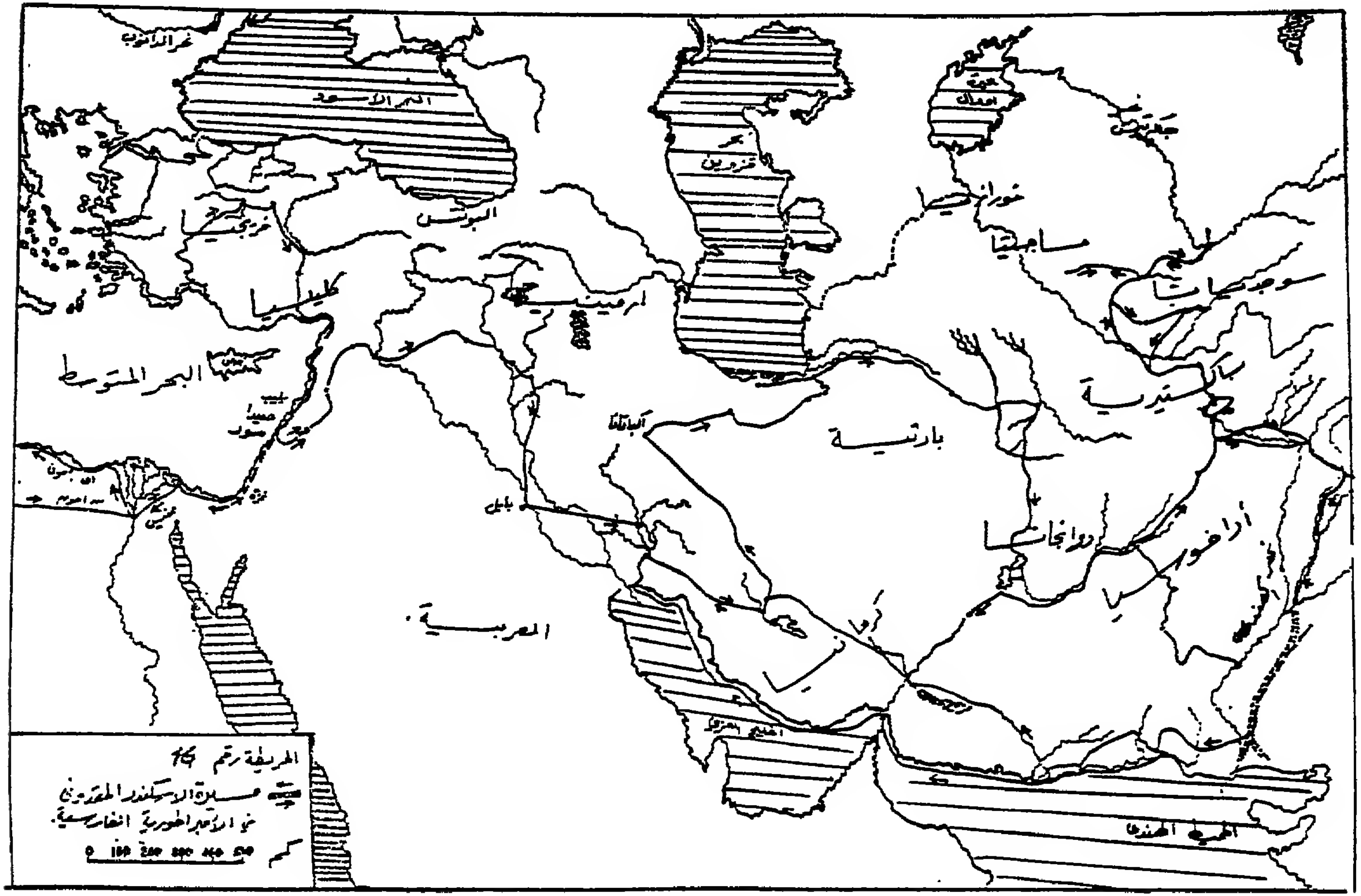
(2) Arr., I, XIV, 4; Diod., XVII, 7,3.

(3) Weigall A., OP. Cit., P., 133.

(4) تارن و.و، المرجع السابق، ص.

(5) تارن و.و، المرجع السابق، ص 31.

(6) إحسان سركيس، الآداب القديمة وعلاقتها بتطور المجتمعات، (دار الطليعة، بيروت الطبعة الأولى، 1988 م)، ص 204.



الخريطة رقم ـ 16 ـ

ذلك في حين تذهب الأبحاث الحديثة، التي استندت في آرائها على نتائج غزو الإسكندر للشرق، تذهب إلى أن المبررات ذات اتصال أو علاقة بما كانت تعانيه بلاد الهللينيين من نقص في الغذاء، الذي اشتدت وطأته أبان القرن الرابع قبل الميلاد(1)، إذ أن حركة الاستعمار لسواحل شرقي المتوسط والبحر الأسود والثورة الاقتصادية التي أعقبتها لم تكونا بكافيتين لتوفير الغذاء بصفة دائمة. ولسوف بفتح الامبراطورية الفارسية توجد آفاقاً جديدة أمام مستعمرين هللينيين جدد «إن الإسكندر كان في أشد الحاجة إلى ثروة فارس ليظل باستطاعته الاحتفاظ بالجيش العديد الذي بناه وخلفه له أبوه ولدفع ما عليه من ديون بلغت يومئذ خمسمائة تالنت [وزنة فضية] لذا لم يكن دعوته الهللينيين لمحاربة الفرس بدافع قومي أو وطني، وإنما كانت حجة وذريعة لمغامر يسعى وراء الثروة والشهرة(2)».

في ربيع سنة 334 ق. م تحرك الإسكندر بجيشه البالغ عدده أربعون ألف جندي إضافة إلى من عبر البوسفور بقيادة بارمينيون Parmenion حيث تواكبا براً وبحراً فالتقى لأول مرة بالجيش الفارسي عند نهر جرانيكوس Τρανικος والذي كان تحت قيادة مشتركة من كل من والي أرمينية ووالي فريجية إضافة إلى ممنون Memnon قائد المرتزقة الهللينيين وانتهى اللقاء بتقهقر الفرس(3).

بذلك بدأ غزوه المتلاحق لمدن الامبراطورية الفارسية الواقعة على البحر الأسود والتي سارع معظمها إلى إعلان خضوعها له طواعية، ثم حاصر ميليتوس التي امتنعت عليه، لاعتمادها على الأسطول الفارسي، الذي كان

(1) كانت قوريني قد ساهمت في حل تلك الأزمة بتصدير كميات ضخمة من الغلال للإسكندر يؤكد ذلك نقش عُثر عليه بمدينة شحات، للمزيد عنه انظر: ـ .S.E.G. IX, 2

(2) محمد أسد الله صفا، المرجع السابق، ص 43.

(3) Fox R.L., **Alexander the Great,** (London, 1978), PP., 135 FF; Fuller J.F.C., OP. Cit., PP., 88 FF.

عاملاً قرب شواطئها[1].

كما قاومته هاليكارناسوس[2] "Αλικαρνασσος"، وإن كانت أطول مقاومة لقيها كانت في منطقة كارية التي لم يستتب له أمرها إلا بعد سنتين (332 ق. م[3]).

بعد انتهائه من إخضاع القسم الغربي من آسية الصغرى، عاد على طول الطريق الساحلي إلى أن وصل مدينة برقة أو بركا[4]، في الوقت الذي كان داريوس (الثالث) قد تحرك من سورية باتجاه الإسكندر، وبعد بحث تقابلا في خريف سنة 332 ق. م في أيسوس Ἰσσος بعد أن اجتاز الإسكندر وجيشه نهر بيناروس، حيث كان الفرس متمركزين على طول الضفة الشمالية لهذا النهر، وانتهى اللقاء بهروب داريوس (الثالث) ووقوع عائلته وحريمه في أسر الإسكندر.

إتجه بعد ذلك [الإسكندر] جنوباً، قاصداً سورية وفينيقية، بغية السيطرة على موانىء الأسطول الفارسي وحرمانه من قواعده[5]، وبعد أن استولى على مدن الساحل الفينيقي ووصل إلى صور، التي رفضت الاعتراف به، حاصرها لمدة سبعة أشهر وبعد فتحه لها واصل مسيره إلى مصر فدخلها في نوفمبر [الحرث] سنة 332 ق. م دون معارضة، وذلك بعد حصاره لغزة طيلة شهرين.

(1) Fuller J.F.C., **OP. Cit.**, P., 93; Fox R.L., **OP. Cit.**, PP., 131 FF;
تارن و.و، المرجع السابق، ص 43.

(2) Fuller J.F.C., **OP. Cit.**, PP., 200 FF; Fox R.L., **OP. Cit.**, PP., 135 FF.

(3) **Ibid**, PP., 137 FF; Weigall A., **OP. Cit.**, PP., 166 FF.

(4) انظر الباب الثاني، الفصل الثالث، صفحة 269 هامش (6).

(5) يرى معظم الباحثين أن الإسكندر أراد بذلك حرمان الأسطول الفارسي من قواعده وحصره في البحر، إضافة إلى ضمان عدم اشتراكه مع الأسطول الأثيني في الانقضاض على مؤخرته كما حدث للملك الأسبرطي أجسيلاوس من قبل في 394/393 ق. م.

أقام الإسكندر بمصر طيلة فصل الشتاء، قام خلاله بوضع أساس مدينة الإسكندرية واستقبل وفداً من قوريني يُعلن مبايعته والولاء له، ثم زار معبد الإله آمون، بواحة سيوة[1]، وبذلك يكون قد خضع لسيطرته الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط.

عاد الإسكندر إلى صور في 331 ق. م ومنها سار إلى تباسكوس THAPSACUS ثم إلى بابل، ثم سار شمالاً باتجاه الدجلة حيث التقى في جوجاميلا Ταυγαμηλα بين نينوى وأربيلا ARBELA بداريوس (الثالث) الذي كان قد تقهقر مرة أخرى حيث اتجه إلى بلخ، وكانت هذه المعركة آخر لقاء للإسكندر بجيش فارسي منظم[2].

دخل الإسكندر (الثالث) بعد جاوجاميلا، مدينة سوسة، إحدى عواصم الامبراطورية الفارسية الأخمينية، حيث استولى على كنوز وأموال بلغت حوالي خمسين ألف تالنت.

وتمكن في العام 330 ق. م من دخول ميديا حيث احتل أكبتانا وفي منتصف صيف ذلك العام اتجه إلى الولايات الشرقية من الامبراطورية المنحدرة، حيث تنامى إلى أسماعه إن حاكم ولاية باكتيريا قد خلع داريوس (الثالث) وقتله ونادى بنفسه ملكاً عِوضاً عنه ولم ينجح في محاولته تلك إذ قُبض عليه فيما بعد، وأرسل إلى الإسكندر الذي عاقبه على الطريقة الفارسية[3].

استمر الإسكندر في طرق وولوج مدن الولايات الفارسية، واضعاً يده

---

(1) قد أُلِه الإسكندر بعد تلك الزيارة وظهر بشعار الإله آمون وهو قرني كبش.

(2) Fox R.L., **OP. Cit.**, PP., 226 FF; Fuller J.F.C., **OP. Cit.**, PP., 269 FF; Weigall A., **OP. Cit.**, PP., 225 FF.

محمد أسد الله صفا، **المرجع السابق**، ص ص 143 وما بعدها، تارن و.و، **المرجع السابق**، ص ص 84 وما بعدها.

(3) عن العقاب عند الفرس، انظر الباب الأول، الفصل الثالث، صفحة 140.

عليها تارة سلمياً، وتارة أخرى حرباً، وما أن حل عام 323 ق. م حتى كان قد أخضع بقية أجزاء الامبراطورية إلى حدود نهر ياكرتيس Jaxartes مخضعاً الممتلكات الفارسية في وادي نهر هندوس حتى نهر بياس، ثم احتفل في سوسة في مهرجان عظيم باستيلائه على الإمبراطورية الفارسية وإعلاناً عن سياسته المقبلة قام وبعض قادته وحوالي عشرة الآف من جنده بالاقتران بنساء فارسيات بعد أن اقتبس من مظاهر حياتهم الشيء الكثير(1).

وإذا تساءلنا عن أسباب هذا الانتصار الساحق والسقوط المروِّع فإن إضافة إلى ما يُعتبر دورة طبيعية من دورات الحياة، حيث تقابل النمو بالشيخوخة، فإن هناك مظاهر أخرى توحي بأسباب مباشرة لذلك، كإساءة تقدير الفرس، إذ أنهم استهانوا بأمر تلك القوة الناشئة والتي ظهرت عليها أعراض التمرد والعصيان منذ تولي الإسكندر (الثالث) لأمورها، إذ امتنع عقب توليه العرش عن إرسال الجزية المفروضة عليهم إلى فارس، أيضاً الاستهانة بأمر التجديدات التي أدخلت على الآلة العسكرية وتنظيم الجيوش عند المقدونيين إضافة إلى ما رافق ذلك من طموح، في المقابل نجد الفرس قد غرقوا في منازعات جانبية مهلكة، مذهبة بالتدابير السليمة لإدارة وصيانة الأمبراطورية، فداريوس (الثالث) لم يقول العرش إلا منذ مدة وجيزة، كان قبل ذلك بعيداً عنه، كما كان ذلك العرش قد أُحيط ببطانة لا يتجاوز نظرها كرسيه وبلاطه.

إضافة إلى عوامل أخرى كجمود نظمهم العسكرية والإدارية، اتكالهم على الجند المرتزقة. وثمة ظاهرة أخرى اجتماعية ساعدت على الاضمحلال وساهمت في السقوط وتلك هي سيطرة النساء والحريم، النساء الغير قديرات والتي كانت فيما يبدو رهيبة، مما أحدث سوء توزيع في النفوذ والسلطة فقد

---

(1) Hammond N.G.L., OP. Cit., PP., 633 FF; Bury J.B. and Meiggs R., OP. Cit., P., 478;

تارن و.و، المرجع السابق، ص 175/176.

ذُكر ما كُن يتحلين به هؤلاء النسوة والحريم من سيادة أدبية خاصة بالبلاط، مما انعكس أثره على التدهور المعنوي لرجال فارس.

فكان سقوط الأمبراطورية الفارسية الأخمينية القصاص اللازم لتلك الأسباب والظواهر. ومن الملاحظ عبر تتبع هذا التسلسل التاريخي إن الامبراطورية الفارسية رغم ما مر بها من ظروف سياسية أدت في بعض الأوقات أن تشهد الثورات في معظم أطرافها وأنه لم يمر عليها عام تقريباً دون أن تجرد جيشاً ضد هذه الولاية أو تلك، رغم ذلك كانت عند سقوطها أمام جيوش الإسكندر المقدوني، تحتفظ بجميع حدودها التي امتدت إليها في أقصى اتساعها في عهد داريوس (الأول).

كما يُلاحظ أيضاً إن الإسكندر عند غزوه للشرق وإخضاعه للولايات الفارسية بدأ عمله كما لو كان انحسار أو جزر للمد الفارسي الذي بدأ منذ القرن السادس قبل الميلاد.

الفصل الثالث

الحضارة الفارسية

أولاً: الإدارة.

ثانياً: الديانة.

ثالثاً: الحياة الاقتصادية.

رابعاً: الحياة الاجتماعية.

خامساً: الناحية الفكرية.

سادساً: العمارة والفنون.

تأثرت الحضارة الفارسية الأخمينية، كما سيتضح، بمجار كثيرة، جعلت منها حضارة شرقية، فقد تخطى الميديون والفرس الحياة البدوية الصرفة عقب اتصالهم بجيرانهم من العيلاميين والأشوريين وغيرهم، ثم جعلت الفتوحات العسكرية من الأخمينيين ورثة أعظم الامبراطوريات القديمة وسادة لأقطار تأصلت فيها أعظم الحضارات قدماً.

لقد قامت حياة الأخمينيين على السياسة والحرب أي على القوة والسلطان، أكثر مما قامت به على المال والاقتصاد، ولما كانت تلك العائلة [الأخمينية] لا تشكل نسبة وسط ذلك المحيط الضخم من الأجناس البشرية التي سادتها، فأنها عمدت ومنذ زمن مبكر إلى اتباع سياسة اصطناع الصبر والإناة والتساهل أحياناً، ونبذ العنف ما أمكن ذلك على الرغم من أن ثقتهم لم توضع في غير الفرس أو الميديين إلا في حالات قليلة.

نشأت عن هذه الحالة في المجال السياسي، صعوبات مباشرة، أظهرت حدتها الأزمة التي برزت عند اعتلاء داريوس (الأول) 522ـ486 ق. م العرش وغدا من الضروري إيجاد نظام، وإن كان إدارياً أقله لإمبراطورية لا تعرف أي وحدة إذ هي خليط بلاد متعددة الشعوب تختلف في الدين واللغة والنظام الاجتماعي والحياة الاقتصادية.

لم يكن، كما سيتضح، الهدف من ذلك النظام، توحيد تلك الحضارات وصهر تلك الأمم إذ وباختصار هدف الفرس إلى أن يروا أوامرهم تنفذ والجزية تدفع لهم بانتظام وتعبئة جيوشهم تتحقق أي أنهم اهتموا بوضع

أساس سياسي وإداري ثابت ضماناً لتدعيم كيانهم واستمرار بقائهم، فكان أن أوجدوا نظاماً إدارياً من أقدر الأنظمة حتى ذلك الوقت.

هذا ولقد تمثل البناء الإداري الفارسي الأخميني في: ـ

الملك:

الذي يقوم على رأس هذا البناء، ويُعرف بلقب المحارب [خشاترا] مما يدل على الأصل الحربي وعلى الصفة العسكرية في نشأة الملكية الأخمينية، كما كان يُلقب بملك الملوك(1)، إذ كان قد دان له بالطاعة عدد من الملوك الآخرين عقب سيطرته عليهم.

كانت سلطة الملك نظرياً استبدادية، فهو مطلق الصلاحية، لا يحق لفرد أو مجلس جماعي أن يقاسمه تلك السلطة، أو يراقب كيف يستغلها، أنه ملهم إلاهياً من أهوارمازدا(2) Ahura Mazda

ولا تعتبر السلطة الملكية المطلقة، التي تقررها الإرادة الإلهية تجديداً فارسياً أخمينياً إذ نراها عند المصريين [الفراعنه] كما نراها في بابل، إذ أشار إليها حمورابي Hammurabi في قانونه، وإن كانت لدى الفرس الأخمينيين أشد وضوحاً وأكثر استمراراً(3).

كان يحق للملك أن يختار ولي عهده من بين أبنائه، ومع ذلك فقد ظلت وراثة العرش كما سبق في أغلب الأحيان، عرضة لما تقرره الثورات والفتن داخل العائلة الأخمينية(4).

---

(1) لم يستحدث الفرس الأخمينيين هذا اللقب إذ كان قد تلقب به ملوك الأمم السابقة لهم ومنهم الملك الحثي شوبيلو ليوما، انظر عن ذلك: ـ انطون مورتكات، **المرجع السابق**، ص ص 206، 227.

(2) Vaux W.S.W. OP. Cit., P., 89.

(3) عن حمورابي، انظر ما سيأتي ذكره بالصفحة رقم 198 هامش (3 من هذا الفصل)

(4) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 52 وما بعدها.

كان يحد من سلطة الملك تلك عملياً، قوة الطبقة الارستقراطية، التي كادت تنحصر في ست قبائل فارسية[1]، إذ كان الملك يستشيرهم في الأمور الهامة، وإن كان في النهاية رأيهم غير مقيد له.

ففي الفترة ما قبل تسلم داريوس (الأول) 522 ق. م للعرش، يذكر أن كثير من النبلاء الفرس، كانوا يزورون القصر الملكي ويشتغلون بتدبير أمور الملك، وكان أغلب رجال الطبقة الارستقراطية يدينون للعرش بالولاء والإخلاص لأن الملك كان من يقطعهم الإقطاعات والولايات في مقابل أن يمدوه بالرجال والمعدات وقت الحاجة، وكان هؤلاء الارستقراطيون يتمتعون في إقطاعاتهم بالسلطة التامة التي تخول لهم جمع الضرائب وسن القوانين وإنفاذ الأحكام والإشراف على القوات التي تحت أمرتهم.

لكن بعد داريوس (الأول) نظمت مبادىء دقيقة جداً جميع أعمال الملك فهو يعيش في جناح خصوصي دون أن يستطيع أحد الاقتراب منه، إذ أحاط نفسه بحرس خاص.

كان كل شيء يجري باسم الملك، وتتخذ القوانين الملكية العمومية شكل تصريحات شفوية تُصدرها دوائر الدولة، والتي منها وزير ينتخبه الملك، يقوم إلى جانبه.

وقد استندت هذه المركزية إلى وسائل عديدة أخرى كالجيش والطرق والبريد واللغة وغير ذلك.

---

(1) هذه القبائل الست غير تلك التي ساهمت مع داريوس (الأول) في استتباب أمور الامبراطورية غداة توليه العرش، وللمزيد عن تلك القبائل انظر: -

Vaux W.S.W., OP. Cit., P., 75;

نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء السادس، حضارات الشرق القديم، «العراق وفارس»، (دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1967م)، ص 412.

كان جهاز الموظفين بالقصر يشمل إضافة إلى ما سبق، المدير الأول للقصر رئيس البيت، الخصي الأول، عينا الملك وأذنيه، والتشريفاتي، حامل الكأس، وكبير السقاة، رئيس سواس الخيل، رئيس الخزينة، سائق العربة الملكية، حامل الرمح، حامل الصولجان، إضافة إلى الرسل، الأطباء، الموسيقيين، الصيادين والطباخين(1).

يذكر المؤرخ اكتسياس Ktesias أن الملك كان يُطعم يومياً خمسة عشر ألفاً من الناس وأنه كان يقدم في طعامهم لحوم الغنم والماعز والإبل والبقر والخيل والحمير، كما كانت لحوم أنواع الصيد كالنعام والأوز تؤكل أيضاً وكانت تقدم للملك مائدة منفردة، غير أنه أحياناً يُسمح لأولاده المقربين بالأكل معه(2).

كما يذكر ذلك المؤرخ أنه في كثير من الأحيان كان الملك يُمعن في السكر وهو متكىء على الأرائك الذهبية، وفي الولائم الكبيرة التي كان يترأسها بنفسه، وكانت أطباق الذهب والفضة عديدة، معروضة بأبهة وفخار(3).

وكما كانت الحروب، كان الصيد أيضاً من دأب الملوك الأخمينيين، فكان الملك منهم يخرج للصيد لمطاردة الحيوانات المفترسة، بمساعدة الكلاب، تماماً على الطريقة الآشورية والمصرية الفرعونية قبل ذلك، حيث كان الحيوان يُحفظ في سياج ضخمة ويطارد بالخيول وقد يتم إيقاعها في أفخاخ قبل رميها بالسهام في كثير من الأحيان(4).

أما في داخل القصر فقد كان الملك يُسلي نفسه خاصة العواهل المتأخرين، الذين تركوا شؤون الحكم لوزرائهم، بممارسة بعض الهوايات

---

(1) أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 149؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص 623.

(2) Burn A.R., OP. Cit., P., 245.

(3) Ibid.

(4) Xen., Kypoy Anaba, I, 5.2.

الخاصة مثل الحفر أو مسح الخشب وإن كان أغلبهم قد انصرف إلى الحب واللهو الغير مجدي[1].

يظهر الملك على المنحوتات الفارسية، مرتدياً ثوباً فضفاضاً، أرجواني اللون ورثوه عن الميديين، يعلو رأسه عمامة عالية ذات لون براق، يظهر تحتها الشعر مجعداً، أو يكون مُسرّحاً بأشكال مختلفة[2]، كما كانوا يتزينون بأدوات الزينة المختلفة من أقراط وأساور وأحزمة، في الغالب كانت من الذهب بالإضافة لأدوات الزينة الأخرى كالكحل والطيب والزيوت العطرية وغيرها.

وكما كان الملك، كانت الملكة أيضاً سيدة على حريمها في البلاط، ولها دخلها الخاص بها كما كان لها موظفون وخدم خاصين بها.

وقد لعبت بعض الملكات أدواراً غير مباشرة كان لها أثر خطير على مجريات أمور الامبراطورية ولعل أوضح مثال ما قامت به أستير [اليهودية] أو امستريس زوج الامبراطور أكسركسيس (الأول)[3] 486-465 ق. م Αερξης (Πρωτος).

إضافة إلى ما ذكر، كان البلاط يعج بالعديد من الخصيان والجواري والحريم مما سبب عقب انزواء الملوك عن الإشراف الدقيق على أمور البلاط، نتائج سلبية لا مفر منها كدسائس الحريم والاغتيالات ومكايد الوزراء والخصيان.

وعلى الرغم من كل ما ذُكر فإن العاطفة الوطنية الصادقة كانت واضحة في حياة الملك وشعبه حتى لا نراهم يقدمون أدعيتهم من أجل نفع ذاتي بل من أجل سعادة البلاد جميعاً ثم سعادة الملك.

القوانين:

كان الملك رغم تقيده بعادات وتقاليد كثيرة، المصدر الأول للقوانين

---

(1) Gobineau J.A., **OP. Cit., PP.,** 111 **FF.**

(2) انظر تفصيل ذلك عند الحديث عن النحت بالصفحة رقم 201 وما بعدها من هذا الفصل.

(3) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 1.

وكانت أحكامه التي يصدرها مُوحى بها من الإله أهورا مازدا، وعلى ذلك لم يكن بالإمكان نقضها.

ويذكر أنه إلى جانب الملك كان يوجد، كهيئة تشريعية، شيخ عالم يتولى صياغة رغبات الملك وأوامره إلى جانب سبعة قضاة، يؤلفون محكمة عليا، وإلى جوار المحكمة كانت هناك محاكم محلية بمختلف أرجاء الامبراطورية.

تولى شؤون القضاة بتلك المحاكم لفترة طويلة من الزمن الكهنة[1]، ويذكر هيرودوتس أن عقب تعقد مواد وقواعد القانون الفارسي، وجِد ما عُرف باسم طائفة المتفقهين في القانون، الذين أخذوا على عاتقهم تفسير القوانين للمتخاصمين ومساعدتهم على السير في قضاياهم... تلك الجماعة تطورت في العصور اللاحقة إلى أن تولى أمر القضاء رجال من خارجه، بل جلس على كرسيه بعض النساء أيضاً[2]!!.

استطاع الدارسون الآن أن يترجموا بعض النصوص القانونية، إذ لم يصلهم منها إلا القليل، وهو ما وجد منقوشاً في بهستون وبرسيبوليس ونقشي روستام وسوسة وغيرها، وأن يعقدوا المقارنات بينها وبين شريعة حمورابي التي كثيراً ما نسخت وكانت أساساً للمعاملات لدى مستشاري داريوس (الأول)[3].

وقد سُجلت هذه النصوص الرسمية على لوحات طينية وعلى أوراق

---

(1) James E.O., **Myth and Ritual in the Ancient Near East, An Archacological and Documentary,** (London, 1958), PP., 231 F; Haurt C., **OP. Cit.,** P., 105.

(2) ول ديورانت، المرجع السابق، ص 30.

(3) Boscawen C., **The First of Empires,** (London. 1906), PP., 162 FF;
توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسية القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190 ق. م، (الشرق الأدنى القديم، بلاد ما بين النهرين، بلاد الشام)، (دار دمشق، الطبعة الأولى، 1985 م)، ص ص 188 وما بعدها؛ أنطون مورتكات، الفن في العراق القديم، ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، (مطبعة الأديب البغدادية) ص ص 314 وما بعدها.

البردى، ثم أُرسلت إلى المراكز الرئيسية في أنحاء الامبراطورية، وهكذا وجدت أجزاء من نقوش بهستون مكتوبة بالآرامية على بردية في الفنتين، حيث كانت تستقر حامية فارسية، كما وُجدت أجزاء في بابل، كما عُثر على لوحة في سوسة بها نقش فيه كثير من النص الذي أمر داريوس (الأول) بأن يُحفر على قبره في نقش روستام[1].

ويلاحظ، على الرغم مما ذُكر، أن جميع الرعايا الفرس قد خضعوا لذلك القانون إلا أنه كان لتلك الشعوب أو الولايات قوانينها الخاصة التي احترمت من قبل الفرس الأخمينيين بل أمر بعض أولئك الملوك بتدوينها وتنقيحها لإدارة البلاد بها، كما حدث في مصر وبابل[2].

كان تطبيق العدل هو الهدف الأول والأسمى في القانون الفارسي الأخميني، وقد تغنى بذلك ملوكهم في العديد من نقوشهم.

كان الملك أعلى محكمة يستأنف إليها الناس الأحكام، كما كان القاضي دائم في وظيفته ما لم يثبت أنه انحرف عن مسار العدل[3].

---

(1) جاء في ذلك النقش: ـ الملك داريوس يقول بفضل أهورا مازدا، هذه هي البلاد التي استوليت عليها خارج نطاق فارس، لقد حكمتُها فحملت إلى الجزية وسكانها كانوا يفعلون كل ما أقوله لهم، وقد استمسكت بقانوني ميديا، عيلام، بارثيا، آريا، بكتيريا، سوجدياتا، خوارزيميا، دار نجيانا، اراخوزسيا، ساناجيديا، جاندارا، سند، كما استمسك الاسكيثيون بغطاء الرأس المدبب، بابل، آشور، بلاد العرب، مصر، أرمينيا، كباروشيا ساردیس، أيونية، الاسكيثيون عبر البحر، سكودرا، الليبيون، الاثيوبيون، قوم ماكا والكاريون. للمزيد عن ذلك انظر: ـ نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 4.

Olmstead A.T., 'Darius as lawgiver" **AJSL, L** 1, (1935), PP., 247 FF.

(2) راجع ما سبق ذكره، بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 48.

(3) من ذلك مثلاً أن كمبيز (الثاني) عندما ثبت له إن أحد الحكام القضاة لم يلتزم العدل فقبل رشوة، أمر بمعاقبته بقتله وسلخ جلده وتنجيد كرسي القضاء بذلك الجلد في الوقت ذاته لم يجد ما يحول بين ذلك وبين تعيين ابن ذلك القتيل ليتولى القضاء عِوَضاً عن والده.

تنقسم مواد وبنود القانون الفارسي الأخميني إلى عدة مجالات، والذي كانت قد حددت عقوباته بدقة بالغة لا تقل درجة عن ما قام به حمورابي في مسلته المشهورة فقد كان هناك درجات للجرائم، وبالتالي درجات للعقوبة سواء للأفراد العاديين أو المشتغلين بالقانون، الذين كان أشد ما يوجه إليهم تهمة تعاطي أو قبول الرشوة.

وكان الموت عقاباً للقتل العمد وهتك الحرمات والخيانة الوطنية، وما شابه ذلك من جرائم وكان يراعي ألا تطول الإجراءات القضائية.

وإذا كانت الجرائم الكبرى تتراوح عقوبتها بين الموت والحبس، فأن العقوبات الصغرى كانت الجلد، الذي تتراوح ضرباته بين الخمس والمائتين جلدة، يضربونها بسوط من سياط الخيل[1].

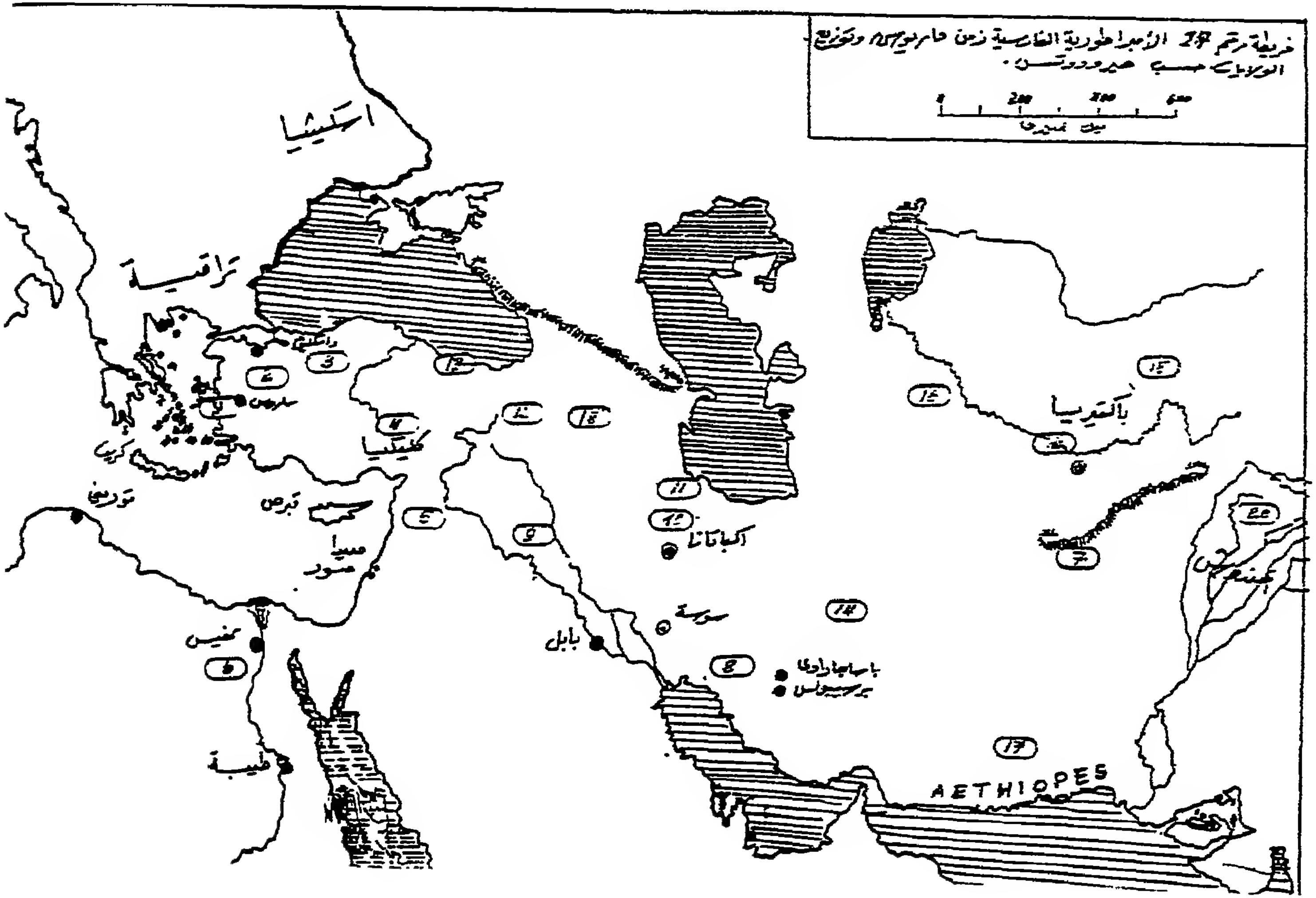
كما كانوا في كثير من الأحيان يستعيضون عن تنفيذ العقوبة بدفع غرامة مالية، تحدد قيمتها بحسب نوع العقاب[2]، وهذا الإجراء الأخير كان يمثل أحد موارد القضاء والمحاكم.

الملاحظ على قواعد القانون الفارسي الأخميني أنه في جميع مراحله حرّم على الإنسان القتل العمد كما حرّم عقوبة الإعدام على جريمة صغرى، ومن هنا يقال أن قوانين الفرس الأخمينيين لم يشوبها كثير من التغير على مختلف مراحل تاريخ امبراطوريتهم، لأنها كانت غاية في الصرامة، غير أنه لم تكن أشد أو أحزم من قوانين الامبراطوريات التي سبقتهم على وجه التأكيد.

من الأمور الإيجابية أيضاً في القوانين الفارسية الأخمينية، إضافة إلى تحديدهم أجل نهائي لكل قضية يجب النظر فيها، فقد كانوا يقبلون الكفالات

(1) **Ragozin A.Z., Media, Babylon and Persia, Including a study of the zend Avesta or Religion of Zoroaster,** (New York, MDCCCXCI), **pp.,** 139 FF; **Olmstead A.t., OP. Cit., P., 259.**

(2) من ذلك مثلاً أن جريمة القتل الخطأ عقابها تسعون سوطاً وكل سوط يُدفع عوضاً عنها ستة شواقل.


الإمبراطورية الفارسية
وتوزيع
الولايات حسب هيرودوتس.
اسكيثيا
تراقيـة
سارديس
كيليكيا
قبرص
ممفيس
طيبة
بابل
سوسة
اكبتانا
باسارجادي
برسيبوليس
باكتريا
AETHIOPES

خريطة رقم - 17 -

في الجرائم الصغرى، ويُمنح السجين مكافأة أو منحة (مالية؟) طيلة فترة سجنه يعرضون على الخصوم الحل بالتراضي، خارج المحكمة، وذلك باختيار حكماً يفصل فيما هم فيه متنازعون، كما كانوا عند محاكمتهم للأشخاص ينظرون إلى ماضيه وما أداه من خدمات طيبة، لعلها تشفع له أمام جرمه، وهذه، كما سيتضح، لعلها مستمدة من ديانتهم[1]، كما كانوا يطلبون في المحاكمة إلى المتخاصمين أداء اليمين على صدق أقوالهما[2].

كانوا أيضاً في بعض الأوقات يلجأون إلى الحكم الإلهي.

والملاحظ أيضاً على هذه القوانين، أنها لم تعر اهتماماً لمن عُرف عندهم بالتقوى والصلاح بعد موتهم، إذ تخلو المصادر من أي إشارة لذلك، ومن هنا كان انعدام تأليه الموتى أو الملوك، كما في الأمم المحيطة بهم كالفراعنة أو غيرهم أو كما أصبح عليه الأمر فيما بعد عند الإسكندر المقدوني أو الرومان.

والملاحظة الأخرى هي مع أن الفرس كانوا قُساة في بعض الأحيان، إلا أنهم بوجه عام كانوا متسامحين مع الشعوب الخاضعة لهم، وإن كانوا لا يرحمون الخونة منهم، وعلى ذلك لم يتصفوا بالوحشية المطلقة ولم يجدوا لذة في استخدام القسوة وعمليات القتل على نطاق واسع، كما فعل الأشوريون.

والملاحظة الأخيرة، أن قواعد ذلك القانون، بوجه عام، وضعت للفرس أنفسهم وظلت الولايات تُحكم بواسطة قوانينها الخاصة بها، التي عمل داريوس (الأول) عقب استتباب الأمر له على جمعها وتنقيحها لإدارة تلك الولايات بها[3].

---

(1) انظر صفحة 163 وما بعدها بهذا الفصل من البحث.

(2) وهذه لعلها تشابه ما يوجد في عرفنا اليوم من أن يقوم المتخاصمان أو أحدهما بأن يقسم على القرآن ويه أنه صادق فيما يقول.

(3) ذلك لا يعني تعارضاً مع ما ورد بنقش داريوس (الأول) سالف الذكر، إذ أن امتثال تلك الشعوب التي ذكرها، لقانونه، لم تتعد في الواقع تقديم الجزية وما تبعها وإعلان التبعية له.

وعلى ذلك يمكن التساؤل هل حددت الدولة الفارسية الأخمينية لنفسها أهدافاً أخرى غير المُلك والجزية التي سيتم التطرق إليها بعد حين؟.

يبدو أنها كما اتضح مما سبق أنها لم تقرر بملء إرادتها ووعيها منهجاً، فقد تركت للأقطار التي أخضعتها حرية الاستمرار على تنفيذ النظم التي أرادتها لنفسها، ولكن حصل مجهود مرموق في حقل التشريع، في كل من بابل ومصر، ومع ذلك لم يسع الساسة الأخمينيون لتوحيد تلك القوانين.

الـولايـات:

اتسع نطاق نفوذ الأخمينيين، وعلاقاتهم وممتلكاتهم خارج فارس اتساعاً مطرداً، منذ حوالي منتصف القرن السادس ق. م، ولم يواف القرن الخامس ق. م حتى كانوا قد سيطروا على جميع ممالك وأمبراطوريات الشرق الأدنى القديم، ولم تتمخض فتوحات الأخمينيين في جنوب غرب آسية الصغرى أو شمال أفريقية[1] عن قيام دولة موحدة وإنما عن اتساع رقعة أقليم الدولة الفارسية الأخمينية كان الفرس فيه سادته وحلقة الاتصال الرئيسية بين أقطابه.

وقد مر بنا كيف توفرت الفرص لذلك الاتساع الفارسي الأخميني ولمد تلك السيطرة التي في جُلِها لم تكن نتاج مباشر للرغبة في السيطرة بقدر ما كانت نتاج ظروف جعلت منهم في ذلك الوقت، خير أمة محاربة خرجت بالمنطقة بعد الأشوريين[2].

ولما لم يكن اتساع نطاق السيطرة الفارسية الأخمينية، خارج فارس في الأصل، وليد سياسة استعمارية مبينة، فإنه لم تكن لدى الفرس الأخمينيين خطة مرسومة في البداية لحكم البلاد، التي سيطروا عليها أو لتنظيم علاقاتهم

(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، صفحة 48.

(2) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 15 ـ 62.

مع هذه البلاد، فقد سبق وأن أشير إلى الدويلات التي كانت منتشرة في الهضبة [الإيرانية]، كما أشير إلى اعتماد كل أمير في موارده على منتجات أراضيه ومراعيه، إلى جانب الغنائم التي كان يحصل عليها من حروبه والمكوس التي كان يفرضها على التجار، وعندما نجح قورش (الثاني) 559ـ529 ق. م Κυρος (Δεητερος) في إخضاع تلك الدويلات أو الممالك المحيطة بهم كالليدية أو البابلية، فأنه توخياً للسيطرة المركزية عمد فقط إلى تقسيم الأولى إلى وحدتين إداريتين منفصلتين، كانت كل وحدة إدارية تسمى ولاية أو ساترابية(1).

ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا الإسم [ولاية أو ساترابية] اصطلاحاً يُطلق على كل منطقة تقع خارج فارس وتضمها [فارس] إليها وتحولها إلى وحدة إدارية تقيم عليها حاكماً فارسياً يُسمى والي أوستراب.

أنه وإن كانت هذه التنظيمات شبيهة بما كان متبعاً في امبراطورية مصر الفرعونية أو آشور أو الكدانيين، إلا أنها تُعد خطوة متقدمة في نظام حكم الولايات تحت إمرة الحكام، وفي الواقع فإن الأخمينيين بهذا النظام، إضافة إلى أمور أخرى، سيتم التطرق إليها بعد حين، كانوا قد أوجدوا المثال الأول لمجموعة من الشعوب الخاضعة التي تحكم كإقليم وعليه يُحبذ البعض

(1) ساتراب وساترابية ألفاظ أطلقها الهللينيون على الولايات وهي أسماء مُحرَّفة عن التسمية الفارسية خشاترابفان Khushathra Pavan بمعنى سيد أو حامي، وترادفها تسمية أخرى وهي مرزبان وجمعها مرازب ومرازبة، بمعنى الحاكم الأقليمي، ويُعرِّف الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم، لفظة المرازبة بأنها جمع المرزبان وهي وراء الملوك وهم ملوك الأطراف، والمرز هو الحد بالفارسية ومرزبان هو صاحب الحد، للمزيد انظر: ـ
أحمد كمال الدين حلمي، المرجع السابق، ص 209، أحمد فخري، المرجع السابق ص 226، طه باقر، المرجع السابق، ص 576؛ شامو، المرجع السابق، هامش (2).

تسمية هذا النظام، بالنظام الإقليمي[1]، الذي يشبهه الأستاذ مورتكات بشبكة ألقيت على تلك الشعوب ولكنها كانت شبكة من نوع خاص، بحيث تضيق حلقاتها أو تتسع حسب الحاجة في كل جزء من أجزائها[2].

لا شك في أن بواعث الفرس الأخمينيين في إقامة الولايات كان عسكرياً أولاً، ثم لتأمين الحدود، ثم الإفادة من الموارد الاقتصادية، ثم باعث الانتقام والاستعمار.

حينما آل الأمر لداريوس (الأول) 522ـ436 ق. م، نجح في تنظيم إدارة الامبراطورية فوضع أسساً ثابتة إلى حد ما، لذلك التنظيم، إذ تم تقسيمها إلى عدد من الولايات تتراوح على مدى تاريخها ما بين عشرين وثمانية وعشرين ولاية أوساترابية[3].

ويحبذ البعض أن يقسم تلك الولايات إلى نوعين، هما ولايات خاضعة، أي التي تم فتحها قهراً مثل ليديا، بابل، مصر وغيرها، وولايات تابعة وهي التي أعلنت قبولها طواعية الانضواء تحت لواء الحكم الفارسي الأخميني مثل قوريني وبرقة وميليتوس وكارية وليكية وصور وصيدا وغيرها[4].

كما تقسم إلى ولايات شرقية وهي تلك الواقعة على الهضبة الإيرانية وغربية أي التي تقع غرب فارس[5].

أقام الامبراطور نائباً عنه في كل ولاية من الولايات، كان ذلك في

---

(1) أنطون مورتكات، **تاريخ الشرق الأدنى القديم**، ص 377.
(2) نفس المكان.
(3) انظر تفصيل ذلك بالباب الثاني، الفصل الثالث، صفحة 275 وما بعدها.
(4) Vaux W.S.W., OP. Cit., P., 34.
(5) سليم حسن، **المرجع السابق**، ص 592.

العادة أميراً خاضعاً لسلطان الامبراطور، ويتم اختياره من قبل الامبراطور ويُنصِّبه حاكماً على تلك الولاية ويظل قيّماً عليها ما دام حائزاً على رضاه.

كانت سلطة ذلك الوالي في ولايته مدنية قضائية، ربما عسكرية(1)، وذلك منذ العواهل الأوائل، فأضاف داريوس إلى ذلك الحاكم أو الوالي قائداً حربياً للقوات المسلحة بالولاية، يُقيم فيها، وهو مسؤول كذلك أمام الامبراطور مباشرة، ثم أضاف إلى ذلك قائداً آخر خاصاً بالقوات البحرية، في حال تواجدها، وإلى جانب أولئك أقام داريوس (الأول) موظفاً خاصاً مهمته جبي الضرائب بالولاية، ثم في مرحلة أخرى ولكي يثق كل الثقة في ولاء أولئك الموظفين [الوالي - القادة - جباة الضرائب] أضاف موظفاً آخراً يُسمى (دبير) يُعيَّن من قبله وجعله مستقلاً عن أولئك، ومهمته إرسال التقارير إلى الامبراطور عن مسلك أولئك الموظفين وأعمالهم.

ثم اتخذ إجراءاً تحفظياً أخيراً، فأنشأ ظرباً من قلم المخابرات السريعة يُعرف رجاله بعيون الملك وآذانه، كان لهم أن يقصدوا في أي وقت من الأوقات إلى أية ولاية ودون سابق إنذار، مزودين بقوة عسكرية، ليفحصوا أمور تلك الولاية من جميع جوانبها كما كانوا مخوَّلين بمعاقبة أي خارج على القانون(2).

قد نتساءل أمام هذا الحشد من الأجهزة الأمنية، ألم يشل ذلك يد الحاكم في الحالات الخطرة والمفاجئة عندما يقتضي الأمر سرعة البت؟ ولكن ما حدث في الواقع أن تلك الأجهزة نظراً لفطنة القائمين عليها وحرصهم على تأدية أعمالهم على أكمل وجه كانت تسير بشكل حسن.

---

(1) وذلك استناداً إلى بعض الحملات العسكرية التي خرجت من بعض الولايات ضد بعضها الآخر.

(2) Xen, Κυροπαλδελα, I, 1 ,2, 6, 7, 24; VII, 5, 58; VIII, 1, 2, 3, 14; Huart C., **OP. Cit.,** PP., 115 FF; Collins R., **The Medes and Persian Conguerors and Diplomats,** (London, 1974), PP., 49 FF.

وبذلك نرى وكأن الفرس الأخمينيين قد عكسوا الوضع مع الاستعمار الحديث الذي في حين يُطلق يد سلطته على الشعوب المستعمرة يشدد الرقابة على الشعوب المغلوبة ولعل ذلك كان من الأسباب المباشرة في مد عمر الامبراطورية الفارسية الأخمينية التي حينما كُتب لها أن تنتهي سياسياً لم يكن ذلك من شعوبها الخاضعة لها بل بفعل قوة خارجية وساهمت فيه عوامل تخص البيت الحاكم الأخميني نفسه.

كانت سلطات الوالي في ولايته في الظروف العادية مدنية بحتة، لا سيما السلطتان القضائية والمالية، ولم يكن يتولى قيادة القوات الحربية في أقاليمه إلا في حالات استثنائية[1] كما كان يُسمح لهم بإقامة بعض الاتصالات السياسية مع الدول المجاورة بالطبع بما يعود بالنفع على الامبراطورية[2].

كان يوجد بكل ولاية جمع من الكتبة يتبعون الوالي، يقومون بأعمال الحكومة العادية، وإذا كان الولاة وكبار الموظفين يتم انتخابهم من بين نبلاء الفرس أو من بين أفراد الطبقة المؤسرة، فأن صغار الموظفين وأولئك الكتبة كان يتم اختيارهم من الشعوب المحكومة ومن الفرس على السواء.

كان أولئك الموظفون، بما فيهم الوالي، يبقون في وظائفهم طالما كانوا حائزين على رضا الامبراطور، بل أن بعض تلك الوظائف شغلها أبناؤهم وأحفادهم من بعدهم، كما في ولاية ليدية مثلاً، ولكن في أحياناً أخرى قد يُعزل الوالي أو أحد الموظفين وربما دون تقديمه للمحاكمة، كما يمكن في أوقات متأخرة التخلص منه بهدوء وسكينة بدس السم له، وقد

(1) وذلك يتم بناءً على تكليف رسمي من الإمبراطور.

(2) خير دليل على ذلك اتصال والي ليدية بطغاة وحكام المدن الهللينية بساحل غرب آسية أو بغيرها قبل حملة أكسركسيس (الأول) على المدن الهللينية ببلاد الهللينين، لتفصيل ذلك راجع ما سبق ذكره بالفصل الثاني، الباب الأول، صفحة 77 وما بعدها.

يكون ذلك على مرأى ومسمع من الجميع، ولا يعني التخلص أو تغيير الوالي تغيير كل بقية الكادر في الولاية، بل يبقى بقية الموظفين في أعمالهم حتى لو تغير الأباطرة أنفسهم، ومن هنا قيل إن الحكم الامبراطوري الفارسي الأخميني كان نظاماً أوتوقراطياً[1].

الجزية والإلتزامات الأخرى:

في أول الأمر، أي زمن قورش (الثاني) 559ـ529 ق. م، وحتى تولي داريوس (الأول) 522ـ486 ق. م الحكم، لم توضع قواعد لتحديد مقدار الجزية أو الضريبة التي يجب على كل ولاية دفعها لفارس، ولعله كان يُترك عندئذ لكل والي تحديد ذلك، ويبدو أن القصد في أول الأمر من فرض هذا الالتزام كان تغطية نفقات الاحتلال والدفاع، ولكنه تقرر منذ عهد داريوس (الأول) إلزام كل ولاية بأداء الجزية أو الضرائب بمقدار محدد، وقد استثنى من ذلك فارس فقط[2].

ولعل تحديد داريوس (الأول) لمقدار الجزية الذي يجب أن تدفعه كل ولاية جاء عقب ثورة المدن الأيونية بساحل غرب آسية، إذ أنه عقب ذلك مباشرة قام بإجراء مسح شامل للأراضي ومنتجاتها لتقدير الجزية[3]، ولتوزيع هذه الجزية على الولايات.

اعتمد الأخمينيون الأساليب المتبعة قديماً عند الأشوريين والبابليين والمصريين وذلك على أساس أعمال المساحة، ولكنها في عهد داريوس

---

(1) ول ديورانت، المرجع السابق، ص 33.

(2) تذكر بعض الأبحاث أن فارس وميديا كانتا معفيتين، ولكن الذي تبين بالبحث أن فارس فقط كانت مُعفاة ذلك لأنها منبت الأسرة الحاكمة ويُستدل على فرض الجزية على ميديا منحوتات الفرس التي تُظهر الميدين وهم يقدمون الجزية لملك الملوك في فارس، للمزيد انظر: ـ

Gobineau J.A., OP. Cit., P., 86.

(3) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثاني، صفحة 83.

(الأول) نظمت تنظيماً دقيقاً بعد أن كانت في تلك الممالك السابقة تجري حسب تقدير تقريبي، ومن ثم غدا للفرس الأخمينيين في هذا المجال فضل التوفيق وليس الاختراع، ولم يجر خلفاء داريوس (الأول) كما يبدو، أي تغييرات أساسية على هذه الإجراءات.

كانت الجزية تُدفع نقداً، وهو مبلغ من المال [في العادة معدن ثمين كالذهب أو الفضة أو غيرها] تدفعه كل ولاية سنوياً[1].

كما كانت تُدفع عيناً، وكانت هذه عبارة عن جزى مما اشتهرت به الولاية من موارد[2].

وإذا كانت المصادر قد تناولت مقدار تلك الجزية بنوعيها، فأنها صمتت عن الوسائل التي كانت مُتبعة في جبايتها، وإن كان من المعتقد أن جمع الجزى النقدية كان يقع على كاهل الموظف الخاص بذلك، بمساعدة الوالي وموظفيه، والجزى النوعية يقوم بتقديمها الأهالي أنفسهم إلى الامبراطور في عاصمته، ذلك كما يتضح من نحوتهم على عمائرهم[3].

إلى جانب الجزية التي كانت تجبى بانتظام، سنوياً، كان أهالي الولايات مُلزمين بتوفير الرواتب والمأوى والمؤن ووسائل النقل لحاشية الوالي الفارسي بالولاية ويبدو أن هذا الأمر الأخير كان باهظاً، إذ يُذكر أن أولئك الولاة كانوا يحيون حياة مترفة، تضاهي حياة الملك في بلاطه من

---

(1) Herod, IV, 189 FF; Burn A.R., OP. Cit., P. 313.

(2) من ذلك مثلاً أن بابل كانت مكلفة بتوفير كمية من الحبوب تكفي إعالة الجيش لمدة 3/1 سنة إضافة إلى توفير عدد من العناصر البشرية عددهم خمسمائة للعمل كخصيان في البلاط إضافة للجزية النقدية ومقدارها ألف مثقال فضة، من جهة أخرى ميديا ـ مما يؤكد عدم إعفائها ـ كانت مُطالبة بتوفير مئة ألف رأس من الغنم إضافة إلى عدد من الخيول، مصر والليبيين أيضاً فُرضت عليهما جُزى نوعية، وعن هذين الأخيرين أنظر الفصل الثالث الباب الثاني، صفحة 278 وما بعدها.

(3) انظر الباب الثاني، الفصل الثالث، صفحة 201 وما بعدها.

جميع جوانبها تقريباً، بما فيها توفير الحدائق الخاصة بالصيد.

وثمة عبء آخر أُلقي على كاهل الولاية، تمثل في إمدادها للملك بما يحتاج إليه من لوازم وحاجيات وقت تعبئة الجيوش لحرب من الحروب.

والميزة الإيجابية المذكورة لهذا النظام، أنه منح الملك ميزانية منتظمة، كما قلل الطلبات الباهظة من أن تقع على ولاية منفردة.

ومقابل تلك التكاليف، كان الأباطرة، خاصة الأوائل منهم، يراقبون مراقبة دقيقة الولاة وبقية الموظفين، فاهتموا برفاهية رعاياهم وحمايتهم من مظالم السلطات وهو ما عجزت عنه الامبراطورية الرومانية في معظم أوقاتها.

ولا أدل على تلك المراقبة من رسالة كان داريوس (الأول) قد بعثها إلى أحد موظفيه[1]، هذا ولقد توازن في النظام الامبراطوري الفارسي الأخميني كفة القسوة والإسراف اللذين ربما عرف بهما بعض ملوكها المتأخرين[2]، وما كان يبدو أحياناً من غلظة في قوانينها أو إبهاظ في جباية الجزية فيها، توازن بكفة النظام والأمن اللذين ساعدا الولايات على أن تثرى وتنتعش رغم ما أُلقي عليها من أعباء[3].

---

(1) ورد في نقش عثر عليه، باللغة الهللينية باسم داريوس (الأول) وهو ما يشابه الرسالة كان قد وجهها إلى أحد عماله يقول فيها: ـ «عرفت بأنك لا تخضع لأوامري بحذافيرها وبما أنك تستثمر أملاكي إذ تزرع فيها أشجاراً مثمرة بعد أن تنقلها من سورية نحو شاطىء آسية، فأني أمتدح أفعالك وستلقى مكافأتك من القصر الملكي، ولكن حيث أنك تستهزىء بتعليماتي التي أصدرها تجاه الآلهة سأريك إن لم تغير سلوكك، مدى غضبي، فقد فرضت دون وجه حق ضريبة على مزارعي أبوللو المقدسين وأمرتهم بأن يفلحوا أرضاً لا تخص الإله مستهتراً والحالة هذه بعرفان الجميل الذي أبداه أجدادي نحو الإله»، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Olmstead A.T., History of Persion Empire, P., 156.

ولهذا النقش أهمية أخرى سنبينها عند الحديث عن الديانة والملكية واللغة.

(2) راجع ما سبق ذكره، بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 52 وما بعدها.

(3) من ذلك مثلاً أن علماء الفلك البابليين ومنهم نابورمانوس Naburimani وكيدنياس =

كذلك ظفرت الشعوب الخاضعة لها بمدى أوسع من الحرية، لا تكاد نصادف مثله إلا في أكثر الامبراطوريات رقياً وثقافة كالامبراطورية الإسلامية زمن نشأتها الأول.

فقد سمح الفرس الأخمينيون لكل أقليم أن يستبقي لغته الخاصة، قوانينه، عاداته، ديانته وعملته، بل لقد استطاع في بعض الأحيان أن يحتفظ بالأسرة الحاكمة فيه مثال قوربني كما سمح للطوائل والأقليات بتشكيل هيئات مستقلة بها كاليهود.

ولعل من الجدير بالذكر القول أنه طالما كانت التنظيمات الإدارية الامبراطورية الفارسية على تلك الدرجة من الكمال والمرونة، لماذا الثورات التي شهدها معظم أطراف الامبراطورية وعلى مختلف مراحلها التاريخية؟ وللرد على ذلك بالإمكان القول بأن النظام لم يوجد دفعة واحدة بل تكامل عقب محاولة علاج أمور الاضطرابات والقلاقل التي تحدث في الولايات حتى أصبح في صورته النهائية على تلك الصورة من التكامل.

أما عن الثورات المتأخرة، فالغالب الأعم أن قادتها كانوا أما من نبلاء الفرس أنفسهم كثورة ستراب ليديا وثورة قورش الأصغر ضد أخيه[1]، أما أنها ثورة زعماء محليين في الولايات خاصة تلك التي ظل فيها حكامها

= Cidenas كانوا قد توصلوا في دراساتهم وأبحاثهم الفلكية، وهم أتباع للفرس إلى نتائج غاية في الدقة والعلمية بمقدار لا ينقص عن المقدار الفلكي الحالي إلا بأربع دقائق ونصف الثانية كما أثرت المدن الأيونية وازدهرت أبحاثها العلمية خاصة ما يتعلق منها بالجغرافية، كما أن قوريني كما سنوضح في غير هذا المحل، هي الأخرى شهدت نشاطات اقتصادية، علمية ذلك رغم كونها إحدى الولايات الفارسية للمزيد انظر: ـ

Bury J.B., OP. Cit., PP., 23 FF.

خالد عبد المنعم العاني، المرجع السابق، ص ص 111 وما بعدها.

(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، ص 61.

المحليين من أهل الولاية يتولون إدارة شئونها بالوراثة كما حصل في قوريني[1] أو في مصر[2]، بمعنى آخر كان صراعاً حزبياً أو عائلياً على السلطة السياسية داخل الولاية، ولم نصادف أي ذكر لثورة قام بها العامة كما حدث مثلاً في روما وذلك حينما هدَّد عامتها بمغادرتها استنكاراً للنظم بها[3].

وإذا حاولنا البحث عن عيوب لذلك الحكم في الولايات، فأنه بوجه عام كان موضع رضا من الجميع، وذلك لانتفاء وجود فارق جوهري بين رعايا الامبراطورية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يحاول الولاة أن ينظروا إلى ولاياتهم على أنها مصادر للكسب غير المشروع ولذلك قلَّ ظهور المفاسد المترتبة على إساءة استخدام السلطة والنفوذ.

وقد ضرب المثل لتلك النزاهة الأباطرة أنفسهم، فقد كانت سلطتهم المُطلقة وعدم تهاونهم في معاقبة الخارج على القانون، ومراقبتهم المباشرة بواسطة ما وجدوه من قنوات اتصال خير وسائل إقرار تلك النزاهة[4]، إضافة إلى أن طول مدة حكم الوالي وموظفيه ساعد على التعرف على ظروف الولاية، وفهمها، كما حُرِّم عليهم ممارسة أي نوع من فنون الابتزازات المالية كالإعفاء من بعض الأعباء[5]، لقاء جزء مالي أو استبقاء جزء من أسلاب الحرب.

---

(1) انظر تفصيل ذلك بالباب الثاني، الفصل الأول.

(2) راجع ما سبق ذكره، بالباب الأول، صفحة 64 وما بعدها.

(3) عن صراع الطبقات الرومانية في أوائل العهد الجمهوري، وتهديد عامة روما بهجرتها جماعة أنظر: ـ إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص 179 وما بعدها.

(4) ولنا في معاقبة كمبيز (الثاني) لذلك القاضي المرتشي ورسالة داريوس (الأول) لعامله خير شاهد.

(5) يذكر أن أحدهم قام باستضافة اكسركسيس (الأول) وحاشيته في ليدية وهو في طريقه غازياً المدن الهللينية ببلاد الهللينيين، سنة 481 ق. م، ثم طلب عقب تلك الوليمة إعفاء ابنه من الخروج لتلك الحرب، فما كان من أكسركسيس (الأول) إلا أن أمر بقتل ذلك الابن وشطره شطرين وتعليق كل منهما على جوانب بوابة المدينة التي سيخرج منها الجيش. للمزيد انظر: ؛ ول ديورانت، المرجع السابق، ص 28.

إضافة إلى أن أخلاق الفرس، التي ستتطرق إليها بعد قليل[1]، كانت وراء تلك النزاهة، إذ كانوا يمقتون الكذب، يُحرِّمون الرشوة، بل يُعاقب عاطيها ومتعاطيها.

وفي تقدير معظم الباحثين[2]، أنه ربما كانت سلبية هذا النظام تتمثل أولاً في أنه لم يحاول إيجاد روابط «فكرية» بين تلك الأمم التي أخضعها له، أي أنه لم يهدف إلى صهر تلك الحضارات أو توحيدها، وهو ما قام به الإسكندر المقدوني فيما بعد فقد ظل الشرق شرقاً والغرب غرباً.

وتمثل ثانياً في إساءة «الأباطرة» المتأخرين من الفرس الأخمينيين بالبلاط استخدام ما توافر لديهم من ثروات، مما زاد في إفساد أخلاقهم في المراحل المتأخرة، فكانت تلك الأزمة الأخلاقية أحد العوامل المباشرة في سقوطهم السياسي.

وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الامبراطورية الفارسية الأخمينية رغم تكاليفها الباهظة أكبر تجربة ناجحة للحكم «الامبراطوري» في العالم القديم.

الجيش:

من الأدوات المهمة التي عملت على تمكين الفرس الأخمينيين من بسط سيطرتهم من حيث الفتح والبقاء وحفظ الأمن على ربع الجنس البشري[3] في ذلك الوقت كانت الآداة العسكرية.

---

(1) انظر الصفحة 183 وما بعدها بهذا الفصل.

(2) Frey N.R., **The Heritage of Persia,** (London, 1966), PP., 147 FF; Lenormant F. and Chevallier E., **Ancient History of the East, Vol, II, Medes and Persians, Phoenicians and Arabians,** (London, MDCCCLXX), PP., 104 FF; Collins R., **OP. Cit.,** PP., 149 FF;

أندرية إيمار وجانين أوبوية، بإشراف موريس كروزيه، **تاريخ الحضارات العام، الجزء الأول، الشرق واليونان القديمة**، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان، (بيروت، 1964 م)، ص 218.

(3) صادق نشأت ومصطفى حجازي، **المرجع السابق**، ص 13.

فالجندية عند الفرس الأخمينيين فرضاً على كل رجل صحيح الجسم، من سن الخامسة عشر حتى الخمسين، ينخرط الجندي في سلكها بعد مرحلة تدريب كلما أُعلنت الحرب. أي أنها كانت خدمة إلزامية، لا يستطيع الفرد التخلف عنها بحال من الأحوال(1).

كان الجيش (النظامي) مُقسماً إلى جيش خاص، من حيث الجنسية، فهو يشمل كل الفرس ممن هم في سن التجنيد، وتطلق عليه المصادر الجيش الأساسي، وهذا بدوره كان مُقسماً إلى وحدات عُرف منها بشكل واسع الحرس الامبراطوري، وهو فرقة تضم ألفين فارس وألفين من حملة الرماح، وهؤلاء جميعاً كانوا من العائلة الأخمينية ومهمة هذه الفرقة أولاً حراسة الملك أو الامبراطور وبلاطه حيثما حل، ثانياً يتم التعيين منهم من يقوم بالإشراف على بقية الجيش، وعلى كل، هذه الفرقة من التجديدات التي أوجدها داريوس (الأول).

كان جنود الحرس الامبراطوري هؤلاء يتميزون، كما ظهروا على المنحوتات، بارتداء ثوباً فضفاضاً، يحمل الجندي منهم رمحاً طويلاً ينتهي بشكل كروي من الذهب أو الفضلة [ربما دلَّ اختلاف المعدن على الرتبة] كما يحمل ترساً مقرطاً.

كان من الجيش الأساسي أيضاً فرقة العشرة الآف الخالدين Immortals Myriads وهي تضم الجنود الفرس والميديين(2).

وقد قسم العشرة الآف الخالدون إلى عشر فرق، ويُعتبر هؤلاء نواة الجيش الامبراطوري فهي التي يُعتمد عليها في صيانة الأمن بمختلف أنحاء الامبراطورية.

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالصفحة 149 هامش (6) بهذا الفصل.

(2) Benjamin S.G.W., OP. Cit., P., 135; Collins R., OP. Cit., PP., 9 FF; Burn A.R., OP. Cit., P., 322; Olmstead A.T., OP. Cit., PP., 238 FF.

تميز جنود هذه الفرق بارتداء الثياب التي تكسو الجلد كله، يحمل الجندي منهم قوساً وأسهماً في جعبة، ويرتدي أحذية جلدية تنحني في مُقدمتها إلى أعلى، ويتقلد سيفاً قصيراً[1].

تدل المنحوتات البارزة على أنهم كانوا ينقسمون إلى مشاة وفرسان يركبون الجياد، وفرسان يستخدمون العربات، التي يجر كل منها زوج من الخيل[2].

كان الامبراطور نفسه يقوم بتعيين قادة تلك الفرق [الحرس الملكي ـ العشرة الآف الخالدون].

وفي سياق تنظيم شؤون الامبراطورية، وبسط السيطرة عليها، قام الأخمينيون بتوزيع بعض جنود الفرقة الأخيرة على وحدات عسكرية قد أنشئت في مواقع استراتيجية لخدمة أغراض عسكرية كحراسة معابر الأنهار أو منافذ الممرات الجبلية أو مفارق الطرق أو المواقع الصالحة لرسو السفن على الشاطىء[3].

إلى جانب الجيش الأساسي، كان هناك جيش عام، إذ كان لكل ولاية جيشها الخاص يتعهد بحمايتها والذود عنها وصيانة أمنها الداخلي، يتولاه قائد يُعيِّنه الملك من بين العشرة الآف الخالدين، وكان يُميَّز عن بقية الجنود المحليين (؟).

---

(1) انظر موضوع النحت بالصفحة رقم 201 من هذا الفصل.

(2) هذا ولقد عُثر على العديد من اللقى المعدنية الصغيرة التي تصور هؤلاء وهم بالعربات أو ظهور الجياد. انظر: ـ Collins R., OP. Cit., P., 123.

(3) ففي مصر مثلاً كانت هناك ثلاث حاميات عسكرية إحداهن في الفنتين، والأخرى قرب مربوط في مواجهة ليبيا والثالثة في دفنة على الحدود الأثيوبية، للمزيد عن ذلك انظر: ـ أتيين دريون وجاك فانديه، المرجع السابق، ص 633، آلن جاردنر المرجع السابق، ص 389 Herod., II, 30;

والملاحظ على هذا التنظيم أنه على الرغم من وجود القادة الفرس، الذين تصمت المصادر عن كيفية تعاملهم مع الجنود المحليين ومدى أو كيفية اتصالهم ببعض، إلا أنها أي المصادر، تذكر أن جيوش الولايات ظلت كل منها تحتفظ بعاداتها الحربية وتقاليدها، كما تحتفظ بأسلحتها ولغتها القومية[1]، وعند حدوث أي تعبئة عسكرية كانت تلك الولايات تدفع بجيوشها تلك على اختلاف أجناسها وتسليحها «وعليه كان هذا النظام ناقصاً من الوجهة الحربية، كما أشار إلى ذلك ماسبرو[2]».

كانت الجيوش الفارسية في العادة تخرج إلى خوض معاركها وسط دوي موسيقى وتهليل وهتاف (الجماهير) ممن قعدوا عن ممارسة القتال، كما كانت تخرج بأبهة زينتها فقد ذُكر أن الأباطرة حرِصوا على اصطحاب أدوات الزينة خلال حروبهم، كما كان في العادة يتولى قيادة تلك الجيوش الأباطرة أنفسهم كما كان زمن قورش (الثاني) 559 ـ 529 ق. م وكمبيز الثاني 529 ـ 522 ق. م وداريوس (الأول) 522 ـ 486 ق. م[3] ولكن في الأزمنة اللاحقة نصادف ذكراً لبقاء الملوك دون ممارسة ذلك الدور، إذ اكتفى اكسركسيس (الأول) 486 ـ 465 ق. م في حملته على المدن الهللينية، بأن ظلّ يراقب سير المعارك من خلال منصة خاصة أُقيمت له بموقع يشرف على ساحة القتال تاركاً الجيش تحت قيادة ثلاثين قائداً[4].

لقد أدت تلك السياسة، وتعدد جنسية الجيش، والذي لم يكن عتاده أقل اختلافاً من أصوله إلى انعدام الوحدة بين صفوفه انعداماً يكاد يكون

---

(1) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، (دار النهضة العربية، بيروت، 1987 م)، ص 227 ـ ومن جهة أخرى أنظر الفصل الثالث، الباب الثاني صفحة 292.

(2) سليم حسن، المرجع السابق، ص 594.

(3) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، الصفحات 15 وما بعدها.

(4) Herod., VII, 82, 121 FF; Burn A.R., OP. Cit., P., 323; Maurice F., OP. Cit., P., 210.

كاملاً، بحيث كانت تكفي البادرة الأولى من بوادر الفشل إلى أن ينقلب ذلك الجيش إلى جموع هائجة من الوغوغا لا يراعون نظاماً، ولا يأتمرون بأمر، كما حدث في مراثون وبلاتية مثلاً، ولم يكن يساعد الفرس على الغزو المستمر إلا كثرة عدد الجيش ومقدرته على استيعاب القتلى الذين يسقطون في ميادين القتال(1).

وعلى الرغم من ذلك، ظلت بسالة الجندي الفارسي الأخميني أمراً لا يتطرق إليه الشك وعليه يظهر سؤال ملح، ماذا لو خاض الفرس الأخمينيون حروبهم، خاصة المتأخرة منها بجنودهم فقط دون جنود الولايات، بمعنى بالعشرة الآف الخالدين فقط أو معهم الحرس الملكي؟ خاصة وأنهم [الفرس] حينما كانوا قد حققوا نجاحات باهرة، على أمم أكثر عتاداً وتنظيماً من تلك التي قابلوها فيما بعد، وانكسروا أمامها، أو لو أنهم حاولوا بذل شيء من التجديد العسكري، بإيجاد نظام عسكري موحد لجيوش الولايات لربما كان مسار التاريخ قد اتخذ منحنى آخر.

أما عن الأسطول البحري، فإن الفرس الأخمينيين عاشوا بداية عهدهم، بعيدين عن البحر، فقد كانت تفصل بينه وبينهم حدود يابسة، ولكنهم بدأوا التعرف عليه عقب وراثتهم للدول البحرية في آسية الصغرى ومصر، كما كانوا قد ورثوا قوات تلك البلدان ولذلك فإن نفس المقتضيات التي أوجدت الأسطول في هذه البلاد قد ساعدت على إيجاده في دولة الفرس الأخمينيين الواسعة.

لم يقتصر الأمر بعد على ارتيادهم البحار والمحيطات، بل عملوا على إرسال البعثات الاستكشافية في هذا المجال، ومن ذلك مثلاً أن داريوس (الأول) قام بتكليف سيكلاكس Σκυλαηκας باكتشاف أو الدوران في عدة

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثاني، صفحة 100 وما بعدها.

بحار ومحيطات في رحلة [بحرية] استغرقت عدة سنوات[1] كما قام بإرسال الطبيب ديموكيدس[2] Democedes على رأس حملة بحرية استطلاعية كُلِّفت بتفقد الحوض الغربي للبحر المتوسط، كما لا يفوتنا التذكير بالمجهود الذي بُذل في إيصال البحرين الأحمر والأبيض عن طريق أحد فروع النيل[3].

كما قام اكسركسيس (الأول)، بإرسال بعثة استكشافية برئاسة بحارة فارسي يُسمى سداسب SADACEB حاولت الدوران حول أفريقية، فوصلت أعمدة هرقل [جبل طارق].

وعلى ذلك كان للفرس الأخمينيين في القرنين الخامس والرابع ق. م[4] حضور في البحار وإن كان بأدوات مستعارة، إذ لعب الفينيقيون دوراً مهماً في البحرية الفارسية، فقد وكِّلت إليهم عملية بناء السفن، كما كانوا يتولون عملية إعداد وتدريب البحارة الفرس الناشئين وإن ظلت مع ذلك رتبة كبار الملاحين والضباط البحريين حكراً على الفرس الأخمينيين دون سواهم.

هذا ولقد تعددت أشكال السفن التي استعملها الأسطول الفارسي، فهم قد عرفوا السفن ذات الصفين من المجدفين، كما عرفوا، ربما زمن

---

(1) Herod., II, 32 F; III, 102; IV, 44; Burn A.R., OP. Cit., PP., 116 F; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 212.

(2) ديموكيدس أحد الهللينيين من كروتون Croton بماجنا جرايكا، نفي من مدينته إلى ساموس، وعقب سيطرة الفرس على هذه الجزيرة أُستدعي الطبيب ديموكيدس لعلاج داريوس (الأول) ثم عُين مستشاراً طبيباً له، ويُعتقد بأن داريوس (الأول) رفض إخلاء طرف ذلك الطبيب، الذي استغل مناسبة إرساله ضمن رحلة بحرية لتفقد الحوض العربي للبحر المتوسط وفر هارباً إلى وطنه كروتون حالما حاذوها. انظر للمزيد عنه أرنولد توينبي، **تاريخ الحضارة الهللينية**، ترجمة رمزي جرجس، مراجعة صقر خفاجة، (مكتبة الأنجلو المصرية، 1963 م)، ص 30 ـ 31.

(3) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 49.

(4) ذلك لأنهما الإطار الزمني للبحث. Benjamin S.W.S., OP. Cit.,

اكسركسيس (الأول) السفن ذات الصفوف الثلاث من المجدفين[1].

ويُعدِّد هيرودوتس السفن الفارسية، فكانت على ثلاث أنواع، تميزت جميعها بأنها كانت أكبر وأسرع من سفن الهللينيين، ولكنها كانت في معظمها من الخشب ولذا كانت مقاومتها للاصطدام ضعيفة، كما كانت قابليتها للإشتعال كبيرة.

أما أنواع السفن فهي سفن هجومية، ذات ثلاثة صفوف من المجدفين، تحمل ما يُقارب من 230 رجلاً، كانت تتقدم الأسطول وقت الحرب لأن لها مُقدمة مدببة كانت تصدم بها سفن العدو فتحطمها، ثم سفن لنقل الجنود، أما النوع الثالث، فكان صغيراً يُستعمل لنقل الأمتعة والذخيرة.

ولبيان مدى قصور الفرس الأخمينيين بحرياً، فأن هيرودوتس[2] حينما يسرد قطع الأسطول الفارسي، الذي بلغت سفنه 1327 سفينة والتي اشتركت في الحملة زمن اكسركسيس (الأول) على المدن الهللينية فأنه لم يتطرق إلى أسطول أو سفن فارسية خالصة.

هل سيَّر الفرس كل إمكانياتهم الحربية عند خروجهم للغزو؟

لقد كان حجم القوات الفارسية، والتي اصطدمت في أكبر معارك تاريخية حتى ذلك الوقت متفاوتاً بين المؤرخين القدماء مثل كنسياس وهيرودوتس، الأمر الذي جعل بعض الباحثين الغربيين اليوم مثل الألماني دلبروك Delbruck ومينرو Munro وفردريك مورس Maurice وبورن Burn يوجه عناية خاصة لمسألة حجم الجيش الفارسي، وهل أُقتيدت كل تلك الحشود جميعها في معركة من المعارك، خاصة تلك المعارك التي لقيت عناية

(1) Herod., VII, 89 FF; Burn A.R. OP. Cit., P., 330; Hammond N.G.L., OP. Cit., P.229.

إبراهيم زرقانة وآخرون، المرجع السابق، ص 439.

(2) Herod., VII, 5, 6, 26, 40, 41, 55, 63, 1399, 148, 169, 184, 220 FF.

زايدة، وهي الحروب الفارسية الهللينية[1]، فخاول بعض أولئك الباحثين استناداً إلى بعض النقوش الهللينية مثل نقش ثرموبيلي[2]، أو إلى بعض المصادر الأدبية كهيرودوتس، حاول صياغة نظريات حول تنظيم الجيش الفارسي ساعة تعبئته ومقدار القوى المحشورة فيه.

من الجدير بالذكر أن نقش ثرموبيلي كان قد حدَّد عدد ذلك الجيش بثلاثة مليون جندي في حين ـوذلك استناداً إلى هيرودوتس ـ، وصلت بعض الأبحاث بذلك العدد إلى خمسة مليون[3].

وبدءاً على ذكر تلك الأرقام حاول الباحثون، إيجاد حلول لبقية المشاكل التي سوف تترتب على كبر ذلك الجيش، مثل كيفية نقله، إمداده بالغذاء، بالماء، إلى غير ذلك.

ويُعدِّد هيرودوتس أسماء الشعوب التي شاركت بجنودها في حروب الفرس ضد المدن الهللينية على النحو التالي: ـ

البحارة:	517 ،610
المشاة:	1،700،000
الخيّالة:	80،000
العرب والليبيين:	20،000[4]
الحلفاء من الهللينيين:	24،000

ولما كانت هذه المجاميع البشرية تقل قليلاً عن ثلاثة مليون، المذكورة بالنقش فإن ذلك أوجد مجالاً بين العلماء للتنظير، فمنهم من اعتقد أن ما

(1) راجع الفصل الثاني من الباب الأول، صفحة 69 وما بعدها.
(2) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثاني، صفحة 102 هامش رقم (3).
(3) محمود فهمي، المرجع السابق، ص 126.
(4) سوف يتم تناول بشرح مفصل، الليبيين المشاركين في هذه الحملة، وذلك بالباب الثاني، الفصل الثالث، صفحة 294 وما بعدها.

ذكره هيرودوتس لا يخلو من المبالغة، لأنه كهلليني أراد أن يبرر هزيمة بني وطنه أمام الفرس(1).

كما اجتهد البعض الآخر في محاولة توزيع ذلك الرقم [خمسة مليون] على عدد القادة الثلاثين الذين ذكر هيرودوتس أنهم كانوا قد أرفقوا بالحملة وتولوا قيادتها، وذلك قياساً على أن ماردونيوس كان قد ذُكر صراحة بأنه كان قائد لفرقة العشرة الآف الخالدين(2)، ولكنهم مع ذلك يجدون أنفسهم لم يصلوا إلى الخمسة مليون التي ذكرها هيرودوتس ولذا حاولوا إضافة فيالق الإبل التي بلغت عشرين ألف والمركبات التي كان تعدادها ثلاثمائة ألف مركبة(3).

وقد تناول باحث آخر تلك النظرية بالنقد لأنها غفلت الأخذ بعين الاعتبار الطبّاخين والسائقين والنساء، فالحرس الملكي(4)، كما يُذكر، كانوا يحضرون نساءهم معهم باستمرار وأكدت من جهة أخرى هذه النظرية الأخيرة، أن الفرس الأخمينيين، لم يكونوا يدفعون بكل تلك القوى إلى ساحة الوغي في مرة واحدة، كما أن من يُرسل منهم للحرب لا يتشرك جميعه في المعركة(5) إذ، وذلك استناداً إلى هيرودوتس الذي ذكر بأن الجيش الفارسي في حملة أكسركسيس (الأول) كان يسير على الجسر الرابط آسية بأورية [عبر تراكية] كان يسير في ثلاثة طوابير، كل طابور أو رتل منها كان بقيادة اثنان من القادة الثلاثين المذكور سابقاً(6)، «وهذا يوحي بأن اكسركسيس (الأول) في الحقيقة كان قد أخذ ثلاثة فقط من فيالقه العسكرية

---

(1) Voux W.S.W., OP. Cit., P., 39.

(2) Herod., VII, 61 FF, 82; Thuc., I, 129 FF; Burn A.R., OP. Cit., PP., 323 F.

(3) Ibid, P., 326.

(4) Loc. Cit.

(5) ذلك أنهم كانوا يتركون بعض المفارز لحراسة الطرق أو المدن المستولى عليها حديثاً.

(6) راجع ما سبق ذكره بهذا الفصل، صفحة 153 هامش رقم (1).

المفترضة. وعلى ذلك تكون القوى الفعلية التي دخلت أوربة مائتين ألف فقط[1]».

حاولت أبحاث لاحقة نقد القول السابق، الذي كان أهم ركيزة فيه القياس إلى ماردونيوس وقيادته للعشرة الآف الخالدين، بالتساؤل أن الفرق التسع والعشرين الأخرى، هل كانت في الحقيقة جميعاً بنفس الحجم، وهذا ربما لم يحدث، وعليه يجب أن يكون المرء على حذر عند الركون لتلك النظرية[2].

الناحية الأخرى، التي حاول الباحثون إلقاء الضوء عليها هي كيفية تموين ذلك الجيش وقت تعبئته، فذكروا بأن الفرس الأخمينيين في حملتهم ضد المدن الهللينية زمن اكسركسيس (الأول)، واستناداً إلى هيرودوتس، اعتمدوا في الغذاء على سفن محملة بذلك وقوافل برية من الحيوانات، إضافة إلى ما كانوا سيجدونه في بلاد الهللينيين[3]. كما ذكر توكيديدس[4] بأنهم كانوا سيحصلون على الغذاء من غزوة يقومون بها لأثينة، وإلى صقلية للغرض ذاته.

تقييم العسكرية الفارسية الأخمينية:

أن نصيب العامل العسكري في نجاح فارس الأخمينيين، لا يقل عن نصيب بقية التنظيمات الإدارية في إنجاح سياسة سيطرة الفرس على معظم العالم القديم، وذلك أنه في المجال العسكري كان الفرس قد ورثوا آخر المبتكرات العسكرية التي وصلت إليها الممالك القديمة كالآشورية، إضافة إلى ما اتصف به الجندي الفارسي من صبر وصلابة وقدرة على تحمل المشاق

(1) Burn A.R., OP. Cit., P., 327.

(2) Ibid.

(3) Herod., VII, 50 FF; Burn A.R., OP. Cit., P., 330; Maurice F., OP. Cit., PP., 216 FF.

(4) Thuc., VI, 33 - 35; Burn A.R., Loc.Cit.

وتقديمه للمصلحة العامة فوق كل اعتبار.

ولا شك أن ذلك النجاح ما كان، لو لم يكن أعداؤهم كالهلليين يفتقرون إلى الوحدة ويحيون نهباً للأحقاد والمنازعات التي مزقت أوصالهم شر ممزق.

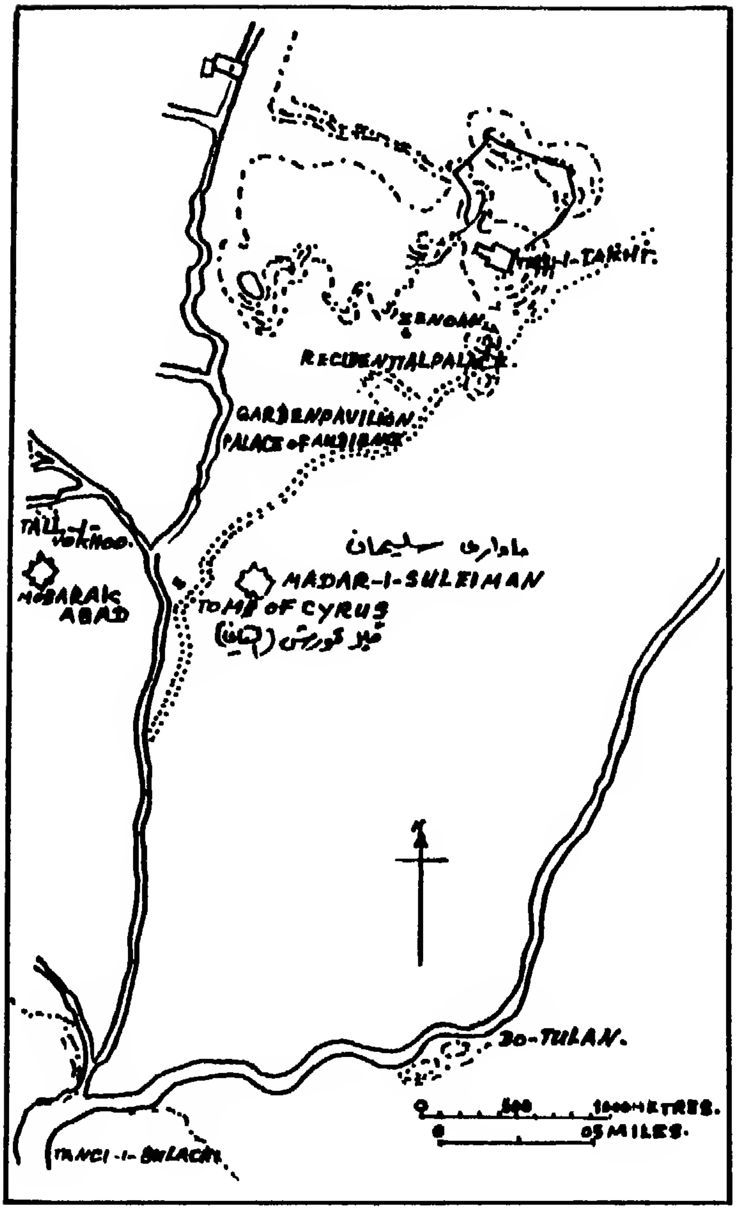
وبفضل ذلك كله تفوق الفرس على خصومهم عسكرياً وسياسياً، حقاً أن الجيش الفارسي الأخميني كان صغيراً زمن ظهورهم، ولكنه أصبح فيما بعد أكبر القوات التي ظهرت قبل الامبراطورية الرومانية، ولكن ما عجز الفرس عنه في المجال العسكري، واستطاع الرومان كحقيقة، أنهم، [الرومان]، كانوا يعتبرون كل عملية حربية عملاً جدياً يقتضي عناية كبيرة في الاستعداد ودقة متناهية في التنفيذ، وبذلك فرضوا على جميع مجنديهم الالتزام بتدريب أشد صرامة وبنظام أكثر دقة وهو ما لم نجد له ذكراً عند الفرس خاصة بعد اكسركسيس (الأول)، ثم عكوفهم [الرومان] بعد كل حرب على دراسة مجرياتها، ونتائجها وتلخيص الدروس والعبر منها السلبي والإيجابي، وعليه ظهرت ثمار تلك السياسة في استمرار نجاحهم العسكري وسيطرتهم زمناً طويلاً.

عاصمة الأمبراطورية:

لقد اتخذ الملوك الفرس الأخمينيين عدة مدن قديمة شهيرة، كمراكز إدارية لإمبراطوريتهم، إذ كان قورش (الثاني) 559 ـ 529 قد اختار أو أخذ من مدينة سوسة Σουσα عاصمة عيلام، مركزاً لإدارته، عندما كان حاكماً لإقليم أنشان زمن خضوعه للميديين[1]. وقد ظلت كذلك حتى وقت متأخر منْ تاريخ الإمبراطورية الفارسية الأخمينية[2]، ثم اتخذ بعد ذلك مدينة

(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 9.

(2) Matheson S.A., **Persia, An Archaeological Guide,** (London, 1972), PP., 146 FF.



خريطة رقم ـ 18 ـ

أكباتانا Aγβατανα" العاصمة الميدية[1] مقراً إدارياً أيضاً، وهذه كانت في العادة المقر الصيفي للملوك[2].

بعد فتحهم لبابل سنة 539 ق. م، اتخذ منها هي الأخرى عاصمة، ومن قصر بختنصر مقرًا وذلك قبل أن يشيد له ولابنه كمبيز (الثاني) قصرين بالجزء الشمالي من المدينة[3].

ثم استقر رأيه [قورش الثاني] بعد ذلك على تشييد عاصمة خاصة، فكان بناء مدينة باسارجاداي[4] Πασαργαδαι التي يُعتقد استناداً إلى

---

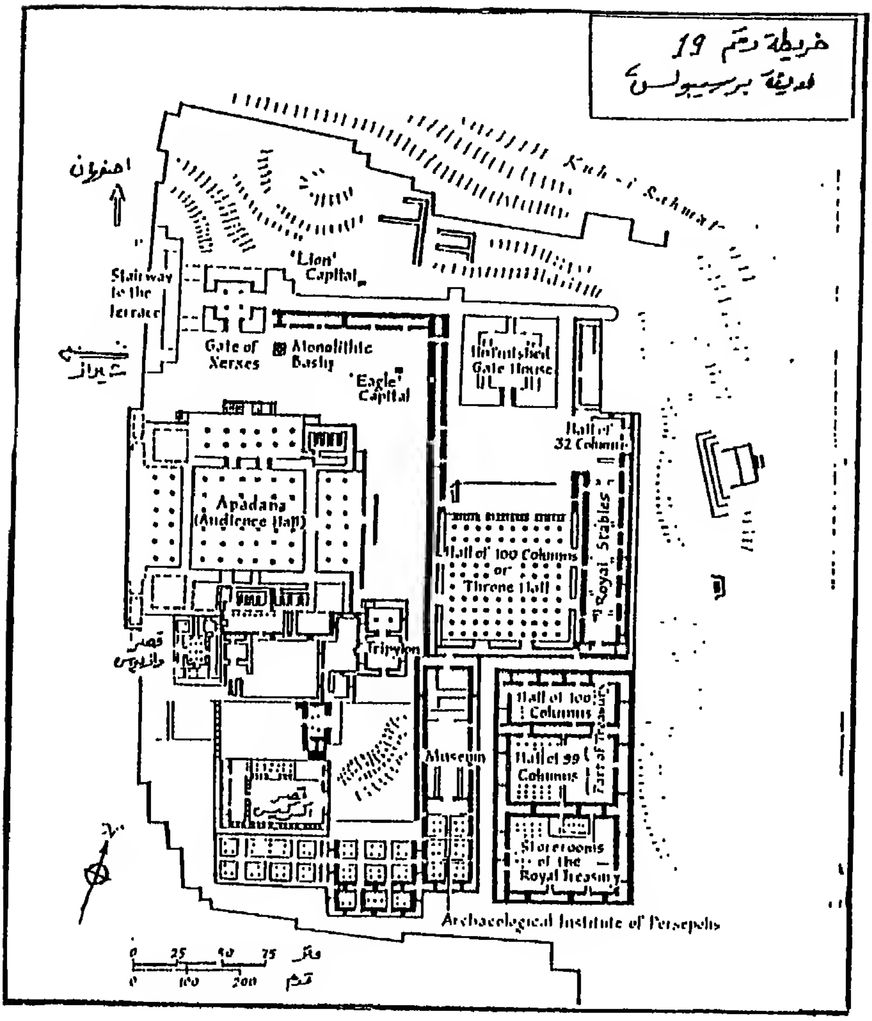
(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 16.

(2) Matheson S.A., OP. Cit., PP., 224 FF.

(3) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة.

(4) يرد اسم هذه المدينة في المراجع الأجنبية بصيغ منها (Pasragada - Pasargadae - Parsagarda - Parsagardoe - Persagada) وتُعرف اليوم باسم تخت سليمان Takht-i-Sulaiman أو مشهد مرغاب، تقع غلى خط عرض 31،38 شمالاً، 80 ميلاً شرق مدينة شيراز Shiraz و 50 ميلاً شمال برسيبوليس.
تم الكشف عن هذه المدينة سنة 1819 م من قِبل البريطاني السير روبرت كير بورتير Robert Ker Porter، وقد نقّب فيها الأثريون الألمان منذ سنة 1968 م وبحث فيها على نطاق واسع عندما تولى التنقيب فيها البروفسور Professor Uphan Pope and D.N., Wilber وهذا الأخير بعض أعماله اعتمدت في هذه الدراسة وهذان الباحثان مبعوثان من المعهد الأمريكي للفن والآثار الإيرانية.
The American Institute for Iranion Art and Archaeology.
ومن الذين اشتغلوا بمخلفات هذه المدينة أيضاً المستر هرزفيلد، وقد وضع مؤلفات عديدة فيها منها مثلاً:
Ernest HerzFeld, Archaeological History of Iran; Iran in the Ancient East, (London, 1941).
والمستر ديفيد Mr. David Stronach وذلك في الفترة من 1961 ـ 1963 م وكان يشغل Dictor of the British Institute of Persian, Tehran.
وفي الخمس سنوات الأخيرة تولى العمل بها الدكتور علي سامي Dr. Ali Sami الدكتور بمعهد الآثار ببير سبوليس، ومن مؤلفاته عنها Pasargadae, (chiraz, 1950)

خريطة رقم ـ 19 ـ



تسميتها التي بمعنى مخيم الفرس أنها كانت معسكراً لهم، تم تطويره وتكاملت مرافقه، ليصبح مدينة متكاملة وقد أُقيمت بذلك الموقع تخليداً للمعركة التي انتصر فيها قورش (الثاني) على الملك الميدي أستياجس[1]، وهذه المدينة إلى حد ما، تُعتبر من حيث عمارتها وأسلوب بنائها فارسية أكثر من مدينة برسيس Περσεπολις التي استعملت فيها مؤثرات أجنبية مختلفة على نطاق واسع[2].

ثم بعد تولي داريوس (الأول) شؤون الامبراطورية، وبعد إعادته ترتيبها وتنظيمها كان خلال تلك المدة قد اتخذ من المدن المذكورة سابقاً مراكز إدارية للامبراطورية[3]، فأنه عمل على إيجاد عاصمة خاصة بالعائلة، وتقع بأرض الوطن فكان أن وجدت مدينة برسيبوليس[4] Περσεπολις التي لم

---

(1) Olmstead A.T., OP. Cit., P., 62.

(2) عن تفصيل تلك المؤثرات، انظر موضوع الفن، بالصفحة 191 وما بعدها من هذا الفصل.

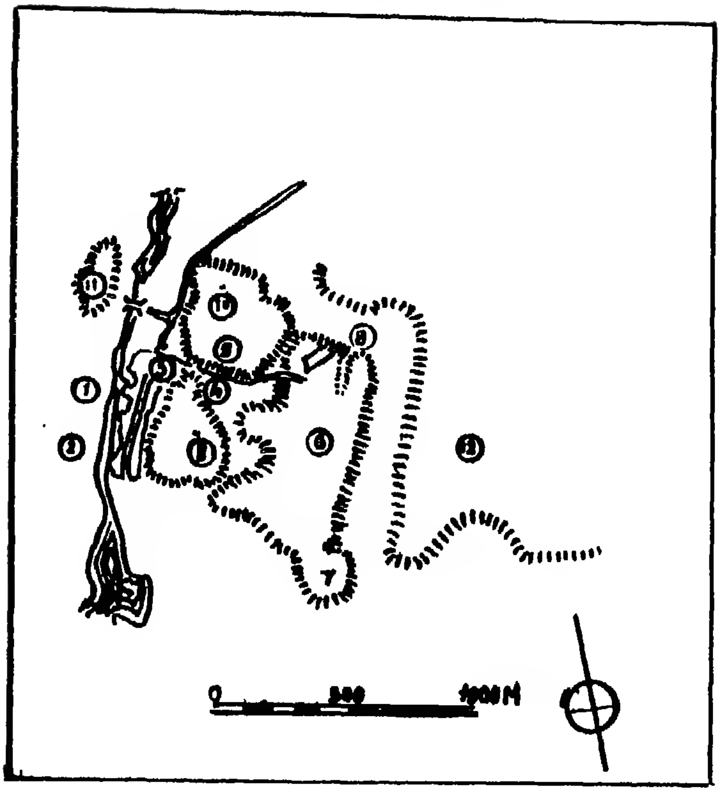
(3) وذلك استناداً إلى العديد من القصور الخاصة التي شادها في بعض تلك المدن ومنها قصره الذي أقامه في سوسة جنوب القلعة وغرب قصر نبو بلاصر، ويحاذي مباشرة حائط الخندق المائي الضخم، ذلك القصر الذي تأكد تأريخه بهذا العاهل عن طريق بعض النقوش المكتشفة، هناك للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Kent R.G., Old Persian Inscription **Journal of the American Oriental Society;** L1, (1931), PP., 193 FF; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, PP., 167 FF.

(4) تقع برسيبولس على خط طول 53° , 17 شرق، على مسافة أربعين/ كم شرقي شيراز وتُعرف اليوم باسم تخت جمشيد Takht -i- Jamshid وعُرفت منذ القرن العاشر الميلادي، تولى العمل والتنقيب فيها العديد من العلماء والباحثين، منهم Roman Ghirshman الذي اعتمدت بعض مؤلفاته في هذا البحث، ومنهم أيضاً Jahangir Yasi Salles ، ثم فريق عمل إيراني بقيادة أو تحت إشراف علي أكبر سارفاراز Ali Akbar Sarfaraz وذلك منذ سنة 1968 م.

هذا ومن الجدير بالذكر أن هذه المدينة التي كان الإسكندر المقدوني قد دمرها في إحدى نوبات سكره بحريق هائل، قد أُعيد بناؤها في العصر الساساني، وعُرفت حينئذ باسم اصطخر Istakhr وهي التسمية التي عُرفت أيضاً في المصادر الإسلامية اللاحقة.

خريطة رقم 20 مدينة سوسة



1 ـ قبر دانيال.
2 ـ القرية الحديثة.
3 ـ الاكروبولس.
4 ـ بعثة أثرية.
5 ـ مُتحف أثري.
6 ـ المدينة الملكيةُ.

7 ـ Keep
8 ـ Stratigraphic Sounding
9 ـ قصر داريوس (الأول)
10 ـ الأبادانا
11 ـ قصر أحد الملوك الساسانيين
12 ـ مدينة الحرفيون.

يعرف لها تسمية في زمنها الأول غير تلك التسمية وهي تسمية أُطلقت عليها من قبل الهللينيين الذين عرفوها عقب غزو وتدمير الإسكندر المقدوني لها[1].

ماذا كان يطلق عليها الفرس الأخمينيون كتسمية؟ لا أحد يذكر، يبدو أن الهللينيين ترجموها كما وجدوها (The City of the Persians) إذ لا يوجد ذكر لها قبل ذلك الغزو في كتب التاريخ القديم[2]، ذلك على الرغم من ورود إشارات عديدة في تلك الكتب للعواصم الأخمينية الأخرى، كما لم يرد ذكرها في الكتب المقدسة، وتجاهلها أيضاً كتسياس Ktisias ، وهو الهلليني الذي عاش في بلاط الامبراطور أرتاكسركسيس الثاني 404 ـ 359 ق. م، مدة أربع وعشرين سنة، وألف كتاباً عن الفرس الأخمينيين ولا يزال هذا التجاوز لهذه المدينة لغزاً مُحيراً[3].

بدأ داريوس (الأول) في تشييد برسيبولس حوالي عام 520 ق. م، ولكنها لم تتم إلا في عهد أرتا اكسركسيس (الأول) حوالي 460 ق. م[4].

لم يبخل داريوس (الأول) ولا خلفاؤه على هذه الحاضرة الجديدة بأي تقنيات توفرت في ذلك الوقت، فكما أُستجلبت إليها العمالة والفنانين المهرة من مختلف الأقطار فأنه قطر إليها أيضاً أبهى وأثمن مواد وزخارف الإنشاء والعمارة في زمنه[5]، مما جعل هذه المدينة مركزاً إدارياً عظيماً فخماً ذو

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثاني، صفحة 132.

(2) ذلك لا يعني أن المصادر القديمة اللاحقة لم تتطرق إليها، إذ كان قد ورد ذكرها عند:

Strabo., XI, 13.6; XV, 36, 3.7; Diod, XVII, 67-74; Just, XI, 14.10 FF; Pluta., Alex., 37.2; 83.1; 83.4.

(3) Olmstead A.T., OP. Cit., PP., 380 FF, 519 FF.

(4) الجدير بالملاحظة أن كل ملك يتولى عرش الامبراطورية كان يحرص على تخطيط وتنفيذ مباني خاصة به بهذه المدينة، كقصر وقاعة اجتماعات وغير ذلك.

(5) انظر تفصيل ذلك في موضوع الفن والعمارة، الصفحة 191 وما بعدها بهذا الفصل.

عناصر معمارية إنشائية وفنية زخرفية مختلفة.

ويلاحظ في أمر هذه العواصم أنه على الرغم من اتخاذهم من برسيبولس عاصمة روحية للدولة بدليل حرصهم على تشييد قصور خاصة لكل ملك منهم بها، كما حرصوا على أن تكون المدافن الملكية بها أيضاً، فأنهم على الرغم من ذلك ولبواعث ربما تكون عسكرية وصحية كانوا دائمي التنقل بين تلك المدن المذكورة سابقاً وإن لم يتخلوا بشكل خاص عن سوسة[1]

(1) تتحدث الأبحاث عن ذلك فتذكر أن الفرس الأخمينيين لم يتخلوا عن تلك المدينة لأنها كانت معقل الطرق المارة باتجاهات مختلفة أهمها طريق كان يسلكه قطاع الطرق الذي أمنه الفرس وفرضوا على عابريه الجزية ثم أنها تطل على عدة أنهار عظيمة وهي Tigris, Eulaeus, Euphrates, Choaspes وبعض تلك الأنهار يمكن عبورها بالقارب، مما أوجد منافذ بحرية تتصل بها المدينة بالخارج.

كما هناك من الباحثين من يقول على مناعة المدينة وصيانتها على الرغم من عدم وجود أكروبولس عليها إلا أنها كانت تتمتع بعدة حصون وقلاع قديمة أُعيد تشييدها.

من جانب آخر يُعتقد بأن استقرار الملوك الفرس الأخمينيين أغلب الوقت بسوسة لقربها من العدد من المناطق المهمة والتي كانت دائماً في حاجة لمراقبة كالأفريجيين والبابليين وغيرهما في حين يعوّل بعض آخر على الناحية الاقتصادية، فيذكر أن المدينة تمتعت بجو دافىء خاصة، ومن ذلك أيضاً كانت منطقة زراعية بالدرجة الأولى، فزُرع بها أنواع من الحبوب على درجة عالية من الكمال إضافة إلى الفواكه والخضروات التي نمت بوفرة وقد دلت المكتشفات الأثرية بها على مدى الجهد المبذول في هندسة قنوات الري وكيفية جذبها من مناطق بعيدة من الأنهار وغيرها إلى المزارع والحقول والمنشآت المعمارية، للمزيد عنها انظر: ـ

Herod., I, 188; 111, 129; V, 54; VI, 20; VII, 151; Strabo, XV. 3.2; 3.4; 3.5; 3.10; 3.11; Plin, VI, 99; 134; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, PP., 162 FF; Gobineau J.A., **OP. Cit.**, PP., 92 FF; Matheson S.A., **OP. Cit.**, PP., 224 FF.

هذا ومن جهة أخرى فإن الآثار الأخمينية بهذه المدينة لم يبدأ الكشف عنها إلا عقب عثور شركة الأنجلوالإيرانية النفطية Anglo Iranian Oil Company على بعض القطع الفنية التي تعود لهذا العهد، ثم تولى التنقيب فيها ما بين 1936 ـ 1939م R. de Mequenem من المعهد الفرنسي للآثار The French Archaeological Mission. =

«حتى أن اسم هذه المدينة غدا للمعاصرين كأنه رمز لقوة الامبراطورية ولهيئة حكمها[1]».

كما يلاحظ أن تحركاتهم المركزية تلك ظلت محصورة في الهضبة [الإيرانية] ولم يخرجوا عنها بدليل تخليهم عن اتخاذ مثل تلك العواصم بليدية أو مصر مثلاً، ويعتقد أن ذلك راجع لبعدهما.

ثانياً: الديانة

من أهم المشاكل التي تواجه الباحث في تاريخ الفرس القديم، موضوع ديانتهم فقد كانت في العصور السابقة على ظهور الأخمينيين واحدة من الديانات الهندأوربية الوثنية[2]، يعبدون قوى الطبيعة المختلفة مثل الشمس والقمر والأرض والنار والماء والرياح، واعتبروا كل منها إلهاً، كانوا يقدمون له القرابين والأضاحي، كان يقوم على ذلك طبقة الكهان المجوس[3] Magi وقد هال زرادشت Zarathus tra ما رآه من هذه الآلهة البدائية، فثار عليها وأعلن «في شجاعة وصراحة» أنه ليس في العالم سوى إله واحد، وما عداه مظاهر له أو صفات من صفاته.

وتختص إحدى صعوبات الديانة الفارسية بزرادشت نفسه، الذي لاقت تعاليمه وهو بعد على قيد الحياة نجاحها الأكبر في شرق فارس، ولكن أين بالتدقيق وخاصة في أي زمن؟.

= كما قام في الفترة من 1946 م إلى 1962 م بالعمل والبحث فيها الباحث Roman Ghirshman

(1) أندريه إيمار وجانين أوبويه، المرجع السابق، ص 220.

(2) Olmstead A.T., **OP. Cit.**, PP., 94 FF; 195 FF; Frey R.N. **OP. Cit.**, PP., 27 FF.

(3) Herod., I, 101, 140; Graves R., **New Laroussse EncycloPedia of Mythology.** (Masson P. - Oursel and Louise Morin, Mythology of Ancient Persia), (London, 1978), PP., 309 FF.

فقد نسبه بيرسوس البابلي PEERSOS إلى سنة 2000 ق. م تقريباً[1] في حين أرجعه كسانثوس الليدي Xanthos the Lydian إلى القرن الخامس ق. م[2]، ويرجع به المؤرخون المحدثون إلى القرن السابع أو السادس ق. م[3]، وعلى ذلك يكون المؤرخون قد اعتبروه شخصية تاريخية.

تذكر المصادر أن زرادشت قد ولد في ايريانا فيجو [أذربيجان] في ظروف كانت تشبه ولادة المسيح عليه السلام[4]، ونشأ في بيئة ريفية متواضعة، لا تستطيع أن تحمي نفسها مما يحل بها من غارات جيرانها، فكان أكثر ما يشغله في شبابه أن ينجو بأسرته من غزو القبائل الرحل التي تهددهم، كما يُذكر أيضاً أنه قام بزيارة «لفلسطين» ولم تطمئن نفسه لليهودية فانكب على «دراسة» الأديان الفارسية القديمة، كما تورد بأنه كان على أخلاق شخصية أسمى ما يمكن أن تكون الأخلاق الفردية في ذلك الوقت.

أرسى زرادشت قواعد عقيدة دينية جديدة تقوم على عقائد الفرس القديمة، ولما لم تنجح دعوته في بلده هاجر منه بحثاً عمن يؤمن به، حيث استقر به المقام عند هستاسبس Yσταοπος' والي بارثيا وهركانيا وفيانانا في شمال شرق باكتيريا[5] زمن كمبيز (الثاني) 529 ـ 522 ق. م.

---

(1) ول ديورانت، المرجع السابق، ص 38.

(2) Burn A.R., OP. Cit., P., 69.

(3) أحمد فخري، المرجع السابق، ص 230، صادق نشأت ومصطفى حجازي، المرجع السابق، ص 120 ، إبراهيم أحمد زرقانة وآخرون، المرجع السابق، ص 446.

(4) وذلك من حيث الولادة الغامضة، التكلم في المهد، البعث في الثلاثين والتلمذة على نبي يهود، نسبة خوارق ومعجزات إلّهية، للمزيد عن ذلك انظر: ـ علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الجزء الأول، (دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1966) ص ص 202 وما بعدها؛ ول ديورانت، المرجع السابق، ص 37.

(5) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 42.

وإذا صح أن هستاسبس كان فعلاً قد تبنى عقائدياً ما دعا إليه زرادشت هو والد داريوس (الأول) فإن أقرب التواريخ احتمالاً هو التاريخ القائل بأن زرادشت قد عاش في أواخر القرن السادس قبل الميلاد.

لكن من جهة أخرى، وما يُعجب له المرء، أن الملوك الأخمينيين، بما فيهم داريوس (الأول) الذي يُذكر أنه رفع لواء الزرادشتية عالياً، يصمتون نهائياً عن تلك الشخصية بمعنى آخر إذا كان الملوك الأخمينيون لا يكاد يخلو نقش من نقوشهم الملكية الرسمية من إشارة إلى أهورا مازدا فأنهم لم يتطرقوا أبداً لذكر زرادشت.

من أهم المصادر عن زرادشت وديانته كتابه «المقدس» الموسوم بالاڤستا[1] Avesta، وهو عبارة عن مجموعة من الكتب استوعبت ما جمعه تلاميذ هذا «النبي» من أقوال وصلوات، وقد أسماها بعض أتباعه المتأخرين بتلك التسمية «وقد اشتبه الأمر على بعض العلماء المحققين فسموها خطأً بالزندافستا THE ZEND AVESTA وأصبحت لذلك تعرف لدى الغربيين بهذه التسمية[2]».

(1) يعرف في المصادر العربية الإسلامية باسم الابستا أو الابستاق وتذكر المصادر إنها كانت مكتوبة بأحرف من ذهب على اثني عشر ألف رقيقة من جلد البقر، كانت تمثل واحد وعشرين كتاباً احترق بعضها في حريق الإسكندر المقدوني لمدينة برسيبولس، كما تم جمع بقية شتاتها في القرن الثالث الميلادي، وهذه الأجزاء الأخيرة قُسمت إلى خمسة أجزاء وهي في مجموعها عبارة عن مجموعة مضطربة من الأدعية والصلوات والأغاني والأساطير والوصفات والمراسم وقواعد الأخلاق، ليس فيها أي جمال فني إلا ما يعترضها أحياناً من ألفاظ مختارة أو ما يبدو في صياغتها من تحمس في الأخلاق أو تزمع في الأدب أو تعفف في الترتيل والإنشاد، للمزيد انظر: ـ م، ج. درسدن، أساطير إيران القديمة، في كتاب، أساطير العالم القديم، نشر وتقديم صمويل نوح كريمر ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، (الهيئة المصرية للكتاب، 1974 م)، ص ص 312 وما بعدها.

(2) أول من أضاف كلمة زندا، التي تعني شرح أو ترجمة في اللغة الفارسية، كان =

والأفستا في مجموعها تقسم العالم إلى قسمين التقدير والفعل، ثم تتكلم في موارد التكليف، وهي حركات الإنسان وتقسمها ثلاثة أقسام، الاعتقاد ـ القول ـ العمل، وفلسفة مذهبهما الوجودي، تعالج مسألة الخير والشر، فقالت بمبدأ التثنية أو الثنائية فردتهما إلى أصلين متضادين هما مبدأ الوجود، الظلمة، النور وهما أهورامازدا وأنجرا مانينيو أو هريمان.

وقد امتزج النور بالظلمة، لسبب ما، فحدث عن هذا الامتزاج صدور الموجودات كلها، وعليه فالموجودات كلها ومنها الإنسان، مزيج من ظلمة ونور، ويستمر ذلك إلى أن يتغلب النور على الظلام ويكون الخلاص، «حاول المؤرخون الإسلاميون أن يصبغوا الزرادشتية بصبغة تتصل إلى حد ما بالتوحيد، فذهبوا إلى أن في منطق المذهب الزرادشتي إلهاً أبدع النور والظُلمة وهو أحد لا شريك ولا ضد ولا ند له[1]».

كما ذهب بعض المشتغلين بالعلوم الهندية إلى أن الأفستا لم تصدر في الواقع عن أهورا مازدا وإنما نزلت بها كتب الهند المقدسة، والمعروفة بالفيدا[2].

من أركان الأفستا المهمة، البعث والحياة الآخرة، إذ اعتقدت إن الإنسان يتألف من جسم وروح، وأن الجسم مكون من اللحم والعظم والقوة الحيوية والصورة أو القالب، وهذا الأخير هو الذي يعود للحياة يوم البعث، فالروح عقب الموت مباشرة تفارق الجسد، وتظل حائمة حول الجسد لمدة

= المستشرق انكيتيل ديبرون، انظر: ـ ول ديورانت، المرجع السابق، ص 40 هامش رقم (1)؛

Burn A.R., **OP. Cit.**, P., 66 not (8); Masson P. and Morin L., **OP. Cit.**, PP., 309 F.

(1) سامي علي النشار، المرجع السابق، ص 204، انظر أيضاً الإمام محمد أبو زهرة، **مقارنة الأديان، الديانات القديمة**، (دار الفكر العربي، الكويت، ؟)، ص 75.

(2) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، **في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، (عالم الكتب، بيروت. ؟)، ص 4.

ثلاثة أيام، وفي الرابع تهب عليها ريح طيبة في حالة كون الميت كان خيِّراً في حياته، ونتنة إن كان عكس ذلك.

تحمل الرياح الروح إلى معبر الحساب «تشنفات Tsinvat» حيث تلقى حساباً ينتهي بها إلى الفردوس أو إلى الجحيم، ولا محل في ذلك اليوم للتوبة أو الندم كما لا غفران فيه، ذلك لأن الحساب يقوم على أساس العدل وليس الرحمة(1).

أما في حالة تساوي السيئات بالحسنات، فأنها تبقى [الروح] معلقة فترة من الزمن حتى البعث النهائي [إعادة الإسكان أو فراشو كيريتي]، وهذا الأخير حساب أخير يختلف من حيث الطبيعة وهدفه عن حساب روح الفرد من الموتى، كما أنه يمثل النصر النهائي لاهورا مازدا على أهريمان، فيلحق المعذبون بالأخيار المنعمين، وإذ ذاك يتم السلام النهائي والخلود الأبدي.

تمتاز ديانة الفرس القديمة عن الديانات المعاصرة لها، بأنها قامت على أساس مبدأ تعميم الخير وإبادة الشر، والسبيل إلى ذلك تقوية الإنسان ونشر العمران والخصب، ولما كانت النفس البشرية موطن صراع بين الخير والشر، فالإنسان يتبع أحد الطرفين وكان كل عمل يقوم به يرجح قضية طرف من الاثنين أهورا مازدا أو أهريمان، وعليه يكون للإنسان وزنه في الصراع فهو يتحرك بإرادته «مُخيّر» لينتصر لحليفه وهو يختار بنفسه الذي يروق له لينصر الخير أو ينتصر للشر، ومن ثم جعلت هذه الديانة الحياة ميدان جد وعمل، فاختلفت بذلك عن فلسفة الديانة البوذية القائمة على العزلة والتأمل.

كانت فلسفة الديانة الزرادشتية كثيرة الأمل في المستقبل، فهي ترتقب أن يتغلب الخير على الشر وأن طال الأمد، ومن صفاتها أنها قامت على

---

(1) م. ج درسدن، المرجع السابق، ص 316، السير جون. أ. هامرتن، تاريخ العالم، المجلد الثاني، الفرس وامبراطورية الشاة الأعظم، بقلم ج. ب جرندي، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية المصرية، (مكتبة النهضة المصرية؟)، ص 445.

أساس أخلاقي بأن يكون الإنسان طاهراً نقي الفكر، واسع العلم كأهورا مازدا، ولا يكون جاهلاً وشريراً محباً للفساد كأهريمان، فكانت بذلك ديانة واقعية لا ديانة تقتصر على الشعائر، لا يُراعي المؤمنين بها أحكامها إلا حين تقام العبادات العامة، ومن هنا وسِمت بأنها ديانة شخصية أكثر منها ديانة وطنية.

أما عن طقوس العبادة، فأنه مما يُلاحظ عليها أنه قد اعتراها شيء من الاختلاف على مدار تاريخ الإمبراطورية الفارسية الأخمينية.

كان المجوس Magi يقدسون عناصر التراب والماء والنار، ولذا حرَّموا دفن الموتى أو غسلهم أو حرقهم مخافة تدنيس هذه العناصر، وعليه كانوا يضعون الموتى في أماكن مرتفعة فوق قمم الجبال أو في أبراج مرتفعة الجدران، تُبنى خصيصاً لهذا الغرض يضعون فيها أو فوقها جسم الميت تنهشه الجوارح والوحوش، وبعد فترة يتم جمع العظام في موضع خاص[1].

لكن من جهة أخرى، نعلم أن الملوك الأخمينيين أقاموا مقابر خاصة لهم، حرصوا حرصاً شديداً على تزيينها وزخرفتها، كما سنرى فيما بعد، وتذكر المصادر الهللينية[2] أن الإسكندر المقدوني، عند غزوه لبلاد فارس قام بزيارة قبر قورش (الثاني) ووجد جثة [الهيكل] مطروحاً على أرضية القبر فأمر بجمعها ودفنها مجدداً، فهل كان ذلك اتباعاً للطريقة سالفة الذكر، وأن المقابر عُملت عوضاً عن الأبراج، وإن نشر الجثة بالكيفية التي وجدا عليها الإسكندر لم تكن بفعل عبث اللصوص، كما ذُكِرَ وإنما كان اتباعاً لتلك العقيدة؟.

(1) رشيد الناضوري، المدخل في التحليل الموضوعي، المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الأول، مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي من العصر الحجري الحديث حتى نهاية الألف الثالثة ق. م (دار النهضة العربية، بيروت)، ص ص 154 وما بعدها.

(2) Arr., Ana., 2.14,9; Pluta, Alex., 34.1; Hammond, OP. Cit., P., 621.

تولى شؤون الديانة وإيضاحها طائفة من الكهنة الذين بالإضافة إلى توليهم شؤون الديانة كانوا يتولون القضاء ويقومون بتفسير الأحلام، ويسهمون في تتويج الملوك في الاحتفالات الخاصة بذلك، كما كانوا يقومون على حراسة المقابر إضافة إلى التعليم.

أمرت الديانة بتقديس النار لكونها مصدراً للحرارة والنور، أهم دلائل الإله، وبلغ من اقترانها بالشمس أن صار ارتباط مقدس دائم بينهما، وكان زرادشت في عهده قد ندَّد بالذبائح الدموية للإله، ولكن المصادر اللاحقة تورد أن الأخمينيين المتأخرين قد قدموها[1].

كانت الأضحية تتم بحضور الملك الذي يشارك بنفسه في إيقاد النار. كما كانت تلك المذابح المقدسة تقام فوق الجبال أو في القصور أو في البيوت، إذ كانت كل أسرة حريصة على أن تظل شعلتها متقدة دائماً.

وعليه فقد طرأ على ديانة زرادشت تعديل كبير في الفترة التي تلت داريوس (الأول)، ربما كان أول معول حطم من كيان تلك الديانة هو دخول الأساطير إليه، فكان زرادشت، قد وصف أهورا مازدا بسبع صفات[2]، فعمل أتباعه من بعده، وهم الذين كانوا قد اعتادوا عبادة الألهة المتعددة في زمن سابق مثلوا تلك الصفات في صورة كائنات أسموها الكائنات الخالدة

(1) إذ ورد أن الأخمينيين قاموا بتقديم أضاحي بشرية وهم في طريقهم زمن اكسركسيس (الأول) لغزو المدن الهللينية، كما ذكر ذلك عن امستريس والدة اكسركسيس (الأول) التي أمرت في آخر عمرها بتقديم عدد من الأطفال أضحية للإله، للمزيد انظر: -
ϛεν., KYPOY ANABAΣIΣ, I,5,7 FF; Strabo, XI, 512; XII, 559; XV, 733; Arr., Compaigns of Alexander, I,12; Burn A.R., OP. Cit., P., 118.
نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 433.

(2) هذه الصفات هي النور، العقل، الخير، الحق، الجبروت، القداسة، الإحسان، الخلود.

[اميشا سبنتا[1]]، وجعلوها تأتمر بأمر أهورا مازدا وبذلك تحول المذهب إلى فكرة التعدد، ولذا قالوا أن الزرادشتية في صورتها المتأخرة توحيد ناقص[2].

ومنذ عهد أرتا أكسركسيس (الثاني) 405 ـ 359 ق. م[3] ظهرت عبادة إله الشمس ميثرا Mithra أو Mithrasim إلى جانب أهورا مازدا، كإلّه للعدل والإخلاص كما انتشرت إلى جانبه عبادة أخرى للآلهة أناهيتا أو أناحيتا Anahita وهي ألهة الخصب والماء والنماء، والتي تشبه في صفاتها عشتار البابلية، إضافة إلى الإله هاوما Huma أو الثور المقدس[4].

نخلص من الحديث عن الديانة الفارسية إلى أنهم [الفرس الأخمينيون] طوال تاريخهم السياسي لم يفرضوا ألهتهم بالقوة، فقد ظلت الولايات تحتفظ بدياناتها، كما سنرى عند الحديث عن قورينائية[5]، بل أنهم، أي الفرس الأخمينيين أدوا لسائر معتقدات امبراطوريتهم الاحترام التقليدي، فحالما وصل قورش (الثاني) سنة 539 ق. م إلى بابل قدَّم خضوعه لبعل مردوك BAL Marduk كما أطلق سراح اليهود[6]، ولم يقدم خلفاؤه على أي اضطهاد، وما ذكر عن كمبيز (الثاني) في مصر، لم يكن، إذا كان فعلاً ذلك قد حدث، لا يخرج عن نطاق ما اتهموا به من تحريض على الثورة[7]، كما تأكد بأن داريوس (الأول) قد أبدى احترامه للألهة الأخرى[8].

فهل كان ذلك عدم مبالاة أو بصورة أخرى تعبير عن كياسة سياسية؟

---

(1) م. . درسون، المرجع السابق، ص ص 304 وما بعدها.
(2) سامي علي النشار، المرجع السابق، ص ص 207.
(3) وهذا خارج عن الإطار الزمني للبحث الذي حُدِّد بحوالي 440 ق. م. .
(4) انطون مورتكات، المرجع السابق، ص 380.
(5) انظر الباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 212.
(6) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 23، هامش (2).
(7) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 36 وما بعدها.
(8) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 148 من هذا الفصل.

هذا أولاً، وثانياً إذا كانت الزرادشتية تقول بوجود إلّه واحد وهو أهورامازدا، يجب الخضوع له، فإن داريوس (الأول) الذي تعتقد بعض المصادر أنه من رفع شأن تلك الديانة يذكر في بعض نقوشه «أهورامازدا والألهة الأخرى الموجودة» وهو أمر يجعل الباحث يعتقد في أن هذا الامبراطور كان كالامبراطور الروماني قسطنطين مع المسيحية زمن ظهورها، مؤمن مع المؤمنين، كافر مع الكفار[1]، وبالتالي فإن الزرادشتية لم تكن ديانة عامة، وإنما خاصة بتلك العائلة فقط [الأخمينية] ومما يرجح هذا القول الأخير تبني العواهل المتأخرون الآلهة الأخرى، إضافة إلى قلة المنشأت الدينية الخاصة بتلك العبادة، والتي عثر على القليل منها «ثلاثة فقط[2]» تعود لعهد داريوس (الأول).

ثالثاً: الحياة الاقتصادية

النقد:

ظل الفرس الأخمينيون، قبل تولي داريوس (الأول) لشؤون الامبراطورية وهم يتعاملون اقتصادياً بأسلوب المقايضة، فقد كانت «الأموال وفوائد النسيئة» تُدفع عيناً من البضائع، خاصة من الحبوب والمواشي، وهم لذلك استعملوا على نطاق واسع في هذه الفترة المقاييس والموازين والمكائيل[3].

---

(1) عن الامبراطور الروماني قسطنطين وموقفه من الديانة المسيحية، انظر: ـ
اسحق عبيد، **الامبراطورية الرومانية، بين الدين والبربرية مع دراسة في «مدينة الله»** (دار المعارف بمصر ؟)، ص ص 47 وما بعدها.

(2) Graves R., OP. Cit., P., 318.

(3) وهذه الأمور كانت منظمة ومقننة بدقة، وفي هذا المجال عملت الدولة على رعاية الطبقة العاملة من ناحية العمل والأجور، على الرغم من عدم العثور على تشريع للعمل ولكن هناك قوانين تُشير إلى قيام مقاييس تحدد أجور العمال، فحددت قيمة السلع نقداً إن دُفع الأجر عيناً، فجرة النبيذ مثلاً تساوي شاقلاً، كما تساوي الواحدة=

ثم كانت أبرز ظاهرة اقتصادية، لذلك العصر، وهي استعمال النقود المسكوكة إذ تمكن داريوس (الأول) من ضرب نقود من الذهب سُميت دارك Δαρωικοι وأخرى من الفضة تسمى شاقل[1].

استتبع اتباع النظام النقدي في التعامل التجاري، نشاط الحركة المصرفية والائتمان Credit فكانت تلك المصارف تقوم بعمليات الرهن والقروض والإيداع، وكان رأس المال يستثمر في العقارات والأراضي والماشية والسفن الحاملة للبضائع، كما عرفوا نظام الحسابات الجارية والصكوك[2].

= من الماشية مثلاً ثلاث شواقل، ومن ذلك أيضاً، أن الكاهن يأخذ مقابل عمله 12 جرة من النبيذ. للمزيد انظر: ـ
أحمد كمال الدين حلمي، المرجع السابق، ص 19.
Collins, R., OP. Cit., P., 86; Frye R.N., OP. Cit., PP., 137 FF.

(1) اقتبس داريوس (الأول) عملية سك النقود عن الليديين، وإن تميزت نقود داريوس (الأول) بدقتها خاصة منها المجموعة التي صور على أحد وجهيها داريوس جاثياً على ركبتيه وممسكاً بقوسه، تُعد أشهر القطع المسكوكة في العالم القديم، من جهة أخرى يُعتبر داريوس (الأول) أول من رسم نفسه على العملة.
بلغت قيمة الدارك الذهبي إلى الفضة بنسبة 13,5 : 1، ومن هنا كانت نشأة النسبة بين هذين المعدنين في المعاملات النقدية الحديثة.
ويُعادل الدارك الذهبي عشرين شقيلاً من الفضة، كما كانت ثلاثة آلآف قطعة دارك تزن مناً فارسياً. ويجدر بالتنويه أن بعض الأبحاث ربطت بين اسم داريوس (الأول) ودارك، وإنما هي مشتقة من كلمة زريق الفارسية، بمعنى عملة من ذهب، للمزيد عن ذلك أنظر: ـ
Dury C.J., Art of the Ancient Near and Middle East, Translated from the Dutch by Alexis Brown, (New York, 1969), P., 149; Gobineau J.A., OP. Cit., P., 84;
ول ديورانت.
المرجع السابق، ص 24؛ سليم حسن، المرجع السابق، ص 593 ـ 594؛ طه باقر، المرجع السابق، ص 576؛ نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 423.

(2) خالد عبد المنعم، المرجع السابق، ص 112؛
Ragozin Z., OP. Cit., PP., 244 FF.

وقد مارس تلك الضروب من الأنشطة، إلى جانب بعض رعايا الامبراطورية من الارستقراطيين بعض أفراد العائلة المالكة[1].

ويبدو أن سك تلك النقود لم يكن بالكميات الكافية لتغطية كافة المناشط الاقتصادية بأطراف الامبراطورية، إذ ظلت فارس نفسها تدفع أجور عمالها في عهد داريوس (الأول) قيمة عملهم بمقدار 1/3 نقداً 2/3 عيناً، ثم في عهد اكسركسيس (الأول) 486 ـ 465 ق. م صارت تُدفع 2/3 نقداً، كما كانت الولايات، كما سنرى في قورينائية[2]، تستعمل نقودها الخاصة.

ويبدو أن ذلك القصور لم يكن ناتج عن نقص بالمعادن الثمينة، إذ كان قد تقاطر على خزينة الفرس كميات ضخمة من الأموال «معادن ثمينة في شكل سبائك» والتي كانت تُخزن بالدرجة الأولى، ولا يُصرف منها إلا القليل، فكان ذلك أحد معوقات نمو التعامل النقدي (الفارسي) أو قلة النقود المتداولة، مما اضطر الناس خاصة في ولاية بابل إلى الاستقراض على الدوام[3].

مما يذكر في هذا السياق أن الإسكندر المقدوني، عندما دخل عواصم الفرس، خاصة مدينة برسيبولس، وجد بها كميات ضخمة من تلك الأموال [مُخزنة بشكل سبائك ذهب وفضة] وكان من نتائج إعادة توزيعه لها أن ظهرت أزمة مالية عالمية في النقد، إذ تضخمت كمياته المتداولة، وانخفضت أسعاره انخفاضاً كبيراً[4].

وعدم استثمار تلك الكميات الهائلة من الأموال من جانب الفرس

---

(1) تذكر بعض الأبحاث الحديثة أنه تم العثور على وثيقة (؟) تؤكد أن كمبيز (الثاني) بن قورش (الثاني) كان يتعامل بالقروض والرهان، وما يتعلق بالأعمال المالية الأخرى، وهو ولي للعهد، انظر للمزيد انظر: ـ
خالد عبد المنعم العاني، المرجع السابق، ص 583.

(2) انظر الباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 288، هامش رقم (3).

(3) خالد عبد المنعم العاني، المرجع السابق، ص 111.

(4) اندرية ايمار وجانين اوبوايه، المرجع السابق، ص 223.

الأخمينيين جعل الزيادة المطلقة في الثروة الحقيقة غير عظيمة، وبالتالي المقدرة على الشراء كانت لا تزال مقيدة، ولذا وعندما تفكك النظام المركزي للامبراطورية الفارسية أصبحت هذه الامبراطورية جزءاً من الامبراطورية الأوربية يسودها نظام اقتصادي نشأ في اليونان [بلاد الهللينيين[1]].

الطرق:

من الأمور التي ساهمت في تحقيق الحكم المركزي للفرس الأخمينيين، وفي توطيد أمن وسلامة وازدهار اقتصاد أمبراطوريتهم، كانت الطرق، التي اهتم لها الملوك كثيراً، فعملوا خاصة داريوس (الأول) منهم على ربطها بشبكة من الطرق التي تُعتبر من أروع ما يكون في ذلك الوقت، إذ أبدى الفرس ضروباً من المهارة والعبقرية في تمهيدها.

ولعل باعثهم الرئيسي من وراء ذلك، وكما سبق، كان الناحية الحربية أولاً، ثم السياسة الإدارية وبالتالي الاقتصادية.

امتدت تلك الطرق إلى مختلف أ نحاء الامبراطورية[2]، وهي إذا كانت في جلها تعود لأزمان ماضية، فإن صيانتها وتوسيعها واستحداث مواد جديدة للرصف واستخدام الحدوة لحيوانات النقل، كانت من مبتكرات الفرس الأخمينيين[3]:

---

(1) نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، الجزء الأول، (مطبعة الكمال، دمشق 1965 م)، ص 306.

(2) من أهم هذه الطرق، الطريق الرابط سارديس بسوسة (الطريق الملكي) والبالغ طوله 1700 م، ثم الطريق من سوسة يخترق مفاوز «افغانستان» إلى بلاد الهند، والطريق من سوسة عبر آسية الصغرى فيربط بابل ومصر، للمزيد أنظر: ـ

Forbes R.J., **Studies in Ancient Technology, VOL II,** (Netherland, 1967), PP., 133 FF; Shepherd R.W., **Shepherd's Historical Atlas,** (London, 1974), P., 8; Gobineau J.A., **OP. Cit.,** PP., 149 F.

محمد عبد القادر محمد، المرجع السابق، ص 86.

(3) كانت تلك الحدوة تستعمل من الجلد أو شعر الخيل، إذ الحدوة الحديدية لم تُعرف=

وقد ترتب على إيجاد تلك الشبكة من الطرق الجيدة تيسير أمور الاتصال، خاصة الإداري منه بين ولايات الامبراطورية، فكان تنظيمهم للبريد، الذي استعمل في نقله حيوانات مجهّزة ومُعدَّة للانطلاق في كل وقت، كما كانت مميزة عن غيرها من الحيوانات الأخرى من ذات الفصيلة(1)، كما كانوا قد أقاموا لذلك الغرض محطات يذكر هيرودوتس(2) أن كل منها تَبعد عن الأخرى مسافة أربع فراسخ، ولدى كل محطة كان يتم استبدال الجياد المنهكة بأخرى جديدة، الأمر الذي قصَّر عملية الاتصال بين سارديس وسوسة مثلاً من ثلاثة أشهر إلى أسبوع واحد فقط.

إلى جانب تلك المحطات وجدت النُزل، والفنادق، التي يذكر هيرودوتس أيضاً أنها كانت رائعة، لتأمين راحة وحاجة المسافرين من الراحة والطعام والشراب(3).

كانوا يتوخون أن تمر الطرق بالمناطق العامرة بالسكان، أو أن السكان قاموا بالتركز حول تلك الطرق لتوفر سبل المعيشة.

كانت مسؤولية حفظ الأمن بتلك الطرق تقع على مسؤولية الوالي المارة

= إلا في القرن الرابع قبل الميلاد، أما بخصوص الرصف فقد تمكنوا من التوصل إلى تركيب خلطة صالحة لرصف المناطق الرطبة، وقد وجهوا عناية خاصة إلى السطح العلوي من الحجارة المرصوف بها فكانت ذات زخارف نباتية هندسية رائعة، التي يمكن ترسم بعض بقاياها قرب بباهان Bebahan أو قرب برسيبوليس، للمزيد عن ذلك انظر:

Gobineau J.A., OP. Cit., P., 148.

(1) إذ تذكر بعض الأبحاث أنها كانت مقطوعة الذيل، ولكن ربما كانت ليست مقطوعة الذيل وإنما مميزة بشكل آخر، كأن تكون مجدولة الذيل، إذ تظهر بعض تلك الحيوانات كالبغال والحمير والخيل، وهي بنصف ذيل مضفور الشعر ومربوط نهايته بشكل زخرفي. انظر: ـ

Gobineau J.A., OP. Cit., P., 80.

(2) Herod., V, 53.

(3) Herod., VII, 53; نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 417.

بولايته ولذا ندُر سماع غارات قطاع الطرق.

لم يقتصر نشاط الأخمينيين في مجال الطرق على الجانب البري فقط، بل رغم عدم امتلاكهم لأسطول خاص، عملوا على مد خطوط بحرية، فجالت السفن العاملة باسمهم كالفينيقية والقبرصية أو الساموسية والمصرية، بمعظم شواطىء البحر الأبيض المتوسط، كما يرد أنهم قاموا بتوفير وإنشاء الأرصفة التي تأوي إليها السفن بأنواعها في الموانىء البحرية، وتعدَّوا ذلك إلى محاولة إيجاد «طواقم» بحرية بشرية من أبناء الفرس الذين تلقوا تعليمهم، في ذلك المجال على أيدي الفينيقيين، ليكونوا ربابنة على تلك القطع البحرية[1].

وفي مجال الارتياد والكشف سبق وأن ذكر أنه تم إرسال سيكلاكس الكارياندي Scylax of Caryanda لرحلة بحرية من السند إلى البحر الأحمر، فمصر، مما أدى إلى اكتشاف المحيط الهندي حتى الخليج العربي، والبحر الأحمر، في رحلة استغرقت عامين ونصف العام[2]، الأمر الذي فتح مجالاً جديداً للإبحار، كما حاولوا في عهد اكسركسيس (الأول) الوصول إلى أعمدة هرقل [جبل طارق][3] كما قاموا برعاية المهندسين الذين برعوا في إيجاد وسائل اتصال مستحدثة كإقامة الجسور والقناطر المتينة وشق القنوات المائية[4].

كان لتلك الوسائل من المواصلات أثر بليغ في ربط الولايات ببعضها وربط الامبراطورية بالخارج مما ساعد على تشجيع التجارة وتبادل العادات والأفكار، التي ساهم في نقلها بعض الزوار مثل هيرودوتس، كتسياس،

(1) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 154 بهذا الفصل.
(2) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 153 بهذا الفصل.
(3) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 154 بهذا الفصل.
(4) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 49 والفصل الثاني صفحة 100.

وغيرهما[1]، وقد برزت أهمية تلك الطرق لعلماء ذلك الوقت فأبرزوها، خاصة الطريق الملكي، بوضوح في أول مصور جغرافي وُضِع للعالم[2].

التجارة:

كان من نتائج استحداث العملة [النقد] وشق الطرق وإنشاء الأساطيل البحرية وإشاعة الأمن والسلامة، إن اتسع نطاق التجارة في العهد الفارسي الأخميني سواء بين الولايات أو خارجها في البر والبحر.

وفي مجال التجارة يكاد الاستيراد بالنسبة لفارس يفوق صادراتها، أما بالنسبة للولايات فلكل منها وضعها الخاص بها في هذه الناحية، كما سنرى في قورينائية، وعلاقاتها الاقتصادية في هذا الوقت، التي كادت تشمل معظم مناطق وشواطىء البحر المتوسط[3].

حاولت فارس سد النقص الناجم عن خراج أو جزية البلاد المفتوحة، خاصة منها الجزية النوعية بالاستيراد، وتبين الأدلة المادية المعثور عليها بفارس أن تلك الواردات تدرجت مع تدرج تطور الأوضاع الاقتصادية لفارس، فكانت في البداية تستورد الزيوت والنبيذ والعسل والتوابل خاصة من

---

(1) ذلك لا يعني معارضة القول السابق (راجع صفحة 150 من هذا البحث)، بأن الفرس الأخمينيين عجزوا عن إيجاد أو إحداث أو مزج واضح ومباشر بين حضارات الأمم التي سادوها، إذ ظل الشرق شرقاً والغرب غرباً، والمقصود بالقول هنا أن ما حدث في هذا المقام، النتائج لانتشار الطرق لا يعد كونه محاولات أفراد قلائل، جاءت زياراتهم للامبراطورية الفارسية بدوافع عدة في الغالب شخصية جداً، وإن كان بالإمكان الاعتقاد بأن منها استنكاف غموض ذلك الشرق، ولذلك أيضاً صيغت أعمالهم بتلك النظرة مثل هيرودوتس.

(2) قام بوضع تلك الخريطة الجغرافي هيكاتيوس Hecataes من مليتوس، انظر للمزيد عنه: ـ

Olmstead A.T., OP. Cit., P., 152; Bury J.B., OP. Cit., P., 237.

(3) انظر الباب الثاني، الفصل الثاني، ص 253 وما بعدها.
نور الدين حاطوم وآخرون، المرجع السابق، ص 307.

الهند، ثم تطورت حتى وصلت مع تعقد الحياة إلى المواد الكمالية خاصة فيما يتعلق بالمواد الإنشائية الخاصة بعمارة القصور الملكية.

كانت ممارسة الشؤون التجارية في العادة تقتصر على الرعايا دون الفرس الذين رأوا فيها وفي الأسواق بؤر كذب وغش وخداع، ومن هنا حرصت العائلات الفارسية على الاكتفاء الذاتي أو التكامل فيما بينها بعيداً عن أساليب المتاجرة «ودون أن يضطروا إلى تلويث أصابعهم بعمليات البيع والشراء[1]».

من الأمور التي لوحظت على هذه الفترة ازدياد الصلات التجارية بين جنوب أوربة وغرب آسية، وكان لظهور العملة كما سبق أثره في اتساع التبادل التجاري عن طريق التجارة البرية والبحرية «لعله من الطريف أن نشير إلى أنه لوحظ حدوث هبوط مفاجىء في الأسعار في أواسط القرن السادس والخامس قبل الميلاد، ربما كان سببه استحداث وسائل جديدة في صهر المعادن، وضمان وسائل النقل، مما جعل البضائع والسلع أقل عُرضة للضياع، وقد أدى هذا إلى انخفاض أثمانها[2]»، وهو الأمر الذي انعكس على حجم التبادل التجاري بين أطراف الامبراطورية وبغيرها، فوصل حداً لم يُعرف من قبل في الشرق القديم.

كان الإقبال على التبادل التجاري دافعاً لزيادة أرباح رؤوس الأموال.

الـزراعـة: ـ

كان غالبية الفرس الأخمينيين العظمى مزارعين ورأسماليين زراعيين وقد أسهم في ذلك إيمان الافستا وتمجيدها للأعمال الزراعية، التي كانت تعدها حرفة وعملاً شريفاً يُسَّر به الإله أهورامازدا، وعلى ذلك وبالرغم من بسط سيطرة فارس على معظم العالم القديم، فقد ظلت أو استمرت فلاحة

---

(1) Ragozin Z.A. , OP.Cit., PP., 387 FF;

(2) نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 428.

الأرض وتربية الحيوانات قوام حياة الفرس الأخمينيين الاقتصادية، ليس لفترة وجيزة وإنما طوال عهد الامبراطورية.

وعلى ذلك أيضاً يكون التقدم الاقتصادي الذي أحرزته فارس في تلك الفترة يُعزى الفضل الأكبر فيه إلى المستعمرات خاصة الهللينية منها، كالمدن الأيونية بساحل غرب آسية الصغرى أو مثل قورينائية(1).

كانت ملكية الأراضي الزراعية على أنواع عدة، منها ملكية أصحابها ملاك زراعيون يؤلفون جماعات [مجموعة أسر] تستهدف زرع مساحة كبيرة من الأرض، يعمل فيها أولئك الملاك لتوفير احتياجاتهم واكتفاءهم الذاتي من الغذاء أو لتبادله مع غيرهم من أمثالهم من الملاك(2).

قد يستأجر أولئك المُلاك فلاحين [فلاحون مستأجرون] للعمل بتلك الإقطاعيات مقابل جزء من الإنتاج، وقد يستخدم إلى جانب أولئك الفلاحون المتسأجرون، فلاحون أرقاء [عبيد الأرض]، وهؤلاء ليسوا فُرساً، وفي العادة يتم بيعهم وشراؤهم كجزء من الأرض(3).

إلى جانب ذلك كان في بعض الأحيان يتم استئجار تلك الاقطاعيات الكبيرة من مالكيها، يستأجرها وسيط ليقوم بدوره بتأجيرها لملاك أصغر، وكل ذلك في العادة مقابل جزء من إنتاجها، وعلى ذلك عُرفت الضياع الصغيرة، التي بالإضافة إلى ما سبق كان هناك ضياع صغيرة لملاك صغار، بمعنى لكل أسرة مزرعتها، وهي وإن كانت ليست بأهمية الضياع الكبرى، إلا أنها مورد من موارد الاكتفاء الذاتي، كما كانت أحد العوامل الرئيسية في انتفاء ظاهرة أو مشكلة الديون التي عانى منها عامة روما Roma فيما بعد

---

(1) عن أوضاع قورينائية الاقتصادية ودورها الاقتصادي في الامبراطورية الفارسية انظر الباب الثاني، الصف الثالث، 253 وما بعدها، 295.

(2) Forbes R.J., OP. Cit., 153 FF.

(3) Ibid.

مثلاً[1]، ذلك لأن ظروف فارس كولاية مُعفاة من الضرائب والالتزامات الأخرى، إضافة إلى تأثير عقيدتهم الدينية في الفلاحة، جعل من فلاحيها بمختلف مستوياتهم مُلاكاً أحراراً للأراضي.

أما الفائض عن الحاجة من الأراضي الصالحة للزراعة، كذلك أراضي المراعي والغابات، فأنها من المرجح كانت تُؤجر، وكان النبلاء يفوزون بالنصيب الأوفر من ذلك، مع احتفاظ الدولة بحق ملكية هذه الأراضي[2].

من جهة أخرى، يجدر التنويه إلى أن السياسة الزراعية، لم تكن تسير على وتيرة واحدة في كل أجزاء الامبراطورية، فالقول السابق يصدق على فارس فقط، إذ كان لكل ولاية سياستها الزراعية الخاصة بها، والتي قلما كان الفرس يتدخلون بها، فأقليم قورينائية كان قد شهد رغم كونه جزء من تلك «الامبراطورية»، شهد في مجال الأراضي أحداث جمة تغاير تماماً ما سار عليه الفرس الأخمينيون بفارس[3].

في مجال عناية الفرس الأخمينيين بالزراعة، فقد اهتموا بتوفير المزروعات وتحسينها واستحداثها[4]، كما اهتموا بعمليات توفير مصادر المياه، التي كانوا قد حسّنوا طرق جرها من الجبال إلى الحقول بطرق الري

---

(1) عن عامة روما ومشاكلهم انظر: ـ
ابراهيم نصحي، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص ص 7 وما بعدها.

(2) راجع ما سبق ذكره عن نقش داريوس (الأول) المذكور بالصفحة 148 بهذا الفصل.

(3) انظر تفصيل ذلك بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 234 وما بعدها.

(4) من ذلك مثلاً أنهم أدخلوا زراعة البرسيم الذي كان ينمو برياً في وديان ميدية وكان طعاماً للخيول، أدخلوها إلى مصر وغيرها من مدن حوض البحر المتوسط، كما أدخلوا زراعة الفستق إلى حلب إضافة إلى نوع من الكروم إلى دمشق إضافة إلى ما كان معروف بها من أنواع منذ الآف السنين، كما نقلوا زراعة البندق إلى المدن الهللينية، كما نقلوا زراعة الأرز من الهند إلى ميزوبوتاميا، للمزيد عن ذلك أنظر: ـ
Forbes R.J., Studies in Ancient Technology, VOL, I, (Second Revised Edition, Printed in the Netherlands, 1965), P., 102.

الصناعية، كما حسَّنوا عمليات صرفها[1].

يعتبر المحصول الرئيسي لفارس القمح والشعير، اللذان كانا المصدرين الرئيسيين للغذاء إضافة إلى اللحوم والخمور.

أما عن الإنتاج الحيواني فقد شمل الماشية والخيول والحمير والبغال والإبل[2] كما عرفوا تربية النحل[3] وبعض الطيور مثل الدجاج والحمام والطاووس[4].

وفيما يتعلق بالأدوات المستعملة في الزراعة، فيبدو من مخلفاتهم أنها كانت تقليدية إذ شملت المحراث الخشبي ذا الطرف الحديدي الذي تجره الثيران، إلى غير ذلك.

الصناعة:

لم تشهد فارس إلا تغييرات قليلة في مجال الصناعة خلال العصر الأخميني ذلك أنه كان استخدام جانب من الجزية التي فرضت على الولايات في إقامة منشآت خاصة، وفي فارس قد أدى إلى ازدهار الحِرف المتصلة بالبناء فأن الثروة الطائلة تلك لم تؤد إلى ازدهار الحِرف والصناعات بوجه

---

(1) كان أول من عرف ذلك المصريون والآشوريون والبابليون، وقد اقتبس الفرس عنهم ذلك وطوّروه خاصة فيما يتعلق بشق القنوات المائية تحت الأرض ودرجة ميلها وأطوالها للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Forbes R.J., OP. Cit., 163 FF.

(2) Gobineau J.A., OP. Cit., PP., 70 FF.

(3) يذكر أن تربية النحل أول ما عُرفت بقوريني ومنها عرفتها كريت، وبعض المدن والجزر الهللينية الأخرى، وربما كان معرفة الفرس لها كانت عن طريق تلك المستوطنة أو طريق إحدى تلك المدن إذ ظل الفرس فترة من الزمن يستوردون العسل.

(4) عرف الفرس الأخمينيون تلك الطيور من مدن آسية خاصة الميدية منها التي كانت جزء من الجزية النوعية المفروضة عليها كان توفير عدد من الطيور للبلاط.

عام في فارس وإلى ما كان ذلك يستتبعه من مزاولتها على نطاق واسع ومن زيادة عدد المشتغلين بها بدليل أن الآثار المعمارية في فارس تكاد تقتصر على المنشآت الخاصة جداً كالقصور الملكية أو مقابرهم، إضافة إلى أنها تمت بأيدي عمالة غير فارسية[1].

وعلى ذلك يكون الأخمينيون قد ارتضوا أن يتركوا لتابعيهم ممارسة الحِرف والصناعات اليدوية واكتفوا بأن يحمل إليهم أولئك التابعون منتجاتهم مع ما يأتيهم من الجزية النوعية.

هذا القول لا يمنع من التنويه إلى أن بعض الصناعات الأخرى قد راجت ولقيت اهتماماً كصناعة السفن خاصة بالساحل الفينيقي، ولذلك وُجهت العناية لاستغلال الغابات لاستخدام أخشابها، إضافة للسفن في بناء المنازل وعمل العجلات الحربية وأدوات القتال، كما انتعشت الصناعات المعدنية، التي كانت ـ خاصة الحديد منها ـ تُستغل في عمل الأسلحة والسفن والمحاريث أو في بعض الأدوات المنزلية[2].

---

(1) يؤكد ذلك بعض من نقوش الملوك التي يذكرون فيها العمالة التي قامت بالبناء والتشييد كما يذكرون فيها أماكن استيراد مواد البناء تلك، ومن هذه النقوش مثلاً نقش داريوس (الأول) بقصره في سوسة والذي يقول فيه: «لقد أتيت من بعيد بالمواد التي بنيت بها القصر في سوسة، والشعب البابلي هو الذي حفر الأرض وكوم الحصى، وجلب الأرز من لبنان، وقد أتى به البابليون حتى بابل وأوصله من بابل الأيونيون والكاريون وهم مسيبون إلى سوسة، وأتوا بخشب الصندل من الهند والذهب من سادرديس، وبكترية والأزورد والزنجفر من سغديانة والفيروز من بلاد خوارزم والفضة والرصاص من مصر والمواد التي تزين الجدران من أيونية والعاج من أثيوبية والهند والأعمدة الحجرية من كارية، وكان نحاتو الحجارة من الأيونيين والليديين والصاغة ليديين ومصريين، وعمال الخزف بابليين ومزينو الجدران ميديين ومصريين، لقد أنجزوا عملاً باهراً في سوسة، ليحمني الإله أهورا مازدا»، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Olmstead A.T., OP. Cit., P., 168.

(2) James E.O., OP. Cit., PP., 232 FF.

كما نمت لديهم صناعة الأحذية والأثاث وشيء من الغزل والنسيج[1].

من جهة أخرى ترتب على انتشار الضياع الزراعية الكبرى واتجاه أربابها إلى غرس الكروم والزيتون، ازدهار صناعتي النبيذ وزيت الزيتون، وتبعاً لذلك ازدهار صناعة الأواني اللازمة لتعبئة النبيذ والزيت.

رابعاً: الحياة الاجتماعية

الطبقات الاجتماعية:

قام المجتمع الفارسي في العهد الأخميني على النظام الطبقي الذي تمثل في الطبقة الأولى، وتشمل الملوك والأمراء[2]، إضافة لرجال الدين، والطبقة الثانية خاصة بالأشراف والنبلاء، وهذه توسطت المركز بين بقية الشعب [العامة] والملوك والأمراء، وهذه الطبقة أصحابها رؤوس أموال، جاءت من شغلهم للوظائف العليا بالدولة وامتلاكهم الإقطاعيات الكبرى من الأراضي، التي توهب لهم في بعض الأحيان من الملك، كما كان بإمكانهم مناقشة الملك في بعض أمور الدولة، ويظهر ذلك بوضوح من العائلات الست التي ساهمت مع داريوس (الأول) في استتباب أمن الامبراطورية عقب موت كمبيز (الثاني) وظهور برديا، حوالي سنة 522 ق. م.

تقتصر الطبقة الثالثة على العامة من الفرس الأخمينيين والذين يطلق عليهم الحرَّاثين أو الحرَّاثين وأصحاب المهن، وذلك حينما اتسع نطاق «الامبراطورية الفارسية» وتأثير استخدام عمالة جديدة واستحداث مهن جديدة

---

(1) Forbes R.J., **OP. Cit.**, PP., 87 FF.

(2) وقد تُسمى تلك الطبقة في بعض الأبحاث باسم طبقة رجال الحرب، انظر عن ذلك: -

Gordon C.H., **Adventures in the Near East,** (London, 1957), PP., 105 FF; Forbes R.J., **OP. Cit.**, VOL., II, PP., 4 FF.

محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 269.

في المجتمع غير الحرث كالبناء والصناعة وصياغة المعادن الدقيقة وغير ذلك.

كان نظام الطبقات ذلك ملزماً، فالانتقال من طبقة إلى أخرى يكاد يكون مستحيلاً خاصة الدخول لطبقة رجال الدين، التي اعتقدت أنها أسرة واحدة، لا يجوز لأجنبي أن ينتسب إليها، وإن كان يُتاح لصاحب الحرفة أن يُثرى وأن يجمع من الثروة ما يشاء ولكن ماله لا يُغني عنه شيئاً، فهو مُلزم بأن يظل منتمياً إلى طبقة أبيه.

الأسرة:

خلا الزواج عند الأخمينيين من فكرة حرمة الأسرة، فالنسب كما سيتضح اتخذ صورة شكلية، ولم يُبن على صلة الدم بين الأب والابن. فالزواج كان على أساس تعدد الزوجات، بقدر ما للزوج من يسار، كما كان هناك نوعين من الزوجات، زوج سيدة وزوج خادمة[1].

اتبعوا نظام الزواج من الأقارب الأدنيين، إذ المغالاة في الاحتفاظ بدم الأُسرة فيها، وبالتالي انغلاق الطبقة اجتماعياً قد جعل زرادشت يبيح لهم أن يتزوج الأب ابنته والابن أمه، والأخ أخته.

كما أجازت لهم دياناتهم أن يتنازل الرجل منهم عن زوجه أو إحداهن إلى رجل آخر وقع في الفاقة بغير تقصير منه، «على أن يكون منتمياً إلى ذات الطبقة» فهو إحسان على أخ في الدين معوز، ويُعتبر الأبناء من هذه المعاشرة الأخيرة أبناء للرجل [الزوج] الأول، ومن هنا كان عدم اهتمامهم بصلة الدم في النسب فقد يتبنى الأب العديد من الأبناء «كي يُكثر من المؤمنين».

كما أنهم، لما كانوا مجتمع عسكري زراعي، اهتموا أولاً بتنسيب الذكور دون الإناث «فالملائكة لا تحسبهن من النعم التي أُنعم بها على الإنسان».

(1) Herod.,

كانت عقوبة إغفال الزواج صارمة «لأنه قتل ما لا يُحصى من الأنفس بقطع نسل المتوفى وذكره إلى آخر الدهر».

وعلى ذلك كانت الأسرة الواحدة تضم خليطاً من الأبناء الذين لا يربطهم سوى حملهم لاسم الأب، ولا شك أن نظاماً كهذا قد عانى من تفكك الروابط بين أفراده.

لم يكن القانون يشجع الفتاة على أن تظل عذراء ولا الشباب على أن يبقى بلا زواج الذي كان يكفله الأب في حال بلوغ الابن السن المناسبة لذلك، ولكنه أيضاً كان يُبيح التسري وتعدد الزوجات، لذلك أُغتفر الحمل «الغير شرعي» لمن لم يتزوجن وعليه كانت عقوبة الإجهاض صارمة، ولذا أيضاً سرى التحذير من الالتجاء إلى وسائل منع الحمل «لقتل عدد ما لا يُحصى من الأنفس المؤمنة».

أما عن مركز المرأة في ذلك البناء فأنها ساهمت في الحياة العملية خاصة نساء طبقة العامة، التي كانت بالإضافة إلى أعمالها المنزلية، يناط بها بعض الصناعات كصناعة الأواني الفخارية أو الغزل والنسيج، أو بعض شؤون الزراعة، إضافة إلى شيء من تربية النشء[1].

وعلى الرغم من ذلك، فقد خلت منحوتات الفرس الأخمينيين وصورهم من تصوير المرأة، كما لم يرد أي ذكر لها في نقوشهم.

وإذا كان قد سُمح لنساء العامة بالخروج سافرات، فإن في أواخر العصر الامبراطوري الأخميني، أصبحت نساء الطبقة العليا يوضعن في الخدور ويُحملن في محفات مستورة ويبقين حبيسات القصور، واعتبرن العمل حط لهن من قدرهن، ولذا انصرفن إلى التآمر والدسائس[2].

---

(1) انظر موضوع التعليم بالصفحة رقم 190 من هذا الفصل.
(2) أحمد كمال الدين حلمي، المرجع السابق، ص 15.

Gobineau J.A., OP. Cit., P., 119.

هذا القول ينطبق فقط على النساء الزوجات، إذ خرجن السراري والعواهر سافرات كما كن يشاركن أو يخرجن في الحملات العسكرية إلى جانب الجنود للترفيه عنهم[1].

هذا القول كغيره من بقية نظم الفرس الأخمينيين، ينطبق على فارس دون غيرها من الولايات التابعة لهم، فكما سنرى، لعبت بعض نساء قوريني دوراً هاماً في الحياة السياسية لتلك المستوطنة منذ زمن مبكر في حياة «الامبراطورية الفارسية[2]» كما نصادف ذكراً في حملة اكسركسيس (الأول) على المدن الهللينية، لإحدى النساء التي قادت هجوماً دمرت فيه، في معركة سيلاميس البحرية، عدداً من السفن الهللينية وقد أكبر اكسركسيس (الأول) لها ذلك، مما يدل دلالة واضحة على أن قصر دور المرأة على الإنجاب والترفيه لم يُفرض على نساء الامبراطورية كافة.

العادات والتقاليد:

من الأمور التي لوحظت على الفرس الأخمينيين، في مجال الملابس، رجال ونساء، أنهم كانوا محتشمين ولم يعرف عنهم العُري، الذي ظهر عند غيرهم من الأمم، فالفارسي يرى من كمال الأدب أن يُغطي أجزاء جسمه بحيث لا يظهر سوى وجهه ويديه.

تتكون ملابس الفرد العادي من سروال مثلث الطيات، وقميص من التيل ومئزر من طبقتين وينسدل كماه الواسعان بحيث يُغطيان يديه، ولا تختلف ملابس الرجال منهم عن النساء إلا بفتحة مستطيلة عند الصدر، وهم يفضلون في ملابسهم اللون الأبيض دون غيره من الألوان، كما كانت تلك

(1) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 156 من هذا الفصل.
(2) انظر تفصيل ذلك بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة رقم 224 وما بعدها، الفصل الثالث، صفحة رقم 261.

الملابس تكيف بحيث تكون صالحة للشتاء والصيف[1].

كانوا ينتعلون الأحذية أو الأخفاف في أرجلهم، يغطون رؤوسهم بالقلانس أو العمائم، ويُطيل الرجال منهم شعورهم ولحاهم وشواربهم والتي كانوا يعقصونها بأشكال مختلفة، وصورهم المنحوتة على عمائرهم تبين مدى الجهد المبذول في هذا الجانب[2]، ثم في وقت متأخر عرفوا الشعر المستعار، الذي ظهروا به هو الآخر في منحوتاتهم بتسريحات مختلفة.

يختلف الملك عنهم في أن سرواله كان مطرزاً، قرمزي اللون، أحذيته محلاة بأزرار زعفرانية اللون، وقد تُعكف مقدمتها المدببة للأعلى قليلاً.

بتزايد الثروة عكف الفرس الأخمينيون على التزيين والإكثار من استخدام أدواتها، كالحلق والأساور والخواتم والقلائد، كما عرفوا الأصباغ والأدهان لتجميل الوجه وتطرئة الجلد، كما ابتدعوا وسائل لتنقية شوائبه وابتكار أصباغ للعيون ودهن الجفون، كما برعوا في عمل الروائح العطرية، وقد تخصص من بينهم طائفة في التجميل والتزيين، يُطلق عليهم اسم المزينيين[3].

ويبدو أن الفرس الأخمينيين قد وجَّهوا لهذا الجانب عنايتهم الفائقة إذ يُذكر أن الملك منهم لم يخرج قط، حتى ولو للغزو أو القنص، دون أن يحمل معه حقيبة زيوته العطرية وأدوات زينته لاستعمالها مهما كانت الظروف.

فيما يتعلق بالعادات، فقد كانوا يقيمون الحفلات والأعياد[4]، كما تميزوا بكرم الضيافة «حتى للحيوانات» يتحاشون الأكل في الأماكن العامة، كما حرصوا على عدم مناقشة الشؤون الخاصة جهراً، أمام الغير، فاللبيت

---

(1) Gloag J., The Architectural Interpetation of History, (London, 1975), P., 61.

(2) انظر موضوع النحت بالصفحة رقم 201، من هذا الفصل.

(3) Gloag J., OP. Cit., P., 59.

(4) انظر الصفحة رقم 202 من هذا الفصل.

قدسيته، موفين بالعهد أن عاهدوا[1]، يتحلى الفرد منهم بالصراحة والكرم وحفظ الرد يُراعي آداب المجالس والطرق[2].

من عيوب الفارسي سرعة الغضب، أي ينقصه ضبط النفس في السراء والضراء مُحباً للزهو والصلف، محباً للبذخ «فملابسهم الكثيرة الفضفاضة تصور أو تشبع شهوتهم في الإسراف في إظهار وسائل الترف[3]».

حرصوا حرصاً شديداً على النظافة، إذ أنها مطلب أساسي ومهم في ديانتهم «إن الأعمال الطيبة لا قيمة لها إن صدرت عن أيدي قذرة، والجسد القذر لا محل فيه للإله».

وإذا كانت تلك أخلاق العامة، فأنها كانت كذلك عند الملوك وما يبدو من قسوة في معاملتهم لأعدائهم لها مبرراتها، كما ورد عن كمبيز (الثاني) وداريوس (الأول) أو اكسركسيس (الأول) وغيرهم، وتتمثل تلك المبررات أولاً أنهم كانوا في حالة حرب وهم في ذلك أقل قسوة ممن سبقهم من حكام كالآشوريين مثلاً الذين كان القتل لديهم شهوة، ثانياً حاولوا قصر القصاص

---

(1) يذكر أن ميجا بيزوس كان عند إلقاءه القبض على ايناروس ومسانديه من الهللينيين سنة 456 ق. م قد وعدهم بالإبقاء على حياتهم، وكان إصرار والدة الامبراطور، أمستريس على إعدامهم قد أدى به إلى معارضتها حفاظاً على وعده، مما أدى به بعد ذلك إلى الثورة، انظر للمزيد عن ذلك: ـ

Herod., II, 41, 140, 165; III, 15, 160; Thuc., I, 109, 110; Diod; XI, 74, 5.6.

(2) بخصوص الطرق خاصة فيما يتعلق بالتحتية فقد أوردت بعض الأبحاث فقرات رائعة تتعلق بذلك منها إذا قابل الفارس فارسياً من طبقته عانقه وتبادلا القبل على الوجنتين وإن هو قابل من هو أعلى منه طبقة انحنى له انحناءة تقدير واحترام، وإن هو قابل من هو أقل منه قدم له خده ليقبله، وحينما يلتقي بأحد من العامة يكتفي بإحناء رأسه.

والملاحظ عليها إنها سلوك محمود مطلوب من الجميع على اختلاف مراتبهم، للمزيد انظر:

إبراهيم زرقانة وآخرون، المرجع السابق، ص ص 301 وما بعدها.

(3) Gloag J., OP. Cit., P., 61.

على المذنب فقط ولم يؤخذ بجريرته غيره وسكان مدينة برقة كان لهم وضعهم الخاص[1].

ثالثاً وحتى في هذه الحالة الأخيرة، كانوا رحماء على ما يبدو، إذ بتهجيرهم لأولئك السكان الذين يُذكر أنهم كانوا في حالة سيئة، فأنهم على ما يبدو إذ تصمت المصادر عنهم، عاشوا في سلام وطمأنينة وظروف حياتية يبدو أنها مناسبة، بدليل عدم حدوث أي اضطرابات قادها العبيد أو الأسرى والمسبيين كما كان الحال في أسبرطة المعاصرة مثلاً[2] أو في روما فيما بعد[3].

كما لا يفوتنا ونحن في مجال الحديث عن صفات الفارسي الخلقية أن نذكر أنه كان على خلق وطني متين، أنه لم يسمع عن فارسي أنه قام ببيع نفسه بالخدمة في صفوف أعداء أمته أو غيرهم، ولم يتاعط الاسترزاق العسكري رغم شيوع تلك المهنة في ذلك العصر.

خامساً: الناحية الفكرية

اللغة والأدب:

اللغة الفارسية من اللغات المعروفة ـ في الوقت الحالي ـ باسم اللغات «الهندية الإيرانية» أو باسم اللغات الآرية، وهذه بدورها فرع من فصيلة اللغات الهندية الأوربية[4] Languagas Indo Europennes.

---

(1) انظر تفصيل ذلك بالباب الثاني، الفصل الثالث، صفحة 270.

(2) عن مشاكل العبيد في أسبرطة، انظر: ـ

Herod., IX, 9; Oliva P., OP. Cit., PP., 48 FF; Chrimes K.M.T., OP. Cit., PP., 348 FF.

(3) عن مشاكل عبيد روما انظر: ـ ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص 61 وما بعدها.

(4) انظر الرسم التوضيحي المرفق؛ علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، (القاهرة، =

تشمل اللغات الهندية الإيرانية شعبتين: أحدهما شعبة اللغات الهندية والأخرى شعبة اللغات الإيرانية، وهذه الأخيرة تُقسم على عدة مراحل ما يهمنا منها هو الفارسية القديمة Vieux Persan وهي تلك التي تحدث بها الفرس بعد انفصالهم عن أشقائهم الهنود واستقرارهم في الهضبة [الإيرانية] واستمر التحدث بها إلى ما بعد سقوط امبراطوريتهم الأولى، أمام غزو الإسكندر المقدوني في 330 ق. م.

كتب الفرس الأخمينيون لغتهم بالخط المسماري[1]، وأقدم النصوص الدالة على ذلك نقش عُثر عليه، يعود لزمن قورش الأكبر 550 ـ 529 ق. م وهو يحوي جملة واحدة فقط «أنا قورش الملك الهخامنشي[2]».

ثم تبنى الفرس الأخمينيون الكتابة الآرامية في كتابة أوامرهم الإدارية وتسجيل كل ما يتعلق بالدولة منذ نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع قبل الميلاد تقريباً. وذلك لأن اللغة الآرامية وطريقة رسم خطها كانا شائعين في الأسواق ومراكز التجارة العامة، بعد أن أصبحت لغة الهلال الخصيب[3]

= 1950 م) ص ص 182 وما بعدها؛ إسعاد عبد الهادي قنديل، فنون الشعر الفارسي (دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، 1981 م)، ص 3.

(1) لم تكن لغة واحدة، بل كانت لهجات متعددة بتعدد القبائل الفارسية، وأخذ الفرس الحروف التي كتبوا بها لغتهم عن الميديين، ويبلغ عدد حروفها 39 حرفاً للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Graves R., **OP. Cit.**, P., 309; Huart C., **OP. Cit.** 118; Gobineau J.A., **OP. Cit.**, P., 147; Ragozin A.Z ., **OP. Cit.**, P., 260;

أحمد كمال الدين حلمي، **المرجع السابق**، ص 17؛ ول ديورانت، **المرجع السابق**، ص 20، ابراهيم زرقانة وآخرون، **المرجع السابق**، ص 431.

(2) Olmstead A.T., **OP. Cit.**, P., 64;

(3) الهلال الخصيب مصطلح «جغرافي» أول من استعمله جيمس هنري برستد وهو الأراضي الزراعية المثبتة على شكل هلال، يقع طرفه الشرقي في الخليج العربي أما طرفه الآخر في الغرب جنوب منطقة غزة كما يُعتبر شمال الدلتا جزءاً منه.

بأسره ولسهولتها وتناسبها في المعاملات التجارية من أخذ وعطاء، فكانت الأوراق والأسانيد التجارية تكتب بهذه الغة، بالقلم والحبر على أوراق البردى، لأن الكتابة بهذه الطريقة أيسر من الكتابة على القوالب الطينية، واستطاع الناس بذلك التعامل في المسائل التجارية في سهولة ويسر وتمكنوا من نقل الأسانيد من مكان إلى مكان، وحفظها حتى لا يتطرق إليها التلف[1].

لم تستمر الآرامية مع الفرس الأخمينيين على حالتها، بل بسطوا مقاطعها البابلية وجعلوها عوضاً عن الثلاثمائة مقطع، ست وثلاثين فقط، ثم غيروا تلك المقاطع وحركوها إلى حروفاً فصارت حروفاً هجائية مسمارية يكتبونها بالفارسية[2].

وإذا كان بعض الباحثين يعتقد أن الآرامية اتخذها الملوك الأخمينيون للتخاطب الرسمي فقط بين أجزاء الامبراطورية خاصة الغربية منها[3]، فإنه هناك من يرى بأنهم كانوا كالاشوريين «حكومة ذات لغتين[4]» ولكن ما اتضح بالبحث أنهم استعملوا أكثر من خط وأكثر من لغة على مدار تاريخهم، أو في وقت واحد من أوقات ذلك التاريخ[5] ، الأمر الذي يوجد سؤالاً ملحاً لماذا

---

(1) فيليب حتي، المرجع السابق، ص ص 182 وما بعدها؛ إبراهيم زرقانة وآخرون، المرجع السابق، ص 430.

(2) Lenormant F. and Chevallier E., OP. Cit., PP., 122 FF.

(3) نور الدين حاطوم وآخرون، المرجع السابق، ص 267

(4) أحمد فخري، المرجع السابق، ص 267.

(5) من ذلك مثلاً اللقى التي عُثر عليها أو النقوش المكتشفة، مثل لوحتان أحدهما من الذهب والأخرى من الفضة، عُثر عليهما في اكباتانا، عليهما ثلاثة خطوط عيلامي بابلي، آشوري، كما أثار هيرودوتس إلى أن داريوس (الأول) عندما سار إلى الاسكيثيين أقام عمودين رخاميين سُجل على أحدهما اسم مرافقيه باللغة الهللينية وعلى الآخر بالاشوري أيضاً نقوشه التي أمر بها عند قناة «السويس» التي كان أحدها بالهيروغليفية ثم نقوشه في بهستون كذلك.

كان ذلك؟ هل كان انعكاس لتباين ألسنة شعوب وأمم الامبراطورية الخاضعة له، هل هو عجز الفرس الأخمينيين عن إيجاد خط خاص بهم، وبالتالي كانت قلة ثقتهم بأنفسهم دافعهم إلى تبني تلك الخطوط المتعددة، أم هو نتاج طبيعي لاستقدام عمالات وخبرات إدارية متنوعة وعدم إصرار أو محاولة أولئك الملوك إجبارهم على استعمال لغة واحدة، وخط واحد خاص بالامبراطورية ومهما يكن من حال، فأنه كان لذلك الإجراء أهميته التي ربما لم يقصدها الفرس الاخمينيون، وهي أن المدونات المسمارية الفارسية مكّنت العلماء والباحثين اللغويين الآن من حل رموز وقراءة النقوش المسمارية في غرب آسية، خاصة نقوش داريوس (الأول) في بهستون[1].

أما عن الناحية الأدبية عند الاخمينيين، فأنه باستثناء النصوص الدينية[2] لم يخلف الفرس الأخمينيون أدباً على الرغم من حرص ملوكهم على تسجيل أعمالهم كنقوش داريوس (الأول) المطّولة على صخرة بهستون مثلاً، أو في غيرها من المواضع، ويبدو إن وضعهم الثقافي هذا سيظل حتى القرن العاشر الميلادي على تلك الحال[3].

---

(1) بهستون تقع على بعد ثلاثين ميلاً شرقي كرمنشاه، على منحدر بارتفاع 300 قدم، يُعرف باسم منحدر نقشي روستام، الذي يشرف على الموقع الذي جرت فيه معركة كوندورو التي خاضها داريوس (الأول) ضد الثائر فراورتس في شهر مايو سنة 521 ق. م.
وقد خلّد داريوس انتصاراته في نقش يقع في 414 سطر على هذه الصخرة وبثلاث لغات هي الفارسية والاكادية، والعيلامية، وبتوصل السير هنري رولنسون عام 1947 م إلى حل رموز هذه النقوش، انفتح باب كنوز مملكة آشور ومملكة بابل الكلدانية، مما أعطى هذا النقش إضافة لأهميته السياسية في تاريخ الفرس أهمية فائقة في تاريخ الشرق الأدنى القديم.

(2) وهذه كما سبق فقد تم تدوينها في وقت متأخر عن العهد الأخميني.

(3) حينما دخلوا في الامبراطورية الإسلامية وتبنوا اللغة العربية وبذلوا جهداً ملحوظاً في الترجمة.

لقد تمكن الباحثون من حصر ذلك الإرث الثقافي في أربعمائة كلمة فقط[1]، تتكرر بشكل أو بآخر على مدار العصر الأخميني، وتجلى معظمها في الأسماء ومن هنا يعتقد الباحثين أن أولئك الملوك كان جلهم أُمياً لا يعرف القراءة والكتابة[2]، كما اعتقد البعض الآخر أنهم كانوا رجال حرب وزراعة، ورأوا في الأدب لهواً خليق بالنساء[3] ولكن حتى هؤلاء النسوة لم يثبت أنهن تعاطين هذا النوع من النشاط.

كما لم يعتن الفرس الأخمينيون كثيراً بالعلوم، التي ربما استغنوا عن الاشتغال بها باستيرادها، والجانب العلمي، ربما الوحيد، الذي ظهر عندهم كان الطب، وهذا أيضاً كان يُمارسه في بادىء الأمر الكهنة ورجال الدين، يمارسونه على أساس عقائد دينية. لا تقوم على أساس علمي مثبوت، ولذا كانت وسائل المعالجة عندهم في الغالب قاصرة على السحر والرقي أو القول باتباع ومراعاة القواعد الصحية[4].

وعلى ذلك عندما اتسع نطاق امبراطوريتهم وازداد ثرائها، كانوا يعتمدون على الشعوب المحكومة، ذات الحضارة المتقدمة، فيأخذون من علمائها وفنانيها خيرتهم للعمل في بلاطهم فقط[5].

---

(1) إبراهيم أحمد زرقانة وآخرون، المرجع السابق، ص 429.
(2) سليم حسن، المرجع السابق، ص 624.
(3) أحمد كمال الدين حلمي، المرجع السابق، ص 17.
(4) إذا اعتقدوا أن اهريمان خلق ما نسبته 99,999 علةً ومرضاً، وهذه يمكن تفاديها بالحرص على النظافة العامة وبحمل تعاويذ تحمي منها، للمزيد عنها أنظر: ـ
Ragozin A.Z., OP. Cit., PP., 122 FF; Graves R., OP. Cit., P., 316.
(5) من أمثال هؤلاء في مجال الطب نذكر، وزاحر رسنت المصري الذي عمل زمناً طويلاً في بلاط داريوس (الأول)، ومن الهللينيين كان ديموكيدس الكروتوني وأبولونيدد Apollonidede لكنه رفض العرض، للمزيد عن ذلك انظر: ـ
اندريه وجانين اوبويه، المرجع السابق، ص 130.

ثم في مرحلة لاحقة، ربما كان ذلك إحدى نتائج استقدام تلك المهارات الأجنبية إلى فارس[1]، تطور الطب لديهم وانخرط في ممارسته رجال من غير الكهنوت أو رجال الدين[2]، ووصل الأمر في تطوره في عهد أرتا أ كسركسيس (الثاني) 404 ـ 359 ق. م إلى إقامة نقابة للأطباء[3] ذات قوانين محددة بيد أن على الرغم من ذلك فأن الصبغة الدينية لا تزال تكتنفه.

التعليم:

تقوم آراء الفرس الأخمينيين في التربية والتعليم على عدة مراحل تبدأ بأن يبقى الوليد في حضانة أمه لمدة خمس سنوات، يكتسب منها الخبرات، ثم يلحق «بالمدرسة»التي يذكر اكسينوفونس[4]، أنها كانت عندهم على أربع مراحل الأولى من سن السادسة حتى السادسة عشر، والثانية من سن السادسة عشر حتى السادسة والعشرين والثالثة للرجال الناضجين والرابعة للشيوخ.

ويعتقد أن إشاعة المدارس بتلك الكيفية كان أحد مظاهر الديانة الزرادشتية التي ربطت في عقيدتها بين الدين والعلم[5]، ولذا كان الكهنة هم

---

(1) جيمس هنري برستيد، المرجع السابق، ص 273، نور الدين حاطوم وآخرون، المرجع السابق، ص 304؛ ول ديورانت، المرجع السابق، ص 65.

(2) وقد لوحظ على تلك مماثلتها في كثير من جوانبها لقوانين حمورابي في هذا الجانب ومنها مثلاً تحديد أجرة المعالجة حسب طبقة المريض اجتماعياً، وتغريم الطبيب المعالج في حال ارتكابه خطأ ينتج عنه ضرر يلحق بالمريض، عن حمورابي، راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 139 هامش (3) من هذا الفصل.

(3) من ذلك مثلاً أنه على الطبيب الناشىء أن يقوم بتجريب نفسه في هذا المجال على عبدة الشيطان أولاً قبل أن يتولى معالجة عباد أهورا مازدا، وعليه أن يثبت نجاحه ثلاث مرات متتالية في ذلك، ومن مظاهر تلك الصبغة الدينية أيضاً إعفاء الكهنة أو رجال الدين من دفع الأجرة عند معالجتهم.

(4) KYPO ANABAΣΙΣ, II, 7.9 FF.

(5) هناك العديد من الأقوال المأثورة عن زرادشت (؟) يحث فيها على طلب العلم =

من يتولى التعليم الذين إضافة إلى المباني التي خصصت كمدارس كانوا يلقون دروسهم في الهياكل المقدسة أو في بيوتهم.

برنامج الدراسة يقوم في العادة على أن يتولى تعليم الطلاب، الذي يستغرق معظم أوقات النهار وأهم كتبهم المدرسة هي الافستا وشروحها، وهي تشتمل على موضوعات متصلة بالديانة والطب والقانون، وكانت وسائلهم التعليمية مقصورة على حفظ المقطوعات الطويلة منها عن ظهر قلب وإعادة إنشادها أو ترنيمها غيباً، كما كانوا جميعاً يتلقون دروساً في التربية العسكرية.

حرص الفرس الأخمينيون على أن تنشأ المدارس في ميدان فسيح، يحرم على الناس أن يتخذوا منه أسواقاً، نظراً لما في التجارة من غش وزيف ودلس.

وإذا كان أبناء[1] الطبقات الدينية والمتوسطة يحرصون عند تعليمهم على ثلاثة أشياء وهي ركوب الخيل والرماية وقول الصدق، فأن أبناء الطبقات العليا كانت الدراسة تمتد بهم حتى سن السادسة والعشرين، تشمل دراستهم حلقات مناظرة ونقاش ويتم إعدادهم وتأهيلهم للقيادة العسكرية وإدارة الولايات، ولذا كانت مناهجهم في الدراسة عسيرة شاقة تشتمل إضافة إلى

= والتعلم ومنها: «إذا جاءك أخوان لك في الدين أو أهلك أو أصدقائك بحثاً عن المعرفة فعلم العلم مزوداً بكلماتي» و «إن عالماً قليل العلم يحاول إثارة عقول الناس بما يعلم خير من عالم واسع العلم ضنين به» و «تعليم من هم أهلُ لتلقي العلم كي ينشروا الفضائل بين الناس»، انظر للمزيد سامي علي النشار، المرجع السابق، ص 350، من جهة أخرى ربط التعليم بالديانة حينما قالوا بأن الجريمة تقع نتيجة الجهل، والمعلم مسؤول يوم القيامة عن إهماله إرشاد هذا المجرم للصراط السوي.

(1) لم تتطرق الأبحاث فيما إذا كانت المدارس متاحة للجميع أم أنها قاصرة على جنس دون سواه وهل هي مختلطة أم لا، كما لم تشير الأبحاث إلى أي عثور أثري عن تلك المدارس.

الدروس النظرية دروس عملية تقوم على إيجاد وخلق عادة الاستيقاظ المبكر في نفوسهم، وأن يأخذوا في العدو أشواطاً طويلة، وأن يركبوا الجياد الجامحة وهي تعدو بسرعة، والسير على الأقدام مسافات طويلة تحتل ظروف جوية متباينة لتحمل شدائد المُناخ وتقلباته، وعبور مياه الأنهار دون أن تبتل ملابسهم أو معداتهم العسكرية، وتعويدهم في غذائهم على ما يُسد الرمق، كما كانوا يتلقون دروس علمية في كيفية استزراع واستنبات النباتات والأشجار ولعله من هنا فقط جاءت بسالة الجندي الفارسي وشجاعته التي ظلت مشهوداً له بها حتى آخر الوقت.

سادساً: العمارة والفنون

كان الملوك الفرس الأخمينيون قد أوقفوا أنفسهم على خدمة الامبراطورية من جانبها الحربي، فانصرف بادىء وقتهم في الحرب والقتال وتاليه في اللهو إضافة إلى أن تراثهم السابق كرحل أو أشباه رحل كان لا يُكن إلا تقديراً متواضعاً للفن(1).

عليه لم يحتل هذا الجانب في نفوسهم إلا مكانة محدودة، والازدهار الذي شهدته الفنون في العهد الأخميني لم يكن نتاج تطور محلي استغرق بعض الوقت حتى وصل إلى ما وصل إليه، وإنما لكونهم اقتبسوا بمهارة تلاءموا وتبنوا فنون الشعوب الأخرى وعليه قيل «أنه لم يكن للفن الأخميني جذور عميقة واقتصر هدفه أولاً وأخيراً على خدمة أغراض الامبراطورية،

(1) ذلك لا يعني خلو الأراضي الفارسية من المعالم واللقى الأثرية الفنية الموغلة في القدم والتي تعود إلى فترات عصور ما قبل التاريخ بالآف السنين وكانت على درجة عالية من الإتقان، انظر عن ذلك: ـ

Gobineau J.A., OP. Cit., 6 FF.

ولذلك سرعان ما اختفى بسقوطها[1]».

هذا ومن جهة أخرى كانت فارس زمن الأخمينيين ملتقى الفنون القديمة في الشرق الأدنى، وفيها أساليب متأثرة بالإضافة إلى ما سبق بفنون بلاد الهللينيين ومصر غير أن الشيء الملفت للنظر هو أن رغم ذلك كان للفن الفارسي الأخميني كيانه، إذ لم يكن مجرد استيراد مظاهر فنية محلية في موطنها لتروج في فارس وإنما جعلوه مزيجاً من صناعات مختلفة توصلوا إليها فأوجدوا تركيبة جديدة تتسم بالذوق الفارسي الأخميني وأبرزت تميزه عن غيره.

يُدين الفن الأخميني في مظهره المتفرد ذلك إلى مجموعة من النماذج أو الشواهد التي خلفها الملوك الأخمينيون من قصور ومقابر، إذ لم يعثر على تماثيل مستديرة كبيرة للبشر أو للالهة أو للمعابد، فقد اكتفت الالهة بالمذابح أو الهياكل الصغيرة وهذه أيضاً نادرة، كما تكاد أرض فارس تخلو من المقابر للناس العامة، تعهود للعهد الأخميني، كما يعتقد بأن بيوت أولئك الناس لم تكن كبيرة، واعتمدت كثيراً في إنشائها على الخشب، لانعدام آثارها أو مخلفاتها الآن، ولم يطرأ عليها تغيير يذكر رغم إمكانيات الامبراطورية المادية الضخمة، ورغم احتواء الأراضي الفارسية للعديد من أنواع الحجارة وندرة الأخشاب فيها.

هذا وتتمثل أعظم مآثر الفن الأخميني في العمارة والنحت والفنون الصغرى.

القصور الملكية:

أقام الملوك الفرس الأخمينيون منشآتهم على مرتفعات أو روابي

---

(1) محمد عزت مصطفى، قصة الفن التشكيلي، الجزء الأول، العالم القديم، (دار المعارف، مصر، ؟)، ص 66.

صناعية كما في برسيبولس[1]، وذلك أما تقليداً لعمارة وادي الرافدين في زقورات أور[2] أو معالجة لمشاكل الأرض النزة كما في بعض مناطق سوسة الرطبة، والتي إضافة لذلك لجأوا فيها إلى دهن الأساسات بالزفت الطبيعي[3]، أو لعل رغبتهم في أن تكون قصورهم وبقية دورهم الحكومية أعلى من منازل بقية الرعية سكان برسيبولس.

يتم صعود ذلك المرتقى بمجموعة من الأدراج أو السلالم، بلغ عددها في إحدى جهات رابية برسيبولس 111 درجة، كانت قد تميزت بجمال فريد النوع، إذ بلغ طول الدرجة الواحدة منها سبعة أمتار وارتفاعها عشر سنتيمترات، هي سهلة المُرتقى واسعة الجانبين، كان بإمكان عشرة فرسان مترادفين صعودها بكل سهولة ويسر[4].

كما تميزت عمارتها بقدها من أحجار جيرية، بيضاء اللون ملساء، أو من المرمر الأزرق الصلد، وهي بذلك تختلف عن أي درج آخر وجد بالعالم القديم، تجري تحتها شبكة صرف للمياه، معقدة النظام، يبلغ قطر الواحدة منها ستة أقدام، وهي منحوتة في أغلب الأحيان في جوف الصخر الصلد.

كما تميزت أيضاً وكأن المتعامل معها نحاتاً وليس معمارياً بناءاً، وقد أُحيطت جوانبها بجدران قصيرة، كُسيت برسومات أو منحوتات بارزة رائعة في أفريز أو لوحات مفصولة عن بعضها بكورنيش Cornice وتنتهي من أعلى

---

(1) قُدت تلك الرابية بجانب صخري بأحد الجبال، جُعلت بارتفاع عن سهل مرادشت Mardasht القريب منها بحوالي 11 م، وبمسطح بلغ 135 ألف متر مربع، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Picard G.C., (General Edition), Larousse **Encyclopedia of Archaeology,** Translated From the French by Anne ward, (London, 1972), PP., 19 FF.

(2) Fletcher B., **A History of Archaeology,** (London, 1961, Seventeenth Edition), P., 75.

(3) Olmstead A.T., OP. Cit., P., 169.

(4) Picard G.C., OP. Cit., P., 21.

بعرائس، مما أوجد مدخلاً رائعاً لتلك الساحة الفسيحة[1].

هذه السلالم إضافة إلى وظيفتها العملية والجمالية تلك كانت لها وظيفة أخرى إنشائية تتمثل في التخفيف من ثقل البناء[2].

المداخل أو البوابات Probylae في العادة، كانت واسعة تُحيط بها تماثيل لحيوانات مهجَّنة كثور برأس إنسان أو أسد مجنح إلى غير ذلك مما كان قد استعمل في العمارة الآشورية[3].

القاعات أو الأفنية Halls التي كانت تؤدي إليها تلك البوابات كانت واسعة في العادة تتخذ شكلاً مربعاً[4]، سقفها محمول على مجموعة من الأعمدة، بلغ عددها في إحدى قاعات اكسركسيس (الأول) مائة عمود، مما جعلها، كما لو كانت غابة من الأعمدة.

فكرة استعمال الأعمدة على نطاق واسع عُرفت في مصر، كما عرفها الميديون ولكن الأخمينيين أدخلوا عليها تحسينات عديدة[5].

هذه القاعات التي أعدَّها الملوك لاستقبال الزوار والوفود والسفراء وغيرهم من علية القوم، هي إحدى المميزات التي ميزت العمارة الأخمينية عما سبقها، أي أنهم جعلوا القصور الملكية بقاعاتها وأبهاء الاستقبال مفتوحة، وليست بشكل حصون أو قلاع أو معابد كما في الحضارات السابقة.

---

(1) عن تلك المنحوتات انظر الصفحة رقم 202 من هذا الفصل.

(2) HawKes J., **Atlas of Ancient Archaeology,** (London, First published, 1974), P., 192; **Enciclopedia Universale della A'rte, VOL, VIII, Indo-Iranion Art-Landscape Architecture,** (Rome, 1972), P., 4.

(3) Gloag J., **OP. Cit.,** P., 59; Picard G.C., **OP. Cit.,** PP., 165 FF.

(4) ذلك لأن من أهم مميزات العمارة الفارسية الأخمينية ما يعرف بالتخطيط حول المربع وجميع قاعات برسيبولس وحجراتها كانت مربعة، كما سنرى في الصفحات التالية من البحث.

(5) انظر تفصيل ذلك بالصفحة رقم 195، بهذا الفصل.

من مميزات العمارة الأخمينية إضافة كما سبق، حرصهم على إحاطة المبنى خاصة مقدمته بالحدائق المغروسة بالعديد من الأشجار والحاوية للعديد من الحيوانات أيضاً كما حرصوا على إقامة النوافير، وذلك محاولة لتلطيف الجو خاصة في فصل الصيف.

ثم الإكثار من النوافذ والأبواب خاصة في الصالات[1]، ولعل ذلك إضافة لوظائف التخفيف من الثقل الإنشائي كان بغرض إيجاد مصادر إضاءة وتهوية طبيعية لها.

كانت أكتاف الأبواب والنوافذ وعقودها من حجر المرمر الأسود اللامع، وقد تأثر المعماري الأخميني عند تشييدها بالفن المصري في زخارف عقود أبواب تلك القاعات والقصور التي استعارها من المعابد المصرية[2].

أما الجدران والحوائط، فكانت تبنى بالأجر والحجر الجيري، وكانوا يبنون القطع الحجرية الكبيرة أو ما اصطلح على تسميته Cyclopean Architecture وبطريقة البناء بحجارة مستطيلة متوازية مع ترتيبها على ارتفاع مستوى معين، إلا أنها تختلف في أطوالها Ashlar Work مع معالجة سطوح الحجارة وعقودها[3]، خاصة السطوح الداخلية، أي المقابلة للمشاهد، إذ كانت مُغطاة بقرميد مصقول، رسمت عليه صوراً زاهية، كما استفادوا كثيراً من حجر المرو المبذول بكثرة في بلادهم.

كان في العادة يقع خلف تلك الأبهاء القصر الملكي وحجرات الحريم وحجرات الخدم والمباني الأخرى كالمخازن واسطبلات الخيل وغير ذلك، وعليه يتضح أن ميزتهم في التخطيط كان إيجاد أو إقامة أبنية ليست متصلة أو متجمعة معاً، وذلك كما في مدينة برسيبولس منذ إنشائها الأول في عصر

(1) Fletcher B., OP. Cit., P., 78.

(2) Ibid.; Gloag J., OP. cit., P., 59.

(3) Bary W. and Trum P.D., **Adictionary of Archaeology**, (London, 1970), p.,69.

داريوس (الأول) ثم أضاف الملوك المتأخرون مبانيهم مما زاد في ذلك التشويش أو الإرباك(1).

أما عن الأعمدة التي شاع استعمالها بكثرة في العمارة الأخمينية، فهي أكثر تمييزاً لهم معمارياً دون غيرها من العناصر الفنية الأخرى، وذلك من حيث كثرة عددها الذي فاق ما استعمل في خورسباد أو في الكرنك مثلاً.

من حيث طراز العمود، فهو وإن كان مزيجاً في بدنه، إلا أنه مبتكر في تاجه على الأقل، فالعمود الفارسي الأخميني كان في بادىء عهده بسيطاً كما في باسارجاداي إذ كان من الخشب، ويُغطى برقائق من الرخام الملون، ملساء دون تخديد Fluts. ينطلق من قاعدة حجرية تشبه قاعدة العمود الأيوني وذلك من حيث الخلخال والحلزونات الأفقية(2).

تاج هذا الطراز من الأعمدة غير مؤكد لعدم العثور على أي منها(3).

ثم عقب تطور العمارة، كما في برسيبولس، أصبح العمود كتلة من الحجر أو الرخام غير مقسم إلى Drmus كما في أعمدة الهللينيين، وكانت تلك الأعمدة رشيقة إذ بلغ طولها حوالي عشرين متراً وقطرها 1،60 م، مخدَّدة أو ذات قنوات أفقية بحواف حادة يتفاوت عددها ما بين 40 ـ 48 تخديد في العمود الواحد، وهو في ذلك شبيه ببدن العمود الأيوني، وأن لم يصل تخديده إلى ذلك العدد(4).

كانت تلك الأعمدة تقوم على قواعد ذات أشكال نباتية، فهي كأجراس يغطيها أوراق أشجار مقلوبة الوضع، فتخلى الفرس بذلك عن القواعد السابقة

---

(1) Fletcher B., Loc. Cit.

(2) Nylander C., **Ionians in Pasargada, Studies in old Persian Architecture,** (Stockholm, 1970), PP., 103 FF.

(3) **Ibid.**

(4) Fletcher B., Loc Cit; **Enciclopedia Universale della A'rte.,** P., 4.

الشبيهة بالأيونية[1].

أما التيجان، فقد كانت مُعقدة التركيب، إضافة إلى كونها دقيقة، فالتاج يتألف بشكل عام من جزء شبه التشجيرة المسننة تقوم مباشرة على نهاية البدن العلوية ويثبت به بواسطة قوالب معدنية[2]، يعلو ذلك الندرة أو كوع الزهرة[3] ليرتكز عليها الجزء الثالث من التاج وهو كتلة من أشكال حلزونية يبلغ عددها ثمانية، أربعة على كل جانب، إثنان بأسفل الجزء عند اتصاله بكوع الزهرة والأخرتان يربض على الأخيرة منها الجزء الأخير من التاج والذي يتمثل في الجزء الأمامي من حيوانين في العادة كانا ثورين أو وحيدي القرن أو حصانين أو تنينين يتصلان ببعضهما من الخلف، هذا التاج الذي بلغ ارتفاعه في برسيبولس 17,10 قدم، يعتقد أنه ينحدر عن أصول خشبية في بيوت عامة الناس[4].

في موضع اتصال الحيوانين ببعضهما وُضِعت عوارض يرتكز عليها السقف ويُعتقد بأن هذه العوارض كانت من الخشب، لأن أمثال تلك الأعمدة المتباعدة[5] والرشيقة والمرتفعة لم يكن بإمكانها تحمل الدعامات الحجرية الثقيلة.

كانت السقوف أيضاً خشبية خاصة من نبات القصب ذو السيقان الطويلة

---

(1) Gobineau J.A., OP. Cit., PP., 142 FF.

(2) اختلفت أشكال هذه القوالب أو المشابك Clamps، كما تعددت أنواع معادنها وإن كانت في الغالب الأعم تُستعمل من الحديد، للمزيد نظر: ـ

Nylander C., OP. Cit., PP. 42 FF.

(3) Dury J.C., OP. Cit., P., 140; Fletcher B., OP. Cit., P., 76;

عائدة سليمان عارف، مدارس الفن القديم، (دار صادر، بيروت، 1972م)، ص104 ومن جهة أخرى هذه الزخرفة صارت فيما بعد البيضة والقنان في العمارة الهللينية اللاحقة.

(4) Picard G.C., OP. Cit., P., 198.

(5) مثلاً في قاعة اكسركسيس (الأول) في برسيبولس بلغت مساحتها 250 قدم مربع، كان سقفها محمولاً على 36 عموداً فقط موزعة في خطوط أفقية (6 × 6).

إضافة للأرز، وقد سمحت خفة السقف هذه بالإبقاء على شكل الأعمدة الرشيقة.

المقـابـر:

تمكن الباحثون الأثريون والعلماء في هذا المجال، من تحديد أنواع المقابر الفارسية في العهد الأخميني، فكانت للعامة عبارة عن بناء أسطواني الشكل مكشوفاً أي مفتوح السقف، ذو جدران مرتفعة، مبنية من حجر جيري يتم إلقاء الجثة فيها، بواسطة الصعود إليها بسلالم خارجية، في العادة خشبية متحركة تلقى فيها الجثة، ولا بد وأن أرضية المقبرة كانت مفروشة ليأكلها الطير فلا تُدنس الماء والنار والهواء[1].

أما المقابر الملكية فقد كانت هي الأخرى على نوعين، الأول بسيط في عمارته والمثال على ذلك مقبرة قورش (الثاني) في باساجارداي، والمعروفة باسم تخت مادر سليمان، فهي عبارة عن ضريح بسيط شُيِّد من حجارة جيرية بطريقة المداميك المستوية Ashlar Work يبلغ ارتفاعه 36 قدماً، يرتفع عن سطح الأرض بعدد من الدرجات بلغ عددها ست تدور به مع كل الاتجاهات العليا منهن أصغر من السفلى كالزقورات في بلاد ما بين النهرين، ليستقر على الأخيرة منها حجرة مستطيلة الشكل لها مدخل وحيد وسقف جمالوني بواجهة أمامية وأخرى خلفية مثلثة الشكل[2] «بيدمنت» Pediment.

معظم حجارة هذا القبر خشنة، لم تُنحت إلا في جوانبها حتى توضع بجانب الحجارة الأخرى بطريقة مناسبة ومنظمة، وهذا الأسلوب يتضح فيه اللمسات الأيونية بكل وضوح، إضافة إلى أخرى حثية[3].

(1) Ragozin A.Z., OP. Cit., P., 129; محمد عزت مصطفى، المرجع السابق، ص 65.

(2) Nylander C., OP. Cit., PP , 91 FF; Dury J.C., OP. Cit., P., 136; Matheson S.A. OP. Cit., PP., 96 FF.

(3) Nylander C., OP. Cit., P., 149.

القبر خالي من الزخارف النحتية فهو باستثناء بعض اللمسات الفنية الإنشائية كالتدوير في زوايا الحجارة، خاصة في مراحل الانتقال في السقف فهو يتميز ببساطته الشديدة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن هناك مجموعة من المقابر بقوريني تُطابق تماماً من حيث تخطيطها وإنشائها المعماري قبر قورش (الثاني) هذا وقد أرخها بعض الباحثين بالقرن الخامس وربما السادس قبل الميلاد[1].

أما النوع الثاني، فهي المقابر التي درج على تشييدها الملوك منذ عهد داريوس[2] (الأول) وهذه المقابر التي من هذا القبيل ثم نقرها في مكان عالي صخري بجانب جبل Rachmed أو نقش روستام، وقد تميزت بالعناية بواجهاتها التي تشبه واجهات القصور، فقد قُسمت الصخرة بحيث برزت على شكل صليب كبير، أقيم على جانبي المدخل أربعة أعمدة دقيقة، اثنان على كل جانب، نُحتت بالجبل نحتاً بارزاً، فأصبحت كأنها أعمدة معشقة Engaged بالجدار، يعلوها أرشتريف Architraiv مُزخرف بمنحوتات بارزة ثم يأتي الجزء الأخير من الصليب وكان هو الآخر مزخرفاً.

المدخل كان غير مرتفع، يقع في النصف الأوسط من الصليب، أُحيط بزخارف بشكل دخلات غير عميقة، ويُعتقد بأن هذا الباب الصخري كان «كاذباً» للتمويه، ولم يُقد ليفتح، وما زال غير معروف المدخل الحقيقي لغرف الدفن الفسيحة الخلفية[3].

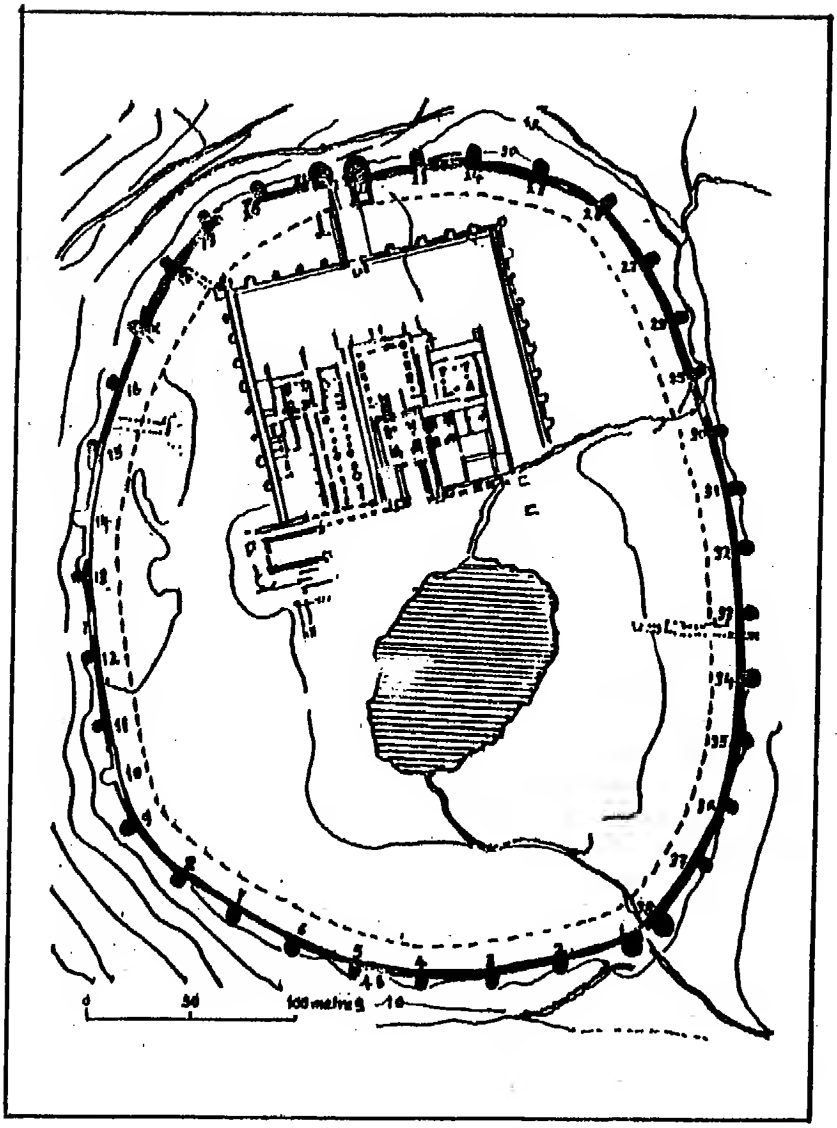
---

(1) تقع هذه المقابر عند أصنيبات العويلة، قرب رأس الهلال، ومجموعة شمال غرب مسه ومجموعة ثالثة في منطقة البقارة وأخرى في أمقيرنس وسيدي بو نجلة، انظر للمزيد عنها: ـ

Stucchi S., **Architetura Cirenaica,** ('L`erme" di Bretschneider," Roma, 1975), PP., 74 FF.

(2) Picard G.C., **OP. Cit.,** P., 124; Gobineau J.A., **OP. Cit.,** PP., 102 FF; Collins R., **OP. Cit.,** P. 48.

(3) Ragozin Z.A., **OP. Cit.,** P., 411.



خـريـطة رقـم ـ21ـ

مدينة بارساجاداي، تُظهر بوضوح سور المدينة وأبراجها

واستناداً إلى بعض المؤرخين الهللينيين فأن الجثث كانت توضع بتلك المقابر بواسطة روافع ترفع الجثة إلى الداخل(1).

من جهة أخرى، ليس لهذه المقابر سلالم أو درج توصل إلى المداخل، رغم ارتفاعها الكبيرة عن سطح الأرض، وهي [المقابر] التي نُقلت فكرتها عن طراز المقابر المصرية كانت في زمن داريوس (الأول) بسيطة خاصة من حيث زخرفة غرفة الدفن التي كان في عهد هذا الملك خالية تماماً من الزخارف، ولكنها في عهد حلفائه اتسعت كثيراً كما أُحيطت بالمزيد من العناية من حيث زخارفها(2).

لما كانت الديانة الفارسية الأخمينية قالت بأن من أهم شعائر الإلّه أهورامازدا النور والحرارة وهما العنصران اللذان توفرهما النار لذا فقد حرصوا على أن تظل مشتعلة في «مباني» أُعدت خصيصاً لها(3).

وقد وُجِدت بيوت النار هذه «معابد» في أنحاء عدة من فارس، وهي مثار جدل بين المتخصصين، إذ تأكد فقط عدد قليل جداً منها تأريخها بالعهد الأخميني والبقية لاحقة له، مما يعني أن الحرص على استمرار اشتعال النار كان أحد المظاهر التي أُلحقت بالديانة الفارسية فيما بعد، خاصة من قِبل طائفة المجوس.

وهذه البيوت «المعابد» على نوعين، أحدهما بناء عادي، يشبه الغرفة مستطيلة الشكل ذات سقف مستوي، يعلوه شرفة غير مرتفعة مسننة، لها مدخل واحد وعدة نوافذ(4).

والآخر يشبه الكوة ذات أربع زوايا معقودة، غير مرتفعة، خشنة البناء ربما كانت هذه مذابح، وليست بيوتاً للنار، إذ التجويف العلوي لا يمكن

(1) Ibid.

(2) Fletcher B., OP. Cit., P. 78.

(3) راجع ما سبق ذكره عن الديانة بالصفحة 163 وما بعدها من هذا الفصل.

(4) Fletcher B., Loc. Cit.

للنار أن تستمر مُتقدة به خاصة في الظروف المُناخية الصعبة[1].

أحاط الفرس مدنهم بالأسوار، وأقاموا لها التحصينات، فسوسة على الرغم من عدم ذكرهم لأسوارها إلا أن المصادر تحدثت عن اكروبولسها المُشاد على هضبة في الجنوب الغربي من المدينة على ضفة النهر شمال قصر داريوس (الأول)[2].

كما يُذكر أنهم في بارساجاداي عمل قورش (الثاني) على إحاطة المدينة بسور وهو عمل مات ذلك العاهل قبل إنجازه، كما تقاعس خلفاؤه عن إتمامه[3].

كما يُذكر أن مدينة برسيبولس كانت هي الأخرى مسورة.

كانت تلك الأسوار في الغالب تُشاد بأساسات من الحجر الجيري يرتفع فوقها جدار من حجارة كبيرة من الحجر الجيري أو من القرميد المشوي بالنار أو المجفف بالشمس مع استعمال الإسمنت أو الزفت أو القار الطبيعي.

كان السور يُساير الظروف التضارسية التي تقابله[4]، وإن كان في شكله النهائي يتخذ الشكل القريب من المستدير[5].

---

(1) هذا ولقد وجد مثل تلك المباني منحوتاً نحتاً بارزاً في لوحة بمدينة قوريني يعود تاريخها لعصر الامبراطور الروماني سبتموس سفيروس، انظر عنها: ـ

Stutchi S., II Naiskos "Dilysanias" Riconsiderato Quaderni d'Archelogia Della Libya "12" Cirene Ei Libyi L'erma di Bretschneider, (Roma, 1987), PP., 212 FF.

(2) **Cottrell L., The Lost Cities,** (London, 5 th Printing 1971), PP., 23 FF; Fletcher B., **OP. Cit.,** PP., 75 FF; Olmstead A.T., **OP. Cit.,** PP., 166 F.

(3) Nylander C., **OP. Cit.,** P., 158.

(4) من ذلك مثلاً أن داريوس (الأول) حينما حجب السور أشعة الشمس عن قاعته من أحد جوانبها في برسيبولس لارتفاعه أمر بإزالته وإقامة جدار منخفض.

(5) انظر الخريطة المرفقة لسور مدينة بارساجاداي.

كما كان ذلك الجدار يُحاط من أعلى بفجوات «مسنن» الضرورات استعمال الأسلحة والوسائل الدفاعية، كما كان في هذا المجال يُقام أبراج للمراقبة، التي وزعت على نقاط مهمة من ذلك السور، والتي اتخذت هي الأخرى الأشكال المستديرة كما كانت هناك البوابات المحصنة[1].

وبقية الجدار أو السور وجُهت إليه عناية خاصة، إذ زخرف خاصة من الخارج بإيجاد تجاويف أو حشوات، ولمزيد من الاحتياط، عرفوا إحاطة جدران الأسوار الخارجية بخنادق المياه وهو عمل مقتبس عما سبقهم[2].

النحت:

كما سبق وأن ذُكر أن النحت كان متصلاً بالعمارة فهم لم يعرفوا النحت المنفصل إلا في نماذج قليلة من التماثيل المعدنية الصغيرة.

وكما العمارة، فقد تميز النحت البارز Bas Relif منذ عهد مبكر باستيراد سماته وموضوعاته، فتمثال قورش (الثاني) الذي يعلو بوابة بارساجاداي يظهر به تقاليد آشورية ومصرية وفينيقية، ولم يظهر به فارسياً سوى نحت الذقن القصيرة المستديرة[3].

منحوتات داريوس (الأول) البارزة في بهستون صورة أخرى للوحة نارام سن NARAM SN ملك اكد[4].

(1) من هذه البوابات مثلاً البوابة التي أسماها اكسركسيس (الأول) بوابة الشعوب أو الأمم في برسيبولس، وذلك لمرور أفراد الولايات الحاملين الجزى المفروضة على أوطانهم لتقديمها لملك الملوك في يوم عيد السنة الجديدة.

(2) مثال ذلك أعمال نبوخذ نصر، وتحصينه لحدوده الشرقية في بابل بخزانات مائية.

(3) محمد عزت مصطفى، المرجع السابق، ص 98.

(4) وذلك من حيث تصوير الملك أكبر من بقية الأشخاص الأخرين، رسم أو تصوير الأعداء وهم مصفدين بالأغلال ويُسبحون في طابور طويل، ثم وقوع أحد أولئك الأسرى الأعداء ورأسه أسفل رجلي الملك، للمزيد عن لوحة نارام سن انظر: ـ توفيق سليمان، المرجع السابق، ص ص 131 وما بعدها، اللوحة رقم 9.

يتركز النحت البارز في قاعات الاستقبال وفي القصور وعلى جانبي درجات السلالم وهو يُصور الأحداث المختلفة في حياة الملك، وقد تُزودُ بتعليق مكتوب والأحداث وكيفية تسجيلها مقتبسة عن الفن الآشوري، إلا أنها تختلف في العرض والموضوع فالمناظر الآشورية تعرض بطولات وشجاعة الملوك في الحروب والصيد بينما تصور عند الأخمينيين صور الاحتفالات واستقبال الوفود باهتمام أكثر مما عمل الآشوريون(1)، كما اقتبسوا عن الآشوريين أيضاً وضع الحيوانات المهجنة على جانبي الأبواب والمداخل(2).

من الموضوعات التي عالجها النحت البارز في برسيبولس خاصة على جانبي الدرج، موضوع تصوير «القناصة» وهم مجموعة من الحرس، أي أفراد من الخالدين، تميز نحتهم الذي استعمل فيه تلوين الأجر وطليه بالمينا فأصبح على درجة دقيقة من القاشاني ذي الألوان الزاهية البهيجة فملابسهم ذات ألوان زاهية وشعورهم ولحاهم مُجعَّدة، وهم يمسكون بأيديهم في قوة وخيلاء رماحهم رمز مناصبهم الرسمية، وكانت تلك المنحوتات الملونة من الدقة بحيث يمكن ملاحظة التطريز بالأخضر والبني على أقمشة الملابس ذات اللون الأبيض المصفر بكل وضوح(3).

هذه البهجة التي صُوِّرَ بها هؤلاء الجنود كانت على درجة عالية جعلت

---

(1) مما يبرهن على صحة القول السابق بأن الفرس كانوا يميلون لناحية المسالمة أكثر من الأشوريين الذين كان لديهم شهوة حتى في تصوير فنونهم.

(2) هذه المنحوتات الهجين، والتي عُرفت عند الاشوريين باسم ليماسو، كانوا بدورهم قد اقتبسوها عن الحيثيين، وإذا كان وضعها بغرض حماية وحراسة الأبواب فربما كان لها أيضاً وظيفة إنشائية، إذ كانت على درجة عالية من الضخامة، كما كانت تُنحت متصلة في معظم أجزائها الخلفية متصلة بما خلفها أو يُحيط بها من إنشاء، فهي دعائم له، عن ذلك انظر: ـ انطون مورتكات، المرجع السابق، ص 241.

(3) Gobineau J.A., OP. Cit., PP., 124 FF; ΚΥΡΙΑΚΙΔΗ Β., OP. Cit., P., 185; ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΟΥ ΕΛΛΗΝΙΚΟΥ ΕΘΝΟΥΣ, P., 303.

الباحثين كديورانت يرون وأكنهم في طريقهم إلى احتفال مهم وليسوا في مهام عمل[1].

كانت هذه الصور المنحوتة في أفاريز تتفاوت أحجام الشخوص بها حسب ارتفاع الدرج وارتفاع الجدار المحيط به[2]، وهذه الأفاريز تم فصلها عن بعضها بإطارات من أوراق الشجر المحورة وهي في العادة للفصل بين منظر سابق عمودي ولاحق أفقي وهكذا، ويتميز هذا الأسلوب بأنه مقتبس عن الأسلوب الزخرفي الآكدي.

ما يهمنا في هذه المنحوتات أنها تُصور رجالاً يمثلون الأمم والأقطار الخاضعة للامبراطورية الفارسية، وهم يحملون الجزى النوعية المفروضة عليهم من قبل الفرس، يقدمونها لملك الملوك[3]، في يوم عيد السنة الجديدة[4] NOW ROZ.

والجدير بالذكر في هذا المقام أن بعض الباحثين تمكن من تحديد هوية

---

(1) ول ديورانت، المرجع السابق، ص 73.

(2) إذا بلغت مثلاً في أقصى ارتفاعها حوالي سبعة أمتار، فأن ذلك يقل مع ارتفاع الدرج حتى يصل في نهايته، في بعض الأفاريز إلى ارتفاع لا يتعدى 25 سم وجميعها منحوتة بنفس الكيفية.

(3) تختلف الأبحاث بشأن تلك الجزى المحمولة، هل كانت فعلاً حقيقية أم أنها رموز فقط؟ لما اشتهرت به تلك الأقاليم، للفصل في ذلك انظر الباب الثاني، الفصل الثالث، صفحة 293.

(4) يُعرف هذا العيد باسم النوروز، يُرجعه البيروني في كتابه، الآثار الباقية عن القرون الخالية، إلى زمن سليمان بن داوود عليهما السلام.
كانت من مظاهر هذا العيد أن يتبادلوا فيه الهدايا من الملك إلى جميع رعاياه وبالعكس، وقد حُدِّد هذا اليوم في الأبحاث الحديثة باليوم الحادي والعشرين من شهر مارس من كل عام، وما زال الفرس يحتفلون به لليوم ويُسمى عيد شم النسيم وبذلك يكون هذا العيد أقدم الأعياد المستمرة حتى الآن.

بعض أولئك الأشخاص المصورين، ومنهم الليبييون[1].

ولما كانت الشعوب التي خضعت للامبراطورية عديدة، وقد صورت كلها، فإن ذلك، رغم التفاصيل الدقيقة رائعة جداً، إلا أنها في مجملها تعاني من وحدة السياق، مما يوجد الملل لدى المشاهد «العادي» وهذا الملل يأتي من تكرار المناظر كما يأتي من التصوير الجامد إلى حد بعيد[2]، فالمناظر جميعها لها ذات الوقفة وربما تنظر جميعها في نفس الاتجاه إلا ما ندر، وهذا القول ينطبق على المناظر التي نحتت على جدران قصور سوسة، فهي تصور إضافة للجنود، الأسود وبعض الحيوانات الخيالية على قطع من الأجر الناتىء والمطلي هو الآخر بالمينا وفقاً للطريقة البابلية (بوابة عشتار زمن الدولة الكلدانية).

وهكذا كان النحت الفارسي الأخميني نحتاً ملكياً مدنياً بأكمله، فالدين قليلة هي المرات التي صورت رموزه، وهو على كل يظهر في إطار مجنح يشبه تماماً تمثيل نينوى للإله آشور[3]، كما خلا ذلك النحت من تصويره لأي معركة[4].

الفنون الصغرى:

هذا وقد تمثل الفن الفارسي الأخميني أيضاً في صناعة أدوات الزينة

---

(1) عن الليبيين انظر الباب الثاني، الفصل الثالث، صفحة 278 وما بعدها.

(2) بالإمكان تشبيه ذلك تماماً كحال مشاهد عادي لاستعراض عسكري في مخيماتنا الحالية والتي تستغرق ساعات طوال، صحيح أن بها اختلاف في العروضات، ولكنها لا تستدرك إلا بعين خبير متخصص.

(3) أقصد تصوير شعار أو رموز الإله أهورا مازدا، وهذا الشعار المأخوذ عن الاشوريين كانوا هؤلاء أيضاً قد اقتبسوه عن المصريين «القرص المجنح»، وعن هؤلاء انظر: -
Grave R., OP. Cit., PP., 11 FF, 55 FF, 69 FF;
انطون مورتكات، المرجع السابق، ص 227.

(4) يستثنى من ذلك منحوتات داريوس (الأول) في بهستون التي صور بها الدعي جوماتا والملوك التسعة الذين اقتيدوا لثورتهم عليه أول بداية عهده.

والحلى، وأدوات المائدة كالأقداح والكؤوس وغيرهما من أدوات الحياة، العملية اليومية، والتي كانت من مواد متفاوتة كالبرونز والحديد والحجارة أو من الذهب والفضة[1].

كما برعوا في صياغة الحلى والمجوهرات بأنواعها والتي في كثير منها كانت محلاة باللؤلؤ والمزينة بالخطوط الملونة والمطعمة بالأحجار الملونة.

وفي مجال صياغة المعادن كنا قد تطرقنا للنقود والتي سُكت في عهد داريوس (الأول) سواء من الذهب أو من الفضة[2].

كما يجدر التنويه في هذا المقام إلى صناعة الرقائق المعدنية التي كانت تُشكل بأشكال مختلفة زخرفية غاية في الدقة لتغطية الأجزاء الخشبية من العمارة كالأبواب ومفاصلها وغير ذلك.

كما عرف الأخمينيون أيضاً استعمال الأختام بنوعيها المنبسط والأسطواني والتي قدوها أحياناً كثيرة من أحجار كريمة، والتي لوحظ عليها أنه لم يحدث بها أي تغيير مهم في موضوعها أو أسلوبها، «ولولا اختلاف اللباس والتاج لأصبح من العسير تفرقة الأختام الأخمينية عن الأختام الآشورية[3]».

---

(1) وهذه كانت من الدقة بمكان، كأن تكون آنية مستديرة صُوِّرَ عليها، على سطحها الخارجي عدد من الأسود المتلاحقة يتم نحت الأجساد نحتاً بارزاً خفيفاً في حين تبرز الرأس عن السطح بطريقة 3/4، انظر للمزيد: ـ
نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 480.
Gobineau J.A., **OP. Cit.**, PP., 130 FF; Dury C.J., **OP. Cit.**, PP., 148 FF;

(2) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 170 وما بعدها من هذا الفصل.

(3) شمس الدين فارس وسليمان عيسى الخطاط، تاريخ الفن القديم، (دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1980 م)، ص 90، من جهة أخرى تمثل موضوع الأختام في الصراع بين الملك والحيوانات المتوحشة فصور داريوس (الأول) مثلاً وهو يطعن أسد بخنجر وهو ما وجد مُجسداً تقريباً بنفس الكيفية على العديد من المباني، راجع عن ذلك: ـ
Collins R., **OP. Cit.**, PP., 76 FF.

والملاحظ بشكل عام هذه الفنون هو على الرغم من خضوعها بشكل عام لخدمة الطبقة الحاكمة ولعقائدها، إلا أنه كان يميل للتحرر أكثر من بقية الفنون الأخرى ولعل مرد ذلك إلى أن بعض تلك القطع لم تُصنع محلياً «داخل فارس» وإنما مُستجلبة مُصنعة.

ويمكن في الختام إجمال صفات أو مميزات النحت البارز الفارسي العامة في أنها مقتبسة جميعاً مما وجد عند الأمم المجاورة والخاضعة لهم، وإن الفن كان ملكياً فقط، ابتعد كُلياً عن تصوير الحياة خارج القصر أو بعيداً عن بعض أيام الملك، وإن حاول فنانو هذا العصر ترسم العمق، الذي أجاده الرومان فيما بعد، وذلك بالنسبة للفن الفارسي من خلال إظهار جنود الحرس والإنشراح بادىء عليهم، وإن كان ذلك بشكل بسيط جداً، كما ظهرت أيضاً محاولات لإظهار الصفة التشريحية تحت الثياب وإظهار ثنيات تلك الثياب استجابة لحركة جسدية وإن كانت الأعمال في مجملها لا زالت تعاني الجمود بل العيوب التشريحية التي لا يمكن حدوثها في الطبيعة.

من جهة أخرى فاق النحت الفارسي الأخميني على الآشوري بدقته فيما يتعلق بنحت وتصوير الملامح الشخصية.

ومما يستغرب له المرء لماذا لم يجار النحت الفارسي النحت المصري أو الهلليني والذي كان في عرص بركليس Περικλης يمر بمرحلة من أنشط مراحله، خاصة وإن الاتصال بينهم [الفرس والهلليني] جرى في أكثر من مجال واستقدام الخبرات الهللينية كانت شائعة في البلاط الفارسي، بل لماذا لم يتأثر بالنحت عن طريق المستوطنات الهللينية التي خضعت لهم مثل قوريني التي كان فن النحت بها لا يقل عما وصل إليه في بلاد الهللينيين من درجة.

إن ذلك المنهاج الذي اختطه فن النحت الفارسي وواصل السير فيه حتى آخر الوقت لهو من الدلائل التي تشير إلى قصور الفرس عن محاولة دمج تلك الحضارات التي اتصلوا بها والذي [المنهاج] حافظوا به على طابع الشرق المميز في النحت.

البـاب الثانـي

قـوريـنائـية

الفصـــــل الأول

نشأة قوريني في القرن السابع ق. م
حتى سقوط أسرة باتوس
في النصف الثاني من القرن الخامس ق. م

ظهرت منذ القرن الماضي العديد من الأبحاث التي تناولت التاريخ الليبي القديم ولما كانت نتائج تلك الأبحاث قد نصت على أن لليبيا[1] Λιβυη في تاريخها القديم حَضارة أثرت بها في الحضارات الأخرى، خاصة المصرية والهللينية كما تأثرت بهما، وبالتالي تأكد إثبات صلة الليبيين المصريين منذ عهد ما قبل التاريخ وخلال العهد التاريخي[2]، كما عادت من جهة أخرى تلك

(1) ليبيا من الأسماء الجغرافية التي استخدمت منذ أقدم العصور، ففي النصوص المصرية ورد هذا الاسم، الذي يُرجح أنه انحدر عن إحدى القبائل «الليبية» التي عُرفت باسم الليبو، كما عرفه قدماء الهللينيين حينما قسموا العالم إلى قارات ثلاث وهي أوربة، آسية وليبيا، على أن تبدأ قارة ليبيا غربي دلتا النيل حتى رأس سولوجومي [في المغرب]، أي ما كان معروفاً من أفريقية وبدأ هذا المفهوم الجغرافي بالتقلص مع القرن الثاني ق. م وذلك عقب سقوط قرطاجة وتكوين الرومان لولاية أفريقية الرومانية، وعليه صار اسم ليبيا يُطلق على المنطقة الواقعة إلى الشرق من تلك الولاية، وهذا ما ينطبق مع حدود ليبيا الحالية، وهو ما صار يُعرف في المجال الدولي المعاصر منذ بداية الغزو الاستعماري الإيطالي لليبيا، للمزيد انظر: -
Herod., II, 16 F; Mcburney S.B.M. and Hey W., **Prehistory and Pleistocene Geology in Cyrenacian Libya,** (1955), Passim; ROWE A., A History of Ancient Cyrenaica, New light on Aegypto Cyrenaean Relations Two Ptolemaic Statues found in Tolmeita, **Supplement Annales Du Service Des Antiguites De L'egypte, Cahier No. 12,** Le Caire, Imprimerie De L'institut, Fran D'Archeologie Orientale, McMXL VIII, PP., 3 FF.
عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، (القاهرة، الطبعة الثانية 1971 م)، ص 6، محمد مصطفى بازمة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، (طرابلس، 1965 م)، ص ص 13 وما بعدها.

(2) عن العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات وما بعده، انظر: حسين=

الأبحاث، بتاريخ أول استيطان هلليني في ليبيا إلى حوالي سنة 639 ق. م[1]

ولما كانت نشأة قوريني[2] Κυρηνη كمستوطنة هللينية وما تبعها من

= عبد العالي مراجع، العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ما قبل الاسرات وحتى بداية حكم الليبيين لمصر، (دار أماني، طرطوس، الطبعة الأولى، 1998 م، هنا وهناك؛ رجب الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، (دار أماني، طرطوس، الطبعة الأولى، 1989 م)، ص ص 11 وما بعدها.

(1) تواترت الروايات وتعددت حول تاريخ بدء الاستيطان الهلليني لمدينة قوريني، ولما كانت تلك الروايات رغم قدمها الآن، إلا أنها تخلو جميعها من معاصرتها للحدث، وقد حاول ثريدج مناقشة تلك الروايات، وخرج برأي مفاده أن سنة 631 ق. م تقريباً هي السنة التي شهدت بناء قيام المستوطنة قوريني وعنه أخذ ذلك الباحثون اللاحقون للمزيد انظر: ـ

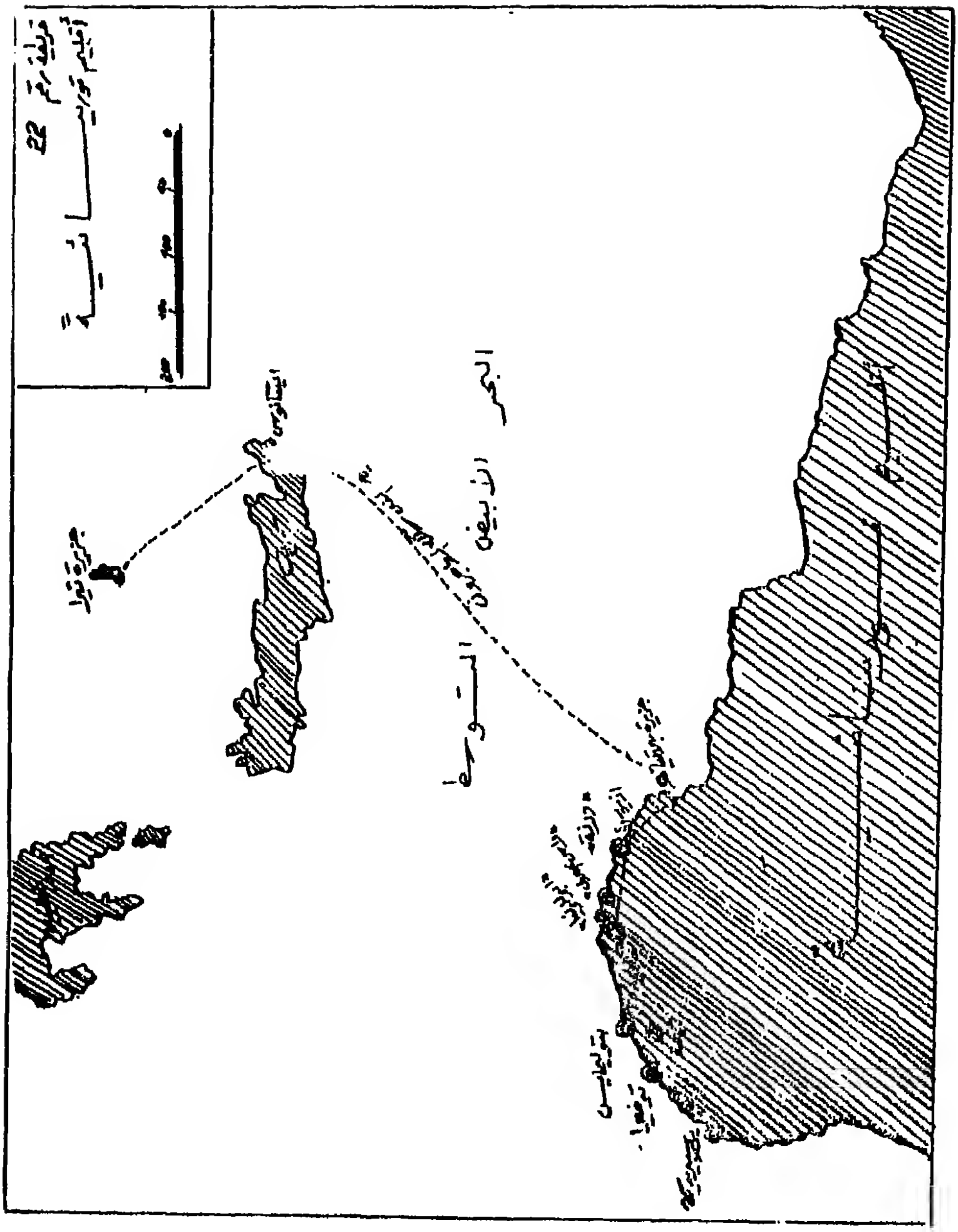
S.E.G., IX, 3, 28, 29; Herod., IV, 150 FF; Theoph., Περι θυτων Ιστδριας, I, 6; Diod., I, 19, 105; Plin., XIX, 41; Paus., III, 14, 20; Solinus, XXVII, 44 FF; Euse., Eccles. Hist., 121, 173, 187; Thrige J.P., **Res Cyrenensium,** Traduzione Dal latino Di Silvio Ferri, (Airoidi Editore, 1940), PP., 17 FF.

إبراهيم نصحي، **إنشاء قوريني وشقيقاتها**، (منشورات جامعة قاريونس، الطبعة الثانية، 1979 م)، ص ص 66 وما بعدها، محمد مصطفى بازامة، **قورينة وبرقة نشأة المدينتين في التاريخ**، (مكتبة قورينا، بنغازي، 1973م)، ص ص26 وما بعدها؛ رجب الأثرم المرجع السابق، ص ص95 وما بعدها، **تاريخ برقة السياسي والاقتصادي**، ص ص 31 وما بعدها شامو، المرجع السابق، ص ص 256 وما بعدها.

(2) قوريني أو كوريني أو كورانا، هو الاسم الذي أطلقه الهلليون منذ استيطانهم للمدينة المعروفة الآن باسم قرّنة أو شحات بالجبل الأخضر.

وقد ذهب الباحثون مذاهب شتى في تفسير مصدر هذا الاسم، فمنهم من قال أنه مُشتق من KYRTOS بمعنى السلة إذ أن المدينة تشبه السلة، كما هناك من قال بأنها من KYRIOS بمعنى سيد، بينما يرى فريق ثالث بأنه مستمد من اسم نبات البروق الذي اشتهرت به المدينة ذلك في حين ينبري فريق آخر للقول بأنه مُستمد من اسم الآلهة كير KER التي عبدت على أنها ملكة النحل، كما يُعتقد بأنه مُستمد من اسم التل الذي أنشئت عليه المدينة، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص 57 وما بعدها؛ محمد مصطفى بازامة، المرجع السابق، ص ص 118 وما بعدها.



خريطة رقم 22

ظهور العديد من المدن الهللينية الأخرى كبرقة[1] Βαρκη قد أُحيطت هي الأخرى بالعديد من الأبحاث من جهة ومن جهة أخرى نظراً لعدم ظهور أي مكتشفات [أثريةُ] جديدة تُلقي ضوءاً أو تناقض ما سبق ذكره من نتائج تلك الأبحاث، لذا فأن البحث هنا سوف لن يتطرق إلى تلك الروايات التي دوِنت حول تلك النشأة في مختلف العصور وما دار حولها من جدل، وإنما سيبدأ من حيث انتهى أولئك العلماء والباحثون مع الرجوع إلى تلك الروايات أو التنويه إليها كلما دعت الحاجة.

إذن لقد أُنشئت قوريني Κυρηνη حوالي سنة 631 ق. م[2]، كمستوطنة هللينية[3] من قبل جماعة من المهاجرين الهللينيين لا يتجاوز عددهم المائتين مهاجر بادىء الأمر، «في سفينتين من ذوات الخمسين مجدافاً[4]»، بقيادة زعيم عُرف في المصادر القديمة باسم باتوس[5] Βαττος

(1) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني الخاص بنشأة هذه المدينة، الصفحة 241 وما بعدها.

(2) ذلك لأن أولئك المهاجرين كانوا قد قضوا مدة ثماني سنوات بمواضع أخرى من ليبيا قبل وصولهم إلى قوريني.

(3) وهذا لا يمنع من القول أن العلاقات الليبية بالمدن الهللينية تعود إلى زمن أقدم من تأسيس هذه المستوطنة، فبالإضافة لما ذكرته إلياذة هوميروس، يذكر هيرودوتس أن بعض الهللينيين والكاريين قد دخلوا ليبيا عقب قدوم جموع منهم ودخولهم في خدمة جيش بسماتيك (الأول) 663 ـ 609 ق. م، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Herod., II, 83, 133, 152, 155; Malten L., Kyrene, (Berlin, 1911), PP., 140 FF; Rowe A., OP. Cit., P., 12;

إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص 12 وما بعدها، محمد مصطفى بازامة، المرجع السابق، ص ص 122 وما بعدها.

(4) Herod., IV, 153.

(5) لقد اختلفت المصادر في إيراد اسم هذا الزعيم، فإذا كان هيرودوتس في إحدى روايتيه [IV, 155] يسميه باتوس، بمعنى عيي النطق أو المتعلثم، فإنه في الأخرى يسميه باتوس بمعنى ملك، كما تُعرف في اللغة الليبية (IV, 155) وذلك ما ورد أيضاً في النقش المعروف باسم لوحة المؤسسين [S.E.G, IX, 3] ويرجحه شامو، المرجع =

هاجروا إليها من جزيرة ثيرا[1] Θηρη، نتيجة ظروف مرت بهم في تلك الجزيرة[2].

= السابق، ص ص 112 ـ 113، فإن الشاعر بنداروس Pind يُسميه في بوثيته الخامسة [Pyth Ode v, 87] يسميه أرسطوطاليس "Αριστοταλυσ" ذلك في حين يطلق عليه المؤرخ جوستين [XIII, 7] اسم ارستيوس.

وفي محاولة لفهم أسباب اختلاف الاسم في تلك المصادر حاول إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص 41 وما بعدها، دراسة ذلك وخلص إلى أنه ليس هناك ما يبرر القول بأن باتوس لم يكن الاسم الحقيقي، لكبير مؤسسي قوريني، كما خلص إلى ذات النتيجة تقريباً الباحث محمد بازامة، المرجع السابق، ص 139، وإن اختلف عمن سبقه في أن باتوس كان هلليني الأصل، ولد بليبيا، من أصل مغمور، فتسمى بأحد أسماء أبنائها ثم أصبح لظروف ما زعيم أولئك المستوطنين، وما تلك الروايات التي وضعت حول النزوح وغيره إلا تغطية لأصله الوضيع ذاك، حول ذلك انظر أيضاً شامو، المرجع السابق، ص ص 112 وما بعدها؛ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، (المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966 م)، ص 56.

(1) عُرفت هذه الجزيرة الدَّورية قديماً باسم كاليستي Καλλιστη والآن باسم سانتورين Santorin انظر: ـ شامو، المرجع السابق، ص ص 94 ـ 95 , Herod., IV, 147

(2) اختلفت المصادر في إيراد سبب ذلك النزوح، فإذا كان معظمها يتفق على أن الباعث الرئيسي كان الجفاف الشديد، وربما زيادة عدد السكان، التي تعرضت لها الجزيرة لمدة سبع سنوات متصلة، فان هناك من يُعَوِّل على أن وراء ذلك النزوح إنقسام الثيرانيين سياسياً إلى فئتين وقع بينهما صدام، أفضى إلى طرد إحداهما، وهي التي كان يتزعمها باتوس فذهبت هذه الفئة تستنبىء وحي دلفي الذي أجابها بأنه عليها أن تقوم بإنشاء مستوطنة في ليبيا عِوضاً عن متابعة الصراع، وإزاء الأحداث اللاحقة واستناداً إلى ما ورد في نقش لوحة المؤسسين بالإمكان القول أن السبب كان الأول، إذ كيف يُطرد ذلك الفريق ثم يقبل أن يُعامل على قدم المُساواة مع بقية الثيرانيين الذين طردوه، خاصة من حيث حقوق المواطنة في قوريني وذلك طبعاً في حال القبول بعدم تزييف ذلك النقش في وقت لاحق، ثم بالإمكان واستناداً إلى ما لقيه أولئك المهاجرين في ليبيا من معاملة بالإمكان القول أن سبب هجرتهم كان الجفاف وشح المياه في ثيرا، وهذا ما نلمسه في تحويل قبيلة الجيلجماي Τιλιγαμαι الليبية لأئلك المهاجرين من موطنهم في ايراسا Ιρασα إلى قوريني، قائلين لهم حسب هيرودوتس (IV, 158) «هنا أيها الهللينيون تجدون المكان المناسب لأنه يوجد ثقب=

كانت هذه الجماعة اللهينية قبل استقرارها عند نبع أبوللو[1]

= في السماء» وعلى ذلك أيضاً يمكن أن نلمس بأن ذلك المكان [قوريني] قد تم اختياره بناءً على مواصفات وضعها الهللينيون أنفسهم، وما قول هيرودوتس السابق بأن الجيلجماي كانوا قد توسلوا لأولئك بالرحيل إلا تزوير سمعة من الليبيين سكان قوريني، إذ كانوا أعدائهم، خاصة وأن هيرودوتس قد زارها في وقت كانت فيه العلاقات قد توترت بين جميع الأطراف، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Herod., IV, 158؛ إبراهيم نصحي، **المرجع السابق**، ص ص 35 وما بعدها، رجب الأثرم، **تاريخ برقة السياسي والاقتصادي**، ص ص 67 وما بعدها؛ **محاضرات في تاريخ ليبيا القديم**، ص ص 109 وما بعدها؛ شامو، **المرجع السابق**، ص ص 117 وما بعدها.

(1) أبوللو أحد الآلهة الهللينية، لعب دوراً مهماً في الميثولوجية الهللينية القديمة له علاقة متينة بالتنبوء، ويُعتبر وحي دلفي Δελφοι حيث معبده الشهير من أهم المراكز التي لعبت دوراً كبيراً في حياة الهللينيين الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، بما يصدره من تنبوءات كانت تلقيها كاهنته بيثيا Πυφια شعراً على طالبي الاستفسار.

ولما كان هيرودوتس يروى في أسطورة النزوح (IV, 150, 151) أنه بناء على مشورة ذلك الإله تم تأسيس المدينة قوريني فأنه عرفاناً من أولئك المهاجرين الذين جاءوا بناءً على ذلك التنبوء أو المشورة أطلقوا اسم ذلك الإله على النبع الذي أقاموا مدينتهم عنده.

ويعتقد شامو بأن تطعيم الرواية بالوحي الإلهي من أبوللو لأن الثيرانيين لم يقبلوا في البداية استيطان ليبيا لما كان يشاع عنها، من أنها أرض العفاريت والوحوش ولغرابة أطوار أهلها، وهو الأمر الذي يظن بأن القرطاجيين كانوا وراءه.

ويعتقد البعض أن هذا النبع كان مقدساً قبل ذلك عند سكان المدينة من الليبيين قبل نزول الهللينيين بينهم، وكانوا يطلقون عليه نبع حور [المصري]، للمزيد انظر: ـ

Guirand F., **Greek Mythology** "New Larousse Encyclopedia of Mythology", Introduction by Robert Graves, (London 1975), PP., 176 FF; Long C.R., **The Twelve Gods of Greece and Roman,** (Leiden, 1987), PP., 2 FF.

عبد اللطيف أحمد علي، **التاريخ اليوناني، العصر الهلادي، الجزء الأول**، (دار النهضة العربية، بيروت، 1974 م)، ص ص 342 وما بعدها.

إبراهيم نصحي، **المرجع السابق**، ص 77؛ محمد بازامة، **المرجع السابق**، ص ص 87 وما بعدها.

بقوريني قد نزلت منزلين قبل ذلك يقعان شرقيها[1]، Απολλων

(1) يروي هيرودوتس [IV, 151, 156, 157] في أسطورة النزوح، أنه قبل استقرار أولئك النازحين بقوريني كانوا قد نزلوا بموضعين قبلها وهذين الموضعين اللذين يُسمى هيرودوتس الأول منهما جزيرة بلاتيا Πλατεα، اضطروا لمغادرته بعد عامين، ثم عادوا بناء على وحي دلفي أيضاً للنزول والانتقال منها إلى مكان آخر يسمى أزيريس ΑΣιρις وأقاموا هناك لمدة ست سنوات قبل الانتقال إلى قوريني Κνρηνψ.
وتحديد تلك المواضع اليوم، على الساحل الليبي أثار جدلاً بين العلماء والباحثين فإن كان جو شايلد، قوريني وأبولونيا، (طرابلس، 1970)، ص
قال بأنها إحدى جزر خليج البمبة الثلاث، فإن علي فهمي خشيم، نصوص ليبية (دار الفكر، طرابلس، 1975 م)، ص 537؛ رجب الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، ص 33؛

Boardman J., "Evidence for the Settlements in Cyrenaica" BDA, 61 (1960), P., 150.

يعتقدون أنها من بين تلك الجزر كانت جزيرة البمبة، المقابلة لرأس التين في مواجهة آخر الساحل الشرقي لليبيا، وذلك أنها مستوية السطح قريبة من الشاطىء، حيث يربطها به جسر رملي فهي تشبه المواقع التي يختارها المستوطنون الهللينيون.
ذلك في حين يعتقد .Batis O., OP. Cit., P., 229 وإبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص 48 وما بعدها، أنها جزيرة المراكب، القريبة من جزيرة البمبة السابق ذكرها وذلك لاستواء سطح هذه الجزيرة وبُعدِها عن الشاطىء بُعداً كافياً يوفر للوافدين الغرباء الأمن، إضافة لذلك اعتقد **Fantolo A., La libia negli Scrittidegli antichi,** **(Roma).**

بأنها إحدى الجزر الواقعة قبالة البردى أو السلوم، أو أنها منطقة عين الغزالة P., 13.
وإزاء ذلك الزخم من الترجيحات من جهة وإزاء قصور نتائج الحفريات الأثرية عن مدنا بأي دليل مادي قاطع يثبت سكنى إحدى تلك المواضع دون غيره، فإن الأمر، إضافة لإجراء المزيد من الكشف الأثري، يتطلب إعادة استقراء ما يرويه هيرودوتس حول هذه النقطة الأخيرة خاصة فيما يتعلق بقوله (157 ر IV) أن الوحي رد عليهم بأنهم لم ينزلوا في ليبيا الحقيقية رفيرة الخيرات بعد.
أما عن الموضع الثاني [ازيريس] فإنه بناءً على نتائج المجسات ودراسات قام بها بعض الباحثين فانها تُرجح أنها تقع عند وادي الخليج، وذلك على ضوء دراسة بقايا أواني فخارية عُثر عليها بتلك المنطقة، انظر للمزيد عنها: ـ

Carter H.T., Report of the Pennsylvania Expedition, V, (1963), PP. 24 FF.

كانت قد فشلت في الاستقرار بهما.

قامت المستوطنة قوريني، كما اتضح فيما بعد، ونظراً لما يمتاز به موقعها على أساس زراعي بالدرجة الأولى[1]، ثم تجاري بعد ذلك، لتصبح في وقت قصير دولة مدينة City State متكاملة الأركان المتعارف عليها لقيام دولة، وذلك بدليل منشآتها الدستورية[2]، منذ زمن مبكر من قيامها وعلاقاتها مع غيرها من مدن المنطقة أو مدن العالم الهلليني أو الروماني فيما بعد.

كان باتوس (الأول)[3] Βαττος (Πρωτος) 639 ـ 599 ق. م زعيم المهاجرين الذين استوطنوا قوريني قد أصبح ملكاً عليها أو عليهم، وكان قد جمع في يديه كافة الاختصاصات الدينية والمدنية والعسكرية ويبدو من الأحداث التالية ومما تمتع به هذا الزعيم بعد وفاته من تقدير وتقديس، ومما يُنسب إليه كملك، أن صورة الغزو والاحتلال التي كُشفت فيما بعد ظلت طيلة عهده مقنَّعة[4].

---

(1) رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 36.

(2) انظر تفصيل ذلك في الصفحة 226 هامش (1) بهذا الفصل.

(3) الصفات العددية مثل الأول هي، كما في العائلة الهخامنشية من وضع الباحثين المحدثين، للتفريق بين العواهل ذوي الأسماء المتكررة، وذلك أن قوريني وكما سيأتي تفصيله، قد توارد على حكمها في العصر الملكي الباتي ثمانية ملوك سُمِّي إربعة منهم باسم باتوس والأربعة الآخرون باسم اركسيلاوس وجدير بالذكر هنا أن هيرودوتس [IV ،163] ذكر أن هذا التسلسل لملوك قوريني كانت قد تنبأت به كاهنة دلفي منذ زمن مبكر، ويُعتقد الآن أنها رواية تم تزييفها عقب سقوط الملكية، هو ما سنتطرق إليه في الصفحات اللاحقة من هذا الفصل.

(4) يشك بعض الباحثين اليوم في مقدرة أولئك الهللينيين بذل العدد القليل وفي زمن قصير على تشييد مدينة بما فيها من منشآت معمارية ضخمة منذ زمن أول ملوكها كمعبد ابو للو ومعبد ارتيميس وغيرهما، ولم يكن هناك تعاون تام بينهم وبين القبائل الليبية خاصة قبيلة الاسبوستاي Ασβυσται التي كانت تقطن هذه المدينة، انظر للمزيد: ـ

=Pind., The Pythian Odes, V, 55, 89 FF; Diod, VIII, 20; Sandawiya A., "The Greek

بعد وفاة هذا الملك، بعد أربعين سنة من الحكم، عاصر في بعضها بسماتيك (الأول) 663 ـ 609 ق. م[1]، ومما يشير إلى أن المستوطنين الهللينيين لمدينة قوريني كانوا قد أقاموا مستوطنتهم هذه كحكومة مدنية على غرار ما عرفوه في بلادهم الأم فإن تولي السلطة في المدينة أصبح وراثياً.

اركسيلاوس (الأول) Αρκεσιλαος (Πρωτος) 599 ـ 583 ق. م.

ابن باتوس (الأول) حكم المدينة لمدة ستة عشر عاماً[2]، عاصر بعضها مع الفرعون نيخو Necho 609 ـ 594 ق. م بمصر[3]، ويُشير هيرودوتس[4] إلى أن حكمه كان على غرار والده، فكانت فترة هانئة، كما كانت المدينة تنمو اقتصادياً بخُطى واسعة وثابتة، وذلك على الرغم من أن أولئك المستوطنين لم يتجاوز عددهم الأول [المائتين][5]، وهذا من جهة أخرى يدل على العلاقات الودية وحسن الجوار لأولئك المستوطنين مع القبائل الليبية، وهو ما يُرجِّحه أيضاً القلاقل التي ظهرت خلال حكم خليفته.

= Sttlement in Cyrenaica with notes on Pottery discoverd there" **Libya in History Historical ConFerence,** (Benghazi, 1968), PP., 95 FF;

إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 70، رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 122.

(1) Goedicke V.H., Psammetik I. und die Libyer, **M.D.A.I.A.K.,** 18, (1962), PP., 26 FF;

محمد عبد القادر حاتم، المرجع السابق، ص 61.

(2) Herod., IV, 159.

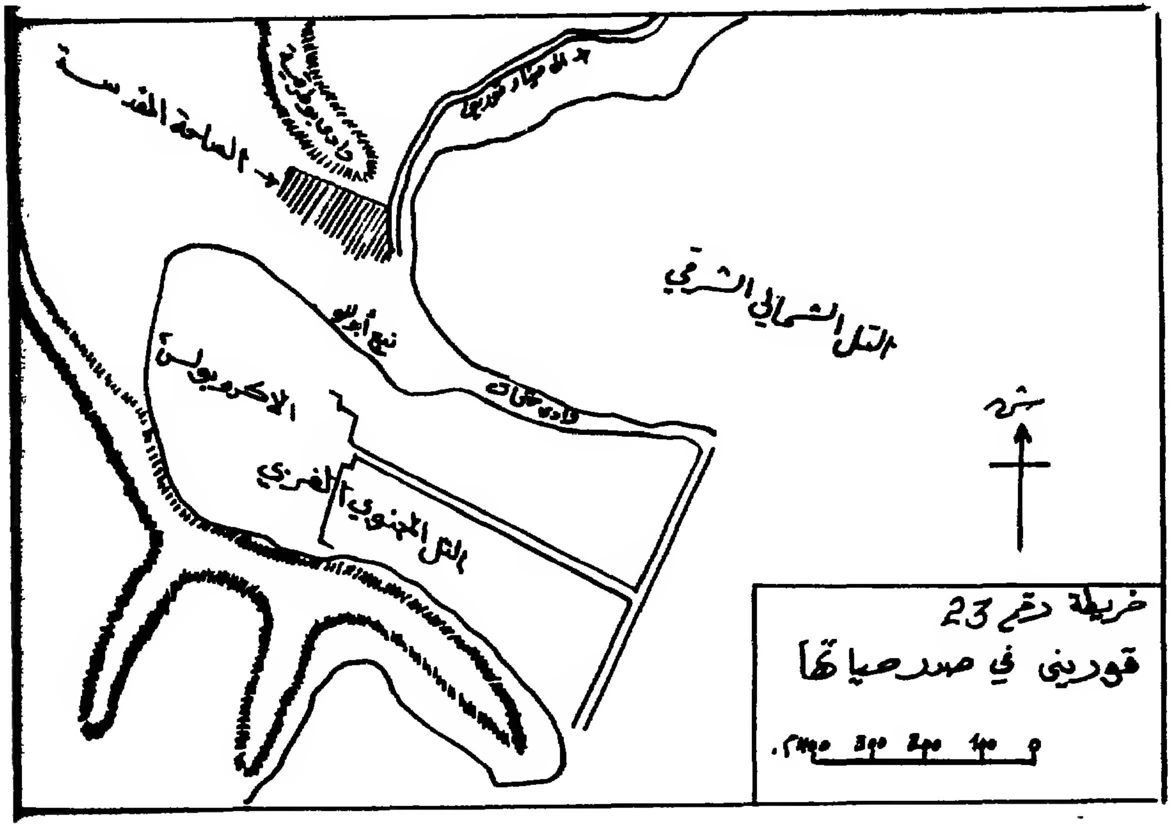
(3) Rowe A., **OP. Cit.,** P., 18;

محمد عبد القادر حاتم، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(4) Herod., Idim.

(5) Herod., IV, 159, 160, 169; Ure P.N., The outer Greek world in the sixth Century, chopter IV, **C.A.H.IV,** P., 110; Robinson E.S.G., **Catalogue of the Greek Coins of Cyrenaica,** (Bologna, 1965), P., CCLI; Bates O., **OP. Cit., P., 28;**

إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 73.


الساحة المقدسة
الأكروبولس
التل الجنوبي الغربي
نبع أبولو
التل الشمالي الشرقي
شرق
خريطة رقم 23
قوريني في صدر صباها

خريطة رقم 23

باتوس (الثاني) Παττος (Δευτερος) 583 ـ 570 ق. م.

وقد لُقب هذا الملك بالمُبارك[1] Ευσαιηων، وكان قد عمل خلال فترة حكمه التي عاصر بها بعض فراعنة مصر[2]، على استقدام عناصر جديدة من بلاد الهللينيين عن طريق وحي دلفي[3].

إزاء ذلك حدث توتر في العلاقات، الذي ربما كان سببه المباشر هو

---

(1) Herod., IV, 159.

(2) وهم الفرعون أبريس (واح ـ اب ـ رع) الأمر الذي ينافي ما ذهب إليه Rowe A., O P Cit., PP., 19 F من أن باتوس الثاني عاصر ثلاثة من الأسرة السادسة والعشرين.

(3) يذكر هيرودوتس [159 ر IV] أن كاهنة معبد دلفي استحثت الهللينيين جميعاً بنبوءة مفادها الإسراع إلى ليبيا حيث تُوزع الأراضي، ومن يتوانى في الذهاب سيندم على ذلك بلا ريب، كما يذكر أن تلك الأراضي أُستولي عليها من الليبيين Vo Περικοι Λιβυες، ونخلص من هذا إلى أن استيطان هذه المدينة كان يسير ضمن مُخطط أُعد مسبقاً [رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 123 هـ (1)، S.E.C, IX, 3

أي أنه كان بإشراف الدولة في ثيرا [شامو، المرجع السابق، ص 134] وبالتالي يُنافي هذا القول ما ذهب إليه إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 10، من أن الاستعمار الهلليني اختلف عن الاستعمار الروماني والحديث من حيث أنه لم يكن هدفاً من أهداف الدولة وبالإضافة إلى ذلك يمكن القول أنه لو كان كما قال نصحي «أحد وجوه نشاط الأفراد» لكان اكتفى أولئك المهاجرون الأوائل بعددهم ذاك خاصة وأنهم قد وجدوا كل ترحاب من الليبيين بدليل زواجهم منهن، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ألا يحق القول بأن هذه النبوءة التحريضية على الجهرة كانت مشتراة، أي أُعلنت بناءً على طلب الهللينيين من سكان ثيرا، أو غيرها لمعالجة أمر ما، بعدما لمس أولئك الهللينيون ثراء ليبيا ووفرة خيراتها وأراضيها الصالحة للزراعة وللاستيطان، خاصة وأن عملية تحريض هذا المعبد على إصدار نبوءات خاصة تخدم أغراض معينة أمر تكرر حدوثه كثيراً، خاصة إبان الحروب الفارسية ضد المدن الهللينية.

وفي حال صدق ذلك الاعتقاد ألا يؤدي ذلك إلى الشك في أن نبوءة دلفي السابقة لم يكن لها وجود بادىء الأمر، وإنما وضعت من قبل المؤرخين اللاحقين لحادثة الاستيطان الأولى، بقوريني، لتغطيته بأمر إلهي وإعطائه صبغة القداسة جرياً على عاداتهم في هذا الشأن.

الاستيلاء على أراضي الليبيين وتجريدهم من حقوقهم في موطنهم مما دفعهم للاستنجاد بالفرعون المصري ابريس[1] Απριεω الذي أرسل جيشاً مصرياً[2] تمكن القورينيون الهللينيون من التغلب عليه وهزيمته عند مكان يُدعى نبع تستيش[3] Θωστνς ويعتقد هيرودوتس[4] أن تلك الهزيمة كانت

---

(1) أبريس أو واح ـ اب ـ راع ثالث ملوك الأسرة السادسة والعشرين، حكم الفترة ما بين 588 ـ 568 ق. م وإذا كان هناك من يرى مثل رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 36؛ شامو، المرجع السابق، ص 50 إن هذا الأمر كان طبيعياً بسبب العلاقات القديمة بين مصر وليبيا ولا سيما بعد تأصل تلك العلاقات بتكوين أسر حاكمة ليبية في مصر، أو لإن اديكران Αδικραν زعيم أو ملك الاسبوستاي قد وضع نفسه وقبيلته في مصر، أو لإن أديكران Αδικραν زعيم أو ملك الاسبوستاي قد وضع نفسه وقبيلته تحت تصرف الفرعون المصري مُعلناً الخضوع له كما يقول بذلك.

Fantoli A., **OP. Cit.**, PP., 18 FF; Rowe A., **OP. Cit.**, P., 20; Thrige J.P., **OP. Cit.**, PP., 93 FF.

فإنه بالإضافة إلى ذلك يدل على مدى الفرقة والتشيع اللتين كانتا تحياهما القبائل الليبية، بمعنى آخر لماذا لم يستعن أدكوان ببقية القبائل الليبية الأخرى؟ وهذا ربما يقود من جهة أخرى إلى تأكيد أن تهجير الهللينيين من موطنهم بازريس، والذي يُعتقد أنه قامت به الجيلجماي إلى قوريني حيث موطن الاسبوستاي كانت بدافع الانتقام القبلي بينهما.

(2) إذا كان الجيش المصري يحوي عدداً من المرتزقة الهللينيين، ويبدو أن أماسيس خشى إن أرسلهم أن ينقلبوا إلى جانب بني عمومتهم هلليني قوريني، وقد أدت هزيمة هذا الجيش المصري إلى إغاظة المصريين ضده [أبريس] وتطور الأمر إلى حرب أهلية استغرقت عدة أشهر، فبايع الجيش القائد أماسيس Αμασις ملكاً على مصر، فتمكن ـ كما يُشير بذلك نقش سُجل على لوحة من الجرانيت الأحمر ـ من إلحاق الهزيمة بأبريس في معركة قرب ممفيس حوالي نهاية 568 ق. م، ومن المفارقات العجيبة إن أماسيس ما لبث أن اعتمد هو الآخر على الهللينيين حتى لُقب بمحب الهللينيين كما يقول هيرودوتس.

(3) تُرجح بعض الأبحاث أن يكون ذلك النبع عين مارة، إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 55؛ رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 124؛ شامو، المرجع السابق، ص 148، وذلك في حين يُرجح بعضها الآخر عين القبة، محمد بازامة، المرجع السابق، ص 11.82 Fantoli A., **OP. Cit.**, P.,

(4) =Herod., II 161; IV, 159; ROWE A., **Cyrenaican Expedition of Unisersity**

بسبب قصور معرفة المصريين وقلة خبرتهم بأساليب قتال الهللينيين[1].

هذا ولقد كان من جراء هزيمة الليبيين أمام الهللينيين، والتي يُطلق عليها البعض الحرب الهللينية الأولى[2]، «أن تعززت مكانة الهللينيين بقوريني، كما ترتب على هزيمة الليبيين وحلفائهم أن ثبّت الإغريق (الهللينيون) أقدامهم في قورينائية[3] واستولوا على أخصب أراضيها[4]».

= Mancherster, (1952), P., 2.

(1) كيف ذلك والمصادر المصرية تورد أن عِماد الجيش المصري منذ زمن بسماتيك الأول 663 ـ 609 ق. م، كان من المرتزقة الهللينيين هذا أولاً، وثانياً نُرَجح أن العناصر الهللينية الوافدة مؤخراً على قوريني كانت من الكثرة بحيث تمكنت بها أو معها التغلب على الجيش المصري الذي لا يُشك في أنه قد انضمت إليه عناصر من قبيلة الملك أديكران الذي استنجد بهم، ثالثاً لا بد وأن أولئك الهللينيون كانت تربطهم علاقات طيبة بقبائل الجيلجماي سكان الجزء الشرقي من الإقليم حيث يقع نبع تستيس، إذ هناك ذكر لزواج أحد الهللينيين قوريني من ابنة ملك أو زعيم ايراسا، فسمحوا لهم بعبور أراضيهم إذا لم نقل تحالفوا معهم، وعليه ربما عسكروا بها، لمباغتة الجيش المصري القادم من الشرق وعلى ذلك ربما أيضاً تكون المباغتة السبب الأول في هزيمة الجيش المصري تلك.
رابعاً في حال صدق هذا الإستنتاج، نرى من جهة أخرى المدى الشاسع من الفرقة التي كانت سائدة بين القبائل الليبية وقلة إتحادها وهو ما يُرَجح من جانب آخر، أن تهجير الجيلجماي للهللينيين من ازيريس إلى قوريني كان بدافع انتقامي بين تلك القبائل.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، **المرجع السابق**، ص 58.

(3) قورينائية الاسم الذي أطلقه الرومان على الإقليم، وبالتحديد حوالي سنة 74 ق. م وذلك اشتقاقاً من قوريني، كبرى مدن ذلك الإقليم، الذي حدده الدستور البطلمي S.E.G. IX, 1 بالمنطقة الممتدة من السلوم Καταβαοιμας شرقاً إلى العقيلة Μαλακος غرباً، وقد أعاد هذا المصطلح للحياة في عصرنا الحاضر كُتّاب وروّاد مؤرخو الشعوب الأوروبية، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Encyclopaedia Britannica, (Chicago, 1963), P., 950;

رجب الأثرم، **محاضرات في تاريخ ليبيا القديم**، ص ص 12 وما بعدها.

(4) رجب الأثرم، **تاريخ برقة السياسي والاقتصادي**، ص 124.

وعلى ذلك فإن (حكم باتوس الثاني) يكون قد تميز بأربعة ظواهر رئيسية هي: -

أولاً: - أن زيادة عدد القوريناثيين زيادة كبيرة دعمت مركز قوريني.

ثانياً: - أن القوريناثيين لم يعودوا يتكونون من مواطنين ثيرانيين فقط.

ثالثاً: - امتداد سيطرة قوريني على معظم إقليم قوريني.

رابعاً: - بداية العداء بين الإغريق [الهللينيين] والقبائل الليبية[1]».

أركسيلاوس (الثاني) Αρκεσιος (Δευτερος) 570 - 550 ق. م:

ثالث ملوك الأسرة الباتية في قوريني وقد لقب بالصعب Ο Χαλεπος، حكم مدة عشرين عاماً تقريباً، عاصر في بعضها إيريس وفي بعضها الآخر أماسيس[2].

وتدل الأحداث المعاصرة له على أن المدينة (قوريني كانت قد احتذت في تكوينها الدستوري حذو المدن الهللينية الأخرى خاصة بالطون الأم، فقام نزاع حاد بينه وبين إخوته طبقاً لما يورده هيرودوتس[3]، أفضى إلى نزوحهم

(1) المرجع نفسه، ص 36.

(2) Rowe A., A History of Ancient cyrenaica, P., 22.

(3) Herod., IV, 160.

من جهة أخرى، هذا الحدث الذي يمكن اعتباره أولى مراحل انهيار الحكم الملكي أو الباني في قوريني، كأداة حكم، فإنه من جهة أخرى ذو دلالات عدة لعل منها وكما قال البعض، أنها انعكاس واضح لصراع ارستقراطية جديدة، ضد أرستقراطيين قدماء بغية تولي مناصب سياسية في المدينة، عجزوا عن الوصول إليها، فهددوا بمغادرة المدينة وقد فعلوا بالإنضمام إلى تلك المدينة، الذي رحبوا بهم، ويستدل على ذلك بأنه كيف يكون بإمكان هؤلاء الغاضبين إنشاء مدينة في فترة قصيرة من الزمن (رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 37 هامش (2) ثم التمكن بالتصدي للهجوم الذي قاده الملك اركسيلاوس (الثاني) ضدهم بل وإلحاق الهزيمة بجيشه الذي قتل فيه في معركة ليكون سبعة الآف جندي ثقيلي العدة (Herod., IV, 160) ومن ذلك نخلص إلى أن حكم قوريني في هذا الوقت كان حكماً أوليجاركياً (حكم جزء من طبقة). =

باتجاه الغرب حيث قاموا بتأسيس مدينة برقة Βαρκν مستعينين في ذلك بتعاون القبائل الليبية القاطنة حيث برقة ـ معهم.

ومما يشير إلى اضمحلال العهد الملكي في قوريني وانكفاء البيت الحاكم على نفسه في هذا الوقت أن اركسيلاوس (الثاني) عقب هزيمته في ليكون Λευκωνι بقليل وإصابته بمرض، تم اغتياله على يد أحد إخوته في محاولة من هذا الأخير لاغتصاب العرش[1].

باتوس (الثالث) (Τριτος) Βαττος 550 ـ 527 ق. م:

ابن للملك السابق أركسيلاوس، وقد لُقب بالأعرج Ο Χωλος حكم قوريني مدة ثلاث وعشرين سنة، عاصر فيها فترة حكم الفرعون أماسيس في

= كما حاولت القبائل الليبية الاستفادة من تلك الأوضاع باستقطاب العنصر المتضرر لمحاربة المستبد، كما نرجح أن أولئك الفارين من مدينة قوريني إلى برقة، لم يكونوا أخوة الملك، وإطلاق هيرودوتس لتلك الصفة عليهم ربما، لا تتعدى كونهم أواصر قرابة واحدة خاصة بعد «تعدد جنسيات» المهاجرين إلى قوريني في عصر باتوس (الثاني)، وعلى ذلك ربما يكون أولئك المهاجرين من الهلليين أبناء النساء الليبيات وبالتالي يكونون قد لجأوا إلى أخوالهم وبني عمومة أمهاتهم الليبيين، فوجدوا لديهم كل ترحاب، وبذلك يصدق أكثر قول هيرودوتس [IV, 160] أنهم حاولوا في ليوكن أخذ الثأر لمعركة تستيس، من جانب آخر، لما كان هيرودوتس يُسجل الأحداث كما يسمعها، ولما كان قد كتب تأريخه ذاك بعد فترة طويلة من وقوع تلك الأحداث، ألا يمكن أن تكون رواية وُضعت لاحقاً من قبل سكان قوريني، وأسمعها لهيرودوتس من يهمه أمر أن ترتبط مدينة برقة بقوريني وأن تُسيطر عليها خاصة، وكما سيتضح فيما بعد، أن أمر تلك السيطرة كانت محور أكثر من احتكاك بين المدينتين؟.

(1) ذلك لأن هذا الأخ والذي يُسمى هاليارخوس ΙλαρΧος كان وصياً على وريث العرش ابن اركسيلاوس (الثاني) صغير السن، هذا ومن جهة أخرى لم يرد اسم هاليارخوس بين أسماء الأخوة الذين انشقوا عن اركسيلاوس (الثاني) إلى برقة وهم بيرسيوس Περσιος وارستوميدون Αριστοδνμος وليكوس Δυκος وزاكنثو Ζακνθινος وقد حالت أرملة اركسيلاوس (الثاني) دون تحقيق غاية هاليا رخوس بقتله.

مصر[1]، ويُعتقد أن طول مدة حكمه مردها لتوليه شؤون العرش صغير السن، ثم تأمينه لعلاقات جيدة بجيرانه، إذ يذكر أنه قام بالاتصال بالفراعنة في مصر بغية الحصول منهم على اعتراف بسيادته على قوريني[2] وهو الأمر الذي يوحي بفقدانه الشرعية لسبب من الأسباب، والتي ربما انعكست مظاهرها في استدعاء المشرِّعين «إذ لما اشتد الصراع بين الملكية ممثلة في الملك باتوس (الثالث) والارستقراطية ممثلة في أخوته وبين أهل ثيرا الذين استأثروا بكل الامتيازات والإغريق [الهللينيين] الوافدين إلى قوريني احتكم أهلها لوحي دلفي، وإطاعة لهذا الوحي تمت الاستعانة بالمشَّرع ديموناكس Δημωνας ليحاول إيجاد مصالحة بين تلك العناصر[3]».

ويذكر هيرودوتس[4] أن هذا المشرع[5] حينما وصل قوريني، ووقف على أحوالها قام بتوزيع سكانها إلى عدد ثلاث قبائل كانت كالتالي: ـ تتألف الأولى من المهاجرين الثيرانيين والبري أويكوى Οι Περιοκοι، والثانية من البلوبونيسيين والكريتيين Κρητων والثالثة من المهاجرين من الجزر الأخرى، ثم قلَّص اختصاصات الملك إذ خصَّه ببعض الأملاك[6]، كما خصَّه ببعض المهام الكهنوتية المعينة[7]، وبالتالي أباح لبقية السكان التصرف في

(1) Rowe A., **OP. Cit.**, P., 24;
محمد عبد القادر حاتم، المرجع السابق، ص 61.

(2) Rowe A., **OP. Cit.**; Ure P.N., **OP. Cit.**, P., 111.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 58.

(4) Herod., IV, 161.

(5) ديموناكس من مدينة مانتينيا في إقليم اركاديا Μαντινεην τνς Αρκασων بشبه جزيرة البلوبونيس، وهو إقليم مشهور بالمشرعين.

(6) يرى رجب الأثرم، **تاريخ برقة السياسي والاقتصادي**، ص 38؛ **محاضرات في تاريخ ليبيا القديم**، ص ص 113، 144، 145، إن تلك الأملاك ربما كانت الأراضي التي أشرف عليها الداميورجوي فيما بعد، إذ لم تظهر هذه الوظيفة إلا في العصر اللاحق الملكي.

(7) تمثلت تلك المهام في إقامة أعياد التقديس وقيادة الركب المقدس للإله أبوللو.

بعض الامتيازات التي كانت مقصورة على الملوك فقط حتى ذلك الوقت[1].

وإذا كان الانطباع العام عن تلك التشريعات يوحي بأن مشاكل المدينة كانت في هذا الوقت عرقية بالدرجة الأولى «واختلال ميزان بنيتها المدنية أكثر من مشكلة في تفاوت توزيع الثروات فيها[2]»، فإن الباحثين تناولوا هذه التشريعات بشيء من الشرح والنقد، خاصة ما يتعلق منها بطبقة البيري أويكوى Οι Περιοκοι.

قال بعضهم أن هذه الطبقة قُصد بها أبناء الهللينيين من نساء ليبيات والليبيين المتهللينيين [المتأغريقين]، أي الذين ساهموا مع المستوطنين الأوائل في إعمار وتشييد المدينة[3]، ويُضيف البعض الآخر إلى ذلك أنهم أولئك الذين طُردوا من المدينة من الليبيين، وتم الاستيلاء على أراضيهم عندما ازداد عدد المهاجرين في عهد الملك باتوس (الثاني)[4].

يرفض شامو ذلك[5]، ويورد تفنيداً لذلك عدد من الحجج أهمها أن الهللينيين لا يدخلون في عِداد مواطنيهم العناصر غير الهللينية أولاً، ثانياً لو حدث مثل ذلك الأمر لكانت مخلفات المدينة الأثرية قد بينت ذلك، وهو [شامو] يستند في ذلك القول الأخير إلى قلة النقوش المعثور عليها بالمدينة،

---

(1) لا يعني هذا القول أن المدينة قد عرفت النظام الديمقراطي، فذلك أمر لم يتم إلا في عهد متأخر لهذا الزمن، ويُعتقد بأن المقصود بذلك الطبقة الارستقراطية التي انتصرت بتشريعات ديموناكس هذه في صِراعها ضد الملكية، للمزيد انظر، رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 98 هامش (4)؛ تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، ص 38 هامش (2).

(2) شامو، المرجع السابق، ص 177.

(3) Jones A.M.H., **Cities of the Eastern Roman Provinces**, P., 353; Myres J.L., "The Coloinial Expansion of Greece", Chapter XXV, **C.A.H.III.**, P., 668.

مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 132.

(4) علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 41 هامش (2).

(5) المرجع السابق، ص ص 277 وما بعدها.

والتي يرد بها أسماء ليبية، وعلل أيضاً إن وجود تلك الأسماء القليلة أم إن أصحابها قد حصلوا على حق المواطنة في قوريني كامتياز شخصي لا يُعتد به، أو أن تلك الأسماء لا تعدو كونها كنية أو صفة لا غير.

وهذا القول لا يعتد به كثيراً الآن، أولاً وكما رأى بعض المتخصصين[1]، إن مدينة قوريني كانت مستوطنة زراعية بالدرجة الأولى، وقامت منذ نشأتها الهللينية على التعاون بين أولئك المهاجرين وبين الليبيين الذين يذكر هيرودوتس[2] إن لهم «طبقة» بيري أويكوى Οἱ Περι οικοι Λιβυες، استولى عليها الهللينيون.

واستناداً إلى قول هيرودوتس الأخير هذا، يمكن اعتبار الأشكال حول مَنْ هم البيري أويكوى؟ قد انتهى، فهم الليبيون من سكان قوريني أو ما جاورها طردهم الهللينيون من أراضيهم، بعد أن استولوا عليها.

ومع ذلك يمكن إضافة بعض الملاحظات الأخرى لتفنيد رأي شامو ذاك، ومنها إذا كان البيري أويكوى في المدن الأخرى التي وجدوا فيها قد عوملوا معاملة الحلفاء[3] كما في أسبرطة مثلاً، فلماذا لا يمكن القول بأن ديموناكس Δημωνας قد وضع الليبيين الذين طردوا من المدينة إلى ريفها[4]، أو غيره موضع الحلفاء، على الأقل قبيلة الاسبوستاي

---

(1) رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 38 هامش (1)؛ محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ص 113 هامش (30).

(2) Herod., IV. 150.

(3) يُقصد بلفظ البيري أويكوى سكان الريف [المحيطون بالمدينة] ويتجمعون في تجمعات ريفية ويتمتعون بوضع مدني أقل من وضع المواطنين الكاملين حلفاء أو تابعين وقد وجدت مثل هذه الطبقة إضافة لأسبرطة، في آليس وآرجوس وتساليا وكريت، انظر للمزيد شامو، المرجع السابق، ص 275 ;Rowe A., OP. Cit., P., 25 مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص 123 وما بعدها.

(4) بالرغم من أن الأراضي الصالحة للزراعة شائعة، وعلى الرغم أيضاً أنه لا يعرف المقدار المحدد الذي يقاس به انتماء الفرد لهذه الطبقة أو تلك ولكن استناداً إلى =

"Aσβνστα" التي تهللننت [تأغرقت][1]، وبالتالي يكون ذلك المشرّع بذلك الإجراء قد هدف إلى إحقاق الحق أولاً، فهم أصحاب الأرض، على الأقل ملكيتهم لها سابقة، وساهموا مع الهللينيين في تشييد المدينة وأصبحت تربطهم ببعض صلة قرابة دموية بزواج بناتهم من الهللينيين الأوائل، ثانياً وعلى ضوء ما سبق ربما كان من هاجر إلى برقة هم من تلك الطائفة، وتم إدخالهم ضمن الطبقة الأولى محاولاً منع نقمتهم، وبالتالي يكون من جهة أخرى قد عالج إشكال سياسي آخر وهو صراع الارستقراطية مع الأولبجاركية.

أما عن قوله [شامو] عدم العثور على أي نقوش تحوي أسماء ليبية، فأن ذلك ربما كان يصدر حينما تناول هذا الموضوع منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، أما الآن فإن الكم الهائل من تلك النقوش التي عُثر عليها بمدينة (شحات) فقط إضافة إلى شواهد القبور الحاوية لأسماء ليبية صرفة وجدت منقوشة إلى جانب أسماء هللينية أخرى خالصة يبطل تلك الحجة، ذلك إضافة للعديد من التماثيل النصفية ذات السنحة الليبية خاصة في ملامح الوجه أو اللباس أو طريقة تصفيف الشعر، مما يرجح أنها نُحتت بأيدي ليبية أيضاً[2].

كل ذلك يضاف إليه ما قاله بعض الباحثين من ضمن دلائل مشاركة

= الدراسات التي أثبتت وجود آثار الليبيين جنوب أقليم قورينائية، فإنه بالإمكان القول أن جميع الأراضي الزراعية قد تم الاستيلاء عليها، وأن نزوح القبائل الليبية نحو الجنوب كان كبيراً، مما يوحي من جهة أخرى بأن الاقطاعيات الزراعية كانت كبيرة، للمزيد انظر: ـ

Goodchild R.G., :Libyan Forts in South west Cyrenuica", **Antiquity, XXV,** (1951) PP., 131 FF.

(1) Herod., IV, 170.

رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 303.

(2) قامت الباحثة جويس رينولدز Joyce Reynolds والدكتور فضل علي محمد، ببحث عن الأسماء الليبية في النقوش الهللينية في منطقة كرسة بين الأثرون ودرنة. مقالة مطبوعة وتحت النشر.

الليبيين القوية كالصيام والأعياد التي تقام للألهة إيزيس أو تحريم أكل لحم البقر أو الخنزير كما يضيف هؤلاء أن جوهر عبادة الإله ابوللو كانت ليبية، كذلك الإله آمون أو زيوس آمون(1) Ζευς "Αμμων.

أركسيلاوس (الثالث) Αρκεσιλαος (Τριτος)" 527 (؟) ـ 519 ق. م:

سادس ملوك الأسرة الباتية في قوريني، ابن لباتوس (الثالث) من زوجته فرتيمي Φερτιμη وقد عاصر أربعة ملوك من مصر(2)، وذلك على الرغم من قِصر مدة حكمه(3).

نظراً لنوايا يبدو أن أركسيلاوس هذا كان قد كتمها، قبل ذلك بنفسه قد قام بمحاولتين عقب توليه العرش لإعادة الامتيازات الخاصة بالحكم الفردي والتي كان قد تمتع بها أجداده، وذلك قبل أن تُقلص زمن والده بتشريعات ديموناكس المانتيني السالفة الذكر.

وإزاء المعارضة التي لقيها من الارستقراطية، خصوم الملكية، في صد تلك الرغبة، قام بتزعم حزب من عامة المدينة(4)، ولكنه رغم ذلك فشل مما اضطره إلى الهرب وربما النفي إلى ساموس، كما لجأت أمه فرتيمي إلى الملك أفلثون Ευελθων" في سيلاميس بقبرص(5) وعلى ذلك يُصنف فشل

---

(1) محمد بازامة، المرجع السابق، ص ص 76 وما بعدها.

(2) تزامن حكم هذا الملك في قوريني مع الفراعنة أماسيس الذي توفى سنة 525 ق. م وبسماتيك الثالث الذي حكم لعدة أشهر من سنة 525 ق. م، وعاصر كمبيز (الثاني) الذي فتح مصر في تلك السنة أيضاً كما شاطر داريوس (الأول) في سني حكمه الأولى ـ للمزيد راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 27 وما بعدها.

(3) عن تحديد تلك المدة انظر الفصل الثالث، الباب الثاني، صفحة 283 وما بعدها.

(4) Noshy I., "Arcesilaus III", in **Libya in History,** Historical conference Benghazi, 1968, Benghazi - Beyrouth S.d, (1971), P., 86;

مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 135.

(5) =Herod., IV, 162.

محاولته الأولى، ليبدأ الثانية.

وإذا كان سوف يتم التطرق للإجابة على التساؤل القائل، لماذا لجأ اركسيلاوس (الثالث) وأمه إلى أولئك دون سواهم في غير هذا المحل[1]، فإن السؤال المُلح هنا هو لماذا لم نسمع بأي نشاط سياسي سابق لفرتيمي زمن زوجها [باتوس (الثالث)] ولما كان مثل هذا الأمر على ما يبدو لم يلفت انتباه أحد، فإن الإجابة لعلها تكمن في قوة شخصية ذلك الملك، وسيطرته التامة على مجريات الأمور، ثم أن تشريعات ديموناكس لا يزال التمسك بأهدابها قوياً.

وإذا كانت فرتيمي، حسب الرأي السائد[2]، قد عادت من سيلاميس Σαλαμης بمغزل ذهب وبعض خيوط الصوف، فإن ابنها في ساموس Σαμος قد تمكن من تجنيد جيش، اختلفت الأبحاث التاريخية بشأن جنيسته، إذ رأى البعض[3] أنه كان من القورينيين المنفيين إلى تلك الجزيرة، في حين رأى البعض الآخر[4]، أنه تكوَّن من فقراء جزيرة ساموس، انخرطوا فيه كجنود مرتزقة، وهذا أدعى للاعتقاد وذلك، وكما ذكر البعض[5] أن

= من جهة يرى بعض الباحثين أن إدخال ساموس ضمن أحداث أسطورة النزوح من ثيرا إلى قوريني كانت منبثقة عن هذه العلاقات وغيرها، التي قامت بين قوريني وساموس، وهو ما يرجح أن الأسطورة أو الرواية تم تدوينها في وقت متأخر عن تأسيس المدينة للمزيد انظر: ـ

Herod, IV, 152; Ure M.A., OP. Cit., PP., 110 FF;

إبراهيم نصحي، المرجع السابق، 39 هامش؛ شامو، المرجع السابق، ص ص 123 وما بعدها.

(1) انظر الفصل الثالث، الباب الثاني، صفحة 283.

(2) Herod., IV, 162; Mitchell B.M., "Cyrene and Persia" J.H.S., 86, (1966), PP., 99 FF.

(3) Rowe A., OP. Cit., P., 26.

(4) شامو، المرجع السابق، ص ص 193 ـ 194.

(5) رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 97، من جهة أخرى أن وعد أركسيلاوس لجنوده بإقطاعهم الأرض دون سواها من الأجر لهو من الأمور التي تُشير إلى أن مستوطنة =

إعطاء اركسيلاوس (الثالث) الوعد لأولئك الجنود بأراضي في المدينة في حال فوزه يدل على أنهم لم يكونوا من المنفيين القورينيين، الذين لو كانوا كذلك لكان اركسيلاوس (الثالث) قد وعدهم بالعودة إلى وطنهم أو بالتغاضي عن سبب نفيهم.

هنا نجد ثغرة أخرى واسعة في تاريخ هذه المدينة، يتمثل سدُها في المقدرة على إجابة التساؤلات التالية، مَنْ قام بطرد أو نفي أركسيلاوس (الثالث) وأمه من المدينة، ومن تولى الحكم فيها بعد طردهما أو نفيهما، وهل كانت فرتيمي شريكة لابنها في الحكم وهل نحن بصدد ثورة من نوع ما ضد الحكم الملكي، ويعني هروب أو نفي اركسيلاوس (الثالث) سقوط الملكية، وإذا كان كذلك ما نوع الحكم البديل، وما هي المدة التي مكثها اركسيلاوس (الثالث) طريداً، وبالتالي مدة ذلك النظام البديل[1].

والمتواتر من الروايات أن اركسيلاوس (الثالث) عندما وجد نفسه على درجة تُمكنه من التصدي لمعارضيه في قوريني، قام بزيارة لمعبد الإله أبوللو في دلفي للاستفسار من وحيه عن الأمر[2]، ثم عاد إلى المدينة زاحفاً عليها،

= قوريني كانت زراعية بالدرجة الأولى، يقوم الإقطاع فيها على الأراضي دون غيرها، للمزيد انظر: المرجع السابق، نفس المكان.

(1) حاول بعض الباحثين التأكيد على أن مدينة قوريني، كانت قد احتذت في تكوينها الدستوري المراحل التي عرفتها المدن الهللينية الأخرى كمجلس الشيوخ Τερουσια وهيئة الايفوري «الخمسة» Epheroi ومجلس الشورى Βουλη ولما كانت هذه الدراسة لا تتناول التاريخ الدستوري للمدينة فإنه يُكتفى بالقول هنا أن وجود مثل تلك الهيئات ـ وإن كان وجود بعضها لم يتأكد إلا متأخراً ـ ربما كان هو من قام بسد ذلك الفراغ الذي خلَّفه خروج اركسيلاوس (الثالث) وأمه، عن تلك المجالس انظر: ـ .
S.E.G.IX, 1; Marinelli O., "Acura di" **La Cirenaica, Geografica, Economica, Politica,** (Milano, 1922, PP.,
مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص 124 وما بعدها؛ شامو المرجع السابق، ص ص 193 وما بعدها.

(2) =Herod., IV, 163; Rowe A., **OP. Cit.**, P., 26; Noshy I, **OP. Cit.** P., 53.

حيث تمكن من إحراز انتصار على أعدائه مكنّه من أن ينفي بعضهم خارج المدينة، كما نفى بعضهم إلى جزيرة قبرص Κυπος، كما طارد منهم من لجأ إلى ريف المدينة فقام بهدم حصونهم هناك وتخريب أراضيهم.

واستناداً إلى ما سبق ذكره، وإلى ما ذكره هيرودوتس[1]، فأنه في هذه الأثناء كان كمبيز (الثاني) قد تمكن من فتح مصر وإخضاعها للامبراطورية الفارسية الأخمينية[2]، فقام اركسيلاوس (الثالث) بإعلان خضوعه لهم، وقبوله بفرض الجزية على نفسه كتابع لتلك الامبراطورية.

والسؤال الآن هل أعلن اركسيلاوس (الثالث) اعترافه ذاك وهو في ساموس أم وهو في قوريني؟ وإذا كان أكثر القول يميل إلى ترجيح أن الفرس لا يُمكنهم قبول اعتراف ملك بلا ملكة، كما أنه «لا يمكن لاركسيلاوس اتخاذ مثل هذا القرار المسؤول إلا بعد ما صار سيد المدينة المطلق، أي بعد عودته من منفاه في جزيرة ساموس[3]».

فإن التساؤل الآخر والمترتب على ما سبق، هل الاعتراف بالتبعية للامبراطورية الفارسية كان قبل قيامه بأعماله الانتقامية تلك ضد أعدائه في قوريني أم بعدها؟.

والمرجح هنا أيضاً أن ذلك الاعتراف كان بقوريني وقد صدر عنه عقب

= هذا وقد ردت عليه كاهنة المعبد بأن أسرة باتوس ستحكم مدينة قوريني لمدة ثمانية أجيال، كما تنبأت له بالعودة إلى وطنه محذِّرة إياه من التمادي في القسوة عند معاقبته لخصومه وإن فعل عليه ألا يدخل المدينة المُحاطة بالمياه، من جهة أخرى لعله قام بتلك الزيارة بغية الحصول منه على نبوءة تكون عضداً له ودعامة نفسية تُمكنه من التصدي لأعدائه وتفت في عضدهم «حرب إعلامية نفسية».

(1) Herod., IV, 164;
رجب الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، ص 87.

(2) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 27 وما بعدها.

(3) شامو، المرجع السابق، ص 197.

وصوله إليها مباشرة[1] وذلك لأكثر من غاية، أولاً لأنه [اركسيلاوس (الثالث)] في وضعه المهتز ذاك لا يُمكنه محاربة أكثر من جبهة، وهما الإثنان لا يمكن الاستهانة بهما، فالارستقراطية الراكنة أو المعتمدة على تشريعات ديموناكس، رأينا قوتها منذ قليل والجبهة الفارسية التي ما كان لهم [الفرس] أن يقفوا على مشارف ليبيا ينظرون إلى أقوى مدنها بما تملكه من مقدرات اقتصادية ضخمة وهي تمر بمرحلة من الاضطراب عنيفة ويغضون النظر مع ما يعتمل في نفوسهم من حمى السيطرة على العالم المعروف آنذاك ألم يكن كمبيز (الثاني) يرغب في الوصول إلى قرطاجة[2] ΚαρΧηδων

وعليه فأن اركسيلاوس (الثالث) يكون قد سارع بإعلان تبعيته تلك عقب وصوله قوريني مباشرة وعقب فتح الفرس لمصر، وبذلك يكون قد ضمن إحدى الجبهتين إن لم نقل أنه نقل أحدهما ضد الأخرى، وهذا الأمر الأخير وإن لم يظهر في هذا الوقت ربما نظراً لظروف كمبيز (الثاني) في هذا الوقت أيضاً، فأنها ظهرت بجلاء فيما بعد.

وإذا لم ينكر كمبيز (الثاني) ذلك الاعتراف بالخضوع، رغم قلة الجزية التي قبل اركسيلاوس (الثالث) أن يرسلها سنوياً للفرس[3] والتي كانت خمسمائة مناً فضية Μνεας فأن مظاهر ذلك القبول إرساله للسيدة لاديكي[4]

---

(1) Mitchell. B.M., OP. Cit., P., 101.

ترى ذلك الاعتراف كان أول ارتقاء اركسيلاوس إلى العرش وقبل أن يُطرد أو يُنفى إلى ساموس، ولما كان الترتيب العام للأحداث يُشير إلى أن الاعتراف كان عقب عودته من ساموس فأنه إضافة إلى تبني هذا الرأي سوف يتم تداول هذه النقطة مع غيرها بشيء من التفصيل في الفصل الثالث من الباب الثاني.

(2) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 31 وما بعدها.

(3) Herod., III, 13; Laronde A., Cyrene Sous les Derniers Batliades, in **Cirene Storia, Mito, Letteratura,** (Urbino, 1988), P., 38.

(4) كان من أحد مظاهر تقرب أماسيس من الهللينيين زواجه من لاديكي التي يُعتقد بأنها=

Ααδικη «معزَّزة» إلى موطنها قوريني.

وبذلك يكون كمبيز (الثاني) قد قبل بذلك منذ البداية، غاضاً الطرف عن الحل العسكري لأن [كمبيز] كان يمر في مصر ببعض الظروف الحرجة التي تتطلب استتباب أمر الفتح الفارسي لمصر وإقراره، ثم انشغاله من جهة أخرى بالحملة ضد أثيوبية [كوشيا] وضد معبد آمون سيوه[1]، ثم من جهة أخرى، وإن كان هذا القول لا يستند إلى أدلة قوية، إلا أنه يوافق ما يذهب إليه بعض الباحثين في نظرتهم إلى أداة الحكم الفارسية وهو أن أولئك [الفرس] قد أدركوا ما تطمح إليه نفس اركسيلاوس (الثالث) من إقامة نفسه طاغية على المدينة فلم يعارضوا ذلك الاتجاه.

من الدلائل التي تشير إلى سريان تلك الرغبة في نفس اركسيلاوس (الثالث) لجوء Πολυκρατεος طاغية ساموس دون سواه من حكام المدن الهللينية الأخرى[2]، وهو أي بوليكرناتوس كان قد أعلن هو الأخر خضوعه للفرس[3]، وربما كان ذلك الإعلان بالخضوع قد حدث وأركسيلاوس (الثالث) نزيل بضيافة ذلك الطاغية ورأى كيف عامله الفرس، مما أوحى له هو الآخر بأن يعلن تبعيته لهم[4].

ثم أن الحكومة التي أقامها [أركسيلاوس (الثالث)] فيما بعد، يبدو أنها

= ابنة باتوس (الثالث) أو أركسيلاوس (الثاني) أو أنها ابنة كريتوبولس أحد ارستقراطيي مدينة قوريني، للمزيد عنها انظر: ـ

Herod., II, 181; Rowe A. **OP. Cit.**, 27.

(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 84.

(2) شامو، المرجع السابق، ص 192.

(3) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 27.

(4) يعارض Noshy I., **OP. Cit.**, P., 87 هذا القول ويرى أن إعلان التبعية للفرس لم تدر بخلد أركسيلاوس (الثالث) إلا عند فتحهم لمصر «لدفع عدوانهم عن ملكه ولدعم عرشه المهتز».

كانت حكومة طغاة مُقنعة، بدليل إنها لم تتردد في استخدام العنف مع معارضيها، فأركسيلاوس كان قد خُلع وتمكن من استرداد عرشه بوسائل الطغاة وحكم كطاغية[1] وإن كان ذلك لم يتضح بصورة جلية بسبب قصر مدة حكمه، إذ حال الموت المفاجيء بينه وبين خلع رداء الملكية والظهور بمظهر الطغاة علانية، وإن كان في كيفية معاقبته لخصومه إشارة واضحة لذلك، من جهة أخرى أن تلك الإشارات التي سقناها للدلالة على إن أركسيلاوس (الثالث) كان يرغب في إقامة حكم الطغاة في قوريني، وهو ما أكدته بعض المصادر القديمة أيضاً[2]، لا يقلل منها وجود هيئات سياسية كالتي ذكرها هيرودوتس إذ قال بأن فرتيمي كانت تقوم بإدارتها[3]، فهذه أيضاً يمكن القول بأنها كانت مؤسسات دستورية شكلية، فُرّغت من محتواها، إذ تم الاستحواذ عليها بتوزيعها بين أفراد العائلة، فكانت بذلك المدينة تمر بديموقراطية شكلية أو مقنعة، أي ديكتاتورية في مظهر ديموقراطي، في انتظار خطوة قادمة للإفصاح وهو ما حال دونه الموت المفاجيء. وهنا من جهة أخرى إذا صدق ذلك الاستنتاج يكون أركسيلاوس (الثالث) قد حقق شيئاً من أهدافه التي فر من أجلها منذ بداية توليه العرش[4].

(1) رجب الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، ص 39 هامش (2)؛ شامو المرجع السابق، ص ص 191 ـ 192.

(2) Diod., VIII, 30; علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 43 هامش.

(3) Herod., IV, 165; من جهة أخرى يرى علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 43 أن مجلس البولي الذي كانت تُديره فرتيمي، يُشبه مجلس الشورى الديموقراطي الأثيني ذو الخمسمائة عضو، وقد ظهر في قوريني نتيجة ثورة ديموقراطية على الحزب الأوليجاري المتسلط، ذلك في حين يرى شامو، المرجع السابق، ص ص 179 وما بعدها؛ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص 125 ـ 126، أن هيرودوتس لا يعني ما قال، وإنما كان يقصد بذلك مجلس الشيوخ.

(4) إذا كان تحقيق اركسيلاوس (الثالث) لأهدافه تلك أو شيء منها يعني من جهة إحباط تشريعات ديموناكس فأنه من جهة أخرى يمكن أن نرى في إصرار نقشي لوحة المؤسسين، الذي ثبت اركولوجياً عودته للقرن الرابع قبل الميلاد، على أن يتمتع =

هذا من جانب، من جانب آخر يمكن القول بأنه ما كان له أن يحقق ذلك لولا اعترافه بالتبعية للفرس، هذه التبعية التي تجلّت أهم نتائجها الآن في إطالة عمر الأسرة الباتية في قوريني، فهي على الأقل مكّنت اركسيلاوس (الثالث) من البقاء في الحكم[1]، لينقله من بعده إلى أسلافه، بغض النظر عن شكل أو مدى العلاقة بين الامبراطورية الفارسية وخلفاؤه[2].

من جهة، وعلى صعيد التاريخ الدستوري لقوريني تكون هذه المدينة حتى عهد هذا العاهل، قد عرفت ثلاث أنواع من الحكم، الملكي، الطبقي، الأوليجاركي، الارستقراطي ثم حكم الطغاة[3].

على صعيد آخر يبدو أن النجاح الذي أحرزه أركسيلاوس (الثالث) في قوريني وفي ريفها قد عزز ثقته بنفسه فأراد تأمين جانبه الجنوبي الغربي، حيث المعقل القديم لأعداء الأسرة، فسار إلى برقة Βαρκη ونكّل بأهلها وبسكان إقليمها[4].

«إن أركسيلاوس بفتحه برقة وإساءته معاملة أهلها أوغر صدورهم عليه، وبثقته المفرطة المنبثقة من انتصاراته المتوالية أتاح لخصومه الفرصة لقتله وصهره المسمى الأزير[5]» "Αλαζειρα" ولما كانت فرتيمي، التي ظلت بقوريني طيلة فترة بقاء ابنها ببرقة، تُدير مجلسها البولي Βουλη لا

= الثيرانيين جميعاً في المستوطنة الجديدة قوريني بكافة الحقوق على قدم المساواة قد جاء ذلك انعكاساً لمثل هذه التجاوزات التي أحدثها اركسيلاوس (الثالث)، للمزيد عن لوحة المؤسسين راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 209 من هذا الفصل هامش رقم (1).

(1) Mitchell B.M., **OP. Cit.**, P., 115.

(2) عن تفصيل ذلك انظر: الفصل الثالث، صفحة 287 وما بعدها.

(3) شامو، المرجع السابق، ص 193، مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص 57 وما بعدها.

(4) Herod., IV, 165, 167, 200 FF.

(5) Noshy I., **OP. Cit.**, P., 87.

تستند إلى أي قاعدة إطلاقاً دستورية، ولا شعبية، فأنها في ذلك الموقف لم تجد من ملجأ سوى الفرس، حيث استنجدت بوالي مصر الفارسي، الذي أُرسل عقب ذلك حملة عسكرية ضد برقة وربما قوريني أيضاً[1].

باتوس (الرابع) (Τεταρτος) Βαττος 519 ـ 475 ق. م:

كانت فرتيمي Φερετιμη قد رافقت الحملة الفارسية عقب اندحارها عن برقة إلى قوريني كما واصلت معها المسير إلى مصر، حيث سقطت بعد قليل من ذلك صريعة المرض القاتل[2].

كان الفرس قد عملوا قبل مغادرة مدينة برقة على تنصيب أحد أفراد العائلة الباتية ممن كانوا يمتون بصلة قرابة للملك المقتول[3] ولم يُشارك في تلك الحادثة[4]، نصّبوه ملكاً إقطاعياً على مدينتي قوريني وبرقة، كما أوصوا بكل الممتلكات لفرتيمي[5]، وبذلك أصبح الملك الجديد باتوس (الرابع) هذا يُدين بعرشه لفرتيمي وللجيش الفارسي، وهذا ما يُبطل الرأي القائل بأن مدينة برقة قد دُمرت نهائياً من قبل الفرس في حملتهم تلك[6]. ويبدو أن ما حدث لتلك المدينة أن ذلك العقاب لم يتعد إعدام المعارضين للأسرة الحاكمة والمسؤولين عن مقتل أركسيلاوس (الثالث) وصهره، ونفى البعض

---

(1) انظر تفصيل أحداث تلك الحملة بالباب الثاني، الفصل الثالث، صفحة 261 وما بعدها.

(2) Herod., IV, 205; Thrige J.P., OP. Cit., P., 129.

(3) يذكر شامو، المرجع السابق، ص 213، أنه ابن لاركسيلاوس (الثالث).

(4) Rowe A., OP. Cit., P., 29; Jones A.H.M., OP. Cit., P., 345; Robinson E.S.G., OP. Cit., P., XIV, CLXV; Ure P.N., OP. Cit., P., 110.

(5) Rowe A., Loc. Cit.

(6) Fantoli A., OP. Cit., P., 53. رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 40. محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ص 115، انظر من جهة أخرى، شامو، المرجع السابق، ص 219.

الآخر[1] وهو عِقاب يتضح فيه الأسلوب الفارسي المتبع عادة في مثل هذه الحوادث[2].

ومما يؤكد استمرار المدينة عقب تلك الحملة، إضافة لما سبق، أنها استمرت تمارس دورها السياسي بالأقليم بنفس مقدارها السابق، بل ربما تعاظم ذلك الدور عندما تولت زعامة المدن الهللينية بالأقاليم.

ولما كان هيرودوتس يصمت في تناوله لتاريخ ليبيا عند نهاية عهد اركسيلاوس (الثالث)[3] ولما كانت المصادر الأدبية التي تناولت هذا العهد

---

(1) عن المنفيين من برقة، انظر الفصل الثالث من الباب الثاني، صفحة 269 وما بعدها، وصفحة 295 وما بعدها.

(2) انظر الفصل الثالث، من الباب الثاني، صفحة 269 هامش (4).

(3) ذلك لا يمنع من القول بأنه [هيرودوتس] قد ذكر في بعض الفقرات، 165، 167، 200، 205، من الكتاب الرابع، بعض الأحداث التي وقعت بأقليم قورينائية وأن لم يُحدد الأسماء، كما ذُكر في الفقرة 163 من نفس الكتاب إن وحي دلفي كان قد تنبأ للباتوسيين حكم قوريني لعدد ثمانية أجيال، أربعة منهم باسم باتوس والآخرون باسم أركسيلاوس ولما كان آخر الملوك الباتوسيون قد مات بعد أو حوالى 440 ق. م، ويُعتقد بأن هيرودوتس قد زار قوريني حوالى 443 ق. م، فأن صمته عن تلك الفترة المعاصرة له أذهب الباحثين مذاهب شتى في التعليل، ففسره البعض أن (هيرودوتس) قد كتب كتابه الرابع وفق هدف معين وهو بالإضافة لتأريخ الحروب الفارسية الهللينية، هو أنه أراد إعطاء عبرة بما آل إليه مصير الباتوسيين الذين لم يلتزموا بخط زعيمهم، باتوس الأول أو المؤسس، خاصة وأن زيارته [هيرودوتس] لقوريني جاءت في وقت كانت خواطر سكان المدينة غير هانئة تجاه أولئك الملوك فجاءت معلوماته كلها تبرر الثورة عليهم.

إضافة لذلك يمكن القول أن هذا المؤرخ كان اهتمامه بالدرجة الأولى علاقة الشعوب التي تحدث عنها بالحروب الفارسية الهللينية، فينتهي حيث تقف تلك العلاقة، وإن حاول الإطناب خلال تناوله لتلك العلاقة، حيث ختمها بالمصير المؤلم الذي آلت إليه فرتيمي التي بدأت له صلة الوصل الرئيسية بالفرس.

ثم أن هناك سمة عامة تُلاحظ على هذا المؤرخ، وهي أنه حيال الأسر الحاكمة المعاصرة له، في البلدان التي زارها وكتب عنها، الصمت التام، كما لاحظنا من قبل=

[باتوس (الرابع)] قليلة، إلا أنه رغم ذلك كان قد شهد أحداث جمة(1)، إذ حاول في السنوات الأولى من حكمه (دوريوس(2) Δωριευς) إنشاء مستعمرة هللينية على نهر كينوبس(3) Κινυπος.

ولما كان هذا الملك [باتوس (الرابع)] صنيعة الفرس الأخمينيين، بل جدَّد إعلان خضوعه لهم حسب بعض الآراء(4) ولما كان أولئك الفرس كعائلة حاكمة يمرون في هذا الوقت بفترة تُعتبر من أكثر مراحل تاريخهم ازدهاراً، إذ كانوا يحيون ثمار تنظيمات داريوس (الأول) للامبراطورية(5)، فإن امتناعه [باتوس (الرابع)] عن المشاركة سلباً أو إيجاباً تجاه محاولة دوريوس تلك كان، نابعاً من اتباع سياسة محلية مملية عليه من قبل الفرس، وهذا ما جعل البعض يقول بأنه كان يسير على نهج اركسيلاوس (الثالث) في الحفاظ على علاقات ودية مع جارتيه قرطاجة والامبراطورية

= في مصر والآن في قوريني، وهذا الأمر الأخير لعل مرده لتحاشيه الخوض في تلك الأمور خشية تعرضه لأي عقاب، خاصة وأنه قبل ذلك كان منفي من وطنه لمعارضته حكم الطغاة بها، للمزيد عن ذلك راجع، رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 116 هامش (42)؛

Robinson E.S.G., OP. Cit., P., 355;

Rowe A., OP. Cit., P., 25 note (2); Laronde A., OP. Cit., P.,

(1) شامو، المرجع السابق، ص 225.

(2) دوريوس بن أناكساندريداس Αναξανδριδας" ملك أسبرطة، انشق على أخيه الأكبر ووريث العرش كليو مينيس Κλεσμενης، وحاول إقامة ملك خاص به في ليبيا ولكنه فشل بعد عامين من ذلك، لتضافر القرطاجيين وقبائل المكاي الليبية Μακαι التي نزل بأرضها للحيلولة دون ذلك، يُؤرخ ذلك في الفترة الزمنية ما بين 514 ـ 512 ق. م.

(3) يذكر Herod., IV, 198 عنها أنها أغنى مناطق العالم ويحدِّدها جود شايلد، المرجع السابق، ص 10، بأنها منطقة وادي كعام.

(4) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 60.

(5) راجع الباب الأول، الفصل الأول، صفحة 47.

الفارسية[1]، وعليه يمكن أن نغزو حالة الاستقرار والازدهار اللتين شهدتهما قوريني زمن باتوس (الرابع) لتلك السياسة.

ولما كان هيرودوتس[2] يذكر أن هناك في حملة اكسركسيس (الأول) على المدن الهللينية سنة 480 ق. م، فرقة ليبية يلبس جنودها الملابس الجلدية وأسلحتهم كانت الرماح المُقساة بالنار، ولما كان بلينوس[3] يذكر أن مدينة برقة حوصرت من قبل الفرس مرتين فإنه من المحتمل أن يكون باتوس (الرابع) أو لسبب من الأسباب قام الفرس زمن أكسركسيس (الأول) 486 ـ 465 ق. م وقُبيل حملتهم الثانية على المدن الهللينية بتحصيل جزية برقة «العسكرية» بشكل أوحى لذلك المؤرخ [بلنيوس] بأنها كانت حملة عسكرية ضد المدينة[4].

من جانب آخر نرى أنه في الوقت الذي كان فيه القورينائيون قد أجبروا على الاشتراك في حملة أكسركسيس (الأول) على المدن الهللينية، كانت كمظهر من مظاهر سياسة الفرس الأخمينيين تجاه رعاياهم، خاصة فيما يتعلق منها بالالتزامات المفروض توفيرها وقت النفير ـ نشاطات المدينة الأخرى تسير في مسارها العادي والخاص بها، بل شهدت المدينة خاصة في مجال العمارة والفنون ازدهاراً لم تعرفه في تاريخها السابق، وخير دليل على ذلك منشأتها المعمارية وتماثيلها وآوانيها الفخارية[5].

---

(1) شامو، المرجع السابق، ص 218؛ رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 116؛ تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، ص 41.

Myres J.L., OP. Cit., P, 684.

(2) Herod., VII, 71, 86.

(3) انظر تفصيل ذلك بالباب الثاني، الفصل الثالث، صفحة 292.

(4) انظر تفصيل ذلك بالباب الثاني، الفصل الثالث، صفحة 286، وما بعدها.

(5) من المنشآت المعمارية التي تم تشييدها في هذا الوقت بقوريني كان معبد الإله زيوس الذي يضاهي في حجمه معبدي البارثينيون أو الأوليمبي في أثينة. إضافة إلى التماثيل=

ويَعتقد شامو إن هزيمة أكسركسيس (الأول) في حملته تلك على المدن الهللينية واندحاره في سيلاميس سنة 480 ق. م وبلاتية سنة 479 ق. م، قد وضعت حداً للسيطرة الفارسية على مدن قورينائية، التي تمنّعت على الفرس وراء الصحارى المحيطة بها[1].

أركسيلاوس (الرابع) "Αρκεσιλαος (Τεταρτος) 475 ـ 449 ق. م:

آخر ملوك قوريني من الأسرة الباتوسية، تولى حكم المدينة صغير السن، وذلك استناداً إلى إشادة بنداروس به، من حيث فصاحته وثقب نظره اللذين يتجاوزان سنه الصغير[2].

= العديدة التي عُثر عليها بهذه المدينة والتي كانت لا تقل روعة وجمالاً عما أنتجه فنانو بلاد الهللينيين من أعمال، ومنها على سبيل المثال تماثيل معبد الإله أبوللو وغيره.

هذا ولقد عُثر على العديد من الأواني الفخارية متعددة الأنواع والأشكال، أهمها ما يُعرف باسم الامفورا Amphora كبيرة الحجم، كانت في العادة تُملى بالزيت تحوي سطوحها الخارجية، وهي في الغالب من ذات الصورة السوداء The Black Figured Style والصورة الحمراء The Red Figured Styles رسومات تتمثل في تجسيد مناسبة الفوز، إذ كانت تلك الأواني تُمنح ككؤوس في مناسبات رياضية، .إضافة إلى رسومات بعض الآلهة والشعارات إلى جانب نقوش كتابية، في العادة تحمل اسم الأرخون الذي جرى في عهده السباق، آخر تلك الأواني عُثر عليه بمدينة المرج الأشهر الماضية ويُحتفظ بها في مخازن آثار شحات، وللمزيد عن كل ذلك انظر: ـ

Stucchi S., Cirene 1957- - 1966, un Decennio di Attivita Della Missione Archeologica Itallana A Cirene, Quaderni Dell, Istituto Italiano di Cultura di Tripoli, PP., 5 FF.

(1) في الحقيقة، وكما تأكد بالبحث، لم يكن ذلك استقلالاً، إنما شاءت الظروف التي مر بها الفرس الأخمينيون أن تتراخى مراقبتهم لقوريني وربما لكل الولايات وعند تجاوزهم لتلك الظروف عادوا وبسطوا تلك السيطرة مُجدداً، انظر تفصيل ذلك بالصفحات التالية.

(2) شامو، المرجع السابق، ص 234؛

Row A., OP. Cit., P., 31; Jones A.H.M., OP. Cit., P., 484. note (5).

حكم هذا العاهل المدينة ما يزيد على ثلث قرن من الزمان عاصر بها أواخر عهد أكسركسيس (الأول) 486 ـ 465 ق. م، وشطراً من عهد أرتاكسركسيس (الأول) 465 ـ 421 ق. م.

وقد شهدت المدينة والإقليم خلال فترة حكمه أحداث عديدة، تتعدد بشأنها الآراء، فهو إضافة لحوزه قصب السبق في سباق العربات في الألعاب البيثية[1] في دلفي سنة 462 ق. م وفي أوليمبيا سنة 460 ق. م، كان قد استضاف الشاعر بنداروس Πινδαρος الذي ألف لذلك قصيدتين بوثيتين[2].

واستناداً إلى ما أورده هذا الشاعر في أحد أبيات تلك القصيدتين يبدو أن المدينة قوريني والعائلة الحاكمة بها كانت تمر بظروف غير هانئة، إذ ذكر «أنه من صغائر الأمور أن يهز رجل ضعيف مدينة بأسرها، ولكن إرساءها بعد ذلك على أساس ثابت يحتاج إلى كفاح، إلا إذا وجّه الله يد الحاكم بعون مفاجىء[3]».

ولما كانت بعض الأبحاث[4] تؤكد إن هذا الملك حاول، عقب توليه

---

(1) الألعاب البيثية أو البوثية Pythian Games «كانت تقام مرة كل ثلاث سنوات خلال شهري أغسطس وسبتمبر، وتجري خلالها مباريات في الموسيقى، والغناء، والتمثيل وإلقاء الشعر، والخطابة، إلى جانب المباريات الرياضية، التي من بينها سباق العجلات».

انظر: شامو، المرجع السابق، ص 229 هامش (1)؛ عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ص 116 وما بعدها.

(2) وهما البوثتين الخامسة والرابعة، وعنهما انظر:

The Odes of Pindar, Translation by Sir John Sandys, The loeb Classical Library; Bury J.B., Greek Literature From the Eight Century to the Persian wars, **C.A.H.IV,** Chapter XIV, PP., 513 FF;

شامو، المرجع السابق، ص ص 220 وما بعدها؛ محمد بازامة، المرجع السابق، ص ص 52 وما بعدها.

(3) جود شايلد، المرجع السابق، ص 25.

(4) Rowe A., OP. Cit., P., 31.

العرش إقامة نفسه طاغية على المدينة قوريني، مما نتج عنه قيام معارضة الارستقراطيين له، فقام بنفي بعضهم، فإن ما أورده ذلك الشاعر لربما إشارة لتلك القلاقل خاصة وأنه في موضع آخر يُلمِّح [بنداروس] إلى طلب من الملك يرجو فيه العفو عن أحد أصدقائه من نبلاء المدينة الذين تم نفيهم، مُتعهداً له باسمه في حال عودته عدم خوض غمار النشاط السياسي[1].

وإذا كان من المعلوم أن الفرس الأخمينيين كانوا قد تدخلوا إلى جانب أركسيلاوس (الثالث) الذي كانت له نفس المطامع تقريباً[2]، كما كانوا قد قاموا بمساندة باتوس (الرابع) عندما رأوا تقاعس بعض سكان الإقليم عن دفع الجزية بالمشاركة في تعبئة جيوش أكسركسيس (الأول)[3]، فأننا نتساءل هنا لماذا لم يُحرِّك الفرس ساكناً الآن؟ هل الأمر كما يرى شامو إن قوريني كانت في هذا الوقت مُستقلة عن التبعية الفارسية؟.

وللإجابة على ذلك لا بد من إعادة النظر إلى البيت الحاكم الأخميني نفسه الذي كان عقب اغتيال أكسركسيس (الأول) سنة 465 ق. م، قد شهد مرحلة اقتتال أخرى على العرش، نتج عنها أن جلس على سدة العرش في عام واحد ثلاثة أباطرة قبل أن يستقر عليه أرتاأكسركسيس (الأول) 454 ـ 424 ق. م[4]، ثم انصراف الساسة الفرس إضافة إلى التدخل في شئون ومجريات الحروب البلوبونيسية[5]، بأمر إخماد ثورة إيناروس التي قامت في مصر[6].

وعليه لعله وجد أركسيلاوس (الرابع) في تلك الظروف توقيتاً مناسباً

---

(1) شامو، المرجع السابق، ص 244.
(2) راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 230 بهذا الفصل.
(3) انظر تفصيل ذلك، الباب الثاني، الفصل الثالث، صفحة 286 وما بعدها.
(4) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 56 وما بعدها.
(5) عن الحروب البلوبونيسية راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثاني، ص 124 وما بعدها.
(6) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 67 وما بعدها.

لإقامة نفسه طاغية على المدينة قوريني وعلى أقليمها، وأن كان لم يثبت أن عارض الفرس مثل ذلك الاتجاه، ويَستدل بعض الباحثين على سريان تلك الرغبة بنفس ذلك الملك بطلبه للمزيد من المرتزقة الهللينيين الجدد لتوطينهم بمدينة يوسبيريدس[1] Ευεσπεριδας.

وهذا ما يُنافي الرأي القائل بأن تلك الاضطرابات كان سببها ضيق الرقعة الزراعية لعدم مراعاة العدالة في توزيع الأراضي بينهم، وإن طلبه لمزيد من المستوطنين الجدد ليُعزز مركزه في المدينة[2].

وإضافة لما سبق، ولما سيرد بعد ذليل، بخصوص طلب المزيد من المستوطنين الهللينيين الجدد، يمكن القول، أنه طالما لا تسعفنا المصادر بشيء عن حال القبائل الليبية في هذا الوقت، والتي يبدو أنها قد استقر بها المقام في قلاعها وحصونها على حافة الإقليم الخصيب شنَّت الغارات على مدن الإقليم كلما سنحت الفرصة لذلك[3]، يمكن القول، كيف يعمل أركسيلاوس (الرابع) على استجلاب مهاجرين جدد وهو يعاني من توطين السابقين، نظراً لضيق الرقعة الزراعية حسب رأي أولئك المتخصصين.

أما عن مساندة قوريني لثورة إيناروس، التي أكدها بعض الباحثين[4] استناداً إلى فقرة أوردها الشاعر بنداروس في إحدى قصائده سالفة الذكر[5]، وهو الأمر الذي ينفيه شامو[6] الذي يرى فهماً آخراً لما قصده بنداروس في تلك الفقرة.

---

(1) Good Child R.G., Benghazi the story of City, P., 2;

(2) رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 41؛ محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ص 117.

(3) راجع ما سبق ذكره بهذا الفصل، بالصفحة 223 هامش رقم (1).

(4) Rowe A., OP. Cit., P., 35.

(5) Pyth, Ode, IV, 53 FF.

(6) المرجع السابق، ص ص 250 ـ 251.

ولعله [شامو] يكون في ذلك على حق، إذ لو كان أركسيلاوس (الرابع) فعلاً قد ساهم في إمداد ايناروس بالمعونة لكان قد تلقى عِقاباً من الفرس على ذلك عقب إعادة سيطرتهم على مصر، وبالتالي يكون أولئك الجنود الهللينيون الذين لاذوا بالفرار إلى قوريني عقب إلقاء القبض على إيناروس 459 ق. م، ليسوا سوى شراذم من المرتزقة رغبوا في الوصول إلى أحد الموانىء للإقلاع إلى أوطانهم[1].

يعتقد معظم الباحثين أن تعمير أركسيلاوس (الرابع) لمدينة يوسبريدس كان بغية اتخاذها مقراً وملجأً آمناً «ومع أن مدينة برقة كانت أقرب المدن إليه، إلا أنها كانت فالاً سيئاً بالنسبة للأسرة، بينما كانت يوسبريدس على بعد كاف نسبياً، الأمر الذي يوفر له الأمان المنشود[2]»، وذلك لأن قوريني لم تعد آمنة له من وجهة نظر سياسية[3]، ولما كانت جل الأبحاث التاريخية تؤكد أن مدينة قوريني كانت قد تضاءلت، لتزدهر مدينة برقة ويعظم شأنها منذ منتصف القرن الخامس ق. م، وسيطرت على أقليم واسع شمل توخيرا[4].

ولما كانت المنطقة الفاصلة بين برقة ويوسبيريدس تقطنها قبائل البكاليس Βακαλες الليبية، فعليه ربما كان إعادة إعمار مدينة يوسبيريدس، كان بقصد الإطباق على مدينة برقة[5] أو القبائل الليبية، خاصة وأن هذه الأخيرة كانت بعد هذا الوقت قد شنت غارات مُكثَّفة على المدن

(1) المرجع نفسه، ص 250.
(2) رجب الأثرم، المرجع السابق، نفس الصفحة، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، ص 41.
(3) Rowe A., **OP. Cit.**, P., 32.
(4) Naville L., **Les Monnaies D'or Dela Cyrenigue de 450 a 250 vant J.C., Contribution A'lctide des Monnaies Grecques Antiques**, (Geneve, 1951), Passim; Rowe A., **OP. Cit.**, P., 33.
(5) شامو، المرجع السابق، ص 236.

الهللينية خاصة يوسبيريدس[1].

هذا ولقد لَقِيَ أركسيلاوس (الرابع) حتفه بهذه المدينة حسب ما يعتقد[2] وذلك في ثورة شعبية[3]، تحررت بعدها المدن الهللينية حوالي 440 ق. م بأقليم قورينائية من السيطرة المركزية لمدينة قوريني، وأصبحت تلك المدن معظم الوقت في حالة عداء مع بعضها، إذ كانت تتحد سياسياً مع بعضها ضد البعض الآخر وهي أحلاف في الغالب قصيرة الأجل، بُغية السيطرة داخل الأقليم.

هل انتهى العصر الباتي وقوريني فعلاً مدينة مُستقلة عن الفرس، كما يرى شامو؟ الواقع أن الدلائل تُشير إلى أن الولايات بما فيها ليبيا، وكنتاج للسياسة التي اتبعها الفرس تجاهها [الولايات] من حيث إقامتها لعلاقات

---

(1) Jones A.H.M., OP. Cit., PP., 355 FF; Goodchild, Loc. Cit.

(2) ذلك أن شامو، المرجع السابق، ص ص 254 وما بعدها. ذكر أن هيراقليس القنطري الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد أورد فقرة ذكر فيها أن شخص يُدعى باتوس لقي حتفه في يوسبيريدس حيث حُزَّت رأسه وألقيت في البحر، ويعلق شامو على ذلك بأن ذلك الفيلسوف قد أخطأ في إيراد باتوس عوضاً عن اركسيلاوس أو أن باتوس المذكور كان ابناً لأركسيلاوس، وعلى ذلك لم تكن يوسبيريدس محل وفاة آخر الملوك الباتيين.

(3) ويُستدل على ذلك من خلال لُقية أثرية، وهي عبارة عن لوحة برونزية منحوتة نحتاً بارزاً يُعتقد بأنها لرأس أركسيلاوس (الرابع) وذلك بعد تأريخها بطريقة الكربون المشع Archaeological Dating by Radioactive Carbon التي أشارت إلى أنها تعود إلى حوالي 440 ق. م وقد عُثر عليها وقد نزعت عن موضعها بمعبد الإله أبوللو في قوريني وتم طمرها بعد تحطيمها في الأتربة حيث عُثر عليها.
وعلى ضوء تأريخ هذه اللقية، وبناء على ما ذكره هيرودوتس بأن موحي دلفي تنبأ بأن قوريني سيحكمها ثمانية ملوك أربعة منهم يتسمون باسم باتوس والأربعة الآخرون باسم أركسيلاوس إضافة إلى فقرة وردت عند أحد شُراح قصائد بنداروس المجهولين ذكر فيها أن الأسرة الباتوسية حكمت مائتين عام تمَّ تأريخ وتسلسل ملوك تلك الأسرة.

خاصة بها مع غيرها من الولايات والمدن، بما فيها تلك التي حاربت الفرس كأثينة وأسبرطة وتمتعها بالشيء الكثير من الحرية الداخلية، كانت إضافة لذلك تستغل انشغال العواهل عنها بالتقاعس أو المماطلة في دفع أو إرسال الجزية المفروضة عليهم إلى البلاط الفارسي.

ويبدو إن هذا ما قامت به قوريني في هذا الوقت، إذ لا يمكن الركون إلى سكها لعملة جديدة، واستقدام مهاجرين جدد وإنشاء مدينة أو توسيعها بالأقليم كدلائل على الاستقلال عن التبعية الفارسية، فتلك أمور داخلية لم يثبت أن قام الفرس بالتدخل فيها.

ومما يشير إلى صحة هذا الاستنتاج السابق، أن ضمن شروط صلح كالياس الذي عقده الفرس مع الأثينيين سنة 449 ق. م، أن تتخلى أثينة عن التدخل في الولايات الفارسية، وعلى الخصوص مصر وقوريني، والتدخل بعني التحريض على الثورة كما ورد في تاريخ لاحق لذلك أن الفرس قاموا بتجديد حصونهم الواقعة على مشارف ليبيا، كما أجبروا قوريني على دفع الجزية المتأخرة عليها، وذلك حوالي سنة 345 ق. م، وهذا أيضاً ما نجده مستمراً في منحوتاتهم في برسيبوليس إذ ظهر الليبيون في عهود متأخرة عن هذا الوقت وهم يقدمون جزيتهم لملك الملوك الفارسي.

الفصـــل الثانـــي

مـدينة بـرقـة

1 ـ تأسيس المدينة

2 ـ موقع المدينة

3 ـ اقتصاد المدينة

4 ـ ميناء المدينة

مدينة برقة Βαρκη، إحدى المدن الليبية القديمة، لعبت دوراً كبيراً في تاريخ أقليم قورينائية القديم، على الأخص خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد[1]، إذ كانت أعظم مدنه بعد قوريني.

ولما كانت نشأة هذه المدينة قد خلت من الارتباط بأي رواية معينة أو محددة على غرار ما كان في قوريني مثلاً[2]، بل أن ظهورها في تاريخ القرن السادس قبل الميلاد كان أقرب إلى الفجائية، إذ كان أول ذكر تاريخي لها عند هيرودوتس[3] الذي ذكر أن برقة تم أنشاؤها على أيدي أخوة أركسيلاوس (الثاني) 570 ـ 550 ق. م المهاجرين من قوريني، كما ذكر أن اسم تلك المدينة كان ولا يزال برقة Βαρκη فإن كل ذلك جعل الكثير من الباحثين ممن تناولوا تاريخ هذه المدينة يعتقد قدم نشأتها ووجودها على هجرة أولئك الأخوة[4] من قوريني إليها.

وإذا كان شامو[5] قد اعتقد أن لقبيلة الأوسيخساي Αυσχισαι، التي

(1) لا يعني ذلك التحديد الزمني أن برقة تلاشت أهميتها عقب ذلك بل لقد ثبت أن المدينة تزعمت الأقليم سياسياً منذ النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد، كما لعبت دوراً هاماً خلال العصر الإسلامي، وإنما التحديد جاء هنا نظراً للإطار التاريخي أو الزمني للبحث الذي يتناول أحداث القرن السادس والنصف الأول من القرن الخامس ق. م.

(2) راجع ما سبق ذكره بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 209 هامش (1).

(3) Herord., IV, 160.

(4) عن انشقاق أولئك الأخوة راجع ما سبق ذكره بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة .

(5) المرجع السابق، ص 172.

كانت مواطنها حيث أُنشئت برقة[1]، ضلع كبير في ذلك الإنشاء واحتضان أولئك المنشقين الذين عملوا حسب رأي البعض على تحصين المدينة وتطويرها[2]، فأن أبحاث أخرى استناداً إلى مدلول التسمية وأصلها اللغوي أو ركوناً لبعض اللقى الأثرية أو الروايات الأدبية القديمة، عادت بإنشاء أو نشأة برقة إلى فترات موغلة في القدم، أبعد كثيراً من منتصف القرن السادس قبل الميلاد التي قال بها هيرودوتس.

اعتقد ثريدج[3] Thrige، ومن أخذ عنه من الباحثين إن لفظ برقة هلليني الأصل، وإن كان اعتقاده ذاك جاء كتساؤل ودونما شرح أو تدليل إذ قال ولماذا لا يكون هذا الاسم من أصل هلليني؟.

كما قال بعض الباحثين[4] بأصلها الفينيقي، واستند هؤلاء في رأيهم هذا إلى وجود شخصية بركا عند القرطاجيين، والتي جعلوا منها شقيقاً «لديدون» Didon عززوا رأيهم هذا بظهور عائلة القائد هملكاربركا Hamilcar فيما بعد في قرطاجة[5] ΚαρΧηδων.

وقد تصدى لمناقشة هذا القول بعض الباحثين[6]، فأكدوا استبعاد تلك الصلة أولاً لتأخر ظهور هذه العائلة نسبياً عن نشأة برقة المدينة، على الأقل حتى زمن هيرودوتس.

---

(1) مراجع الغناي، دراسة حول مدينة برقة، (مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1975 م)، ص 8، وهو يعتقد إن المدينة تقع في أراضي قبيلة الأسبوستاي، وذلك لأسباب سيتم التطرق إليها في الصفحة رقم 247 من هذا الفصل من البحث. .

(2) الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي ص 37 Bates o., OP Cit., p.230.

(3) OP. Cit., P., 107.

(4) مراجع الغناي، المرجع السابق، ص ص 19 وما بعدها.

(5) ظهر هاملكار بركا.

(6) محمد بازامة، المرجع السابق، ص ص 166 وما بعدها.

وثانياً ربما يكون أقرب إلى الإقناع القول بانتساب تلك العائلة إلى هذه المدينة خاصة وأن هناك رواية تُفيد هذا المجال[1] وأخيراً أنه في الفترة التي كان فيها الفينيقيون Φοινικες يقومون جوالين في حوض البحر المتوسط العربي ناشرين محلاتهم التجارية على معظم سواحله الجنوبية الغربية وفي جزره، كان في ذلك الوقت تقريباً قد ظهرت من ليبيا عائلة حاكمة قوية استطاعت السيطرة على مصر بل والوصول إلى فلسطين[2]، فلا بد والحال هذه إنها حالت دون استيطان فينيقي، لسواحل شرق ليبيا، ولعل هذا ما يؤكده حتى الآن خلو ذلك الساحل تقريباً من وجود أي آثار لاستقرار فينيقي على الرغم من صلاحية معظم تلك الأجزاء للإقامة والاستقرار، وهو من جهة أخرى ما يُرجح أنها كانت مناطق نفوذ للهللينيين، الأمر الذي أدى إلى الاعتقاد بأن إنشاء قوريني «وشقيقاتها» ما كان إلا محاولة من أولئك الهللينيين للحيلولة دون نزول الفينيقيين، القرطاجيين خاصة بتلك الأنحاء[3]، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن، لماذا تأخر ذلك إلى الثلث الأخير من القرن السابع قبل الميلاد؟.

وأزاء ذلك حاول بعض الباحثين[4] تأكيد ليبية نشأة وأصل كلمة برقة وقد استند هؤلاء الباحثون في رأيهم ذاك إلى بعض الأدلة منها الأسطوري

---

(1) تذكر بعض الأبحاث استناداً إلى رواية عن سرفيوس، غير مؤكدة، إن البرقويين عقب حملة الفرس (؟) رحلوا باتجاه الغرب إلى قرطاجة، التي تصدت لهم ولكنها هُزمت أمامهم في موقعتين حربيتين، للمزيد انظر عن ذلك:

Smith and Porcher, **History of the Recent Discoverie sat Cyrene,** (London, 1864), p., 3;

رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 39 هامش (3).

(2) حسين عبد العال مراجع، المرجع السابق، ص ص 147 وما بعدها.

(3) ملخص رأي الأستاذ فانتر في محاضرته التي ألقاها بجامعة قاريونس، بنغازي 1980 م.

(4) محمد بازامة، المرجع السابق، ص ص 186 ـ 187.

ومنها الأدبي إضافة إلى المادي أو الأثري.

فمن الروايات الأدبية ما ذكره سوفوكليس Σοφοκλης الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، من أنه من بين رفقاء البطل أورست Oreste في السباق الأخير إثنان من قواد العربات الليبيين.

وهذا الخبر رغم خلوه من اسم برقة إلا أنه يُشير إلى معرفة الهللينيين الليبيين خاصة إذا سلمنا بأن قبيلة الأوسيخسا التي قامت برقة بأرضها كانت أشهر القبائل الليبية بالخيل وبالعربات، كما تأكد ذلك عنها في وقت لاحق، ذلك على الرغم من معارضة ثريدج[1] Thrige لقول سوفوكليس ذاك.

ومنها أيضاً ما جاء في ملحمة فرجيل VIRGIL الموسومة بالإنيادة Aeneid «أن الغضبى البرقويين كانوا معاصرين لديدون[2] Didon».

وإذا كان ثريدج[3] Thrige يرى أن فرجيل بهذا القول قد وقع في خطأ تاريخي فإنه، أي هذا الخبر وكما جاء على لسان سوفوكليس قبل ذلك، يؤكد هو الآخر وجود أصداء، ولو ميثولوجية، لوجود برقة قبل منتصف القرن السادس قبل الميلاد.

ومن الأساطير ما يذكره ثريدج Thrige أنه قد ورد على لسان سرفيوس Serrvius، الذي كتب في القرن الرابع الميلادي بأنها [برقة] قد سُميت باسم ملكة كانت تحكم البلاد[4]، وهذه الرواية المبتورة، إضافة لحداثتها لا تُعطي دليلاً على أصل تسمية المدينة ولا تاريخ إنشائها.

---

(1) OP. Cit., P., 110.

(2) Virgil, Aeneid, With an English Translation by Fairclough H.R., A I. 22; III. 379; E IV, 47; V. 798; 419; IX 107,+ 419, 815; XII, 147, 150.

(3) Loc. Cit.

(4) Ibid, P., 111

ومن الروايات الميثولوجية أيضاً ما يورده استيفانوس البيزنطي[1] من أن البرقويين كانوا قد تلقوا عن بوسيدون[2] Ποδειδων فن تربية الخيول ودُرِبوا على ساستها وقيادتها من قبل الإلهة أثينة.

أما عن الآثار المادية التي حاول من قال بأصل كلمة برقة الليبي وقِدَم نشأتها عن منتصف القرن السادس قبل الميلاد، هناك اللوح المعروف باسم لوح التحنو[3]، واستناداً إلى ما ورد بذلك اللوح خلص أولئك الباحثون إلى ليبية تسمية برقة بل وقدمها تاريخياً عن القرن السادس قبل الميلاد، ومن ثم كان التفسير لعبارة المؤرخ هيرودوتس «المُسماة آنذاك وحتى الآن برقة»، ولكن نظراً لعدم وجود مؤرخين من بين أبناء هذه المدينة، فأن أحداثها التاريخية واسمها فيما قبل هيرودوتس ظل يكتنفها الغموض[4].

(1) محمد بازامة، المرجع السابق، ص 169.

(2) بوسيدون أحد الآلهة التي عبدها الهللينيون، وهو في المرتبة يلي زيوس كبير الآلهة، يُعبد بوسيدون كإله للبحار والفروسية والغابات، ويَذكر عنه Herod., IV, 50 أن الهللينيين عرفوه عن الليبيين خاصة في مجال الفروسية.

(3) يُعرف هذا اللوح أيضاً باسم قبيلة ليبية أو صلاية الحصون والغنائم، عُثر عليها في أبيدوس عاصمة المقاطعة الثامنة في مملكة الجنوب «العرابة المدفونة» وتُعرض الآن بالمتحف المصري بالقاهرة.
تُنسب هذه الصلاية للملك وازي أو نعرمر من ملوك الأسرة الأولى 3200 ـ 2080 ق. م. ويُرى على أحد وجهي الصلاية ثلاث صفوف من الحمير والضان والثيران ثم صف أشجار يليها علامة فسرها علماء المصريات بأنها اسم التحنو، وعلى الوجه الآخر سُميت سبعة أشكال غير مستقيمة الزوايا والخطوط، هي أقرب إلى المربع تمثل مدناً أو حصوناً مسورة تُحيط بها أشجار. رُسِم بداخل أحد تلك المربعات يدين مرفوعتين للأعلى  ، خلص محمد بازامة من ذلك إضافة إلى قرائن أخرى باللوحة إلى أنها في مجموعها مدلول لتسمية برقة، للمزيد عن ذلك انظر: ـ محمد بازامة، المرجع السابق، ص ص 165 وما بعدها.

(4) ذلك لا يمنع من القول أنه قد ظهر في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد أحد أبناء برقة يدعى منكلس Menecles وكَتب تاريخاً لليبيا لم يبق منه سوى شذرات، ولكنه كما=

واستناداً لما سبق ذكره، فلا نستغرب إذا أصبحت برقة أعظم مدن أقليم قورينائية في العصر الهلليني، بعد قوريني وأكبر منافسة لهذه الأخيرة.

ولنا أن نتساءل وباستغراب إذا كانت برقة مدينة عظيمة، وربما كانت كذلك قبل مقدم الهلليبنين للمنطقة، لماذا لم تحاول التصدي والوقوف في وجه ذلك الاستيطان أم أن حالة الفرقة التي كانت تحياها تلك المدن أو القبائل، ساهمت في نجاح ذلك الاستيطان بقوريني ثم ببرقة وغيرها؟.

ذلك ما كان عن مدلول تسمية برقة وأصلها اللغوي وتاريخ نشأتها.

أما عن موقع هذه المدينة، وحدود أقليمها، فتكاد الأبحاث تجمع على أنها [برقة] تقع في منحدر شديد يُعرف بالجبل الأخضر(1) Al Jabal al Akhder في أقليم خصب صار يُعرف في العهد الهلليني بأقليم برقة «وهو يقع إلى الغرب من أقليم قوريني حيث تشرف مدينة برقة على أقليم متسع فسيح يتوسطه حوض مغلق من التربة الخصبة ويتصل هذا الاقليم بالساحل ابتداءً من نهاية حدود منطقة قوريني الساحلية حتى مدينة توخيرا(2)، والتي أشار

= سبق فقد ظهر متأخر عن مراحل نشأة برقة الأولى، للمزيد عن ذلك انظر: ـ
ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص 37 ـ 38، شامو، المرجع السابق، ص ص 131 ـ 132.

(1) الجبل الأخضر هضبة تقع بالجزء الشمالي الشرقي من ليبيا، تكونت في الزمن الجيولوجي الثالث وتسميتها بالجبل الأخضر نظراً لما يغطي سطحها من نباتات دائمة الخضرة. وتُحيط هذه الهضبة بالساحل في شكل هلال لمسافة 250 كم وأقصى عرض لها حوالي 50 كم، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Kraeling C.H., **Ptolemais City of the Libyan Pentapolis VOL., XC,** (The University of Chicago Press, 1962), P., 2;

عبد العزيز طريح شرف، المرجع السابق، ص ص 53 وما بعدها.

(2) أكدت بعض الأبحاث أن الموضع حيث أقيمت توخيرا [توكرة ـ العقورية] كان مأهولاً بالسكان منذ العصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث، كما شهدت هذه المدينة استيطان هلليني، فأكدت بعض الأبحاث إن هؤلاء المستوطنين كانوا من =

هيرودوتس أنها تقع في أقليم برقة Ι ΤανΧειρα Πολιν Της Βαρκαικης، وتعتبر هذه المنطقة من أخصب مناطق أقليم قورينائية كله[1]».

ويذكر سكيلاكس Σκυλακας إن الاقليم في نهاية القرن السادس ق. م وصل أقصى اتساعه، إذ وصل حتى يوسبيريدس[2]. كما أطلق بطليموس Ptolemies مصطلح البرقتاي Barcitae للدلالة على السكان القاطنين غرب يوسبيريدس[3] Ευεσπεριδας

أما عن موقع المدينة اليوم، فأن أغلب الباحثين يرى أن مدينة برقة

= قوريني في بادىء الأمر ثم استطاعت برقة الاستحواذ عليها، وذلك استناداً إلى ما ذكره هيرودوتس من أن توخيرا تقع في أقليم برقة.
ويرجح كوايلنج أن ذلك الاستحواذ قد حدث عقب اشتداد المنافسة بين برقة وقوريني في استغلال موارد ذلك السهل.
ويمكن إضافة إلى ذلك القول أنه لعل توخيرا هي من انضم إلى برقة خاصة في مجال منافسة قوريني في تجارة السلفيوم Σιλφιον أيضاً، واستناداً إلى فقرة أوردها بوردمان مفادها أن محتويات الطبقة (11) من حفرياته بتوكرة تحتوي على فخار يعود أحدثه إلى القرن السابع ق. م فأنه ربما كان ذلك الموضع حيث أقيمت توخيرا فيما بعد نقطة اتصال تجاري بين التجار الهللينيين وغيرهم من سكان المحلة [القبائل الليبية] خاصة وأن الآراء تكاد تؤكد وجود صلات خاصة تجارية بين ليبيا والهللينيين قبل استيطان الأخيرين لقوريني ولعل هذا ما يكشفه من يتصدى لدراسة هذا الموضوع بعمق أكبر، للمزيد عن ذلك انظر: ـ
توفيق سليمان، جمال الحرامي وآخرون، **أعمال التنقيب التدريبية عن الآثار بجامعة قاريونس بنغازي في ليبيا، 1974 ـ 1983 م**، توكرة، الجزء الأول، ص 9؛ شامو المرجع السابق، ص 219، 280 ـ 281.
Krealing C.H., **OP. Cit.**, P., 3; Boardman J., **OP. Cit.**, PP., 153 FF; Boardman J and Hayes, **Excavations at Tocra**, (1966).

(1) Herod., IV, 171;

(2) Kraeling C.H., **Loc. Cit.**; Rowe A., **OP. Cit.**, P., 25.

(3) Ptolemy, Geography, IV, 4-6.

قامت حيث يوجد مدينة المرج القديمة، قرب المرج الجديد الآن[1] El Marj

ويعارض ذلك الدكتور مراجع الغناي[2]، إذ يرى «إن مدينة برقة تقوم على الطريق الواصل ما بين سلوق وتاكنست والمليطانية» وهو يعتمد في استنتاجه هذا على ما أورده الرحالة والجغرافيون، والمؤرخون المسلمون في كتبهم عن طرق سير القوافل والمسافات بين المدن الليبية، كما استند أيضاً إلى رأي جمعية خريطة ليبيا الرومانية Roman Libya والذي مفاده أن الطريقين الواضحين الذين تظهر آثارهما الآن والذين استخدما في العصرين الهلليني والروماني يوجدان فوق الهضبة التي تقع جنوب مدينة المرج الجديدة[3]، كما يعتمد [الغناي] أيضاً إلى عدم صلاحية موقع المرج حالياً، طبوغرافياً لسكان، وظروف حياة أناس تلك الفترة خاصة فيما يتعلق باستخدام العربات وركوب الخيل.

وأما اختلاف وجهات النظر في تحديد موقع مدينة برقة، فأنه بالإمكان القول أنه لم تجر حتى الآن حفريات أثرية على نطاق واسع بالمدينة المرج القديمة حيث يرى الكثير أنها موقع مدينة برقة، وما كُشف عنه حتى الآن لا يتعدى بعض التماثيل أو بعض الأمثلة للعملة التي سكتها المدينة[4].

(1) عبد الحميد عبد السيد، مدينة برقة (المرج الحديثة)، مجلة ليبيا القديمة، المجلد الثامن، (1978 م)، ص ص 21 وما بعدها، رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 37؛ علي فهمي حشيم، المرجع السابق، ص 40 هامش (1)؛ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 57.

(2) المرجع السابق، ص 15، كما يذكر في المرجع نفسه، ص 25 أن الربط بين برقة القديمة والمرج الحديثة لم يتم إلا في القرن الخامس الهجري، عندما ذكر الجغرافي ابن سعيد في مؤلفه بسط الأرض، أن «مدينة برقة التي كانت قاعدة البلاد البرقية، ويُقال لها اليوم المرج» وعن ابن سعيد أخذ الباحثون اللاحقون ذلك.

(3) Goodchild R.G., Mapping Roman Libya, **Georgraphical Journal,** VOL, CXVIII, Part II, (June 1952), P., 148.

(4) إن اللُقى الأثرية التي عُثر عليها بالمرج قليلة جداً قياساً إلى مخلفات مدينة كبرقة ومن=

. . . .

= هذه اللُقى إضافة للعملة، هناك مجموعة من التماثيل من الحجر الجيري عُثر عليها صدفة أثناء حفر أساسات مباني شعبية بالمرج الجديدة سنة 72/1974 م وتعود هذه التماثيل، وهي طراز أو نوع الأركايك Archaic، إلى القرن السادس ق. م وتعرض الآن بمتحف طلميثة، «التقرير الشامل عنها يوجد بملف المرج بمراقبة آثار شحات المسجل تحت رقم ث/ ط/ 1/ 18/ 95/ هـ ورقم ظ/ 77/ 960 وموثقة فوتوغرافيا بالفيلم رقم .B 2405 Bis, B 2505, B 2518. Bis, B 2518

وفي تقرير غير منشور ويحمل رقم ت/ ط 7/ 901/ 95، ويؤرخ بالموافق 4/ 12/ 75 م بمراقبة آثار شحات، يذكر أنه قد كشفت إحدى الشركات العاملة عن طريق الصدفة عن أربعة قبور في منطقة الزردة، جنوب المرج القديمة، «على خريطة قورينائية توجد عند رقم 6 مربع 70/ 16».

وفي تقرير آخر يحمل رقم ث/ ظ/ 3/ 95 هـ ومؤرخ بالموافق 14/ 4/ 75 م عثر على مقابر بموقع أم عزية شمال المرج الجديدة، «توجد على الخارطة 210711 قطعة رقم (6)، وقد تم توثيقها بالفيلم رقم 5093»، وهذه الأخيرة أيضاً تم الكشف عنها صدفة بواسطة إحدى الشركات الأجنبية العاملة بالمنطقة.

والملاحظ على هذه المقابر أن محتويات بعضها قد اختفى، خاصة الهياكل العظيمة والأثاث الجنائزي والمقابر بعضها فردي وبعضها الآخر زوجي، إذ كان أحد القبور لرجل وزوجته، وهذا الأسلوب من الدفن عرفه الهللينيون.

المقابر جميعها تتجه ناحية الشرق، وهذه عادة مصرية في الدفن، مما يعني بالتالي تأثير محلي، وذلك نظراً لما بين العقائد الليبية والمصرية القديمة من تداخل.

الأواني الفخارية المعثور عليها، أواني فخارية، وهي من النوع المعروف بالصورة الحمراء والصورة السوداء، إضافة لبعض الأواني ذات الصنع المحلي.

ويذكر الأستاذ جيمس ثورن في حديث شفهي له خلال زيارته لمراقبة آثار شحات في شهر سبتمبر [الفاتح] 1990 م Alen Rowe قد عثر في مدينة المرج في بداية هذا القرن على عدد ست أواني فخارية نوع امفورا باناثيانيك Amphora Panathanaic تعود إلى القرن الخامس ق. م وما بعده، وأن ثلاث من تلك الأواني في سُرق (؟!) والباقي يُعرض الآن بمتحف الإسكندرية الإغريقي الروماني واستناداً إلى زخارف بعض الأواني التي عُثر عليها بتلك المقابر، فقد أُرخت تلك المقابر بالنصف الثاني من القرن السادس ق. م، وعن الأثر المحلي فأن إحدى الأواني التي عُثر عليها بتلك المقبرة تختلف عن مثيلاتها الهللينية بأنها كانت [المحلية] تمتاز بسماكة الجزء =

استطاعت مدينة برقة بما توافر لها من ظروف سياسية واقتصادية في منتصف القرن السادس ق. م، أن تحقق ازدهاراً باهراً يُستدل عليه من خلال: ـ

«أولاً: أنها سكت لنفسها عملة خاصة بها حوالي عام 525 ق. م(1).

ثانياً: أنها سارعت مع قوريني وجيران هاتين المدينتين من الليبيين إلى تقديم فروض الولاء والجزية إلى كمبيز (الثاني) عندما فتح مصر.

ثالثاً: أنها أنشأت في أقليمها مدينة توخيرا، وكذلك ميناء لتصريف منتجاتها(2)».

= السفلي من بدنها بدرجة أكثر مما كانت في شبيهاتها المستوردة من بلاد الهللينين.
أما عن بقية المدينة [المرج الجديدة] فإن فريق العمل الذي يترأسه John Dore من Society for Libyan Studies وفي Report on work Summary 1989 يذكر أن المسح الشامل الذي أُجري للمدينة ومن خلال الفخار الذي جُمع من على سطح الأرض بها، تبين لهم أنه يعود للقرون الخامس حتى الأول قبل الميلاد (هذا فيما يتعلق بالفخار الهلليني)، كما أكد الفريق أن الطبقة الأثرية الإسلامية بالمدينة توجد على عمق ستة أمتار، مما يعني بالتالي عمق الطبقة الهللينية وبالتالي الطبقة الأولى للمدينة.
كما تمكن فريق عمل يترأسه عبد الحميد عبد السيد من تحديد امتداد أسوار تحيط بمدينة المرج الجديدة والقديمة، ولكنه لم يبت بعد في تاريخ تلك الأسوار نظراً لوقوعها الآن تحت أساسات العديد من المنشآت والمباني الحديثة، للمزيد عن كل ما سبق انظر: ـ

Vikers M. and Bazama A., A Fifth Century B.C. Tomb in Cyrenaica, **Liby Antiqua**, VOL VIII, (1971), PP., 69 FF;

عبد الحميد عبد السيد، المرجع السابق، ص ص 22 وما بعدها.

(1) Herod;, IV, 169; Robinson E.S.G., **OP.Cit.**, P., CLXVI; Bates O., **OP. Cit.**, P., 28; Ure P.N., **OP. Cit.**, P., 110; Myres J.L., **OP. Cit.**, P., 666.
راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 27 وما بعدها.

(2) إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 81.

رابعاً: أنها كانت من القوة والصلابة ما دفع الفرس إلى تجريد حملتين عسكريتين ضدها خلال ثلث قرن من الزمان[1].

ولنا هنا أن نتساءل هل معنى ذلك أنها [برقة] كانت قبل هذا التاريخ تتعامل بنقود مستعارة من قوريني مثلاً، أم أنها كانت تتعامل بالمقايضة قبل ذلك، وهل دفعت الجزية للفرس بالعملة الجديدة الخاصة بها، أم بتلك التي ربما كانت مستعارة؟.

من جهة أخرى، ربما كان لإصدار العملة البرقية، والحاملة لصورة نبات السلفيوم علاقة بمعركة ليوكن[2]، وهي المعركة التي يعتقد بعض الباحثين أن لها علاقة باحتكار ملوك قوريني لذلك النبات، ولما كانت نتيجة تلم المعركة لصالح برقة[3]، فإنه ربما يكون ذلك الإصدار إعلاناً عن نهاية ذلك الاحتكار، وتخليداً لذلك الانتصار.

من جهة أخرى جديرة بالذكر، لقد أصبح السلفيوم العماد الرئيسي في اقتصاد برقة منذ وقت مبكر، وهو ما يؤكده إصدار ذلك الشعار على تلك العملة.

ونتساءل مرة أخرى هل تزامن اعتراف برقة بالفرس مع اعتراف قوريني بهم ولماذا؟ وللرد على ذلك فإنه بالإمكان القول أن المصادر لم تتطرق لهذه الناحية وعبارة هيرودوتس لا يُفهم منها سوى أن اعترافاً قد حدث، ولكن ذلك لا يمنع من الترجيح بأن ذلك الاعتراف إن لم يكن مزامن لاعتراف قوريني فإنه لا حق له مباشرة، ذلك لما كان بين هاتين المدينتين من عداء شديد إذ كانت قوريني في هذا الوقت تمر بفترة من أحرج مراحل تاريخها السياسي إذا كانت تشهد عودة اركسيلاوس (الثالث) من منفاه بساموس

(1) انظر تفصيل ذلك بالفصل الثالث، الباب الثاني، صفحة 261 وما بعدها.

(2) راجع ما سبق ذكره بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 219.

(3) شامو، المرجع السابق، ص 175.

ومحاولة إقامة نفسه طاغية على المدينة، ولا بد أن اعترافه بالفرس ذاك[1] قد خلق في نفوس ساسة برقة شيء من التحفز لمواجهة أطماع اركسيلاوس (الثالث) والتي ربما أرادوا مواجهتها بالاعتراف بسيادة الفرس عليهم والتبعية لهم.

هل كانت لزيادة جزية برقة عن جزية قوريني التي أرسلتها إلى كمبيز بمصر كعربون قبولهما تابعين لتلك الامبراطورية، علاقة بالأحوال الداخلية للمدن أم أنها «مناورة سياسية» من برقة أرادت بها حيازة رضا الفرس وبالتالي إحراج موقف اركسيلاوس (الثالث) أمام الفرس ومن ثم ضمان مولاة الفرس لهم بدرجة أكبر مما يمكن أن يحوزه اركسيلاوس (الثالث).

من جهة أخرى ربما كانت لقلة جزية قوريني عن جزية برقة علاقة بأوضاع قوريني السياسية والاقتصادية، وأوضاع اركسيلاوس (الثالث) المضطربة هنا بصفة خاصة في هذا الوقت.

وباستثناء الإشارة إلى النشاط الاقتصادي، والتي كانت هي الأخرى في الغالب عن الأقليم بأكمله، فإن ما ورد بالمصادر عن أوضاع برقة السياسية شذرات لا تُساعد على إعطاء صورة مفصلة أو متكاملة عن مؤسساتها وهيئاتها السياسية في هذا الوقت[2]، و «لو كنا قد ظفرنا بدستور مدينة برقة لكنا قد عرفنا منه إلى أي مدى أمكن إدخال العنصر الوطني في المدينة، وذلك لأن هذه المدينة نشأت في أرض ليبية وشارك أهلها في الصراع ضد ملوك قوريني ولعلهم عانوا كما عانى الإغريق [الهللينيون] من حصار الفرس لمدينتهم[3]».

وأزاء هذا القصور في المعلومات، ليس بالإمكان الآن إلا القول على

(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 227.
(2) الشذرات الباقية مما كتبه منلكس Menecles لا تتطرق إلى هذا الجانب.
(3) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 59.

سبيل الترجيح أن سكان برقة من ليبيين وهللينيين أنهم كانوا على وفاق تام، على الأقل خلال الفترة التي أرّخ فيها هيرودوتس، لليبيا[1]، إذ لو كان هناك ما يخالف هذا الرأي، لما صمت عن ذلك هذا المؤرخ.

ويبدو أن المهاجرين الهللينيين من قوريني والمستوطنين ببرقة قد اعتبروا «اتعضوا» من علاقة الهللينيين بالليبيين في قوريني، فعملوا في موطنهم الجديد ببرقة على تنمية هذه العلاقة سلمياً وتعاونوا معاً في المجال الاقتصادي «إذ إن السياسي لم تتضح جوانبه بعد» مما أفضى إلى الازدهار السريع لاقليم مدينة برقة.

و «تعتبر برقة من أشهر مدن هضبة قورينائية، ويختلف اتساعها من مكان إلى آخر فهي تبدأ متسعة في الغرب حيث يبلغ اتساعها عند مدينة برقة 20 كم ثم تضيق تدريجياً كلما اتجهنا شرقاً ليبلغ اتساعها في منطقة قوريني ما بين 8 و 10 كم وفي مواجهة قوريني تنحدر الوديان بعنف على هيئة سيول تقطع سطح الدرجة الأولى وتُحيله إلى تلال تتفاوت درجة انحدارها وبذلك استحقت وصف الإغريق [الهللينيين] لها أنها منطقة التلال على نحو ما ذكر

---

(1) تؤكد قرائن عدة، يوردها هيرودوتس نفسه في كتابه الرابع، على أنه زار ليبيا ومن ذلك قوله: «هذا ما سمعته من بعض أهل قوريني، أو على قدر علمنا، نتيجة لما بذلناه من جهد في البحث» إضافة لوصفه لبعض المشاهد التي تدل على أنه رآها رأي العين. ويُعتقد أيضاً أن زيارته هذه كانت عقب سقوط النظام الملكي الباتي، وذلك استناداً لقوله بأن تلك الأسرة حكمت لمدة ثمانية أجيال، أربعة باسم باتوس وأربعة باسم أركسيلاوس إضافة إلى معلوماته عنهم والتي جاءت في مجملها متحاملة عليهم، والتي كانت انعكاس للرأي العام لشعب قوريني، الذي لم تكن خواطره تجاه هذا النظام راضية.

ويعتقد أنه وصل قوريني من مصر عن طريق البحر لمعلوماته التي ثبت الآن أنها مغلوطة عن بعض الأجزاء الشرقية من ليبيا، كما يدور جدل حول فيما إذا كانت زيارته اقتصرت على قوريني فقط أم أنه ساح وجال بالأقليم كله.

هيرودوتس[1]، وعلى العكس من ذلك فإن حافة الهضبة ترتفع ارتفاعاً قليلاً في ضواحي مدينة برقة عن بقية هذا المدرج، وبذلك يأخذ شكل السطح شكل حوض مُغلق طوله 30 كم وعرضه حوالي 15 كم فقط، وقد غمرت مياه الأمطار قاع هذا الحوض، فتراكمت في وسطه تربة حمراء ناتجة عن تحلل الصخور الجيرية التي تحيط بهذا المدرج، وبالتالي سببت بخصوبته، إذ تعتبر منطقة المرج [برقة] من أخصب مناطق الجبل الأخضر[2] وخاصة لزراعة القمح[3]».

وقد أشار إلى خصوبة هذا الإقليم وظروفه الاقتصادية العديد من الكتابات القديمة فقد تطرق هيرودوتس[4] إلى ذلك وذكر امتداد جني محاصيله على مدار ثلثي السنة تقريباً كما تحدث عن خصوبة تربته وأنواع نباتاته المؤرخ ثيوفراستوس[5]، كما أكد ذلك استرابون[6] أيضاً، كما تناول هذا الجانب بليني الكبير ذاكراً «أن المنطقة الزراعية بالأقليم مُقسمة إلى ثلاث أقسام، يَمتد القسم الأول على طول شواطىء البحر ويبلغ اتساعه حوالي 16 ميلاً، ويمتد بمحاذاته قسم آخر مساوٍ له في الإتساع والقسم الثالث يبلغ طوله حوالي 25 ميلاً، وقد اشتهر القسم الأول بخصوبة تربته وبوجود الأشجار، واشتهر القسم الثاني بزراعة الغلال، أما القسم الأخير فيشتهر بالنباتات الصحراوية[7].

ويتضمن ما قاله بليني عن إمكانيات الزراعة، واختلافها بين جزء وآخر

---

(1) Herod., IV, 199.

(2) عن الجبل الأخضر راجع ما سبق ذكره بالصفحة رقم 245 هامش (2) بهذا الفصل.

(3) رجب الأثرم، الفصل السابق، ص 63.

(4) Herod., Loc. Cit.,

(5) Thuc., Περι φυτων Ιστοριας, III, IV, V, VI, bissam.

(6) Strabo., XVII, 20, 21, 22.

(7) Plin., XIX, 41, 42; رجب الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ص ص 143 وما بعدها.

من الأقليم تأكيداً لما كان قد أورده هيرودوتس عن ذلك.

وقد أشار ديودورس الصقلي(1) إلى أن الأقليم المجاور لقوريني تميز بتربة خصيبة حيث ينتج محاصيل متنوعة كالحنطة والكروم والزيتون والغابات، إضافة للسلفيوم الذي كان أهم المحاصيل(2).

ولما كان الإقليم على تلك الدرجة من الخصب والنماء والاتساع، فإنه كان من الطبيعي أن يشتهر أيضاً بمراعيه وبتعدد حيواناته، التي لعل من أهمها الخيل «إذ كان حصان برقة من الشهرة بمكان، وقد خلد في كثير من الأشعار(3)»، كذلك عملية تربية الأبقار والأغنام سواء منها الماعز أو الضان، بأعداد كبيرة قد أكدتها عدة مصادر، ويستدل اليوم على تلك المكانة الاقتصادية التي كان يشغلها الأقليم. العملة التي سكت من البرونز أو الفضة أو الذهب، وذلك منذ الربع الأخير من القرن السادس قبل الميلاد، والتي حوى بعضها صور نبات للسلفيوم أو للخيل أو للأغنام أو لسنابل القمح أو العربات، إلى غير ذلك مما يوحي بأهمية تلك المرسومات في مجال اقتصاد الإقليم.

ثم المخلفات الأثرية الأخرى، خاصة الفخار(4) الذي أثبتت دراسته أن الأقليم كان قد شهد في الفترة ما بين القرن السادس والخامس قبل الميلاد، نشاط صناعي خاصة الأواني الفخارية وزيت الزيتون والكروم(5).

---

(1) Diod., III, 50.

(2) Theoph., IV, 3.1, Strabo., XVII, 3.20; Plin., XVII, 133.

(3) Pind., Pythian ode, IV, V, 15; Coster C.H., "The Economic Position of Cyrenaica in Classical Ages" in **Studiesim Roman Economic and Social history in honor of Allan Chester Johnson,** (1951), P., 14; Robinson E.S.G., **OP. Cit.,** P., PIXIII. 1.2.8.9.13; PLXIV, 1.2.4. FF.

(4) ترجح بعض الأبحاث وجود مصانع محلية للأواني الفخارية، ولعل هذا ما يؤكده الآنية Chian Amphora التي عُثر عليها بالمقابر سالفة الذكر بالصفحة 243 هامش (1)، من هذا البحث.

(5) =Theoph., IV, 3.1; Diod., III, 50; Coster C.H., **OP. Cit.,** P., 17;

كما تأكد أيضاً بدراسة الفخار، الذي عثر عليه بالإقليم، مدى العلاقات، خاصة التجارية منها، التي كانت تربط الإقليم بمختلف مدن العالم القديم[1].

أما عن صادرات الإقليم، فأن أهمها بالإضافة إلى الغلال بما فيها السلفيوم فإنه كان يُصدِّر أيضاً الأخشاب التي كانت من أهم سلع ذلك الزمان[2]، كما كان يصدر الصوف والمصنوعات الصوفية بكميات كبيرة[3] إضافة إلى جلود الحيوانات خاصة الأبقار.

وقد ارتبط الإقليم بعلاقات تجارية خاصة بمصر حيث كانت تعتمد عليه [الإقليم] في تزويدها بأعداد ضخمة من الخيل[4].

ويورد بليني نصاً مُهماً مفاده إن كميات كبيرة من المجوهرات التي تأتي من الحبشة كانت تجد طريقها عبر برقة[5].

= رجب الأثرم، المرجع السابق، ص ص 148 وما بعدها.

(1) عادت تلك العلاقات، من خلال نوع الفخار وطرازه إلى القرن السادس ق. م وارتبطت العلاقات مع رودوس - أثينة - أسبرطة - كريت - ساموس - قبرص - إضافة لمصر وقرطاجة للمزيد عن ذلك انظر: -

Boardman and Hays, OP. Cit., PP., 12FF;

وفيق سليمان وجمال الحرامي وآخرون، المرجع السابق، ص ص 68، 71، 72، 73، 80، 81، 87، 92، 93، شامو، المرجع السابق، ص ص 303 وما بعدها؛ رجب الأثرم، المرجع السابق، ص ص 153 وما بعدها.

(2) Theoph., III, 1.6; Herod., II, 96; IV, 157; Diod., III, 50; Plin., XIII, 104 - 6; XVI, 143; Synesius, 108, 114, 122, 148;

رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 149.

Coster C.H., OP. Cit., P., 17;

(3) Synesius, 130, 148; Athen., 1, 27 ;

رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 150.

(4) Rostovtze FF M., Social and Economic history of the Hellinistic World, (OxFord, 1967), PP., 285, 393, 396;

رجب الأثرم، المرجع السابق، 151

(5) Plin., V, 34; Coster C.H., OP. Cit., P., 16.

أما عن واردات الإقليم، فبالإضافة للآواني الفخارية فقد كان يستورد المعادن إذ لم يرد ذكر لأي نوع من المناجم، كما كان يستورد الرخام، وذلك ما أكدَّته اللُقى الأثرية المعثور عليها بالإقليم، من تماثيل وغيرها، وتأكد أنها مصنوعة من رخام مستورد، إضافة للزجاج والكتان والبردى خاصة من مصر[1].

كان من النتائج المباشرة لازدهار برقة على الرغم من توتر علاقاتها بقوريني أن توطدت علاقاتها بالمدن الواقعة على السهل الساحلي «جهة الشمال الغربي من برقة» خاصة مدينة توخيرا وبتوليماس[2] وربما يوسبيريدس[3]، ولما كان ذلك الإزدهار قد تمثل في ضخامة الإنتاج المختلف من المحاصيل، فإن الأمر تطلب وهي مدينة داخلية وجود مخرج لتصديرها ولاستيراد ما يلزمها.

ولما كان أقليم برقة «يبدو كالعقدة على الساحل الشمالي لأفريقية، وارتباطه بأفريقية مظلل أنه في الواقع لا يعدو أن يكون جزيرة يفصلها عن أفريقية صحراوات ليس من السهل اجتيازها إذا قيست بسهولة عبور البحر، وبلا شك كانت الصحراء عقبة في العصور القديمة أكثر مما هي عليه الآن[4]» فإن برقة اتجهت للتجارة البحرية[5] ويُعلل

(1) تكاد الأبحاث تُجمع على أن الإقليم استورد المعادن، ولكن في المقابل يؤكد شامو، المرجع السابق، ص 300، وجود دراسات للعملة بقوريني كما هناك بحوث أخرى ترجح وجود دار للسك بتوخيرا.

(2) عن مدينة بتوليمايس انظر ما سيأتي بالصفحة 258 بهذا الفصل.

(3) استناداً لما كان ذكره سكيلاكس، من أن أقليم برقة وصل في اتساعه يوسبيريدس، وربما تجاوزها إلى ما بعد ذلك، راجع ما سبق ذكره بالصفحة 246 بهذا الفصل.

(4) Coster C.H., OP. Cit., P., 3.

(5) ذلك لا يعني توجهها إلى هذا النوع من التجارة دون سواه، إذ كما سبق فقد أكد بليني أن هناك تجارة مع الحبشة، كما أن هناك اتصال بواحة سيوة، على الأخص في تجارة الملح وهناك أيضاً بقرطاجة، إذ يُشير استرابون [XVII, 20] إلى المتاجرة فيما بينهما خاصة في نبات السلقيوم والنبيذ.

كرايلنج[1] Krealing الاتجاه بإنشاء برقة لميناء في بتوليماس دون توخيرا بأن هذه الأخيرة لم يكن لها ميناء، ولذا لم يكن الاتصال بها أمراً سهلاً، وكانت برقة تُصدِّر السلفيوم والحبوب التي ينتجها الأقليم الخصيب، وكان هذا ولا شك يتطلب ميناءً لتصريف منتجاتها، ولم يكن هناك موقع على طول ساحل برقة في ظروف طبيعية مواتية أفضل من موقع بتوليمايس وهو موقع يمكن الوصول إليه بسهولة من برقة ومن توخيرا[2]».

وهذا لا يعني أن هذا الميناء هو من إنشاء برقة، بل لقد ثبُتَ أنه يعود إلى فترة تاريخية سابقة لذلك الاستغلال للميناء من قِبل برقة، وذلك كما سيتضح في حينه.

يعارض الدكتور مراجع الغناي[3]، الرأي القائل بأن ميناء برقة كان بتوليمايس مُعتقداً، وهو في ذلك يستند إلى استنتاجه بأن مدينة برقة تقع بين المليطانية وسلوق وتاكنست، كما يستند أيضاً إلى بُعد المسافة بين المدينتين [برقة بتوليميايس] وإلى أن ميناء بتوليميايس مكشوف للرياح مما يُعَرِّض السفن للخطر كما أن فرضته صغيرة وغير عميقة، كما يركن أيضاً إلى وجود كثير من الوديان الفاصلة بينهما، وبالتالي يرى إن ميناء برقة يقع عند يوسبيريديس وليس بتوليمايس[3].

وتأكيد أو نفي رأي الدكتور الغناي حول ميناء برقة رهن بإجراء حفريات أثرية موسعة، وإن كان ذلك لا يمنع من القول الآن أن القرائن تُشير إلى بُعدِ ذلك الاحتمال أولاً لأن دلائل واضحة تُشير إلى أن برقة كانت تقع حيث المرج الآن أو بأحد ضواحيها ثم أن الناحية الطوبغرافية التي يرى أنها عازل بين برقة والاتصال ببتوليماس لم تُحل بين قوريني واتخاذها من

---

(1) OP. Cit., P., 4.

(2) توفيق سليمان، جمال الحرامي وآخرون، المرجع السابق، ص 30.

(3) المرجع السابق، ص ص 22 وما بعدها.

أبوللونيا[1] "Απολλωνια" ميناءً لها وهو الأمر الذي لا يشك فيه أحد، إضافة إلى وجود الكثير من الوديان بينهما، بل لعلها أكثر مما هي بين برقة وبتوليمايس.

دلت الأبحاث التاريخية، من خلال الفخار، الذي عُثر عليه بالموضع الذي شهد قيام ميناء برقة به أول الأمر ثم إنشاء مدينة بتوليمايس فيما بعد[2]، إن أقدم استيطان هلليني لها يعود إلى سنة 600 وربما إلى 620 ق. م[3].

وعليه فإن من المرجح أن هذا الموضع كان في هذا الوقت، «نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس قبل الميلاد» أحد المواضع الساحلية، المستعملة أو المُتخذة كمحطات لطرق تجارية مباشرة من بلاد الهللينيين إلى ليبيا.

---

(1) يرجع تاريخ أقدم شقف فخارية عثر عليها بأبوللونيا إلى القرن السابع قبل الميلاد مما يؤكد إقامة الهللينيين لهذا الميناء عقب نزولهم مباشرة لقوريني، وقد سُمِيَ هذا الميناء باسم الإله الحامي، الذي بناءً على نبوته كان المجيء إلى قوريني.
وقد ارتبطت المدينة والميناء بطريق بري يبلغ طوله حوالي 30 كم، يتخلل العديد من الأودية، وقد ظل مستعملاً حتى وقت قريب.
وتؤكد الأبحاث أيضاً أن الميناء التابع لقوريني قد شارك الأخيرة في كافة الظروف التي مرت بها ثم تمكن [الميناء] نتيجة ازدهاره، إضافة إلى ظروف سياسية أخرى، من الحصول على الحكم الذاتي والاعتراف به كإحدى المدن المستقلة، ويرى إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 107 أن بطليموس (الأول) 330 ـ 282 ق.م هو من فَصَلَ أبوللونيا عن قوريني، وجعلها مدينة قائمة بذاتها، صارت تُعرف باسم مدينة أبوللونيا، بعد أن كانت طيلة الفترة السابقة تُعرف باسم ميناء قوريني، للمزيد انظر: ـ
Yorke R., A Survey of Ancient Harbours in Cyrenaica The Society for Libyan Studies, Third Annual Report (1971 - 1972), PP., 3 F; Boardman J., **Evidence for the Dating for Greek Settlement in Cyrenaica**, PP., 152 FF; Rowa A., **OP. Cit.**, P., 12 note (4); Jones A.H.M., **OP. Cit.**, P., 359;
رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 118 هامش (53).

(2) عُرفت هذه المدينة في العصر الحديث باسم طلميثة والآن باسم الدرسية Addirsiya

(3) Boardman J., **OP. Cit.**, P., 153; Boardman and Hayes, **OP. Cit.**, P., 13;
إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 88.

ونتيجة ازدياد نشاط مدينة برقة الاقتصادي، وفي مجال منافستها لقوريني ولقرب هذا الموضع من برقة، ثم استغلاله في نشاطها التجاري وذلك حالما دخلت تلك المدينة المشاريع التجارية، وهو ما يوافق 525 ق. م تقريباً.

ويُعتقد بأن قاطني هذا الميناء في بادىء الأمر كان جماعات من عمال السفن والنقل والشحن، ربما قاموا بمجهود مشترك نشاطاً زراعياً بسيطاً في موضعهم ذاك والخصيب نسبياً، ويُستدل اليوم على ذلك بما كشفت عنه حفريات بعثة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو، وهو مجموعة غرف غير متجانسة، متغايرة الخواص، والتي يؤكد كرايلنج[1] Krealing أنها كانت مملوكة لأولئك العمال والمنتجين من البرقويين.

ولكن كيف تغير حال هذا الميناء بعد القرن الرابع قبل الميلاد، ليطغى على المدينة المؤسسة له، فهل كان لغزو الفرس لمدينة برقة وحصارهم لها مرتين علاقة بذلك[2] خاصة وأن بعض الباحثين يتحدث عن حدوث نزوح لسكان مدينة برقة إلى الميناء ثم انفصالهم به عنها[3]، من جهة أخرى، فقد ظل هذا الميناء حتى القرن الرابع قبل الميلاد يسمى ميناء مدينة برقة، وذلك استناداً إلى ما أورده سكيلاكس عندما دعا أبوللونيا باسم ميناء مدينة قوريني، وما عُرف فيما بعد بتوليمايس باسم ميناء مدينة برقة[4].

ويرد أول ذكر لميناء برقة كمدينة مستقلة، في سياق حديث بلينوس[5]

(1) OP. Cit., P., 4.

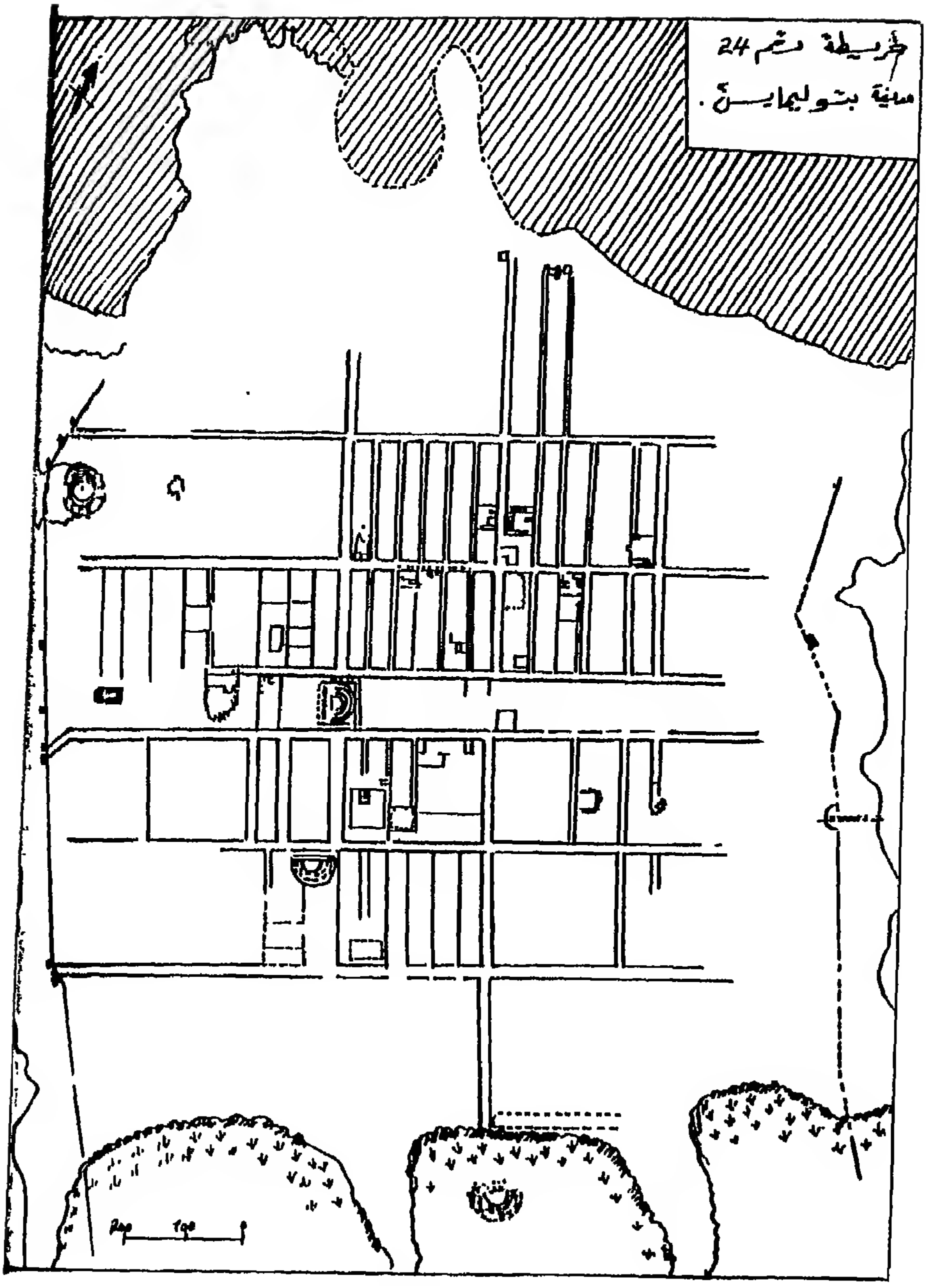
(2) عن حصار الفرس لمدينة برقة، انظر الفصل الثالث من الباب الثاني، صفحة 260.

(3) Thrige J. P., OP. Cit., PP., 138 F;

إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 93.

(4) نفس المرجع، ص ص 88 ـ 89.

(5) Plin., V, 5.



خريطة رقم 24

عن المدن الخمس Penta Polis بالإقليم.

ثم يذكر استرابون(1) أن بتوليمايس كانت تُدعى فيما سبق برقة، ولعله يكون ذلك أول خلط بين المدينة وميناءها (على أساس أن برقة كانت حيث قامت بتوليمايس) وأخذ الباحثون اللاحقون عنه ذلك، وصار الخلط باعتبارهما مدينة واحدة.

وقد أكد خطأ استرابون ذاك، نتائج الحفريات الأثرية الحديثة، التي أكدت على أنه في عهد البطالمة 330 ـ 203 ق. م أُنشئت على موقع أو حيث ميناء برقة مدينة كبيرة عُرفت باسم بتوليمايس، وقد تميزت هذه المدينة بتخطيط عام لها وإقامة منشآت عامة تماثل ما وجد في عصر البطالمة من منشآت، من ذلك مثلاً الأسوار وتخطيط شوارعها وإقامة المباني العامة من مسارح وأسواق وغيرها(2).

وعليه فإنه يمكن القول بأنه طوال الفترة ما بين اتخاذ برقة كمستوطنة وحتى سقوط الحكم الملكي الباتي حوالي 440 ق. م كان الميناء تابعاً لبرقة ولم تُعرف له تسمية خاصة به سوى ميناء برقة(3)، وهذا لا يمنع من التطرق إلى تعليل كرايلنج(4) Krealing لازدهار بتوليمايس واختفاء برقة، «بأنه جرياً على سنة ملوك العصر الهللينستي Hellinstic Age أدمجت مدينة برقة في

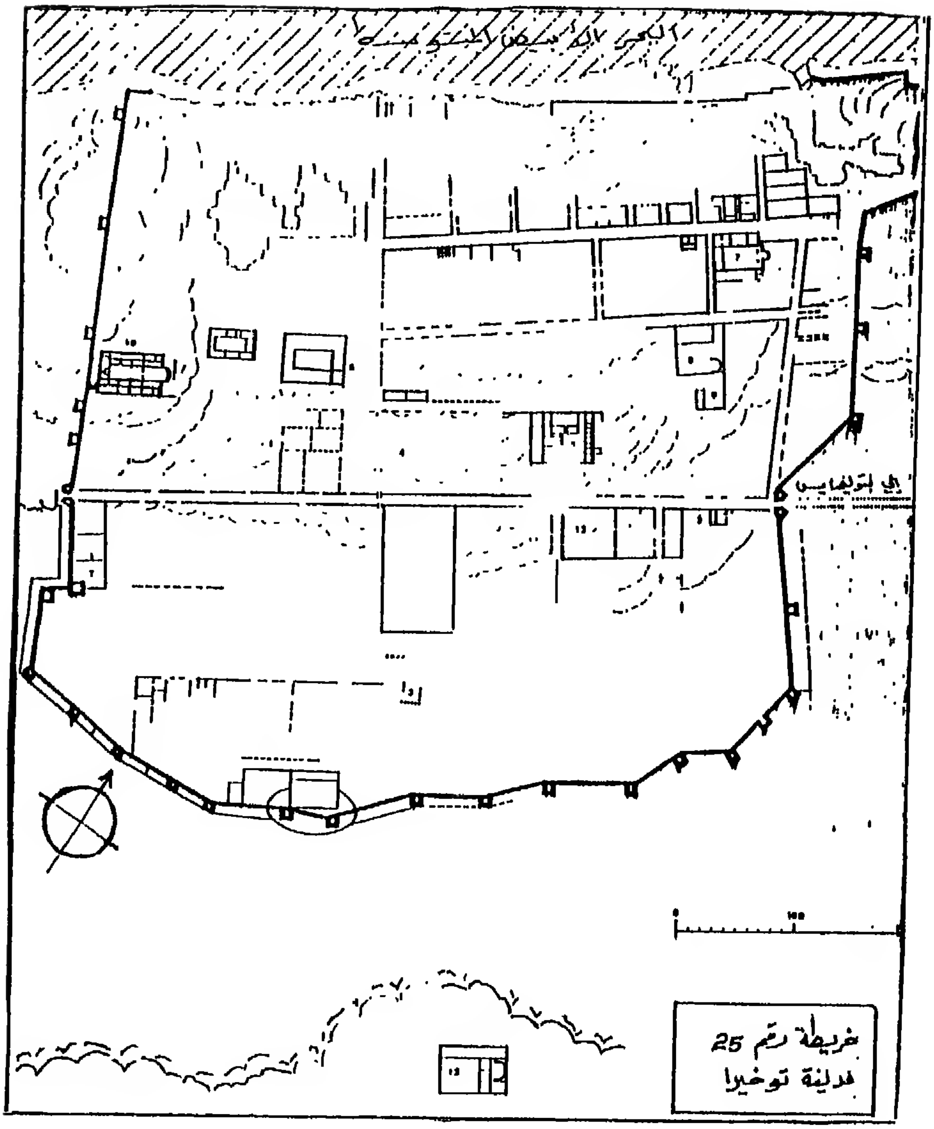
(1) Strabo., XVIII, 3, 20.

(2) Kraeling C.H., OP. Cit., PP., 38, 41, 50 FF; Goodchild R.G., "The Forum of Ptolemais", Qauderni di Archeoloyia della Libia, V, (1967), PP., 210 FF; Goodchild R.G., "The Decline of Cyrene and Rise of Ptolemais, Two new Inscription" Quaderni di Archeologia della Libia, IV, (1961), PP., 216 FF; Oliverio G., "Federico Halbherr in Cirenaica", Africa Italiana, IV, (1931), PP., 229 FF.

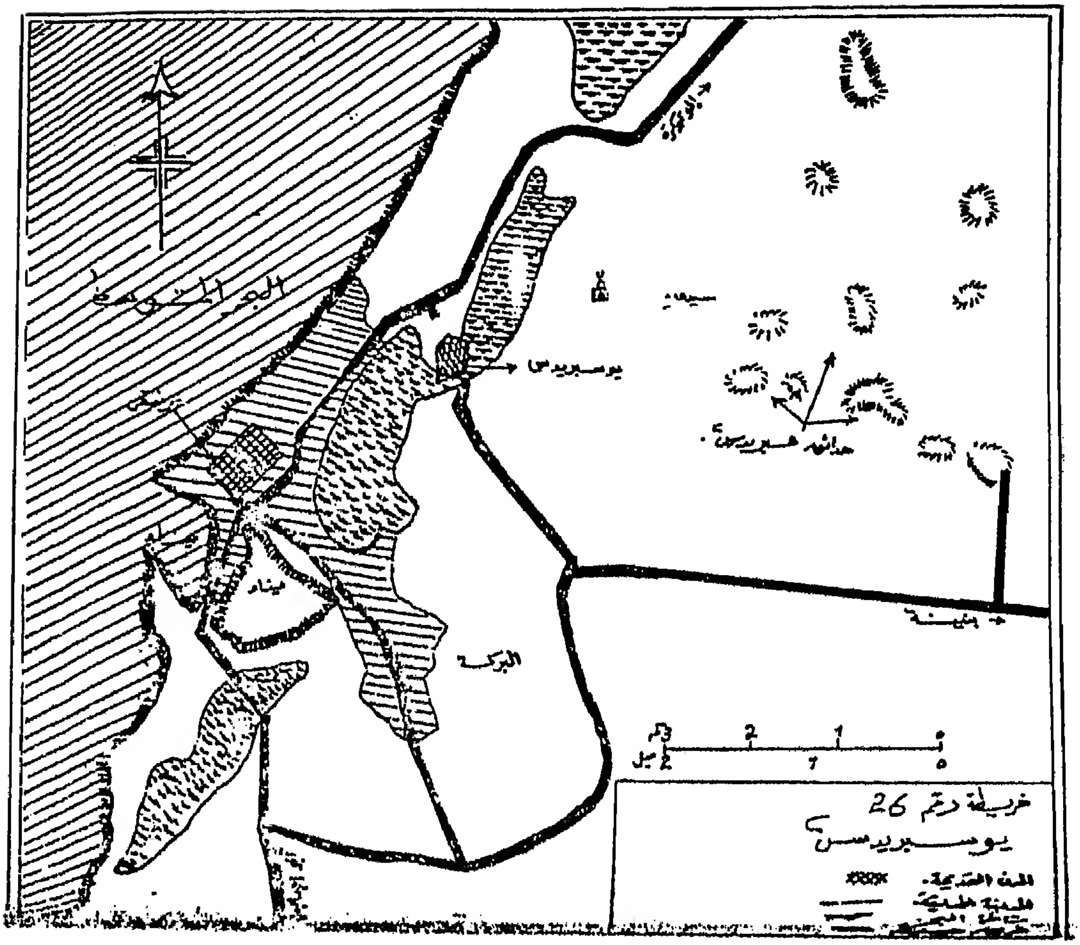
(3) وهو الإطار الزمني الذي يغطيه هذا البحث بالتناول.

(4) OP. Cit., PP., 5 FF.

خريطة رقم 25


البحر الأبيض المتوسط
إلى بتوليمايس
خريطة رقم 25
مدينة توخيرا

خريطة رقم 26


البحر المتوسط
يوسبيريدس
البركة
خريطة رقم 26
يوسبيريدس
كم 3 2 1 0
ميل 2 1 0

مدينة بتوليمايس كون الأولى أحد آحياء الثانية[1]، وتبعاً لذلك أصبح مواطنوا مدينة برقة الذين توفرت لديهم المؤهلات اللازمة مواطنين في مدينة بتوليمايس، ثم استمرت المدينة القديمة وإن فقدت كيانها بوصف كونها مدينة[2]».

من جهة أخرى، من المعلوم أن العصر البطلمي بالإضافة إلى إقامة أو إنشاء بتوليمايس، كان قد شهد الاقليم [أقليم قوريناثية] أيضاً فصل ميناء قوريني عن مدينة قوريني، وتسميته مدينة أبوللونيا، ونقل يوسبييريدس من مكانها إلى موضع آخر قريب منه وإطلاق اسم جديد عليها وهو بيرنيكي، كما تم تغيير اسم توخيرا إلى أرسينوى[3].

(1) لعلنا هنا نلمس رداً آخر على ما قال به دكتور مراجع الغناي، حول بُعد المسافة ووجود العوائق بين برقة وبتوليمايس.

(2) Kraeling., **OP. Cit.**, PP., 5 FF.

إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 94.

(3) Coster C.H., **OP. Cit.**, P., 24 هذا الإجراء الذي يرى فيه أنه قد وُجد بهدف منافسة الإسكندرية، التي كانت منفذاً بحرياً يتمتع بموقع جغرافي استراتيجي، يرجح أنه قد تم في عهد عاهل واحد من بين عهود ملوك البطالمة، فيرجح ,.Hyslop C.G.C **Cyrene and Ancient Cyrenaica**, (Tripoli 1945), P., 67 أن بطليموس (الثاني)، فيلادليفيوس 282 ـ 246 ق. م هو من قام بذلك، في حين يرى ,.Jones A.H.M **OP. Cit.**, P., 359, 485, note II; Goodchild R.G., **Benghazi, The Story of a City**, PP., 8 F; Rowe A., **OP. Cit.**, P., 38;

رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 126، أن بطليموس (الثالث) يورجتيس 216 ـ 221 ق. م من قام بذلك.

ويتصدى إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص 102 وما بعدها مناقشة تلك الآراء ويرجح أن ذلك الانفصال بين برقة وميناثها وقوريني وميناثها وإطلاق تلك التسميات الجديدة على بقية مدن الأقليم وغيره قد تم في عهد بطليموس (الأول) سوتر 330 ـ 262 ق. م.

الفصل الثالث

حملتي الفرس الأخمينيين على مدينة برقة

1 ـ الحملة الفارسية الأولى

2 ـ نتائج الحملة الفارسية الأولى

3 ـ تأريخ الحملة الفارسية الأولى

4 ـ الحملة الفارسية الثانية أسبابها ونتائجها

ذكر في موضع سابق أن أركسيلاوس (الثالث) Αρκεσιταος (Τριτος) كان قد استجار بالساموسيين، وغيرهم محاولاً استرجاع سلطته الاستبدادية في قوريني Κυρηνη، وكيف قام بتعقب خصومه الذين لجأوا إلى مدينة برقة Βαρκη ويبدو من اطراد الأحداث وتلاحقها السريع أنه قد قام بذلك بأسلوب أقل ما يُوصف به أنه تعسفي، إذ أدى إلى مقتله وحماه المسمى الازير Αλαξειρα في سوق Αγορα تلك المدينة، وكان قبل ذلك قد ترك سلطة قوريني في يد والدته فرتيمي[1] Φερετιμη.

والمُثير للتساؤل هنا، هل تعقبه وتقصيه لأثر خصومه في برقة يعتبر عملاً مكملاً لاستحكام السيطرة على قوريني، بمعنى آخر ألا يعتبر عمل أركسيلاوس (الثالث) هذا اعتداء دولة مدينة على دولة مدينة أخرى، حرة ومجاورة؟ خاصة وأن شامو[2] يذكر «أن باركي [برقة] لم تعرف القلاقل السياسية والاجتماعية التي كانت في تلك الفترة تعصف بقوريني، كما لم تكن في حاجة لأن تطأها هي الأخرى قدم المشرِّع ديموناكس»، وهذا يدعمه من جهة أخرى أن الازير Αλαξειρα اسم لم نألف سماعه في تاريخ قوريني السابق، وعليه فإنه من المرجح أنه لم يحكم برقة إلا بعد عودة اركسيلاوس (الثالث) من ساموس Σαρμος وسيطرته على قوريني واعترافه بالفرس ثم تعقبه لأعدائه بالأرياف وببرقة أيضاً، فتم بعد ذلك تنصيبه للأزير حاكماً على برقة وهذا جائز بدليل أن اعتراف اركسيلاوس (الثالث) قد ذُكِر معه اعتراف

(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة وما بعدها.

(2) المرجع السابق، ص 130.

برقه بهم أيضاً، بمعنى أنهما كانتا ميدنتين كل منهما ذات سيادة.

لا شك في أن أولئك الخصوم، وهم من ارستقراطي قوريني، وهم الأعداء الطبيعيون لأركسيلاوس (الثالث)، قد لجأوا إلى برقة دون سواها من المدن الهللينية بقورينائية أو بغيرها من المدن الأخرى، لما لبرقة من صلة عضوية بسكان قوريني، ثم إن برقة كانت، وكما يرى شامو[1]، بيد الارستقراطية الهللينية Ελληνες منذ حلول أخوة اركسيلاوس (الثاني) 570 ـ 550 ق. م بها ثم لقربها دون سواها من قوريني.

استغاثت فرتيمي Φερετιμη عقب مقتل ابنها وحماه، بالفرس وبالتحديد بالستراب أرياندس Αρυανδης في مصر، الذي حاول بادىء الأمر حسب ذكر هيرودوتس[2]، تقصي أمر القتلة وتسليمهم له[3]، وحين أصر سكان مدينة برقة بأنهم جميعاً مسؤلون عن ذلك، قام بإرسال حملة عسكرية ضدهم.

وتدل وقائع الأحداث السابقة على أن وضع أركسيلاوس (الثالث) رغم ما قام به من عمليات تطهير واسعة في قوريني وبرقة، لم يستتب له تماماً، كما يدل استقدام فرتيمي للستراب ارياندس من مصر على أن أوضاعها رغم سيادتها لمجلس الشورى Βουλη لم تكن وطيدة الأركان.

وهنا تلوح أكثر من علامة استفهام، منها أين القبائل الليبية التي قيل عنها أنها تهللننت [تأغرقت] خلال هذا الوقت[4]؟ أم لأن برقة تُعتبر إلى حد ما مدينة ليبية لا يمكن اقتحامها بعناصر قريبة لها خشية الاتفاق، أو لعل هزيمة

(1) نفس المكان.

(2) Herod., IV, 167.

(3) يدل هذا الإجراء على ما سبق وأن ذُكر [الباب الأول، الفصل الثاني، صفحة 86] وهو أن الفرس درجوا في حروبهم على إشعار الخصم بذلك قبل الإغارة عليه.

(4) راجع ما سبق ذكره، بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 322.

ليوكن Λευκωνι لا تزال ماثلة في الأذهان[1]، أيضاً كيف تم اتصال فرتيمي بالفرس في مصر هل شخصياً أم بواسطة الرسل؟ وذلك لما في إجابة هذا التساؤل من علاقة بحيثيات سير الحملة وما تلاها من أحداث على صعيد البيت الباتي الحاكم في قوريني.

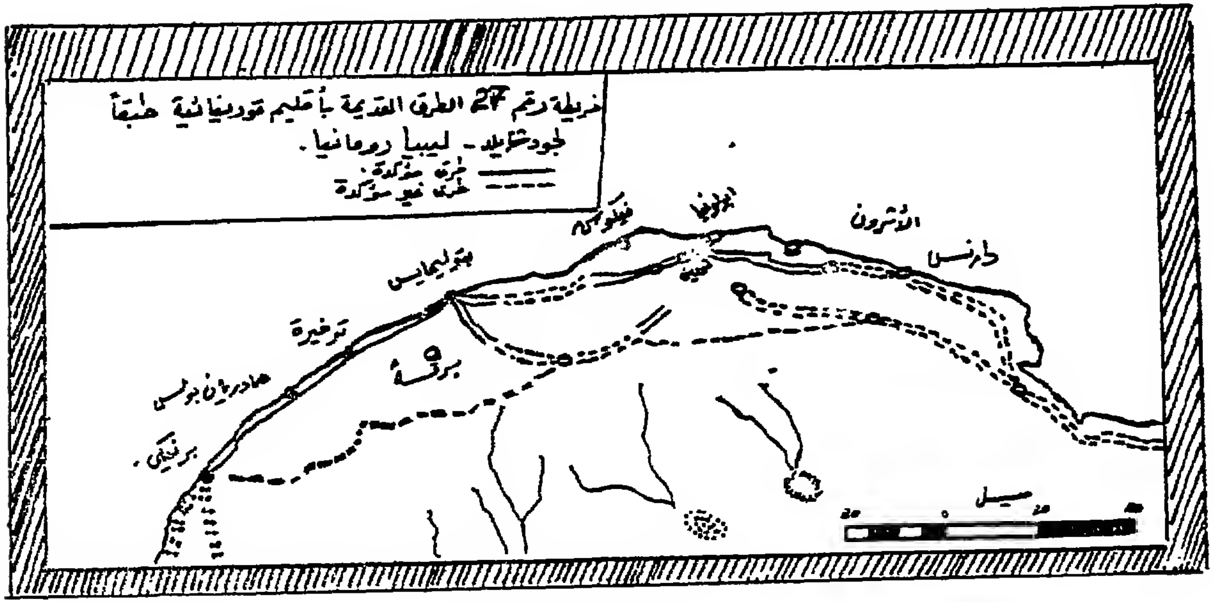
من جانب آخر يرى بعض الباحثين في سيادة فرتيمي على شئون قوريني السياسية مظهراً مشرقياً لم يعرفه الهللينيون في بلادهم الأصلية إذ «يستشف المرء من وراء ذلك سمة من سمات المنظار الذي كانت تنظر به أسرة الباطيين لطبيعة الحكم الذي كانت تمارسه، وهي نظرة كانت غريبة عن تقاليد الفكر السياسي الإغريقي [الهلليني] في تلك الحقبة من التاريخ، رغم ما نلمسه لديها [أركسيلاوس (الثالث)] من ميل إلى تفرد بالسلطة، ورغم ما أبداه من طغيان غوغائي تجاه خصومه الارستقراطيين يُعتبر السمة المميزة لفترة حكمه[2]».

وعلى صعيد التاريخ الفارسي الأخميني، تعددت وجهات النظر حول البواعث الحقيقية لإرسال الستراب ارياندس Αρυανδης تلك الحملة.

ففي حين يذكر هيرودوتس[3] أن الفرس أرادوا بها هدفين، ظاهري تمثل في الهجوم على برقة، وأخذ الثأر من قتلة أركسيلاوس (الثالث) وتدعيم عرش الباتوسيين المتضعضع، وآخر باطني أو عميق، وهو إجبار القبائل الليبية على التبعية لهم إذ القليل منها على كثرتها، من أعلن خضوعه لهم.

فإن منكلس[4] Menekles يورد أن تلك الحملة كانت موجهة ضد

(1) راجع ما سبق ذكره، بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 219.
(2) شامو، المرجع السابق، ص ص 195 ـ 196.
(3) Herod; IV, 167.
(4) عن هذا المؤرخ راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 245 هامش (1).


خريطة رقم 27 الطرق القديمة بأقليم قورينائية طبقاً
لجودتشايلد - ليبيا رومانيا.
طرق مؤكدة
طرق غير مؤكدة
بطوليمايس
توخيرة
برقة
برنيكي
أبولونيا
الأثرون
دارنس
ميل

خريطة رقم 27

قوريني دون سواها[1] ويؤيده في ذلك جود شايلد وآخرون[2] وهم يستندون في ذلك إلى دليل مادي تمثل في كشفهم عن مجموعة من المباني الواقعة خارج أسوار مدينة قوريني، والتي كانت قد حطمت عمداً، وتعود إلى القرن السادس قبل الميلاد، كذلك يدعم رأيهم هذا عثورهم على العديد من تماثيل اركايك Archaic وجدت مطمورة بقوريني، وهي بحالة سليمة وجيدة، وهم يشبّهون ذلك بعمل الاثينيين عند غزو اكسركسيس (الأول) لهم سنة 480 ق. م[3].

ويذكر سليم حسن[4]، وهو يخلط بين اسم بيرنيكي وبرقة أن إرسال تلك الحملة كانت محاولة من أرياندس لإظهار ولاءه لسيده داريوس (الأول)، فأراد الاستيلاء على بلاد ليبيا وإخضاعها للفرس.

ولما كانت الحملة الفارسية الأولى، قد أرسلت ضد برقة وليس بيرنيكي، الذي هو اسم مدينة يوسبيريدس في العصر البطلمي، فإن ليبيا، أو بالأحرى أهم مدينتين بأقليم قورينائية بالإضافة إلى بعض القبائل الليبية، كانت تابعة للفرس منذ غزو كمبيز (الثاني) لمصر سنة 525 ق. م، ثم كيف يكون جزاء الولاء الإعدام، وذلك، كما سنرى بعد قليل فأن أرياندس عقب إرساله لهذه الحملة بقليل أمر داريوس (الأول) بقتله[5].

ويعتقد جراي[6] Gray أن ارياندس استغل حدوث شقاق في قوريني

(1) Mitchell B.M., OP. Cit., P., 100.

(2) Goodchild R.G., Pedly J.G., and white D., "Recent discoversies of Archaic Sculpture of Cyrene", **Libya Antiqua, Annual of the Departement of Antiquities of Libya, VOL. III, IV, (1966-67), P., 81.**

(3) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، صفحة 96 وما بعدها.

(4) المرجع السابق، ص ص 92 ـ 93.

(5) انظر تفصيل ذلك، في الصفحة 271 وما بعدها بهذا الفصل.

(6) Gray G.B., The Foundation and Extension of the Persian Empire, The Work of Cambyses and Darius in Egypt, **C.A.H.IV,** Chapter I, P., 42.

وبرقة ليوسع السيطرة الفارسية حتى يوسبيريدس.

أما عن خط سير الحملة الأولى، وماهية الأسطول البحري فيها، فإنها أي تلك الحملة أرسلت وكان جيشها بري بقيادة أماسيس[1] Αμασις وبحري بقيادة بادريس Βαδρης وجدير بالتنويه هنا أن بعض الأبحاث تخلط بين أماسيس هذا وأرساميس Αρσαμης قائد الحملة الثانية ضد برقة أيضاً[2].

سارت الحملة الأولى بسلاحيها متضافرين، واستناداً إلى بحث جود شايلد، خريطة ليبيا الرومانية، والذي ذكر فيه أن معظم الطرق التي استعملها الرومان ROMAN في أقليم قورينائية كانت تمر بآثار هللينية ـ رومانية[3]، فعليه لا يُستبعد أن تلك الطرق أو بعضها على الأقل تم استخدامه من قِبل الهللينيين، مستوطني ذلك الاقليم، ومن هنا يمكن الترجيح بأن الحملة الفارسية الأولىقد سارت على الطريق الممتد مباشرة من خليج «البمبة» إلى قوريني، إذ أنه أقصر الطرق الثلاث التي كانت تربط تلك المدينة بالجهات الشرقية من ليبيا، كما أنه يصل ليبيا بمصر، وهذا الطريق كما وضّحته خريطة Peutinger بالإضافة إلى كونه مباشر، فأنه يسير محاذياً للساحل مما يساهم في إمكانية تضافر السلاحين في السير، على العكس من الطريقين الآخرين اللذين كان أحدهما يسير بأعلى الهضبة جنوب دارتس عشرين كيلو متر[4].

---

(1) يذكر .Herod., I, 25; IV, 167, 201, 203 أن بادريس من باسارجاداي المدينة الفارسية وأن أماسيس من قبيلة المارافية، كما جاء بشأنه في إحدى الحوليات الديموطبقية أنه المُشرف على الجنود وفي أخرى المشرف الأعلى للجنود، ويعتقد أنه مصري تقلد مكانة هامة في الإدارة الفارسية بمصر، للمزيد عن ذلك انظر: سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 95 ـ 96 ;Posener O., OP. Cit., PP., 41 - 47; 77 FF

(2) عن الحملة الثانية، انظر الصفحة رقم 286 وما بعدها بهذا الفصل.

(3) Goodchild R.G., **Mapping Roman Libya**, P., 150;
رجب الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، ص 81.

(4) Goodchild R.G., **OP. Cit.**, P., 151.

كما يمكن القول بأن الحملة (الأولى) قد أقلعت من قوريني إلى برقة عبر الطريق الخارج من الأولى إلى الثانية ومن ميناء قوريني [ابوللونيا] ماراً ببعض الموانىء أو المرافىء الصغيرة مثل فيكوس Phycus وميناء رأس عامر[1] (؟)، وهذا يعني محاذاتهم للساحل وهذا أيضاً أدنى للاعتقاد، إذ يؤكد تضافر السلاحين البري والبحري في زحفهما على المدينة.

يذكر هيرودوتس[2] أن الحملة حاصرت برقة لمدة تسعة أشهر قبل أن يتمكنوا من فتحها الذي تم بواسطة خدعة آجادها الفرس، خاصة أماسيس الذي قام بحفر خندق صغير ليلاً وغطاه بألواح رقيقة من الخشب، ثم دعا سكان برقة وساستها للتفاوض في أمر صلح فاتفق الجميع على السلم طالما كانت الأرض التي يقفون عليها [الخندق الخفي] على حالها وتبادلوا عهداً مصحوباً بالقسم يحترم تلك المعاهدة، وعندما فتح البرقيون أبواب مدينتهم لجنود الحملة، قام هؤلاء بكسر ألواح ذلك الخندق، فتحرروا بالتالي من ذلك القسم، ودخلوا المدينة غُزاة فاتحين، ليعيثوا فيها قتلاً وتخريباً[3].

والمثير للتساؤل في هذا الموضع أولاً لماذا تتجاوز الحملة، إذا تغاضينا عما ذكره منكلس وأكده جود شايلد وغيره[4]، مدينة قوريني إلى برقة؟.

وهذا لعل مرده إلى أن قوريني حتى هذا الوقت لم يظهر أو يبدر عنها ما يُنبىء بخلع الموالاة للفرس أو للعائلة الباتوسية، وإن كان هناك دلائل تُشير

---

(1) تُجري بعثة Mission Archerlogique Francaise en Libye Apollonia Cyrenaique والتي يترأسها البروفسور Andre Laronde دراسة حول ميناء الحمامة ورأس عامر، لا زالت تحت التنفيذ، ويمكن عن ذلك المينائين مراجعة: ـ

Yorke R., **OP. Cit.,** PP., 3 F.

(2) Herod., Iv, 201.

(3) راجع ما سبق ذكره بالصفحة 263 من هذا الفصل.

(4) الجدير بالذكر أن مثل هذه الحيلة تكررت كثيراً في مؤلفات هيرودوتس، خاصة فيما يتعلق بالمدن التي استعصت على الفرس.

إلى حدوثه فيما بعد ومما يرجح القول الأول أن أحد القادة [أماسيس] ذكر أنه أرسل ضد برقة فقط دون سواها ثم إذا كان هناك أي دلائل تُشير إلى اشتراك قوريني في خلعها للباتوسيين، فإن الفرس يكونون بزحفهم على برقة أولاً وتجاوزهم لقوريني كتكتيك استراتيجي من قائدي الحملة، إذ أنهما بذلك قد ضمنا عدم اشتراك برقة مع قوريني في حالة الهجوم على الأخيرة أولاً، ولمنحها الشعور بأن غرضهم فقط برقة مُرجين ذلك الوقت لاحق كأن يكون في عودتهم إليها بعد برقة، وهو ما حال دون حدوثه ظهور مستجدات على مجريات الحملة، سيتم ذكرها في وقت لاحق.

ثانياً ما هي ماهية الأسطول البحري، وما دواعي إرفاقه بالحملة؟.

ولمناقشة هذا الأمر، بالإمكان القول أن الفرس دأبوا منذ وقت مبكر في حملاتهم العسكرية على أن يعاضد كل جيوشهم أسطول بحري وقد استمر هذا التقليد حتى زمن متأخر من تاريخ تلك الامبراطورية[1]، وتكون مهمة الأسطول البحري في العادة إضافة لمهمته القتالية، نقل الجنود إلى حيث موضع الغزو في حال وجود بحار تفصلهم عن ذلك، ومن جهة أخرى كان يقوم بحمل الأسلاب التي كانوا في العادة يقومون بتجريدها من المدينة المفتوحة بما فيها الأسرى.

أما فيما يتعلق بإرساله ضد برقة، فأنه سبق القول بأن هذه المدينة بما لها من شهرة اقتصادية واسعة كانت تمتلك ميناءً بحرياً، وهو الذي صار فيما بعد مدينة بتوليمايس هذا من جهة، من جهة أخرى وقياساً على ما سبق للفرس أن قاموا به، فلا بد أن إمكانيات هذه المدينة كانت من الضخامة والقوة ما استوجب إرفاق ذلك الأسطول بالحملة من جانب آخر، نستشف

(1) من ذلك مثلاً أن الفرس عند إعادتهم إخضاع مصر في زمن أرتاكسركسيس (الثالث) أوخوس 359 ـ 338 ق. م كان برفقة الجيش أسطول بحري قدر عدد سفنه بنحو ثلاثمائة سفينة.

منه امتلاك برقة لأسطول بحري خاص بها، وإن كانت المصادر تصمت عن أي مواجهة قامت بين الأسطولين، أو ما مدى الدور الذي قام أسطول بادريس به باستثناء أنه خلال مدة الحصار لمدينة برقة قد واصلت طلائع منه [الأسطول الفارسي] زحفها حتى وصلت يوسبيريدس[1] Ευεσπεριδας.

وهنا تلوح أكثر من علامة استفهام، لماذا كان ذلك، هل لأن يوسبيريدس كانت تعتبر إحدى المدن الدائرة في فلك السيطرة البرقوية، والتي ربما ضمها أقليمها أيضاً حسب ما يرى البعض[2]، وهل نتج عن ذلك اعتراف هذه المدينة بهم[3].

من ناحية أخرى ماذا عن توخيرا؟ أم نفهم من قول هيرودوتس أنها [الحملة] وصلت يوسبيريديس، أنها قد مرت بها ضمناً.

على صعيد آخر، لعلهم، أي الفرس، أرادوا بذلك الاستعراض وتعقب القبائل الليبية في هذه الأنحاء، وهي التي ما انفكت مصدر إزعاج بما كانت تشنه من غارات على تلك المدن[4]، وبالتالي أرادوا السيطرة عليها، وخاصة إذا نظرنا إلى ما كانت تمتلكه من مقدرات اقتصادية ضخمة، وهي [المقدرات] ما أوجب تتبعهم دون بقية القبائل الليبية الأخرى، كتلك القاطنة في الجنوب الليبي مثلاً.

---

(1) Herod., IV, 204.
من جهة أخرى يعتقد شامو، المرجع السابق، ص 200 أن إرسال تلك الطلائع قام بها الفرس عقب افتتاحهم برقة وليس أثناء حصارها.

(2) راجع ما سبق ذكره بالباب الثاني، الفصل الثاني، صفحة 246.

(3) ذلك أن عبد الله حسن المسلمي، كاليماخوس القوريني شاعر الإسكندرية، (منشورات الجامعة الليبية، 1973 م)، ص 21، واستناداً إلى بنداروس Schol. Pyth., V, P. 175, Dr 5 يعتقد أن يوسبريديس تم وضعها عقب تقهقر الحملة الفارسية الأولى تحت حكم باتوس (الرابع) الذي قام بتنصيبه الفرس.

(4) راجع ما سبق ذكره بالباب الثاني، الفصل الثاني، صفحة 223.

من جانب آخر لعلنا نلمس هنا أيضاً ماهية أخرى للأسطول، إذ ربما أُرسلت تلك الطلائع نحو يوسبيريدس في حين ظل الباقي مُساهماً في حصار ميناء مدينة برقة.

عقب تقهقر الحملة (الأولى) عن برقة، متجهة إلى مصر مرت بقوريني، التي يذكر هيرودوتس أن سكانها فتحوا لها أبوابها، فعسكرت خارج أسوارها، عند تل زيوس لوكايوس[1] Ζευς Λυκαλος ثم رأى أماسيس أخذ المدينة، ولكن اختلاف رأيه عن رأي زميله وعدم سماح سكان المدينة لهم بذلك، ثم التغاضي عن ذلك، ثم لم يمر وقت طويل على ذلك حتى قامت الحملة قافلة إلى مصر[2].

وإذا كان جود شايلد وغيره يشكون في أمر حدوث ذلك في أوبة الحملة من برقة ويتساءلون عما كان يفعله قائد الأسطول البحري في قوريني، في الوقت الذي كان يجب فيه أن يكون بأسطوله الراسي على ما يُحتمل بميناء قوريني [ابوللونيا] أو أحد الموانىء أو المرافىء الصغيرة الأخرى[3].

وبالإمكان إضافة أنه ربما قد حدث ذلك فعلاً من قبل الحملة، وتكون تلك اللُقى التي عُثر عليها مطمورة، وهي في حالة سليمة، إضافة لتلك المباني التي تم هدمها عن عمد قد قام بها جنود الحملة عندما رأوا أخذ المدينة، وتصدي سكان الأخيرة لهم.

وعليه يكون انصراف الحملة عن فتح قوريني في بادىء الأمر والعودة إليها فيما بعد تأميناً لظهورهم، أو لعل الفرس قد رأوا عقب عودتهم ـ خاصة

(1) تل زيوس تسمية متأخرة أو لاحقة لذلك الموضع الذي عسكرت به الحملة، وهو يبعد حوالي ستين فرسخاً شمال شرق قوريني وقد شهد فيما بعد قيام أكبر المعابد المخصصة للإله زيوس لوكايوس به، فصار يُعرف بتل زيوس لوكايوس.

(2) Herod., IV, 203.

(3) راجع ما سبق ذكره بالصفحة 265 هامش رقم (1) من هذا الفصل.

وأنه من المعلوم أن فرتيمي التي كانت تسوس البولى كانت برفقة الحملة في برقة ـ أن من كان يتولى شئون قوريني قد أظهر بوادر تنبىء بخلع السيطرة البانوسية، ومن ثم التبعية الفارسية وذلك استناداً إلى بعض الأبحاث التاريخية التي ترى أن قوريني قد شهدت قيام نظام جمهوري بها لفترة خمسة عشر عاماً تقريباً، ما بين اغتيال اركسيلاوس (الثالث) وتولي باتوس (الرابع)[1].

وعليه ربما إقامة جنود الحملة بتل زيوس لوكايوس للعسكرة فيه بغية الهجوم على مدينة قوريني، وعند محاولتهم فتح المدينة تصدى لهم أهلها الذين أنجدهم الانسحاب المفاجىء أو الطارىء لجنود الحملة، ومن ثم تكون حادثة تزويدهم بالمؤن التي ذكرها هيرودوتس[2] ما هي إلا إضافة متأخرة أدخلت على تلك الحادثة لإظهار سكان المدينة وساستها بمظهر الكريم العطوف، أو لعل تلك المؤن قد منحت فعلاً للأسرى المنفيين البرقويين، خاصة وأنه في الآونة الأخيرة قد تم العثور على كهف يقع بأحد الجبال المُطلة على ميناء قوريني [ابوللوبيا] به نقش باللغة الهللينية لعدة أسماء ملحقة بصفة البرقاوي، تؤكد دراسة مبدئية أنها تعود للقرن السادس قبل الميلاد[3].

(1) Mitchell B.M., OP. Cit., P., 105.
عبد اللطيف أحمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، (دار صادر، بيروت 1971 م)، ص 1251، وإذا كان سيتم نفي هذا الرأي عند الحديث عن تأريخ هذه الحملة، فإنه جدير بالذكر هنا أن أصحاب هذا الرأي، دفعهم لذلك أنهم ربطوا هذه الأحداث بما سبق ذكره من أن مصر قد شهدت في هذه الأحداث معاصرة لبداية حكم داريوس (الأول) والذي عُرف عنه إصراره على تدعيم سلطانه على كافة أنحاء ما استولى عليه الفرس الأخمينيون.

(2) Herod., IV, 203.

(3) قام بتلك الدراسة، التي قيد النشر الآن، جويس رينولدز والدكتور فضل علي، ويقع هذا الكهف المعروف بكهف الصخرة غرب مدينة سوسة حوالي 5 كم، وكتاباته بعضها بلون أحمر وبعضها بلون أسود، وأغلب الألقاب به تحمل صفة Βαρκαιος ولا وجود لألقاب Κυρηναιος

الأمر الذي يُرجح بدرجة كبيرة، وهذا ما يُعزِّزه أيضاً موقع ذلك الكهف ومكان النقش به أنهم أي أصحاب تلك الأسماء، كانوا فارين من مسيرة الأَسر والنفي التي ربما كانت قد تمت عن طريق ذلك الميناء أو المرافىء الأخرى القريبة منه.

أما عن إحجام الحملة (الأولى) دون إتمام فتح قوريني، فذلك لحدوث مستجدات أخرى في ولاية مصر، سوف يتم مناقشتها بعد حين[1]، وإن كانت ميتشل[2] ترى أن رواية هيرودوتس عن ذلك الإحجام بأن المؤرخ كانت له ميول نحو قوريني الذين كانوا [القورينيون] في الوقت نفسه رواته، فحاول تبرئتهم من أية شكوك استسلامية أو سمات لذلك.

وهكذا سارت الحملة قافلة لمصر، التي وصلتها بعد أن أخذ منها التعب واعتداء القبائل الليبية على مؤخرة الجيش البري كل ما أخذ.

كان لهذه الحملة نتائج عدة، على المستويين الداخلي والخارجي، أي فيما يتعلق بالمدينة برقة أو بالإقليم قورينائية والخارجي فيما يتعلق بعلاقة ذلك الأقليم بالامبراطورية الفارسية.

فعلى مستوى المدينة يذكر هيرودوتس[3] ومن أخذ عنه من الباحثين أن الفرس فتحوا المدينة، قامت فرتيمي بقتل جميع من كانت لهم صلة باغتيال الملك وحماه الأزير وبخوزقة الرجال على جدران سور المدينة، والتمثيل بنسائهم وسبي من بقي منهم على قيد الحياة[4]، والذين يضيف منكلس

(1) انظر الصفحات 271 وما بعدها بهذا الفصل.

(2) Mitichell B.M., OP. Cit., P., 107.

(3) Herod., IV, 202.

(4) مثل هذا العقاب يُعتبر طريقة متعارف عليها عند الفرس في معاملة أعدائهم أو من حاول التصدي لهم، وقد جرى بنفس الكيفية تقريباً، حسب ذكر هيرودوتس لمدينة بابل وميليتوس، وباكسوس التي هُجِّر سكانها للإقامة قرب أحد مصبات الدجلة، وسكان أرترية للإقامة قرب سوسة عِقاباً لهم على موقفهم من ثورة المدن الأيونية.

Menekles بشأنهم أنه قد تم إرسالهم إلى مصر عن طريق البحر، ومن ثم لحقت بهم فرتيمي نفسها، وقضت عليهم جميعاً[1]، ذلك في حين تذكر مصادر أخرى أنهم بعد ترحيلهم إلى مصر أُرسلوا إلى داريوس (الأول) بسوسة الذي أنزلهم بمدينة في باكتيريا Βακτριης سُميت بعد ذلك برقة[2].

وقبل الاستمرار في إيراد نتائج هذه الحملة على مستوى الإقليم، يستحسن بنا الوقوف عند عبارة تخريب مدينة برقة، وهي عبارة لا يكاد يخلو منها بحث تناول هذه الفترة من تاريخ المدينة، وهي (العبارة) على ما يبدو فيها كثير من التجني، وهي ما دفع ببعض الباحثين[3] بشأن ظهور مدينة بتوليمايس إلى الاعتقاد بأن عقب ذلك الإجراء قام من نجا من عقاب فرتيمي بهجرة مدينة برقة إلى مينائها، حيث قامت نتيجة لذلك مدينة ازدهرت فيما بعد، عُرفت باسم بتوليمايس.

وهذا رأي يُقلل من أهميته إن لم يكن بطلانه أن رواية هيرودوتس صريحة بهذا الشأن، فلم تتعد أن فرتيمي في عقابها أولئك الذين كانت لهم صلة بقتل ابنها وحماه. إضافة إلى أن المدينة برقة استمرت تلعب دوراً

---

(1) Mitichell B.M., OP. Cit., P., 103.

(2) باكتيريا مقاطعة في أقصى شرق آسية، خضعت للفرس، زمن قورش الكبير (الثاني) كانت منطقة مزدهرة لوقوعها على طريق تجاري هام.
عاش الليبيون [البرقيون] المنفيون في تلك المدينة التي أطلقوا عليها اسم برقة ويُذكر إن الإسكندر المقدوني عند قيامه بالزحف على الامبراطورية الفارسية بالاستيلاء على تلك المدينة وأنزل فيها مستعمرة هللينية مكونة من أربعة عشر ألفاً من الهللينيين، وذلك حوالي 333 ق. م لتُصبح إحدى المدن المهمة في مملكة ديورتس في العصر الهللينستي، ثم عرف العرب فيما بعد ذلك الأقليم باسم خراسان وعاصمته بلخ، افتتحها ابن قيس الأصنف سنة 33 هجرية، ودمرتها قوات جنكيز خان سنة 617 هجرية، ملاحظة أخيرة أن برقة تقع الآن على طريق ساحلي يبعد 16 كم شمال شرق أنتاليا الحديثة في شمال أفغانستان.

(3) Thrige J.P., OP. Cit., PP., 138 FF;
إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 93.

سياسياً هاماً، ربما على مستوى أقليم قورينائية بأجمعه، وذلك كما ستتبين بعد قليل، ويكفي تدليلاً على هذا القول الأخير أن الفرس أرسلوا حملة أخرى في وقت لاحق ضد هذه المدينة بالذات[1].

تكاد الأبحاث التاريخية تجمع على أن الفرس عملوا قبل مغادرتهم إلى مصر على تنصيب باتوس (الرابع) ملكاً على مدينتي قوريني وبرقة، كما وضعت يوسبيريدس تحت تصرفه أيضاً حسب اعتقاد البعض[2].

وبالتالي يكون إلتحاق فرتيمي بفلول الجيش الفارسي المغادر إلى مصر، موضوع إبهام وغموض في أحداث تلك الحملة والمرحلة من تاريخ قورينائية السياسي.

وهذا التباين بشأن تولي باتوس (الرابع) للحكم ساهم في إيجاده صمت هيرودوتس المطبق عن هذه الفترة[3]، وهو الأمر الذي جعل البعض يعتقد بأن الأقليم قد شهد لفترة قصيرة نظاماً جمهورياً، قبل إعادة نظام الباتوسيين الملكي[4].

وتساءل ميتشل[5] «قد بين منكلس إن فرتيمي قد عينت حفيدها وأوصلته للعرش قبل ذهابها لمصر، كيف يمكن لها القيام بذلك، وكيف يمكن لها أن تنجح في إرسال مغتالي اركسيلاوس (الثالث) إذا كانت هي هاربة كما قال هيرودوتس؟.

وعليه فربما يكون منكلس على خطأ فيما يتعلق بتولي باتوس (الرابع) للعرش، أو يكون اقتباسه قد تلافى حلقة مهمة في روايته، وهذه الحلقة

---

(1) عن الحملة الفارسية الثانية انظر الصفحة 286 وما بعدها.

(2) راجع ما سبق ذكره بالصفحة 264 هامش (1) بهذا الفصل.

(3) رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 40 هامش (4) .Larond A., OP. Cit., P., 40

(4) راجع ما سبق ذكره بالصفحة 258 هامش (1).

(5) Mitchell B.M., OP. Cit., PP., 103 F.

تكون تجدد المعارضة لفريتمي ورياتوس (الرابع) أنتج عنها إرسال قتلة اركسيلاوس (الثالث) إلى مصر ومغادرة فرتيمي أيضاً لقوريني.

أما على صعيد الامبراطورية الفارسية فقد كانت أولى النتائج المباشرة لهذه الحملة إعدام داريوس (الأول) للستراب ارياندس Αρυανδης

وقد تعددت الآراء التي تناولت هذا الإجراء، فذكر أن ولاية مصر كانت قد شهدت عقب موت كمبيز (الثاني)، ثورة عارمة، فر على أثرها ارياندس إلى بابل Βυβυλων ثم أعاده داريوس (الأول)، فأخمد تلك الثورة، بأسلوب أدى إلى مزيد من الكراهية ضد الفرس من جانب المصريين[1].

وهنا أيضاً تباينت الآراء بشأن هذه الثورة بين مؤيد ونافي لها، وقد استند أصحاب المذهب الأول في رأيهم إلى بعض الحوليات الديموطبقية[2]، وإلى عبارة وردت على لسان داريوس (الأول) في نقوشه على أحد أنصاب قناة «السويس»، والتي ذكر فيها: «أنا فارسي من فارس، وفتحتُ مصر[3]»، ولما كان من المعلوم أن مصر كان قد تم فتحها زمن كمبيز (الثاني) سنة 525 ق. م، فأن تلك العبارة قد أدت بالبعض إلى الاعتقاد بأن تلك الثورة قد أدت إلى تحرير مصر من السيطرة الفارسية وهذا

(1) Olmstead A.T., **History of Persian Empire**, P., 113;
جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، تعريب عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري. (دار الفرجاني، طرابلس، الطبعة الأولى، 1972 م)، ص 30.

(2) من ذلك ما جاء على لسان وزاحر رسنت أنه قد حل اضطراب بسايس وكل أراضي مصر، ومعلوم أن وزاحر رسنت قد عمل في الإدارة الفارسية بمصر زمن كمبيز (الثاني) وداريوس (الأول) وقد فر من مصر ثم أعاده داريوس (الأول) إليها، للمزيد عنه انظر: ـ
Posener O., **OP. Cit.**, P., 167; Burn A.R., **OP. Cit.**, P., 105;
سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 90 ـ 91.

(3) Cameron G.G., "Darius, Egypt and the Lands beyond the sea", **JNES**, II, (1943), PP., 309 F; Posener O., **OP. Cit.**, P., 180; Gray G.B., **OP. Cit**; P, 24.

ما فهمه أيضاً بعض الباحثين ضمناً من إشارة وردت عند المؤرخ بلينوس[1].

وإذا كان سيتم نفي هذا القول بعد قليل، فإنه يستحسن الآن التطرق إلى بقية تلك الحجج التي سيقت تبريراً لإعدام ارياندس، ومنها أنه عقب نجاحه في إخماده تلك الثورة [المصرية] سعى الآن لأن يُظهر ولائه وشكره لسيده داريوس (الأول) لإعادته إياه إلى السترابية في مصر ومساعدته للقضاء على تلك الثورة، فقام بمحاولة للإستيلاء على ليبيا، ولما كانت هذه الحملة حسب رأي البعض[2] لم تؤد إلا إلى نجاح جزئي ولما كان داريوس (الأول) لا يصمت عمن يُلحق به هزيمة فإنه أمر بإعدام ارياندس.

ولما كانت تلك المصادر الديموطبقية التي ذكرت الثورة تحتمل أكثر من تفسير. ولما كان بلينوس لا يحدد تاريخ تلك الثورة التي استند عليها البعض، فإنه من المرجح أن ما أدى إلى إعدام ارياندس أنه وكما قال هيرودوتس[3] قد حاول اغتصاب سلطة الملك، بمعنى آخر حاول الاستقلال بما تحت يديه عن الامبراطورية الفارسية إذ أننا نجد عقب وفاة كمبيز (الثاني) حاول كثير من الحكام الثورة على الحكم الفارسي[4]. ولما كانت بعض الولايات الأخرى بأيدي حكام غير فرس فإن محاولة ارياندس وأورتيس Οροιτης ستراب ليديا[5]، تعتبران نموذجان فريدان في إحداث تلك «الانتفاضة» ذلك أنهما فارسيان، ثم تعيينهما، الأول من قبل كمبيز (الثاني) والثاني من قبل قورش (الثاني).

ويبدو أنهما عقب وفاة كمبيز (الثاني) وشغور العرش لفترة من حاكم على كل الامبراطورية بل وانشغال العاهل الجديد [داريوس (الأول)] في

(1) Polyaenus, VII, 11,7; Burn A.R., Loc.Cit.

(2) جون رايت، المرجع السابق، ص 83.

(3) Herod., IV, 166.

(4) راجع ما سبق ذكره، بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 38 وما بعدها.

(5) Herod., III, 127 FF.

إخماد تلك الثورات المتعددة يبدو أنهما، وقد توافر لهما من القوة والموارد الاقتصادية اللازمة، وبعد عن مركز الامبراطورية وهما كغيرهم من الولاة، قد عاشوا ولو على مستوى أقل في ولاياتهم عيشة الملوك، إذ كان لكل منهما قصره ـ حرسه ـ بلاطه ـ وجيشه، وهي حالة كما نرى الآن لم تخلو من مخاطر ـ لكل ذلك يبدو أنهما قد حلما بالاستقلال والانفصال بما تحت أيديهما.

وفيما يتعلق بأرياندس فإنه من الدلائل التي تساق على رغبته في الخروج بمصر وما يتبعها عن السيطرة الفارسية المركزية، وأنه قام بإرسال حملته تلك ضد برقة دون علم أو استئذان داريوس (الأول) والتي ربما سبقها بقيامه بسك عملة خاصة به Αρυανδικον من الفضة الخالصة تضاهي عملة داريوس (الأول) Δαρεικοι والتي كانت من الذهب(1)، ثم قيامه بإهمال الأوامر الصادرة إليه من داريوس (الأول) فيما يتعلق بجمع القوانين المصرية القديمة(2)، ثم تقاعسه عن مد يد العون الفعلي لداريوس (الأول) في إخماده للثورات الأخرى.

ويتناول بورن(3) Burn هذه الأسباب بالشرح، فيقلل من أهمية الرأي القائل بسك تلك العملة من قبل أرياندس، إذ يرى أنه حتى الآن لم يتم العثور على أي قطعة أو نموذج من تلك العملة الفضية على الرغم من أنها كانت من الفضة الخالصة كما ذكر هيرودوتس، كما يحاول الإيحاء بأن سكها

---

(1) Herod., IV, 166; Burn A.R., OP. Cit., P., 160; Gray G.B., OP. Cit., P., 181.

(2) تذكر بعض الأبحاث، استناداً إلى بعض الحوليات الديموطيقية أن جمع القوانين المصرية تمت في السنة الرابعة من حكم داريوس (الأول)، وحينما كانت مصر يقوم على ولايتها الستراب فارانداتيس Φαρανδατης وهذا لا يمنع من أن اتجاه داريوس (الأول) للاهتمام بهذا الأمر كان منذ أرياندس، للمزيد انظر: ـ

Posener O. OP. Cit., P., 95; Cameron G.G., OP. Cit., PP., 309 FF; Olmstead A.T., OP. Cit., PP., 135 FF.

(3) OP. Cit., PP., 106 FF.

ربما كان في وقت سابق أو مزامن تماماً للوقت الذي أصدر فيه داريوس (الأول) عملته الذهبية، أي في الوقت الذي لم تُعرف فيه عملة داريوس (الأول) في مختلف أنحاء الامبراطورية، بمعنى أن ذلك العمل الذي قام به ارياندس إضافة إلى أنه اعتبر حط من قدر عملة داريوس (الأول) لعل له علاقة بالاعتداء على سبائك فضة تُعتبر ملكاً للامبراطورية لا يحق للستراب التصرف فيها.

لكل تلك الأسباب، التي ربما رافقها تذمر مصري[1]، قام داريوس (الأول) باستدعاء ارياندس للمثول بين يديه، والذي يبدو أنه رفض الحضور، مما استوجب إقالته عن السترابية، وهو النبأ الذي تلقاه ارياندس بإعلان التمرد والعصيان في وجه داريوس (الأول) وهو ما حتّم من جهة أخرى على ارياندس استدعاء تلك الحملة من ليبيا قبل أن تُكمل على ما يبدو مهمتها، كما حتّم من جهة أخرى وفي الوقت نفسه على داريوس (الأول) الحضور شخصياً لمصر رغم مشاغله المتعددة[2]، وتغلبه على ذلك بإعدام ارياندس.

من جهة أخرى يبدو أن داريوس (الأول) حاول معالجة أمر ارياندس قبل أن يستفحل خطره، كما كان مع اوروتيس Ὀροιτης ستراب ليديا، الذي حاول الاستقلال بما تحت يديه، بل حاول الاعتداء على الولايات المجاورة له فقام بتدبير قتل الستراب MITPOBATEA وابنه وبعض الفرس[3]، كما اتهم بتدبير قتل بوليكراتوس Πολυκρατεος طاغية ساموس Σαμος الموالية للفرس[4].

---

(1) من الدلائل التي ربما تُشير إلى ذلك التذمر محاولة داريوس (الأول) القيام بالتقرب إلى المصريين بإغداق الهبات والأموال على معبوداتهم، خاصة فيما يتعلق بالمعبود أبيس، وإعفائه الكهنة من بعض الضرائب وأمره بإقامة العديد من الإنشاءات ثم تلقبه بألقاب الفراعنة، إلى غير ذلك.

(2) عن مشاغل داريوس (الأول) في هذا الوقت انظر صفحة 282 من هذا الفصل.

(3) Herod., III, 127 - 128.

(4) Herod., III, 120.

ويبدو أن هذا الطامع قد توافر له من أسباب السيادة والقوة ما استوجب من داريوس (الأول) أخذه غيلة وغدراً، وعليه لما كان هذا الحادث سابق لإعدام ارياندس، فان ذلك ما استدعى من داريوس (الأول) تدبّر أمر هذا الأخير مبكراً وقبل أن يستفحل أمره ويخرج بمصر وما يتبعها عن السيطرة الفارسية نهائياً.

وإعدام أوروتيس وأرياندس، الذي يراه الكثيرون أنه إجراء في سياق معاقبة داريوس (الأول) لمن تخلو عنه وقت الحاجة ومكافأته لأولئك الذين آزروه، كان من آثاره أو نتائجه المباشرة في تنظيم شئون الامبراطورية الذي أَوجده داريوس (الأول) فيما بعد اتخاذه احتياطاته لذلك الأمر، إذ قلل من صلاحيات الولاة في ولاياتهم، فأوجد المفتشين والمراقبين وعزل مهامهم الإدارية عن المهام العسكرية(1).

أما فيما يتعلق بنتائج تلك الحملة [حملة ارياندس ضد برقة] من حيث علاقة الإقليم قورينائية بالامبراطورية الفارسية، أن ذُكر وصُور [بالنحت البارز Bas Reliefs] الليبيون، ضمن الستراببيات الفارسية.

والمعروف أن قائمة الستراببيات أو الولايات أو النقوش التي تحوي أسماء الشعوب الخاضعة للفرس، قد اختلفت من وقت لآخر بل واختلفت أيضاً في فترة حكم العاهل الواحد، فإذا كان هيرودوتس(2) يُعطي اسم عشرين ولاية، فإن داريوس (الأول) وصل بذلك العدد إلى رقم يتراوح ما بين ثلاث وعشرين ولاية إلى تسع وعشرين ولاية على النحو التالي: -

على جدران القصور الملكية في برسيبوليس تم تصوير [بالنحت البارز] مندوبي الأمم الخاضعة للفرس، وقد جُمِعَ أولئك التقديم فروض الولاء والطاعة وتقديم أو إحضار الجزية النوعية لملك الملوك، والتي ربما كانت

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثالث، صفحة 144.

(2) Herod., III, 88 - 97; Gray G.B., OP. Cit., PP., 195 FF.

تُجرى كل ربيع في الاحتفال المُسمى بعيد السنة الجديدة[1] Now Roz وقد تم تصوير أولئك المندوبين على تلك الجدران مشتملين على لباسهم وحليهم وزينتهم بالإضافة إلى هداياهم والسلع الفريدة أو الممتازة التي أحضروها من أوطانهم كجزية نوعية، إذ كانت الضريبة أو الجزية المفروضة على الشعوب تؤدى نقداً أو عيناً حسب طبيعة الإقليم [الولاية] وسكانه[2].

فعلى جدران قسم من سلالم قصر داريوس (الأول) الجنوبية، وهو القصر المعروف باسم القصر المركزي أو قصر Tripylon هناك ثلاث وعشرين مشهداً في ثلاث صفوف بها نحت بارز يمثل مختلف الأقطار الخاضعة للامبراطورية الفارسية، كل مشهد أو منظر يمثل أقليم من تلك الأقاليم، وكل منها مفصول عن الآخر برسم رمزي محور.

وعلى حوائط سلالم قاعة داريوس (الأول) أو ما يُعرف بالأبادانا في برسيبولس Darius the Great's Hall of Audience or Apadana. تم تصوير أيضاً ثلاث وعشرين أمة خاضعة لهم، وهي تؤدي الجزية النوعية[3].

وفي نقوشه [داريوس (الأول)] التي وُجدت في نقشي بهستون أو في حجر نأسيس برسيبوليس، وصل تعداد تلك الأمم إلى ثلاث وعشرين أمه أيضاً[4].

أما في نقوشه في ما يُعرف بلوحة تل المسخوطة، فإن عددها قد وصل إلى أربع وعشرين إقليماً[5]، وهذه جميعاً تخلو من إيرادها لاسم ليبيا [بيوتيا].

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثالث، صفحة 202.

(2) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثالث، صفحة 146 وما بعدها.

(3) Collins R., **OP. Cit.**, P., 107; Matheson S.A., **OP. Cit.**, P., 226.

(4) Kent R., "Old Persian Texts, Darius Behistan Inscription, Colum V", **JNES** II, (1943), PP., 105 FF; Olmstead A.T., "Darius and the Behistum Inscription", **AJSLL**, IV, (1938), P., 393.

(5) Cameron G.G., **OP. Cit.**, P., 310; Olmstead A.T., **History of Persian Empire**, P., 149;

سليم حسن، المرجع السابق، ص 723.

ثم ازداد ذلك العدد، إذ وجد على باب المدخل الشرقي لقصر داريوس (الأول) المسمى تربليون Tripylon، هذا العاهل جالساً على عرشه المرفوع بواسطة ممثلي ثمان وعشرين إقليماً، في حين يقف اكسركسيس ابنه وولي عهده يرقب المنظر(1).

وفي نقوش نقشي روستام المتأخرة، والتي دُونت نهاية عهد داريوس (الأول) يوجد تسع وعشرين اسماً لأقاليم تم إخضاعها للفرس(2).

ويعلل هذا الاختلاف في إيراد تلك الأرقام للشعوب الخاضعة لهم، والتي كما لوحظ كانت خلال عهد حاكم واحد فقط، بأن الفرس في تلك النقوش كثيراً ما يسقطون أو يغفلون ذكر بعض الأسماء عمداً، كما كان مثلاً في نفس لوحة تل المسخوطة، الذي لم يرد به ذكر لليبيا [بيوتيا] ولا أثيوبية [كوشية] لأن النقش حسب رأي البعض من الباحثين كان يقتصر على ذكر الأقاليم المستفيدة من شق قناة «السويس(3)»، كما أنهم [الفرس] كثيراً ما يكررون اسم الأقليم الواحد في النقش الواحد كما كان مثلاً في اسم العرب في نقش بهستون(4).

أما عن الزيادة حتى بلغت تسع وعشرين إقليماً فإنها ناتجة عن ورود اسم ليبيا [بيوتيا] وأثيوبية [كوشية] إضافة إلى تقسيم بعض الولايات السابقة إلى أجزاء أصغر مثل ولاية ساكا Σακα التي تم تقسيمها إلى Saka byond pointed Hat Saka-Amyrgian Saka, the sea كما تمت إضافة ولاية مقدونية وتراقية (SKUDRA) وذلك عقب غزو داريوس (الأول) لأوربة

(1) Dalton O.M., **The Treasure of the Ouxus,** (London, 3 rd, ed., 1964), P., 72.

(2) Kent R., **OP. Cit.,** P., 306, note 20; Burn A.R., **OP. Cit.,** PP, 109 FF.

(3) Olmstead A.T., **OP. Cit.,** P., 149.

(4) Kent R.G., "Old Persian Texts I, the Darius Suez Inscription, **JNES, I,** (1942), P., 215; Burn A.R., **OP. Cit.,** P., 115.

سنة ق. م وولاية كارية (كاركا[1]).

أما عن هيرودوتس الذي يورد عشرين ولاية فارسية فقط، وذلك عا
الرغم من قوله أن تلك القائمة مطابقة لما كان موجود في عهد داريو
(الأول) فإن كل الأسماء المهمة بالإمكان مطابقتها مع ما ورد بالمصا
الفارسية من أسماء، إلا أنه أغفل ذكر القليل من الأسماء مثل قبادو
وأراخوسية اللتان لم يذكرهما، كما أنه لم يذكر اسم ستراپيهما والملاح
الثالثة عن هذا المؤرخ أنه قام بجمع بعض الأقاليم لبعضها، وأعطاها تر
مسلسلاً، كأن ضم أربعة أقاليم في سترابية واحدة منها سورية ὀριων
فينيقيا، فلسطين وقبرص وأعطاها الترتيب الخامس، أو مصر وليبيا اللت
وضعهما في السترابية السادسة[2] والملاحظة الأخيرة أنه خلط بين حد
السترابيات وحدود مهام الستراب الذي كان من أهم أعماله جبي الجز
خاصة النقدية منها.

يعلل بعض الباحثين عمل هيرودوتس، هذا بأنه ربما كان متأثراً بالتنظ
الذي أوجده أكسركسيس (الأول) 486 ـ 465 ق. م للسترابيات فيه
بعد[3].

وعليه فأنه من المرجح أن ليبيا [بيوتيا][4] لم تكن ولاية مفردة، وإ
كانت ملحقة بمصر [مُدريا] وذلك استناداً إلى عدة اعتبارات منها: ـ

أولاً: لا وجود لذكر والي أو ستراب فارسي مقيم في ليبيا.

ثانياً: أن مجريات الأمور في قورينائية سواء من الناحية السياسية
الاقتصادية كانت تنبىء بأن الفرس لم يكونوا يفرضون على هذا الاقل

(1) mstead A.T., OP. Cit., P., 158; Burn A.R., OP. Cit., PP., 109 FF.

(2) rod., III, 91; Gary. G.G., OP. Cit., P., 194.

(3) rn A.R., OP. Cit., P., 111.

(4) كوشية، بيوتيا، مُدريا، هي أسماء أثيوبية، ليبيا، مصر، على التوالي، كما وردت
النقوش الكتابية الفارسية.

رقابة صارمة، نظراً لبعد الشقة بينهم وبينه، والتي نتبين منها، إحدى مميزات سياسة الفرس تجاه الأقاليم الموالية لهم.

ثالثاً: من الدلائل التي تُشير إلى اهتمام الفرس بهذا الأقليم وحرصهم على بقائه موالياً لهم تسييرهم حملتين عسكريتين، ضد إحدى مدنه، حينما شعروا باختلال الأمن فيه بشكل يؤثر على اتصاله بهم.

ولعلنا في إرسال تلك الحملتين من مصر دون سواها من السترابيات، يصدق القول الأول بإقامة الستراب في مدريا Mudrya [مصر] دون بيوتيا [ليبيا].

وهذا من جهة أخرى يقودنا إلى الافتراض بأن الإقليم، وكما رأى شامو[1] إن الجزية النقدية التي كان يؤديها للخزينة الفارسية في مصر لم تكن تشكل سوى جزء بسيط من السبعمائة وزنة فضية (تالنت Ταλαντων) التي هي إجمالي الجزية التي كانت تدفعها السترابية السادسة للفرس[2].

كما لا يستبعد أن يكون الأقليم قورينائية قد ساهم أيضاً في إمداد جنود الحاميات الفارسية الثلاث، الموجودة بمصر، بما يلزمهم من الحبوب خاصة القمح، إذ شهرة هذا الأقليم به مؤكدة، ومن الجدير بالذكر أن إجمالي ما كان يجب على السترابية السادسة توفيره من الحبوب يبلغ 12,000 مكيال Measures لأولئك الجنود[3].

---

(1) المرجع السابق، ص 218.

(2) Herod., III, 91; Burn A.R., OP. Cit., P., 124.

(3) Olmstead A.T., OP. Cit., P., 293.

هذا ومن الجدير بالتنبيه أن أولئك الجنود قد أُنزلوا بثلاث حاميات كانت إحداهن بالقلعة البيضاء في ممفيس والأخرى على الحدود الأثيوبية والثالثة على الحدود المصرية الليبية. من جهة أخرى يذكر سليم حسن، المرجع السابق، ص 594 «أن السترابية مصر كان قد فرض عليها تقديم غلالاً لإطعام جيش مكون من 120 ألف رجل».

من هنا ربما بالإمكان نفي القول بأن مصر لمفردها كانت تدفع أكبر جزية بعد الهند للامبراطورية الفارسية[1].

أما عن الجزية النوعية التي كان يدفعها هذا الأقليم، وهي كما تم تصوير الليبيين على القسم الجنوبي من السلالم الشرقية لقاعة الأبادانا، وهم يقدمونها لملك الملوك داريوس (الأول) فقد كانت عبارة عن بقر وحشي ذو قرون طويلة منحنية، وعربات تجرها أربعة خيول[2]، إضافة إلى الكباش[3].

كان لباس الليبيين في هذه المنحوتات أو كما ظهروا بها على قبر داريوس (الأول) بالشكل التالي: ـ الرأس غير واضحة لتأثرها سلبياً بفعل العوامل الجوية وغيرها، الشعر معقود للخلف، اللحية غير واضحة، يرتدون ثياب أو أردية عبارة عن قطعة واحدة طويلة تصل الكاحل، بحزام في الوسط، مشرشر الحافة، من جلد الأسود، الحذاء غير واضح، وإن كانت القدم تظهر مستقيمة، وسلاحهم رمحان طويلان لكل فرد منهم[4].

وقد تم تصويرهم [الليبيين] بعد الأثيوبيين، الذين ظهروا سود البشرة

(1) بلغت جزية الهند حسب هيرودوتس [94، 111] ألف وزنة من الذهب.
(2) هذه الأبقار ربما تلك التي أشار إليها هيرودوتس [IV, 133, 192] بأنها تمشي القهقرى، حين ترعى، والسبب كما ذكر أن قرونها منحنية للإمام.
من جهة أخرى يؤكد فرض الجزية النوعية من الخيول على الليبيين ما ذكره استرابون [XVII, 19] من أن خيول قورينائية قد اكتسبت شهرة عظيمة، وكانت مرغوبة من الملوك.
(3) Schmidt E.F., **Persepolis I, Structures, Reliefs, Inscriptions** (Chicago, 1953), P., 215; Matheson S.A., **OP. Cit.**, P., 228.
(4) Schmidt E.F., **Perepolis III, The Royal Tombs and other Monuments,** (Chicago, 1970), PP., 90 FF.

بملامح زنجية، يرتدون أردية طويلة وأحذية طويلة، بشعر معقوص أو مضفر بإحكام وهم يحملون آنية تشبه المزهرية وأنياب الفيل ويقودون زرافة[1].

ويأتي في الترتيب الثاني عشر المصريين، وهذا الجزء لحقه ضرر كبير نتيجة التدمير وإن كان يتضح منه أنه تم تصويرهم وهم يقدمون «يجرون» ثوراً ويحملون أقمشة[2].

ولا يعني هذا التسلسل الذي تم به تصوير الآقاليم، أن كل منها ولاية، إذ جاء بعد الليبيين زرانكا Zranka or Drangianians ثم يأتي بعدهم العرب، في حين يسبق المصريين الباكتيريون ومن بعدهم Pointed Hat Saka.، ذلك في حين تم تصوير السوريين، وترتيبهم هنا العشرون، وهم يقدمون جزية نوعية منها عربات يجر الواحدة منها حصانان صغيران.

والمعلوم من هيرودوتس أن سوريا وفلسطين وفينيقيا وقبرص كانوا يُشكلن الستراية الخامسة[3].

والملاحظات التي يمكن إيرادها عن هذه المنحوتات فيما يتعلق بليبيا: ـ

أولاً: أنه تم تصوير الليبيين دون الهللينيين من مستوطني قوريني وبرقة، على الرغم من أنهم أيضاً كانوا من أتباع الفرس.

ثانياً: رأينا الأثيوبيين يقدمون جزية نوعية، ولم نصادف لهم ذكراً في عداد الذين يدفعون جزية نقدية، وهذا الأمر نستنتج منه: ـ

أ ـ أن أثيوبية تم إخضاعها للفرس، منذ حملة كمبيز (الثاني) ضد مملكة مروى، الأمر الذي يُبطل زعم بعض الباحثين[4]، بأن حملة

(1) Matheson S.A., OP. Cit., PP., 229 FF.

(2) Ibid.

(3) Herod., I, 192 - 196.

(4) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الأول، صفحة 33 وما بعدها.

كمبيز (الثاني) تلك باءت بالفشل، خاصة ونحن نعلم أن داريوس (الأول) لم يصل إلى تلك الأنحاء.

ب ـ الأمر ذاته يُرجح أن أثيوبية لم تكن ولاية مفردة، وعليه ربما كانت مُلحقة بالقبائل الليبية وقوريني وبرقة مع مصر في الستراپية السادسة حسب ترتيب هيرودوتس[1]. خاصة وأن نقش داريوس (الأول) في لوحة تل المسخوطة ذكرهم متلاحقين (كوشية ـ بيوتيا ـ مديريا).

جـ ـ إضافة إلى الجزية النوعية التي تم تصويرها على جدران برسيبوليس والتي كانت أثيوبية تقدمها كل ثلاث سنوات، وفي حال صدق الاستقراء السابع فلعله كانت أثيوبية تدفع جزية نقدية أيضاً، وهي بذلك تشترك في مقدار السبعمائة وزنة فضية التي كانت المقدار المفروض على الستراپية السادسة.

ثالثاً: ربما كان بالإمكان من خلال حملة الجزية النوعية من الليبيين التكهن بمستوى المعيشة الاقتصادي الذي كانت تحياه القبائل الليبية، في ذلك الوقت، والتي أعلنت تبعيتها للفرس، بمعنى آخر لم يفرض الفرس جزية نقدية على تلك القبائل لعدم توفرها لديها، أو لعدم معرفتها للمال [العملة] خاصة ونحن نعلم من هيرودوتس وغيره[2] أن الليبيين كانوا يتاجرون مع القرطاجيين عن طريق المقايضة.

رابعاً: إن أكثر ما يشد الانتباه في أمر الجزية النوعية التي يدفعها أقليم قورينائية خلوها من أي إشارة عن نبات السلقيوم، على الرغم من أهميته ومكانته الاقتصادية.

---

(1) لا يعني هذا أن هيرودوتس قد ذكرها.

(2) Herod; IV, 196; Strabo, XVII, 20;
رجب الأثرم، المرجع السابق، ص 126.

خامساً: استناداً إلى تلك الصفات الجسدية التي ظهر بها الليبيون على منحوتات برسيبولس وما جلبوه معهم كجزية نوعية، ربما أمكن تحديد تلك القبائل من بين بقية قبائل ليبيا[1].

أما فيما يتعلق بتأريخ إرسال الحملة (الأولى)، فقد تناوله Noshy وقد برهن على أنها كانت في السنة 519 ـ 518 ق. م، وإضافة تلك الاستنتاجات والبراهين التي توصل بها هذا الباحث إلى أن ذلك التاريخ دون سواه يمكن القول أنه قد أكدت إحدى الوثائق الديموطبقية أن عجل أبيس قد مات في السنة الرابعة من حكم داريوس (الأول) 522 ـ 526 ق. م، كما تذكر مصادر أخرى أن داريوس (الأول) قد زار مصر في الوقت الذي كان فيه المصريون يلبسون الحداد على العجل إبيس.

كما ورد في إحدى الحوليات الديموطبقية الأخرى أن داريوس (الأول) أرسل إلى مصر في عام حكمه الرابع ستراباً جديداً يسمى فراندات[2].

ولما كان بلينوس يذكر أن داريوس (الأول) وصل إلى مصر بعد أن اجتاز الصحراء العربية، ولما كان بعض الباحثين توصل إلى أن عجل ابيس المذكور سابقاً قد مات حوالي النصف الثاني من سنة 518 ق. م، ولما كان من المعروف أن دلتا مصر خلال هذا الوقت يغمر أراضيها الفيضان مما يحول بالتالي دون اتصالها بالصحراء العربية والأراضي الواقعة شرق الدلتا فإنه ـ داريوس ـ يكون قد وصل مصر رغم فيضان نيلها عن طريق وادي طليمات، مما يشير إلى أهمية حضوره الشخصي لمصر، ومما يعني من جهة أخرى صلاحية القناة المارة بذلك الوادي في هذا الوقت[3].

---

(1) انظر تفصيل ذلك بالصفحة 205 وما بعدها.

(2) Noshy I., OP. Cit., PP., 53 FF.

(3) Diod., I, 95; Posener O., OP. Cit., PP., 36 FF; Burn A.R., OP. Cit., P., 105; سليم حسن، المرجع السابق، ص ص 91 وما بعدها؛ سير آلن جاردنر، المرجع =

وهذا يؤدي بنا إلى الاستنتاج : ـ

أن داريوس (الأول) قد قام بتعيين ستراب جديد لمصر في عام حكمه الرابع الذي أكد المشتغلون بالمصادر الديموطبقية أن ذلك العام في مصر ينتهي في 30 ديسمبر [الحرث] سنة 518 ق. م[1]، وتعيين ستراب جديد يعني إقالة الستراب السابق ارياندس وإعدامه.

وإذا كان هذا القول يكفي دليلاً على صدق ما توصل إليه Noshy[2] بشأن تأريخ حملة أرياندس ضد برقة بوقت سابق على ذلك التاريخ بقليل، بيد أن هناك من القرائن ما يؤكد مصداقيته أكثر، وبالتالي بطلان الرأي القائل بتزامن حملة أرياندس تلك وحملة داريوس (الأول) ضد اسكيثيا، والتي يؤرخها بعض الباحثين[3] في الفترة ما بين 514 ـ 512 ق. م.

من هذه القرائن أن داريوس (الأول) ذكر في نقش له بقصره في سوسة كما ورد أيضاً في نقش له بقصره في بابل كما ورد في بهستون أنه قام بقتل وبالتمثيل بالسترابين أوروتيس وأرياندس لأنهما كانا خائنين، وتمكن بعض

= السابق، ص 398.
من جهة أخرى أمر داريوس (الأول) فيما بعد بإقامة عدد من الأنصاب بلغ عددها ثلاث، أمر بنصبها على طول تلك القناة، ورد بها قوائم لأسماء الشعوب الخاضعة له، إضافة إلى معلومات أخرى، وقد ورد على إحدى تلك الأنصاب، والتي نُقشت بالهيروغليفية اسم ليبيا [بيوتيا]، وقد أعاد الباحثون تأريخها إلى سنة 513 ق. م.

(1) سليم حسن، المرجع السابق، ص 92.

(2) OP. Cit., PP., 73 F.

(3) Mitchell B.M., OP. Cit., P., 101, 103; Cameron G.G., OP. Cit., PP., 313 F;
شامو، المرجع السابق، ص 202، السير أ هامرتن، المرجع السابق، ص 400. من جهة أخرى يرى بعض الباحثين أن مغامرة دوريوس بن كساندريداس الأسبرطي بإقامة مستوطنة على نهر كنيوبس قد وقعت في الفترة ما بين 514 ـ 512 ق. م، فكيف له أن يستشير القورينيين ويستعين بهم، وينزل بينهم في طريقه إلى كينوبس إذا كانوا في حالة استنفار بسبب الحملة الفارسية (الأولى) ضد برقة، حسب تأريخ ميتشل لها.

الباحثين من تأريخ تلك النقوش بالسنة 518 ق. م[1].

من جهة أخرى، يرى البعض أن زيارة داريوس (الأول) لمصر كانت عملاً خاطفاً وذلك لانشغاله، إضافة إلى قلاقل فلسطين، بإخماده لثورة شبت ضده في سوسة[2] وهو ما أكده في نقوشه في السطر الخامس في بهستون «ولما كان هذا العمود قد شوه مما لا يساعد على معرفة معلوماته معرفة دقيقة، إلا أن بداية العمود تذكر قوله [داريوس]: «هذا ما فعلته في السنة الرابعة والخامسة بعد أن أصبحت ملكاً»، أي حوالي 518 ـ 516 ق. م، وفي هذه الحالة تكون الثورة في سوسة ربما في السنة السابقة على ذلك، أو في أول تلك السنة، وعليه تكون الحملة الاسكيثية لاحقة لذلك[3]».

وهذا الأمر يؤكد كما قال Gray منذ قليل، أن داريوس (الأول) كان حتى سنة 516 ق. م تقريباً يُخمد الثورات ويحاول جاهداً ترسيخ حكمه داخلياً، وذلك قبل أن يتجه بأنظاره إلى الغزو الخارجي [الهند ـ اسكيثيا]، مما يعني بالتالي وجود فارق زمني بين زيارة داريوس (الأول) تلك التي قام بها لمصر ونتج عنها إعدام أرياندس وتعيين فراندات وبين إرساله لحملاته ضد الهند ثم اسكيثيا[4].

وعلى ذلك نخلص فيما يتعلق بقورينائية إلى ما يلي: ـ

أولاً: أن أركسيلاوس (الثالث) قد فر إلى ساموس في الفترة ما بين 530 ـ 526 ق. م، ولا معلومات تُذكر حول ما إذا كان فراره ذاك كان كملك مخلوع، مما يعني بالتالي شغور عرشه من بعده، أم أنه كطامع

---

(1) Gray G.B., OP. Cit., P., 181.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) عن حملات الهند وأسكيثيا راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثاني، صفحة 75 وما بعدها.

في العرش، تزعم حرب نُفِيَ بسببه أو فرّ لاستكمال مقومات نجاحه إلى ساموس.

ثانياً: ركن أركسيلاوس (الثالث) إلى جزيرة ساموس دون سواها من المدن الأخرى لما لهذه الجزيرة من علاقات طيبة بقوريني منذ زمن قديم(1)، ثم لتشابه النظام القائم بها مع ما ينوي أركسيلاوس (الثالث) إقامته من نظام، إضافة إلى وجود الكثير من القورينيين الفارين إلى تلك المدينة، وأخيراً يُبين لنا اتصاله بساموس زمن حكم بوليكراتوس على أن تلك الأحداث كانت بالفترة الزمنية 530 ـ 525 ق. م(2).

ثالثاً: لم يتصل اركسيلاوس (الثالث) بمصر، ذلك لأن أواصر قُربى [مصاهرة] ربطت فراعنة مصر بحكام قوريني أو ارستقراطيها(3).

رابعاً: استناداً إلى ثالثاً نرى أن ذلك من الدلائل التي تُشير إلى أن فرار أركسيلاوس (الثالث) إلى ساموس دون مصر لأن الأخيرة لم تقع تحت السيطرة الفارسية الأخمينية بعد، وهذا ما يُنافي ما ذهبت إليه ميتشل وغيرها من الباحثين(4).

خامساً: أن قيام بوليكراتوس، طاغية ساموس، بإعلان تبعيته للفرس، وما لقيه هذا العاهل من حسن المعاملة من كمبيز (الثاني) بعد اعترافه

(1) عن تلك العلاقات التي ربما تعود إلى زمن مبكر من إنشاء الدوريين المستوطنة قوريني راجع ما سبق ذكره بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 224 هامش رقم (5).

(2) شامو، المرجع السابق، ص ص 197 ـ 198.

(3) ذلك من خلال زواج اماسيس بالسيدة لاديكي، راجع ما سبق ذكره بالباب الثاني، الفصل صفحة 228.

(4) ترى الآنسة ميتشل أن ارتقاء أركسيلاوس (الثالث) للعرش في قوريني كان قبيل عام 525 ق. م، وهو العام الذي والى فيه الفرس، ثم استغرق في صراع ضد خصومه الارستقراطية حتى العام 518 ـ 517 ق. م، حينما فر إلى ساموس.

بهم، وقياساً إلى ما جرى للحكام السابقين الذين حاولوا التصدي لهم مثل كريسوس وبلشاصر في بابل ودخول هؤلاء (الفرس) لمصر وسيطرتهم عليها سنة 525 ق. م، في الوقت الذي كان فيه اركسيلاوس (الثالث) قد وصل قوريني، ونظراً لما كانت عليه ارستقراطية هذه المدينة وهي العدو الطبيعي له من قوة، لهو من الدواعي التي استوجبت من اركسيلاوس (الثالث) ـ وأوضاعه كانت على ما ذكرنا ـ موالاتهم والاعتراف بهم في هذا الوقت أيضاً[1].

سادساً: رحّب كمبيز (الثاني) بذلك الخضوع، رغم قلة ما قبل اركسيلاوس (الثالث) بفرضه على نفسه من جزية يرسلها للفرس، ودليل ذلك القبول إرساله للسيدة لاديكي زوجة آماسيس إلى موطنها قوريني معززة، من جهة أخرى، لعل اعتراف أركسيلاوس (الثالث) ما دفع أو كان أحد عوامل دفع كمبيز (الثاني) في محاولة السيطرة على قرطاجة، والتي صرف عنها النظر لاعتبارات عدة لعل منها عدم استتباب الوضع لأركسيلاوس (الثالث) بذلك الأقليم، وهو ما جعل كمبيز من جانب آخر يفكر في أن يكون أخذ قرطاجة بحرياً[2].

سابعاً: ظل كمبيز (الثاني) السنوات الثلاث 525 ـ 522 ق. م في مصر منشغلاً بإرسال حملاته إلى أثيوبية وإلى معبد آمون بسيوة، ظل اركسيلاوس (الثالث) محاولاً إقامة عرشه الاستبدادي، بمحاربة الارستقراطية ودك حصونها وذلك طيلة السنوات الست 525 ـ 519 ق. م، عندما قُتل وحماه الأزير.

ثامناً: يؤكد استنجاد فرتيمي بالفرس دون الساموسيين على أن بوليكرانوس صديق الأمس، لم يكن على كرسي الحكم في ساموس في هذا

(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 224 وما بعدها.
(2) راجع ما سبق ذكره بالباب الثاني، الفصل الأول، صفحة 31 وما بعدها.

الوقت، كما أن خليفته سولسون الـذي كان صنيعة الفرس هـو الآخر، ظروف إقامته طاغية على تلك الجزيرة ظلت متوترة لبعض الوقت[1].

وأمام هذا الواقع لم تجد فرتيمي من ملجأ لها تطلب منه المساعدة سوى أرياندس في مصر، وهذا من جهة أخرى يعود بنا إلى تأكيد: -

أ - أن أرياندس كانت أوضاعه مستتبة في مصر، الأمر الذي مكنه من أن يُلبي طلب فرتيمي بإرسال النجدة إليها حوالي عام 519 - 518 ق. م، بغض النظر عن غرضه من وراء ذلك، وهذا ما يُبطل الرأي القائل بنشوب ثورة في مصر، إذ الأجدر به في هذه الحال الأخيرة إخماد الثورة المصرية أولاً، إذ كيف يفكر في إرسال جيش خارج مصر وهو نفسه مهدد فيها؟.

ب - أن أرياندس دون سواه من كان وراء تلك الاستجابة، إذ لو كانت بعلم أو بأمر من داريوس (الأول) لكان هذا الأخير قد تباهى بذلك في نقوشه التي وثّقت كل حملاته المظفرة.

جـ - وحينما شعر أرياندس بتحرج موقفه في مصر، الناتج عن زيارة داريوس (الأول) لها، وربما احتياجه لجيش تلك الحملة، قام باستدعاءها ربما قبل أن تكمل مهمتها التي أُرسلت من أجلها، وذلك بعد منتصف سنة 518 ق. م تقريباً.

الحملة الفارسية الثانية ضد برقة 482 - 489 ق. م:

استناداً إلى إشارة وردت في كتاب الحيل الحربية للمؤرخ بيلينوس[2]، تُفيد بأن مدينة برقة، قد تعرضت لحصار قامت به حملة عسكرية فارسية كانت

---

(1) Herod., III, 39, 139, 141, 149; Ure P.N., OP. Cit., PP., 91 F.

(2) Polyaenus, Strategems, VII, 28; شامو، المرجع السابق، ص 221.

إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 89.

بقيادة أرساميس[1] Αρσαμης فقد ذهب الباحثون مذاهب شتى بشأن تلك الحملة، وجل هذه المذاهب تخلط بين الحملتين، أي تعتقد أن برقة لم تُحاصر من قبل الفرس إلا مرة واحدة فقط، وذلك خلال حملة أرياندس سالفة الذكر.

وقد تصدى لأمر هذه الحملة الأخيرة الثانية بعض الباحثين[2] بالمناقشة وأكدوا حدوثها حوالي سنة 438 ق. م، أي خلال فترة حكم اكسركسيس (الأول) واعتقدوا أن غرضها كان إجبار تلك المدينة على المساهمة عسكرياً في الإعداد للحرب الفارسية الهللينية الثانية[3].

وما يمكن إضافته في هذا المجال يتمثل في: ـ

أن اكسركسيس (الأول) تولى عرش الامبراطورية الفارسية عقب وفاة والده داريوس (الأول)، وذلك أواخر سنة 486 ق. م[3]، وكانت مصر عقب فشل داريوس (الأول) في ماراثون، قد ثارت ضد الحكم الفارسي، وهي الثورة التي لم يُقض عليها إلا في السنة الثانية من حكم اكسركسيس (الأول)[3]، كما كانت بابل أيضاً قد قامت بثورتين متتاليتين، لم يقض على الأخيرة منها إلا سنة 482 ق. م[3]، وقد قام اكسركسيس بمعاقبة تلك الولايات الثائرة، إذ قام بإلغاء الستراببة بابل، كما قام بزيادة الإتاوة

(1) أرساميس بن داريوس (الأول) من زوجته أرنيتسون Αρτυστωνης صغرى بنات قورش تولى أرساميس قيادة القوات العربية والأثيوبية خلال حملة أخيه أكسركسيس (الأول) على المدن الهللينية [الحرب الميدية الثانية] ثم تم تعيينه في عهد أرتاكسركسيس (الأول) والياً على مصر عقب مقتل واليها أخايمنيس (عمه) وذلك حوالي سنة 459 ق. م، للمزيد عنه انظر: ـ

Herod., VII, 69 - 70; Burn A.R., **OP. Cit.**, PP., 324, 333; Olmstead A.T., **OP. Cit.**, PP., 244, 303, 308;

شامو، المرجع السابق، ص 221.

(2) نفس المرجع، ص 221، ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 89.

(3) راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثاني.

المفروضة على مصر وإلغاء الأموال التي كان والده قد خصصها لبعض النواحي الدينية بها وحرمان المصريين من تولي الوظائف العامة، وهذا ما أشارت إليه بعض الأبحاث بالتنظيم المتطرف الذي قام به الحاكم للسترابيات[1] ثم انصرف في خريف سنة 481 ق. م إلى استكمال إعداد ذلك الجيش الذي دخل به بلاد الهلليين في العاشر من شهر أبريل [الطير] سنة 480 ق. م[2].

وعليه، واستناداً إلى ما أورده بلينوس، فإن الأبحاث، التي تناولت تلك الحادثة ترى أن برقة رغم ما أنزله بها الفرس في حملة أرياندس فإن «تقاليد النزوع إلى الانعتاق والاستقلال ظلت حية فيها» إذ تقاعست عن إرسال مساهمتها في تلك الاستعدادات الأمر الذي أدى إلى ارسال ارساميس لجبايتها قسراً.

ولما كان من المعلوم أن برقة منذ حوالي 518 ق. م، قد وُضعت تحت حكم البانوسيين ولما كان من المعروف أن هذه الأسرة، بل العاهل نفسه باتوس (الرابع) كان حاكماً قبل إرسال تلك الحملة (الثانية) وظل كذلك بعدها، ولما كان من عادة اكسركسيس (الأول) إنزال العقاب الشديد بمن حاول التمرد على سلطته والخروج عن تبعيته فإنه بالتالي يكون أمر حدوث ثورة أو تمرد بهذه المدينة وهو الذي قال به البعض معتقداً إن ثورة مصر كانت عاملاً مساعداً لهذه المدينة على الثورة أيضاً[3]، يصبح أمر مشكوك فيه، ومن ذلك نخلص إلى التساؤلات التالية: ـ

إذا كان اكسركسيس (الأول) قام بمعاقبة المصريين على ثورتهم على

(1) هذا القول يجعل سنة 482 ـ 481 ق. م، أدنى التواريخ للاعتقاد من حيث وصول أرساميس إلى برقة وهو ما يراه إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 89، بينما يراه شامو، المرجع السابق، ص 221 أنه قد حدث سنة 483 ق. م.

(2) نفس المرجع، ص 219.

(3) نفس المرجع، ص 221.

الفرس بزيادة الجزية النقدية المفروضة عليهم، فهل نفهم من ذلك أن تلك الزيادة طالت قوريناثية أيضاً؟.

من جهة أخرى هل تم اتخاذ ذلك الإجراء مع الليبيين سكان برقة عندما رفضوا أو تقاعسوا عن مد يد المساعدة في الإعداد للحروب الميدية الثانية، أي عقب حملة أرساميس ولكن ربما أمكن القول أنه طالما ظلت الأسرة الحاكمة مستمرة في سيادتها لقوريني وبرقة وبقية المدن الهللينية بالإقليم فإن ذلك يقودنا إلى استنتاج ما يلي: ـ

أولاً: أن ارساميس كان قائداً عسكرياً تم تكليفه بجمع وحدات الجيش المراد غزو بلاد الهللينيين به.

ثانياً: لعل ما حدث ببرقة هو تقاعس أو ربما تأخير عن إرسال مساهمتها في تلك الاستعدادات والتعبئة، فكان أن وصلها أرساميس لإرغامها على المساهمة.

ثالثاً: لا يُعرف الكيفية التي وصل أرساميس بهذه المدينة، هل من مصر، علماً بأن سترابها في هذا الوقت كان اخايمينيس، أم من فارس مباشرة، كما أنه لا معلومات عن العناصر التي حواها جيشه الذي يذكر بلينوس أنه «حاصر به المدينة حصاراً شديداً، قبل أن يتمكن من الاستيلاء عليها وتخريبها[1]».

رابعاً: ربما كان ما حدث هو أن العائلة الباتوسية الحاكمة في قوريناثية قد عجزت عن تحصيل تلك المشاركة من القبائل الليبية، فقامت بإبلاغ الستراب اخايمينيس في مصر بذلك، فأرسل من مصر من يحصّلها بالقوة.

---

(1) Polyean, Strategems, VII, 28;

إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 89.

خامساً: لماذا تصمت المصادر عن مدى مساهمة المدينة قوريني في تلك التعبئة؟ . وعلى ضوء إجابة هذه التساؤلات نخلص إلى النتيجة التالية :ـ

إن إرسال تلك الحملة [الثانية] قد حدث لإرغام القبائل الليبية المستقرة حيث مدينة برقة على إرسال المشاركة في تجهيزات حملة اكسركسيس (الأول) ضد بلاد الهللينيين ولعل ما حدث هو أن وصول أرساميس إلى برقة كان إجراءاً طبيعياً في مثل هذه الظروف خاصة وأنه تعوزنا المعلومات عن الكيفية التي تم بها جمع بقية المساهمات من الولايات الأخرى إضافة إلى أن هيرودوتس يصمت عن هذه الحادثة، وهو الذي كان من أهم دوافع زيارته لقوريني إرسال الفرس للحملة الأولى [حملة أرياندس]، فكيف والحال كذلك يصمت عن حملة أخرى أرسلت ضد نفس المدينة برقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان هذا المؤرخ قد تطرق إلى ذكر أرساميس[1] هذا دون أن يُشير إليه بأنه قاد أي حملة عسكرية ضد برقة، ولعلنا هنا نلمس تبريراً لاستمرار المدينة برقة كمنشأة قائمة بكافة مقوماتها، تؤدي على أكمل وجه خاصة في المجال الاقتصادي واختفاء عملتها الذي يقول به البعض لمدة عشرين عاماً بعد 480 ق. م يجب البحث له عن مبررات أخرى[2].

---

(1) Herod., VII, 69.

(2) من المعلوم أن قوريني قد بدأت في سك نقودها منذ عهد اركسيلاوس (الثاني) 570 ـ 550 ق. م إذ تعود أقدم قطعة نقد قورينية إلى حوالي 560 ق.م، حسب بعض الدراسات ومنها رجب الأثرم, Seltman C., Greek Coins, (London, 1963), P., 82; المرجع السابق، ص 104، وكانت عملة قوريني تُسك على الطريقة الأثينية، فكان أن وجدت القطع ذات الأربع دراخمات، ثلاث دراخمات، دارخمتين، دراخمة واحدة. وعقب الغزو الفارسي لبلاد الهللينيين، خاصة عقب الحرب الثانية 480 ق. م كانت بلاد الهللينيين قد تبنت عن الفرس المعيار الآسيوي في سك النقود، والذين بدورهم [الفرس] كانوا قد أخذوه عن الليديين، وهذا الأمر كان قد رافقه انتشار النظام العشري في الوزن والمقياس والمكيال، فعرف القورينيون ذلك وتم تقسيم عملتهم الفضية ذات أربع دراخمات إلى خمس دراخمات، [رجب =

= الأثرم، **المرجع السابق**، ص 105 م. Seltman C., OP. Cit., P., 95] ومن المعلوم أيضاً أن برقة كانت قد قدمت جزيتها للفرس كعربون على تبعيتها لهم عقب دخول كمبيز (الثاني) لمصر سنة 525 ق. م، وهو الأمر الذي يستدل به على ازدهار تلك المدينة وأقليمها خاصة عقب حلول أخوة أركسيلاوس (الثاني) 570 ـ 550 ق. م.

تمثلت أهم شعارات النقود البرقاوية وكما سبق في نبات السلفيوم على أحد الوجهين وعلى الآخر رأس كبش، نخلة، عجل.

ويتساءل شامو، **المرجع السابق**، ص 219 عن سر اختفاء عملة برقة لمدة عشرين عاماً بعد 480 ق. م، ويعتقد أن لذلك علاقة بالحملة الفارسية الثانية على برقة، ثم عادت عملة المدينة للظهور وكانت تحمل شعارات عملة قوريني.

والذي يتبين بالبحث أن عملية سك النقود بالولايات التابعة للفرس كانت غالباً أمور داخلية لم يحدث وأن تدخل الفرس في تصريف شئونها واختفاء تلك العملة البرقاوية إذا حدث فعلاً، إذ أن مدينة برقة حتى الآن الدراسات والحفريات الأثرية العميقة لم تُجر بها كما أن أطنان العملة المعثور عليها بمختلف مدن الإقليم، وتُخزن الآن بمخازن متاحف شحات ما تم دراسته منها لا يتعدى جزء من ألف من تلك الكمية الهائلة ـ ربما مرده إلى الوضع السياسي الخاص بالأقليم، فكما هو مرجح أن باتوس (الرابع) 519 ـ 475 ق. م كان قد تولى زعامة مدن الأقليم، وذلك استناداً إلى مخاطبة بنداروس لخليفته لأركسيلاوس (الرابع) بملك مدن عظيمة Pind., The Pythian Odes, بمعنى آخر أن العملة التي صدرت في هذا الوقت 480 ـ 460 ق. م كانت باسم مدن الأقليم أو على الأقل باسم مدينتي قوريني وبرقة إذ ثبت [16، V] إن يوسبيريدس كان لها نقودها الخاصة، حسب رأي شامو، **المرجع السابق**، ص 235. ولعل تلك النماذج المعثور عليها، وصنّفها بعض الباحثين على أنها من قوريني مثل شامو، **المرجع السابق**، ص 222، Robinson E.S.G., OP. Cit., PP., CLXVII FF; G إبراهيم نصحي، **المرجع السابق**، ص 89، لعلها لم تكن باسم قوريني فقط، وإنما كانت شاملة للمدينتين وربما سُكّت في برقة أيضاً، وذلك استناداً إلى ما ذكره أولئك الباحثين من أن تلك العملة كانت تحوي شعارات بعضها عُرف قبل ذلك في قوريني، وبعضها الآخر عُرف في برقة، ثم أن جميع الأواني الفخارية [الأواني الجوائز]، والتي يتجاوز عددها العشر أواني، والتي تعود معظمها إلى هذا الوقت قد عُثر عليها بمدينة برقة [المرج وضواحيها] ولم يُعثر على أي منها في قوريني، الأمر الذي يُشير إلى تمركز السلطة وما تبعها من نشاطات ببرقة.

وفيما يتعلق بذكر تخريب مدينة برقة عقب هذه الحملة، فإن بلينوس الذي أوردها، وهو مصدرنا الوحيد حول هذه الحادثة، كان قد عاش في القرن الثاني الميلادي وعليه فلعله فيما قاله متأثراً برأي سترابون القائل باختفاء مدينة برقة وظهور مدينة بتوليمايس[1].

وبالرغم من ذلك واستناداً إلى رأي شامو أيضاً، في تأكيده لحدوث تلك الحملة، وذلك الحصار للمدينة فإنه من المرجح أن ما حدث كان عجز باتوس (الرابع) عن تحصيل تلك الجزية من القبائل الليبية فقام بإبلاغ الفرس بذلك، وهم الذين حصلوها بتلك الكيفية وهذا الأمر، أي اتصال باتوس (الرابع) بالفرس، بالإضافة إلى أنه أخلى مسئوليته أمام سادته [الفرس] قد عزز أيضاً من موقفه في الإقليم، وهذا ربما ما أشارت إليه بعض الأبحاث بعبارة إعلان باتوس (الرابع) لتبعيته للفرس[2].

وبناء على قيامه بذلك الإجراء، فقد ظل مستمراً في سيادته، كما نجت قوريني من أي زيادة في الأتاوة النقدية المفروضة على المدينة، إذ لا ذكر

= من جهة أخرى تذكر بعض المصادر Thuc., VIII, 16.3; 17 - 18; Pluta Mcnex., 243 B., Olmstead A.T., OP. Cit., P., 359. إن داريوس (الثاني) نوثوس 423 ـ 404 ق. م قام بمطالبة قوريني بدفع الجزية النقدية المتأخرة عليها منذ زمن، وهذا الخبر إضافة لما سبق يجعل من المرجح أن اختفاء بعض تلك العملات ربما يكون ناتج عن معاناة لظروف اقتصادية، خاصة بالصناعة وبالمعادن التي كان يستوردها الإقليم، لم تتكشف صورتها بعد، وهذه المعاناة ربما كانت وراء إقفال أو توقف بعض دور السك بالإقليم، كما كانت حائلاً دون توفير الجزية النقدية للفرس، التي طالب بها داريوس (الثاني).

أخيراً في حال صدق استقراء وجود معاناة اقتصادية، فربما كان ذلك ناتج عن ظروف المدن الهللينية التي كانت تمر بفترة الحروب البلوبونيسية، وهي [تلك المدن] المصدر الأول والأساس لمعادن الإقليم.

(1) راجع ما سبق ذكره بالباب الثاني، الفصل الثاني، صفحة 258.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 60.

لذلك في المصادر، وبالتالي من هنا يمكن وصف رأي أولئك القائلين بأن ثورة مصر كانت العامل المباشر في تشجيع برقة على التمرد بيد أن هذا لا يمنع عن القول بأن قوريني إضافة إلى برقة والقبائل الليبية قد ساهمت في إعداد تلك الحملة، وسيتم الأن توضيح كيف كان ذلك: ـ

لقد عمل اكسركسيس (الأول) خلال تلك الحملة التي كانت بقيادة ارساميس على تحصيل تلك المساهمات من جميع الولايات الخاضعة لهم بما فيها المدن الهللينية، والتي من ضمنها قوريني وبرقة، ولما كانت المصادر تذكر أن مصر قد ساهمت بعدد من السفن ولما كان إطلاق التسمية مصر في العادة يعني الستراببة السادسة والتي تشمل بالإضافة إلى مصر، ليبيا [بيوتية]، أي قوريني وبرقة وبعض القبائل الليبية فإنه على الأرجح أن تلك المساهمة [السفن] كان لقوريني وبرقة نصيب فيها إذ تم تحصيل مساهمة بعض القبائل الليبية التابعة لهم قسراً.

وقياساً على ما سبق ذكره من أن بعض المدن والجزر الهللينية التابعة للفرس قد أُجبرت على المساهمة في تلك الحرب بالسفن فقط[1]، فعليه ربما كان الفرس قد قاموا بتحصيل نصب قوريني، وبرقة أيضاً من السفن والمعدات القتالية فقط دون العناصر البشرية كالتي شاركت بها بعض القبائل الليبية، على اعتبار أنهما مدن هللينية ذلك لأنه لا يمكن لهم [الفرس] مواجهة الهللينيين بعناصر هللينية لما في ذلك من محاذير عدة، وعليه تكون قوريني إضافة إلى جزيتها النقدية التي كانت جزء من 700 وزنة فضية [تالنت] تكون قد ساهمت بتوفير الشرط الثاني من الجزية، وهو الإسهام في إمداد

---

(1) من ذلك مثلاً القبرصيون، الليكيون، البامفليون، اللكليكيون، الكاريون، الدوريون، والأيوليون، وبونتس وهلليني الهللسبونتوس، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Herod., VII, 89 - 95; Thuc., VIII, 16.3, 17, 18; Pluta., Mcnex, 243 B; Burn A.R., OP. Cit., PP., 327 FF;

يمكن مراجعة أيضاً ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثاني.

الامبراطور بما يحتاجه في حال الحرب[1]، والقول كذلك ربما يصدق على برقة، إذ كانت مدينة دولة هللينية كما كانت أيضاً تحت سيطرة باتوس (الرابع)، وقد تم التأكيد في قول سابق على أنها تمتلك أسطولاً بحرياً[2].

أما فيما يتعلق بالقبائل الليبية فإن أمرها أكثر وضوحاً، إذ يشير هيرودوتس[3] بأن حملة اكسركسيس (الأول) تلك كانت قد اشتملت فيما شملت، فرقة من الليبيين يقومون بقيادة عربات يجر الواحدة منها أربعة خيول، يرتدي الفرد منهم ملابس من الجلد ويتسلح برمح طويل تمت تقسيته بالنار[4].

ويذكر هذا المؤرخ أيضاً أن المصريين كانوا خلال الحرب الميدية الثانية تحت قيادة أخايمينيس[5] "Αχσιμξνης" في حين وُضِع بعض الليبيين تحت قيادة مساجيس Μασσαλης وبعضهم الآخر تحت قيادة ابني داتيس وهما تيثايوس Τιφαιος وهارما ميثيرس "Αρμαμιφρης" وذلك لأن المصريين كانوا ضمن الاسطول البحري في حين كان الليبيون ضمن القوات البرية وسلاح الفرسان، وهم في هذا السلاح الأخير كانوا عادة يقودون عربات حربية أو مركبات يجرها أربعة جياد، يقاتل فيها نبلاء الهنود[6].

أما عن نقوش ومنحوتات برسيبولس المتعلقة بهذه المرحلة، أي عهد اكسركسيس (الأول) 486 ـ 865 ق. م، فأنه قد اكتشف في رأس السلالم

---

(1) عن أنواع الجزية التي فُرضت على الولايات، راجع ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثالث، صفحة

(2) لعله هنا يلمس مدى دقة هيرودوتس عندما اصطلح لفظ ليبي على السكان الأصليين وصفة قوريني على المستوطنين الهللينيين بالأقليم.

(3) Herod., I, 135; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 244;
مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 71.

(4) Herod., VII, 7, 11,97, 230; Olmstead A.T., Loc.Cit.

(5) Herod., VII, 71, 88; Olmstead A.T., OP. Cit., P., 245.

(6) Herod., VII, 86.

في تلك المدينة حيث البوابة المعروفة باسم كل الأمم All Nations، والتي شيدها اكسركسيس (الأول)، نقش بثلاث لغات، يرد فيه ذكر الشعوب الخاضعة لذلك العاهل ومنها ليبيا(1).

وفي قاعة المائة عمود أو ما يعرف باسم غرفة عرش اكسركسيس (الأول)، وفي قصر اكسركسيس (الأول) الخاص والمعروف باسم قصر Hadish، كان قد تم تصوير هذا العاهل بصحبة خدمه، كما تم تصوير [بالنحت البارز] زواره من مندوبي الأقاليم الخاضعة له في شكل طابور يعبرون بوابة ضخمة(2).

ولما كانت المنحوتات الخاصة بهذا العاهل قد تضررت كثيراً بالحريق الهائل الذي شب في برسيبولس عقب استيلاء الإسكندر المقدوني عليها سنة 330 ق. م، والذي حسب ذكر بعض الدراسات التاريخية أنه بدأ به عملية انتقام وأخذ الثأر لتخريب اكسركسيس (الأول) لأكربولس أثينة(3)، ولما كانت بعض الأبحاث الأخرى يذكر أن الليبيين قد فرض عليهم في عهد اكسركسيس (الأول) إحضار إضافة للخيل والمركبات أو العربات الضان

---

(1) Matheson S.A., OP. Cit., PP., 225 FF.

(2) يبلغ اتساع هذه البوابة ثمانين قدم مربع، وبسقف يرتفع ثلاث وعشرين قدماً، ترفع للأعلى بواسطة أربعة أعمدة حجرية، وهذه البوابة كانت محروسة بتماثيل لثيران حجرية ضخمة يبلغ ارتفاعها اثنين وعشرين قدماً.

(3) Hallock R.T., "Persepolis Fortification Tablets Oriental Institute Publications, VOL, XCII, (Chicago, 1970), P., 153.

هذا ومن جهة أخرى قد أكدت نتائج حفريات البعثة الإيطالية في تلك المدينة أن الحريق الهائل بها قد بدأ بهذا الوضع بالذات، للمزيد عن ذلك انظر: ـ

Tilia A.B., "A study on the Methods of Working and Restoring stone and on the Parfs unFinished in Achaemenian Architecture and Sculpture", East and West N.S., VOL, 18, NOS 1 - 2,(Rome, 1968), PP., 15 FF; Tilia A.B., "Reconstruction of the Parpet on the Terrace wall at Persepolis, South and West of the palace 'H", East and West N.S., VOl., 19, NOS 1 - 2, (Rome, 1969), PP., 37 FF.

والبقر الوحشي، ولما كانت تلك المنحوتات قد وجد بها آثار ما ينبىء بتأكيد ذلك، ولما كانت تلك المنحوتات قد تأثرت سلباً بذلك الحريق وتكرار الغزو والانتهاك العسكري لذلك الموضع، ولما وجدت آثار لمنحوتات بارزة للقصر وتلك القاعة تصور أسود تزمجر في حبل (رسن) متبوعة بأشبالها، كما هناك كبشان مربوطان في رسن، وهذه اللوحات رسمت بعد الليبيين مباشرة[1]، الذين كانوا يقدمون عربة تجرها أربعة جياد عليه إضافة لما سيأتي الآن يكون الليبيون قد استمروا في دفع الجزية في عهد اكسركسيس (الأول) وهذا ما يؤكده أيضاً تصويرهم [الليبيين] بالنحت البارز على مقبرة [اكسركسيس (الأول)] وقد اصطف مندوبي الأمم الخاضعة له في ثلاث صفوف على جدران ذلك القبر، ويحتل الليبيون الترتيب رقم 27 بين تلك الأمم، إذ يسبقهم المصريون ويتلوهم الأثيوبيون.

وأهم صفاتهم [الليبيين] في هذا النحت البارز، لحية مجعدة حتى قمة الخد وشعر الرأس مجعد ومعقود للخلف، هناك صفان أفقيان من خصلات الشعر المجعدة فوق الجبهة ولهم شوارب، عراة الرؤوس، «بدون غطاء» يرتدون ملابس تتمثل في أردية طويلة من جلد الأسود، مزينة الحاشية بزخارف كالأهداب أو التسنين «مشرشرة» من الطرفين الأيمن والأيسر وعلى الأكتاف، ويرتدون بالمعاصم أساور بسيطة واحدة بكل معصم، الأحذية غير واضحة وإن كانت القدم تظهر بشكل مستقيم، أسلحتهم، كل فرد منهم تسلح برمحان، وضعا بشكل أفقي مائل قليلاً خلف الجسم بأطراف مدببة، وفي موضع خاص مجوف قرب نهاية كل رمح هناك حزامان أو رباطان جلديان ربط بهما الرمحان ليتم تعليقهما على الكتف[2].

ومما تقدم نخلص إلى: -

(1) Collins R., OP. Cit., P., 108.

(2) Schmidt E.F., Persepolis III., PP., 90 FF.

أن اكسركسيس (الأول) قد قام بمعاقبة القبائل الليبية بزيادة جزيتها بإضافة المها والضان والأسود وأشبالها، وربما زيادة عدد تلك الجزية النوعية عن عددها السابق(1)، المفروضة زمن والده، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا نحن حاولنا بناء على تلك المواصفات أو الصفات التي يوردها هيرودوتس، تحديد أي القبائل الليبية تلك التي ساهمت في تلك الحروب، وبالتالي التي كانت أعلنت تبعيتها للفرس، فبالإمكان القول أن ذلك المؤرخ(2) ذكر بأن الاسبوستاي Ασβυστα" التي كانت تقطن إلى الداخل من قوريني كانوا يقودون العربات التي يجرها أربعة جياد، وهم بذلك يبزون غيرهم من الليبيين، ولما كانت هذه القبيلة قد اقتبست معظم عادات أهل قوريني من الهلينيين «فتهلننوا» عليه ربما كان أفراد هذه القبيلة هم من ساهم في إرسال تلك العربات، إضافة إلى قبيلة الأوسيخساي Αυσχισα والتي أقيمت برقة بأرضها كانت أيضاً تعرف استعمال تلك العربات، وذلك إلى جانب البكاليس Βακαλες التي لها نفس عادات الأسبوستاي.

وتلك الحيوانات التي ذكر أنها قد فرضت كجزية نوعية على الليبيين كان الأقليم غني بها وكان قد ذكرها هيرودوتس أيضاً في مجال تعديده لحيوانات ليبيا «ولكثرة وجود الحيوانات التي عددها هيرودوتس فلا نعجب إذ عرفنا أن الليبيين قد تعلموا صناعة ملابسهم من جلودها(3)».

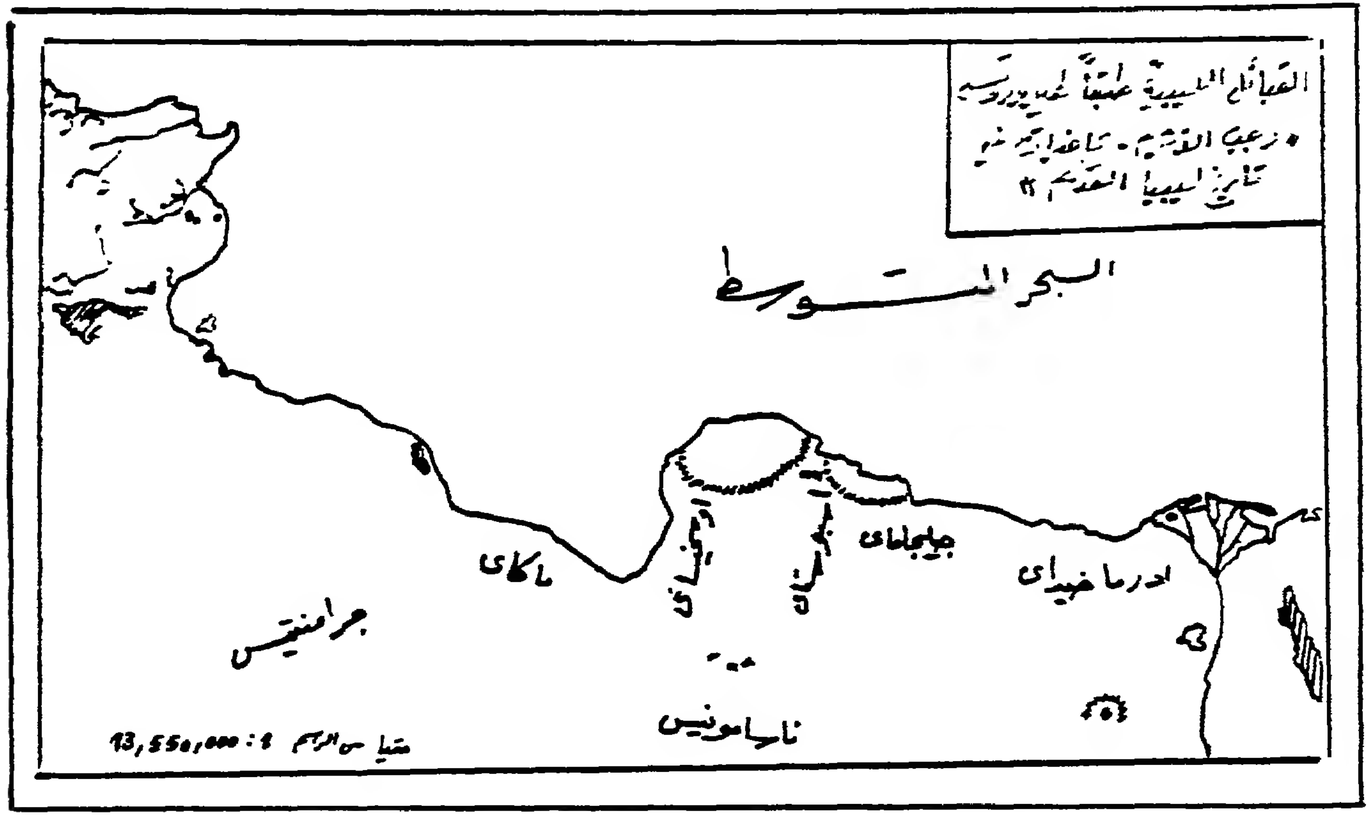
بقي في الختام أن نتطرق إلى المنفيين أو الأسرى من برقة، فقياساً على

---

(1) ذلك لأن منحوتات برسيبولس لا يمكن منها تقدير ذلك العدد، لأنها في العادة تصويرها لذلك كان رمزياً فقط.

(2) Herod., IV, 170, 171.

(3) Herod., II, 32; IV, 192; Bates O., OP. Cit., PP., 93 FF.
مصطفى كمال عبد العليم، **المرجع السابق**، ص ص 62 وما بعدها.
هذا وقد أكدت أبحاثٌ عدة، شهرة ليبيا وغناها بتلك الحيوانات منذ زمن موغل في القدم على مرحلة اتصالهم بالفرس، للمزيد عن ذلك انظر: ـ
رجب الأثرم، **محاضرات في تاريخ ليبيا القديم**، ص ص 29 وما بعدها.


القبائل الليبية طبقاً لهيرودوت
* رجب الأثرم . محاضرات في
تاريخ ليبيا القديم
البحر المتوسط
ماكاى
جرامنتيس
اوزخيساى
اسبوستاى
جيليجاماى
ادرماخيداى
ناساموتيس
مقياس الرسم 1 : 13,550,000

- خريطة رقم 28

ما ذكر في بعض النقوش الفارسية، أن بعض المسبيين جرى أو تم تشغيلهم في عمليات البناء والتشييد خاصة في القصور الملكية، وقد مر بنا أن داريوس (الأول) ذكر أنه استخدم عمالة مسبية من الأيونيين والكاريين[1]، كما عُثر في حفريات برسيبولس في حجرتين [قاعتين] كبيرتين مدعومتي الأسقف الأولى بها مائة عمود والأخرى بتسع وتسعين عمود، وتم إنشاؤها في عهد داريوس (الأول)، عثر فيهما على عدد من الألواح الطينية المُسجل عليها كتابياً الأجرة التي أُعطيت أو دُفعت للعمال الذين قاموا بالإنشاء في هذه المدينة [على الأقل هاتين القاعتين] ونوع كل منها وكل عمل مقابل لها[2]، وهذا مما يرجح عدم استعمال الفرس للرقيق «السخرة في أعمال الإنشاء كما كان في بعض دول العالم القديم الأخرى، وهو ما يؤكد من جهة أخرى أن أُجرةً كانت تدفع للمسبيين في حال استعمالهم، كما ورد في نقش داريوس (الأول) سالف الذكر.

وفيما يتعلق بالبرقاويين، الذي لم نصادف لهم ذكراً في مثل هذه المجالات ربما لأنهم كانوا أقرب لنشاط الرعي والزراعة منهم للبناء والفنون، يورد الدكتور رجب الأثرم في سياق حديثه عن الصيد في أقليم قورينائية[3]، أنه ظهر في نحت بارز في برسيبولس افريقيين يقدمون كهدية حيواناً له شكل الزرافة ولكن برقبة قصيرة، ويعود تاريخ هذا (النحت) إلى القرن الخامس قبل الميلاد أي إلى عصر هيرودوتس». ويُضيف[4]: «لعل الأفريقيين هنا هم ليبيو برقة الذين أُبعدوا إلى باكتيريا بعد الهزيمة التي ألحقها بهم الفرس، حيث منحهم الفرس مدينة ليسكنوا فيها فأطلقوا عليها اسم برقة».

(1) راجع عن ذلك ما سبق ذكره بالباب الأول، الفصل الثالث، صفحة 178 هامش (5).

(2) Cameron G., **Persepolis Treasury Tablets Oriental Institute Publication, LXV,** (Chicago, 1948), PP., 91FF.

(3) تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، ص 71.

(4) نفس المكان، هامش (3).

إذا كان الفرس يقومون في منحوتاتهم البارزة بتصوير الشعوب الخاضعة لهم وهي تدفع الجزية فهل نفهم من القول السابق أن المنفيين البرقاويين قد فُرضت عليهم جزية؟ وهل كان البرقاويين بكثرة يتمكنوا معها أو تستوجب من الفرس أن يفرضوا عليهم جزية وإذا كان كما يرى الدكتور رجب هذا الحيوان لا يعيش إلا في أفريقيا، فكيف بإمكان أولئك المنفيين إحضاره؟.

وعليه فربما يكون أولئك الأفارقة أما أنهم إحدى القبائل الليبية بالجنوب وهنا سنصبح أمام إشكالية جديدة، وهي هل وصل الفرس إلى تلك الأنحاء وهل حازوا على اعتراف بسيادتهم عليها؟ أو أنهم الأثيوبيون وهذا أدنى للاعتقاد إذ نؤكد عدة قرائن أخرى سبق إيضاحها في الصفحات السابقة من هذا الفصل[1].

---

(1) راجع ما سبق ذكره بالصفحات 280 وما بعدها من هذا الفصل.

الخاتمة

في سنة 550 ق. م على وجه التقريب ظهر قورش (الثاني) ملك أنشان، بأحد أقاليم فارس، من الأسرة الأخمينية ممثلاً لقوى شعب هندأوربي، من الفرع الذي عُرف بالهند إيراني لم يعره أحد قبل ذلك كبير اهتمام، فتمكن من إيجاد سلالة حكمت فارس لأربعة أجيال متعاقبة وليستطيع بالتالي هذا الأقليم [فارس] المعزول عن العالم بحواجز جغرافية، من اختراقها والسيطرة على معظم أجزاء العالم القديم طيلة قرنين من الزمان تقريباً، فكانوا أكبر كيان سياسي ظهر قبل الامبراطورية الرومانية.

فقد استولوا زمن قورش (الثاني) بالتحالف مع البابليين وبمساهمة الميديين على آشور، ثم انتزعوا عرش ميديا من استياجس الذي تربطه بهم صلة قرابة.

واعتقد الكثيرون أن الفرس والميديين أمة واحدة وهذا ما ثبت بطلانه من خلال هذا البحث، إذ رغم استغلال الميديين في كثير من وظائف البلاط الفارسي وارتقاء بعضهم مناصب في ذلك، إلا أنهم قد عوملوا معاملة بقية الولايات، فقد فُرضت عليهم جزية بكل أنواعها، كما قامت ميديا بأكثر من ثورة لنزع استقلالها عن السيطرة الفارسية.

وعندما أخضع كمبيز (الثاني) مصر، حوالي 525 ق. م، ودانت له بالطاعة والتبعية قوريني وبرقة وبعض قبائل أقليم قورينائية الليبية، لأسباب عدة أهمها صراع أركسيلاوس (الثالث) ضد خصومه، وهي في ذلك تشبه

مليتوسي وكارية وليكية وساموس وقبرص.

والمعلوم أن هذه المدن كانت تتفاوت في أوضاعها السياسية بين الديمقراطية والارستقراطية فنلمس هنا تساؤل بعض المؤرخين عن «لو أن منظمة ديمقراطية تحالفت مع منظمة ديكتاتورية [الفرس؟] تسعى لتحقيق هدفها، فإن المنظمة الديمقراطية ستصبح أما مخلب قط لأغراض غريبة عن الديمقراطية أو ستواجه كارثة بكيانها».

ونتساءل نحن بدورنا هنا، هل ما حل بإقليم قورينائية، فيما يتعلق بالجانب السياسي كان نتاج هذه العلاقة؟ هل كان اعتراف أركسيلاوس (الثالث) بالتبعية للفرس دافعه وخلفائه من بعده لإقامة نظام طغاة في قورينائية خاصة بعد ما لمسه من ذلك في ساموس، وبالتالي كان التعجيل بنهاية الأسرة الباتسية، بمقتل آخر ملوكها أركسيلاوس (الرابع).

حاول كمبيز (الثاني)، وهو بمصر، غزو قرطاجة، وهو ما تعارف الباحثون على عدم حدوثه نظراً لامتناع الفينيقيين، الذين كانوا عماد البحرية الفارسية، بالاتجاه غرباً نحو بني عمومتهم، وهو ما أضافت إليه هذه الدراسة أن أوضاع قورينائية السياسية ربما كانت عاملاً آخراً ساهم في صرف النظر عن إرسال تلك الحملة.

وأثبت هذا البحث، وبإيراد الأدلة المختلفة، نجاح حملة كمبيز (الثاني) على مملكة أثيوبية [مروى]، الأمر الذي رآه البعض [باحتلال مصر وقورينائية وأثيوبية] رغبة كمبيز (الثاني) في تحقيق أو إيجاد امبراطورية فارسية أفريقية، وهو ما سعى إليه أيضاً حسب رأي البعض، الفرنسي نابليون بونابرت في العصر الحديث.

كما رجح هذا البحث إمكانية نجاح حملته أيضاً ضد معبد آمون بسيوة، رغم قول هيرودوتس أن جنود تلك الحملة قد طمرتهم جميعاً رمال الصحراء، ورغم قلة الأدلة لتأكيد ذلك النجاح باستثناء القول كيف لنا الاقتناع

بأن تقف حاميات فارسية ثلاث، إحداهن على مقربة شديدة من تلك الجالية حيث معبد الإله آمون، دون أن تسيطر عليها، وتظل بذلك استثناء واضح في لجة من خضع للفرس بالمنطقة، خاصة وأن نشاط تلك الجالية الهللينية كان تجارياً بالدرجة الأولى.

ومن مظاهر ارتباط الأقليم قورينائية بالسياسة الفارسية، موقفه من الحروب الفارسية الهللينية، وفي هذا المقام جدير بالذكر أن المدن الهللينية [ببلاد اليونان] كانت في مجال استعدادها لمواجهة الخطر الفارسي قد دعت إلى عقد مؤتمر، تعارف على تسميته بمؤتمر كورنثة، حيث عقد، حضره أغلب المدن الهللينية، التي كانت مهددة مباشرة من قبل الفرس، وقد تخلى عن حضوره إضافة لمدن أخرى - مدينة قوريني- وهي المستوطنة الهللينية الدورية وقد فُسر ذلك بأنها كانت خاضعة للفرس.

وفي مجال الربط بين بعض معارك الفرس في المدن الهللينية ببعض معارك المدن الهللينية في صقلية ضد قرطاجة، سواءً من حيث الهدف وهو حسب رأيهم صراع الغرب ضد الشرق أو الحضارة ضد البربرية، أو من حيث زمن حدوث تلك المعارك، فلقد أثبت بهذا البحث بطلان ذلك، وتم التأكيد على أن صراع قرطاجة ضد بعض تلك المدن لم يكن سوى حلقة خاصة بها من حلقات صراعها المرير ضد تلك المدن، والذي كانت فيه قرطاجة خارجة عن الدوران في فلك الغايات الفارسية.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أنه ربما كان لقورينائية بعض الفضل في تكامل النظام الإداري الذي أوجده داريوس (الأول) للامبراطورية، إذ كان [داريوس] قد اقتبس النظام الآشوري بتقسيم الامبراطورية إلى عدد من الولايات، يُدير كل منها والي، وتمثل فضل قورينائية عقب قيام الوالي أرياندس بمصر بإرسال جيشه لمحاصرة برقة ومعاقبة أهلها لقتلهم أركسيلاوس (الثالث)، عميل الفرس بالإقليم، وصهره، فتمثل له [داريوس]

مظاهر خطورة استقلال الوالي عسكرياً عن مركز الامبراطورية، فقام عقب تلك الحملة بعزل مهام الوالي العسكرية عن بقية مهامه الأخرى، التي سلمها لقائد عسكري أمامه إلى جانب الوالي، وقيّده هو الآخر بما يضمن عدم إساءة استخدام تلك المقدرات المخولة له.

لقد حكم الفرس قورينائية، كبقية الولايات تقريباً، حكماً غير مباشراً، ربما أمكن تشبيهه بالحكم الفرنسي لأفريقيا في العصر الحديث.

ويتجلى المظهر الوحيد للسيطرة الفارسية على الأقليم في فرضهم للجزية على تلك الولايات وإن كانت النقدية منها، يبدو أمرها هين رغم دفعها سنوياً، إلا أن المشاركة في الإعداد للحملات والحروب الفارسية ربما كان أثقل تلك الالتزامات، وهو ما دفع ببرقة إلى التقاعس عن المساهمة فيه بالامتناع أو التأخر عن إرسال المقدار المفروض عليها خلال الحرب الفارسية الهللينية الثانية في 480 ق. م مما أدى بالفرس، وكمظهر من مظاهر حرصهم على تأكيد تلك السيادة، إلى تجريد حملة عسكرية قادها أرساميس ضد هذه المدينة، ولإجبارها على الاشتراك في تلك الحرب وهذا يقودنا إلى القول بأن اختلاف الجزية التي فرضت على الولايات تفاوت حسب حال كل ولاية وأوضاعها الاقتصادية، وهي في مجملها جزية نقدية «مبلغ سنوي» وجزية نوعية مما اشتهرت به الولاية من نتاج اقتصادي سواءً زراعي ـ صناعي ـ رعوي، ثم المساهمة العسكرية بما يمتلكه القطر من أسلحة سواء منها البحرية أو البرية.

ويتضح في أقليم قورينائية أمر فرض تلك الجزية بكل وضوح، فهيرودوتس ذكر بأن الجزية النقدية كانت 700 وزنة فضية [تالنت]، والتي ربما ساهمت فيها إلى جانب قورينائية مصر إذ كانت جميعها ولاية واحدة، وهي الولاية السادسة حسب ترتيب هيرودوتس، ورجحت هذه الدراسة مساهمة أثيوبية [مروى] في ذلك المبلغ أيضاً وهذه كانت تدفع سنوياً، وهذا

ما يُبطل الزعم القائل بأن مصر وحدها كانت بعد الهند تدفع أكبر جزية للفرس.

ثم جزية نوعية، وتمثلت بالنسبة لقورينائية في الخيل والثيران والضان وغيرها من الحيوانات مما اشتهر بها الإقليم، وهذا ما توصل البحث إلى تأكيده بالاستناد إلى النحوتات الفارسية على عمائرهم.

ذلك إلى جانب المساهمة العسكرية والتي كانت قد بلغت في حملة اكسركسيس (الأول) على المدن الهللينية 18 فرقة عسكرية حسب هيرودوتس، إلى جانب عدد من العربات الحربية التي يجر كل منها زوج أو زوجين من الخيل.

وقد رجحت هذه الدراسة بعد أن ثبت مشاركة الأقليم في حروب الفرس بأن يكون فرض تلك الجزية النقدية قد اقتصر على العناصر الهللينية فقط من مستوطني الأقليم دون القبائل الليبية التي ربما كان قد فُرض عليها المساهمة، إضافة إلى تلك الحيوانات، بتلك العربات الحربية وفرق المشاة، وهنا يكون هيرودوتس دقيقاً في وصفه لتلك الفرقة بأنها من الليبيين.

وهذا التمايز في المعاملة لا يعني أن الهللينيين جميعهم الذين خضعوا للفرس قد فُرض عليهم جزية نقدية فقط، إذ تذكر المصادر أن الكثير منها [المدن] قد فُرض عليها المساهمة إضافة للجزية النقدية، ببعض السفن والبحارة مثل بعض المدن الأيونية ومنها ليكية وكارية وغيرهما.

غير أن في هذا الجانب كان أقليم قورينائية استثناء، ربما شاذاً، بين تلك الولايات فهو الوحيد الذي كان سكانه خليط من أمم متباينة، هللينيون وليبيون، وفي حالة عداء أغلب الوقت، ولذلك لا يمكن قياسه بأي من الولايات الأخرى، صحيح بمصر توجد مستوطنة هللينية، في نيو كراتيس ولكن هذه لم تكن مدينة دولة، إذ كان سكانها من التجار تم تجميعهم في عهد الفرعون أماسيس ليخضعوا لإشرافه وربما سيطرته.

وعودة لأمر مشاركة قورينائية في الحرب الفارسية الهللينية خاصة الثانية فأنها على ذلك النحو يكون البحث قد أكد تلك المشاركة، بالمال بالعربات الحربية بفرق المشاة، وهو ما يبطل زعم شامو بأن قوريني ما كان لها أن تخون قضية الهللينيين رغم عدم حضورها لمؤتمر كورنثة.

وهذا يقودنا من جهة أخرى إلى التطرق إلى مدى التبعية القورينائية للفرس، والتي يرى شامو أنه قد اعتراها شيء من الوهن عقب اندحار أكسركسيس (الأول) عن بلاد الهللينيين لتقطع تلك التبعية في عهد خلفاءه، الذين كان جُل اهتمامهم الحفاظ على العرش أو محاولة إخماد الثورات في ولايات آسية أو في مصر.

وهذا الأمر أيضاً أثبتت هذه الدراسة بطلانه، إذ نصت إحدى فقرات توكيديدس وأخرى عند بلاتو على أن تقوم قوريني بدفع الجزية التي تأخرت في دفعها للفرس في عهد أرتاكسركسيس (الثالث)، كما قام الفرس بوضع حامية عسكرية بليبيا.

كما تأكد استمرار تلك التبعية باستمرار ظهور الليبيين وهم يقدمون الجزية النوعية لملك الملوك في منحوتات برسيبوليس، حتى زمن متأخر من سقوط الأسرة الباتسية.

من المآخذ التي أخذت على ساسة الفرس أنه بالرغم من أن العنصر الفارسي استطاع تثبيت نفسه قومياً في كافة أنحاء الشرق الأدنى، إلا أنه عجز بسبب افتقاده إلى مذهب فكري عالمي خاص به، وبالتالي بسبب حاجته إلى تنظيم واحد يجمع شمل الامبراطورية، إلا أنه عجز عن استلام زمام القيادة الفكرية وربما السياسية للمنطقة، وهو أمر بما عذرهم فيه أنه لم تكن هناك سابقة تدعو إلى ذلك، إذ كانوا قد اكتفوا فقط بنقل بعض السكان من موضع إلى آخر بالامبراطورية على سبيل القصاص أو العقاب فقط، ومن ذلك مثلاً تهجير سكان برقة، عقب حملة أرياندس، وإنزالهم بمدينة باكتريا، أطلقوا

عليها اسم برقة، ظلت مذكورة إلى ما بعد زمن الإسكندر المقدوني، وسكان باكسوس الذين تم تهجيرهم إلى أحد مصبات الدجلة، لامتناعهم عن مساندة الفرس خلال ثورة المدن الأيونية وإحراق مدينة ساردیس.

والعقاب على هذه الشاكلة عرفته الأمم السابقة في الشرق، ويكفي تدليلاً سبي اليهود ببابل، والجدير ذكره فيما يتعلق بهؤلاء الأسرى خلو المصادر من أي إشارة إليهم، باستثناء أن هناك ذكر للعبيد المشتغلين في المزارع بفارس، ولعل هؤلاء كانوا من أولئك المسبيين وربما كان من بينهم سكان برقة، الذين كانوا أقرب ما يمكن لنشاط الزراعة والرعي دون غيرهما من الأنشطة الاقتصادية الأخرى.

ثم أنه لعل أولئك المهجرين كانوا أقليات صغيرة تم توزيعها على مختلف مدن أو أجزاء الامبراطورية، وربما كان لحسن المعاملة التي لقوها في منفاهم ذلك قل وجود مشاكل تتعلق بهم فاختفى ذكرهم.

من المآخذ الأخرى التي أُخذت على الفرس قصورهم دون استحداث تجديدات على الآلة العسكرية الفارسية، أو محاولة إيجاد تآلف عسكري بين جيوش الولايات التي ظلت كل منها محتفظة بعاداتها القتالية وأدواتها، وقد رأينا كيف كانت الفرقة الليبية تقاتل في حملة اكسركسيس (الأول) على المدن الهللينية، مرتدية الملابس الليبية وتحارب بأسلحتها الخاصة، فاعترى ذلك الجيش الهرم المبكر ولم يحل دونه الاستعانة بالمرتزقة الهللينيين في آخر العصر.

الولايات الفارسية بما فيها قورينائية قد شهدت زمن خضوعها للفرس ازدهاراً، يكاد يكون شاملاً لكافة نواحي الحياة، وتشهد بذلك اليوم في قوريني مخلفات المدينة، التي تؤكد حدوث انفتاح على كافة مدن العالم القديم، تزامن مع حدوث رخاء اقتصادي تجلت أهم مظاهره في انخفاض الأسعار بشكل عام في القرن الخامس ق. م.

في النهاية وفي مجال الخلاف الحضاري والثقافي، يظل التعليل قاصراً عن إيجاد مبررات لعدم استقدام البلاط الفارسي لشيء من الخبرات الهللينية، خاصة فيما يتعلق بالأدب كالشعراء «الذين كانوا في كل وادي ثرى يهيمون، خاصة وأنه من المعلوم أنه في تلك الأزمنة كان الشعراء وكذلك النحاتون يجوبون الآفاق بكل سهولة وينتقلون بأنفسهم إلى مقار زبائنهم المؤسرين».

وخلاصة هذه الخاتمة، لقد اعترفت قورينائية، بمبادرة من أركسيلاوس (الثالث) بالسيادة الفارسية الأخمينية عليها، لظروف خاصة به، وقد فرض الفرس على الإقليم الجزية بكافة أنواعها، والتي شملت بعض الليبيين أيضاً، وقد أكدت ذلك المصادر القديمة سواء منها الأدبية أو المادية، الهللينية أو الفارسية.

وتجلت أهم مظاهر ذلك الاعتراف أو التبعية في مساهمة قورينائية في الحروب الفارسية الهللينية خاصة خلال حملة أكسركسيس (الأول)، وفي إرسال حملات عسكرية فارسية ضد بعض مدن ذلك الإقليم، ووضع حاميات عسكرية، في أول الأمر على مشارف حدوده مع مصر، وفي وقت لاحق داخل البلاد، وإجبار مدن الإقليم على دفع الجزية التي تأخرت في إرسالها.

استمر الأقليم خاضعاً للسيادة الفارسية إلى ما بعد سقوط أسرة باتوس وهذا ما أشارت إليه المصادر الفارسية، إضافة إلى بعض المصادر الهللينية الأخرى.

وتحديد نمط أو نوع ذلك الخضوع في العصر الجمهوري ليس داخلاً ضمن نطاق هذه الدراسة المحددة زمنياً بعصر أسرة باتوس، وبالتالي فإن كشف كنهه واستجلاء خباياه جدير بأن يخصص له بحث خاص...

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصـــادر

أ ـ الأدبيـة:

1. ARISTOTLE: Poetic and Longinus, with an English translation by Hamilton W. and Roberts W.R.
The Loeb Classic Library (Harvard University Press, MCMLXII).
2. ARRIAN: History of Alexander and Indica, with an English translation by Robson E.I.; The Loeb Classic Library (Harvard University Press, London, MCMLXVI).
3. ATHENAEUS: Delpnosophistae, with an English translation by Gulick C.B.; the Loeb Classic Library, (Harvard University Press, London, MCMLVII).
4. C. PLINIUS SECUNDUS: Natural History, with an English Translation by Rackhamand and Jones H.S.; The Loeb Classic Library, (London 1952).
5. DIODRUS SICULUS: With an English Translation by Oldfather C.H.; Sherman C.L.; Greer R.M. and Walton F. The Loeb Classic Library, (Harvard University Press, London, MCMLVII).
6. EUSEBIUS: Eclesiastical History, with an English Translation by Kirsopp L. and Oulton J.E.L. the Loeb Classic Library, (London 1965).
7. HERODOTUS: With an English Translation by Godly A.D. The Loeb Classic Library, Reprinted 1957.
8. KTESIAS: The Fragments of the Persika of Ktesias with an English Translation by Gilmores John. (London 1888).
9. Migne P.G.; the Letters of Synesius of Cyrene, Epistolographi Graeci, Vol LXVI.
10. PAUSANIAS: Description of Greece, with an English Translation by Jones W.H.S. and Wycherley R.E.;
The Loeb Classic Library, (London 1955).

11. PINDAR: The Odes of Pindar, translation by Sir. John Sandys, the Loeb Classic Library, (London 1961).
12. PLATO: Laws, With and English Translation, Rev. Bury R.G. The Loeb Classic Library, (London 1955).
13. PLUTARCH: Moralia, with an English Translation by Babbit F.C., Helmbold W.C., Fowler H.N. and Cherniss W. The Loeb Classical Library, (Harvard University Press MCMLXIX).
14. PLUTARCH: The Parrallel Lives, with an English Translation by Perrin B., The Loeb Classical Library, (London 1951).
15. STRABO: Geography, with an English Translation by Jones H.L., the Loeb Classical Library, (London 1967).
16. THEOPHRASTUS: Enquiry into Plants, with an English Translation by Sir. Bart Arthur Hort, The Loeb Classical Library.
17. THUCYDIDES: With an English Translation by Smith C.F., the Loeb Classical Library.
18. XENOPHON: Cyropeadia, with an English Translation by Mıller Walter, the Loeb Classical Library, (London 1961).
19. ......: Hellenica, Anabasis, with an English Translation by Brownson C.L. and Todd O.J. the Loeb Classical Library (London 1968).
20. ......: Lakedaimonion, with an English Translation.

ب ـ النقـوش:

1. KLAFFENBACH G.,: Supplementum Epigraphicum Graecum IX (1939).

ثـانيـاً: المراجـع الأجنبيـة

1. Bardman J. and H., Yes, Excavations at Tocra (1966).
2. Barnes J., "Cimon and the First Athenian Expedition to Cyprus" Historia Zeitschrift Fur Alte Geshichte II (1954).
3. Bates, Oric., The Eastern Libyan. (London 1914).
4. Beazleg J. and AShmole B., Greek Sculpture and Painting to the end of the Hellenistic Period. (Cambridge 1966).
5. Benjamin S.G.W., the Nations of the World, Persia. (London Sixth Impression (1920).
6. Boardman J., "Evidence for the Settlement in Cyrenaica", The Annual of the British School of Archaeology at Athens. No. 61 (1966).

7. Bonnard A., Greek Civilization from the Ilid to the Parthenon, (London Third Impression, 1962).
8. Boscawen C., The First Empires, (London 1906).
9. Broneer O., "Themisthokles:, Hisperia VII, (1937).
10. Burn A.R., Persia and the Greeks, the Defence of the West. C. 546 - 478 B.C., (London first published 1962).
11. Bury J.B., and Meiggs R., A History of Greece to the Death of Alexandre the Great, (London fourth edition 1975).
12. Cambridge Ancient History, Vol III, the Assyrian Empire, (Cambridge at the University Press 1929).
13. Cambridge Ancient History, Vol IV, the Persian Empire and the West, (Cambridge at the University Press, 1953).
14. Cameron G.G., History of Assyria, (Chicago 1930).
15. ......, "Darius and Xerxes in Babylonia"
American Journal of Semitic Languages and Literatures, LVIII, (1941).
16. ......, "Darius, Egypt and the Lands beyond the Sea"
Journal of Near Eastern Studies, II, (1943).
17. ......, Persepolis, Treasury Tablets, Oriental Institute Publication, LXV, (Chicago, 1948).
18. Carter H.T., Report of the Pennsylvania Expedition, V, (1963).
19. Cary G., the Medieval Alexander, (Cambridge 1967).
20. Chrimes K.M.T., Ancient Sparta, (Published by the University of Manchester, 2nd. Impression, 1952).
21. Collins Robert, the Medes and Persian Conquerors and Diplomats, (London 1974).
22. Cormack G. Egypt in Asia, (London 1908).
23. Coster C.H., "the Economic Position of Cyrenica in the Classical Age" Studies in Roman Economic and Social History in Honour of Allan Chester John, (1951).
24. Cotterill H.B.; Ancient Greek, (London 1922).
24. Cotterill L., the Lost Cities, (London, 5th printing 1971).
26. Couyat J. and Montet P., Les Inscription du Oudi Hammamat, (Paris 1912).
27. Dalton O.M., The Treasure of the Ouxus, (London 3rd. edition, 1964).
28. Duberstein W.H., "The Chronology of Cyrus and Cambyses", American Journal of Semitic Languages and Literatures, LV, (1938).
29. Dury C.J., Art of the Ancient Near and Middle East, Translated from the Dutch by Alexis Brown, (New York, 1969).
30. Encyclopedia Universel della 'Arte, Vol VIII, Indo Iranian Art Lands Cape Architecture, (Rome, 1972).
31. Encyclopedia Britannica, Anew Survey of Universal Knowledge, Dedicared by Permission to Her Majesty Queen Elizabeth the Second and

Dweight David Eisenhower, President of the United States of American, Walter Yust Editor.
32. Fanatoli A., La Libia negli Scrittidegli Antichi, (Roma).
33. Flaceliere, Devambez & Schuhi, A Dictionary of Ancient Greek Civilization, (London 1970).
34. Fletcher B., A History of Archaeology, (London 17th. edition, 1961).
35. Forbes R.J., Studies in Ancient Technology, Vol I (Second Revised Edition, Printed in the Netherlands 1965).
36. ......, Studies in Ancient Technology, vol II, (Netherlands 1967).
36 A. Frey Richard N., the Heritage of Persia, (London 1968).
37. Fuller J.F.C., the General Ship of alexander the Great, (London 1958).
39. Furtwangler A., Masterpieces of Greek Sculpture, (Chicago 1964).
40 Gloag J., the architectural Institutions, Translated by Mallinson N. (London first published 1965).
41. Glotz G., the Greek City and it's Institutions, Translated by Mallinson N., (London first published 1965).
42. Gobineau J.A., the world of the Persians, (Geneve 1971).
43. Goedicke V.H., Psammetik I und die Libyer, M.D.A.I.A.K. 18, (1962).
44. Goodchild R.G., "Libyan Forts in South West Cyrenaica" Antiquity XXV, (1951).
45. ......, "Mapping Roman Libya", Geographical Journal, Vol CXVIII, Part 11, (1952).
46. "The Forum of Ptolemais" Quaderni di Archaeologia della Libia, V, (1967).
47. ......, The Decline of Cyrene and the Rise of Ptolemais, tow New Inscription, Quaderni di Archeologia della Libia, IV, (1961).
48. Goodchild R.G., Pedly J.G. and White D., "Recent discoversies of Archic Sculpture of Cyrene", Libya Antiqua, Annual of the Department of Libya, Vol III, IV, (1966 - 1967).
49. Goodchild R.G., Benghazi, the Story of a City,
Department of Antiquities, (Cyrene, Second edition 1962).
50 Gordon C.H., Adventures in the Near East, (London 1957).
51. Graves R., New Larousse Encyclopedia of Mythology, (London 1978).
52. Grote G., Histoire la Gerc'e, Tome Sixieme, (Paris 1865).
53. Hallock R.T., Persepolis Fortification Tablets,
Oriental Institute Publication, Vol XCII, (Chicago 1979).
54. Hammond N.G.L., A History of Greece to 322 B.C. (OxFord 2nd. edition, 1973).
55. Hawkes J., Atlas of Ancient Archaeology, (London First Published 1974).
56. Hayden J.L., "Living Standards in Rural Iran", The Middle East Journal III 2, (April 1949).
57. Hertzfeld E., Archaologische Mittheilungen aus Iran, Vol II, (1930).

58. ......, A New Inscription of Xerxes from Persepolis, (New York 1932).
59. Highbaeger E.L., 'theognis and the Persian Wars".
Transaction of the American Philological Association LXVIII, (1937).
60 Hill G., A history of Cyprus, Vol I, (Cambridge, 1949).
61. ......, Sources for Greek History between the Persian and Peloponesian Wars, (OxFord, 1962).
62. Huart C., La Perse Antique et la Civilisation, Iranienne, (Paris, 1925).

Iranienne, (Paris, 1923)

63. Hysiep 0.0.0, Cyrene and Ancient Cyrenaica, (Tripoli, 1945).
64. James E.O., Myth and Ritual in the Ancient Near East An Archaeological and Documentery, (London, 1958).
65. Jones A.H.M., Cities of the Eastern Roman Preovinces, (OxFord, 1937).
66. ......, Sparta, (OxFord, 1967).
67. John B & son Ltd (Printed in Scotland by), Historical Atlas of the World, (1977).
68. Kent R.G. "Old persian Inscription", Journal of the American Oriental Society, Li, (1931).
69. ......, "Old persian Texts, I, the Darius suez Inscription", Journal of Near Eastern Studies, I, (1942).
70. ......, "Old persian Texte, III, Darius Behistan Inscription, Colum V", Journal of Near Eastern Studies, II, (1943).
71. Kraeling, Carih., Ptolomais; City of the Libyan Pentapolis, Vol, XC, The university of Chicago (1962).
72. Lamb H., Cyrus the Great, (London, 1960).
73. Lang M., "Scapegeat Pausanias", Classical Journal, L XIII, (1967).
74. Langer L.W., (Compiled and Edited, An Encyclopedia of World History, Ancient, Medieval and Modern Chronolegically Arranged, (Combridge, 1960).
75. Laronde. Andre, Cyrene sous les Derniers Battiades in Cirene storia, Mite Letteratura, (Urbine, 1988).
76. Lenormant F and Chevallier E, Ancient History of the East, Vol, 11, Medes and persians, phonician and Arabians, (London, Mdccclxx).
77. Loeyd, Alan, Marthen, the story of Civilizations on collision Course, (New York, 1973).
78. Long C.R., The twelve Godes of Greece and Roman, (leiden, 1987).
79. Loon H.W.V. The Story of Mankind, (New York, 1973).
80. Marinelli O, "Acura di" La Cirenaica, Goergrafica, Economica, Politica, (Milano, 1922).

81. Matheson, Sylvia A, Persia, An Archaelogical Guide, (London, 1972).
82. Maurice F, "The size of the army of xerxes", Journal hellinstic studies L, (1930).
83. Meiggs R, The Athenian Empir (OxFord, 1967).
84. Mireaux E, Daily Life in the time of homer (London, First Published, 1959).
85. Mitchell B.M, "Cyrens and Persia" Journal Hellinstice studies, 86, 1966.
86. Myers P.V.N., A history of Greece, (London, 1950).
87. Naville L., Les Monnaies D'er Dela Cyrenique de 450 a 250 vant J.C, Contribution A - Letide des Monnaies Gyecques Antiques (Geneve, 1951).
88. Noshy I, Arcesilaus III, in Libya in history, Mistorical conference, Benghazi, (1968).
89. Nylander C, Ionian in pasadae, studies in old.
Persian Architecture, (Stockholm, 1970).
90. Oliva P, Sparta, (Amsterdam 1971).
91. Oliverio G, "Federico Halbherrin Cirenaica", Africa Italiana, IV, 1931.
92. Olmstead A.T, history of Assyria, (Chicago, 1923).
93. ......, "Darius as Lawgiver", American journal of Semitic languages and Literatures Li, (1935).
94. ......, "Darius and his Behistum Inscription American Journal of Semitic and literatures, IV, (1938).
95. ......, History of Persian Empire, (Chicago, fourth Impression, (1963).
96. Parker R.A. "Persia and Egyption chronology", American Journal of semitio languages and litteratures, L VIII, 19.
97. Parker R.a. and Dubberstein W.H, Batylonian chronology, 626 B C - A.D 45, (London, 1942).
98. Picard G.C. "General Edition", Larousse Encyglopedia of archaeology, Translated from the french by Anned word, (London, 1972).
99. Posener O. la Premiere Domination Perse en Egypte, (Cairo, 1936).
100 .Purcell H., Cuprus, (London, 1969).
101. Ragozin, Wenaide a, Media, Baybylen and persia, Includinga study of the zend Avesta or Religion of zoroaster, (New York, MDccccxci).
102. Raubitschek A.E, "the treaties Between Persia and Athens", Greek Roman and Byzantine.

Studies, V, (1964)

103. ......, "The Peace Policy of Pericles", American Journal of Archaeology, LXV, (1966).
104. Robinson E.S.G, Catalogue of the Greek coins of Cyrenaica, Bologna, 1965).
105. Roebuck C, The world of Ancient times, (New York, 1966).

106. Rostovtzeff M, Social and Econmic history of the Mellinstic world, OxFord, 1967).
107. Rowe, Allen, A history Cyrenaica, New Light on Aegypto Cyrenacan Relation, two Ptolemaic statues found in Tolmeita, Supplement Annales Du Service Des Antiguites De L'Egypte, Cahier No. 12, le caire Imprimerie De L'institut from D'archeologie Oriental, MOMXL VIII.
108. ......, Cyrenaican Expedition of university Manchester, (1952).
109. Sadawiya A, "The Greek settlement in cyrenaica with nots on pottery Discoverd there, in Libya in history, Historical conference, (Benghazi, 1968).
110. Sayce A.H. History of Assyria, (Chicago, 1923).
111. Schmidt erich f, Persepolis I, structures, Reliefs, Inscription (Chicago, 1953).
112. ......, Persepolis III, The Royal Tombs and other Monuments, (Chicago, 1970).
113. Seltman C, Greek coins, (London, 1963).
114. Shepherd R.W. Shepherd's historical Atlas, (London, 1974).
115. Smith and Porcher, History of the recent Discoveriessat cyrene, (London, 18640).
116. Smith S, Babylonian historical Texts, (London, 1908).
117. Splegelberg W, Die sogenante Dematische Chronik, (Leipxig, 1941).
118. Stuocki, sandro, Cirene 1957 - 1966, un decennio de Ahivita della Mission Archeological Italilina A Cirene, Quaderni Dell' Institute Italiano di cultura di Tripoli.
119. ....., Architectur cirenaica, ("L'erma" di Bretschneider, Roma 1975).
120. ......, Il Naiskos "Dilysanias" Riconsiderato, Quaderni d'Archeologia Della Libya 12, Cırene Ei Libyi, Lerma di Bretschneider, (Roma, 1987).
121. Surridge H.A.D, Curus a tale of the Ten Thousand, (London, MDcccxcvi).
122. Sykes P, A history of Persia, Vol, I, (London, Third Edition, 19).
123. Thrige, Johannes Petrus, Res Cyreonsium Traduzione dal latino Di Silvio Ferri (Airoidi, Editore, 1940).
124. Tilia A.B, Astudy on the Methods of working and restoring stone and of the parfs left unfinished in Achaomeniane Architecture and Sculptur, East and West N.S.Vol 18, Nos 1 - 2, (Rome, 1968).
125. ......, Reconstruction of the parpeton the Tevace wall at persepolis, south and west of the place "HII East and West N. S, Vol, 19 - Nos 1 - 2, Rome, 1969.
126. Torrey C.C, "The Bilingual Inscription from sardis", American Journal of semitic languages and Literatures, XXXiv, (1918).
127. Thomson J. Oliver, Every man's classical Atlas, (New York, Third Edition, 1966).

128. Vaux, W.S.W. Ancient History from the Monuments Persia from Earliest Period to the Arab Conqust, (New York, 1884).
129. Vekers M and Bazama A, "A Fifth century B,C, Tomb in Cyrenaica" Libya Antigua, Vol, VIII (1971).
130. Water man L, Royal correspondence of the Assyrian Empir, Vol, II, (New York, 1930).
131. Weigali A, Alexander the Great, (London, 1935).
132. Wilber N.D, Iran, Past and present, (London, Seventh Edition, 1975).
133. Yorke R, "A survey of Ancient Harbours in Gcyrenaica", The Society of Libyan Studies, Third Anneal Report, (1971 - 1972).
134. "Apxaikos Exxmvzoyos, Ietopia Tou", Exxmvzkou Eqvous B. Toyou, (Eksotzkm Aoyvnv).
135. Kupiakism B, 'Iotopza two' Exxmvwv, I ('Aomvev, 1972).
136. Liddell & Scott, Greek - English Lexicon, (OxFord, 1869).
137. Munir Baalbaki, Almawrid, A Moddrn English - Arabic Dictionary, (Dar El - Ilm malayen, Beirut, 1984).
138. ......, Al Mawrid al qare, Ba a Ibakis Pocket Dictionary, (Dar El -Ilm Malayen, Beirut, 1979).

- منير البعلبكي، قاموس إنكليزي - عربي، (دار العلم للملايين، بيروت، 1984 م).

منير البعلبكي، منير ال ـــــ، المورد القريب، قاموس جيب إنكليزي - عربي، (دار العلم للملايين، بيروت 1979 م).

ثالثاً: المراجع العربية

1 - إبراهيم أحمد زرقانة وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، (دار مصر للطباعة، القاهرة، ؟).
2 - إبراهيم نصحي، مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1966 م).
3 - ـــــ، تاريخ الرومان، الجزء الأول، (منشورات الجامعة الليبية، ؟، ؟).
4 - ـــــ، إنشاء قوريني وشقيقاتها، (منشورات جامعة قاريونس، الطبعة الثانية 1979 م).

5 ـ أبو القاسم الفردوسي، الشاهنامة، ملحمة الفرس الكبرى، ترجمة سمير ملطي (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1979 م).

6 ـ أبو الحسن علي بن علي المسودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، (دار الأندلس، بيروت، الطبعة الرابعة، 1981 م).

7 ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، القسم الأول، الجزء الثاني، (مكتبة خياط، بيروت، ؟).

8 ـ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، (عالم الكتب، بيروت، ؟).

9 ـ أتيين دريوتون وجاك فانديه، مصر، عربة عباس بيومي، راجعه محمد شفيق وغربال بك وعبد الحميد الدواخلي، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ؟).

10 ـ إحسان سركيس، الآداب القديمة وعلاقتها بتطور المجتمعات، (دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، 1988 م).

11 ـ أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، الجزء الأول، (مؤسسة دار الشعب، القاهرة).

12 ـ أحمد صادق حسن، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، «مصر الفرعونية الهللينية والامبراطورية المصرية الفاطمية من المغرب إلى مصر وعهد المماليك»، (دار ابن خلدون، الطبعة الأولى، بيروت 1979 م).

13 ـ أحمد فخري، مصر الفرعونية، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية 1960 م).

14 ـ ــــــ، دراسات في تاريخ الشرق القديم، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1963 م).

15 ـ أرسطوطاليس، نظام الأثينيين، ترجمة طه حسين، (دار المعارف بمصر، ؟).

16 ـ أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهللينية، ترجمة رمزي جرجس، مراجعة صقر خفاجة، (مكتبة الأنجلو المصرية، 1963 م).

17 ـ إسعاد عبد الهادي قنديل، فنون الشعر الفارسي، (دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، 1982 م).

18 ـ إسماعيل مظهر، خطبة بداية الحكماء وهداية القدماء، (المطبعة الدوارية، القاهرة، ؟).

19 ـ أندريه ايمار وجانين أوبويه، بإشراف موريس كرزويه، تاريخ الحضارات العام، الجزء الأول، الشرق واليونان القديمة، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان، (بيروت 1964 م).

20 ـ أنطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب توفيق سليمان، علي أبو عساف وقاسم طوير، (؟).

21 ـ ــــــ، الفن في العراق القديم، ترجمة وتعليق عيسى سليمان وسليم طه التكريتي (مطبعة الأديب البغدادية، ؟).

22 ـ الإمام محمد أبو زهرة، مقارنة الأديان، الديانات القديمة، (دار الفكر العربي، الكويت، ؟).

23 ـ آلن جاردنر، مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973 م).

24 ـ السير جون أ. هامرتن، تاريخ العام، المجلد الثاني، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ؟).

25 ـ برتون راسكو، عمالقة الأدب العربي، الجزء الأول، ترجمها وراجعها دريني خشبة وأحمد قاسم جودة، (مؤسسة روز اليوسف القاهرة، 1961 م).

26 ـ بوفيل روبن هاليت، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، نقله إلى العربية الهادي بولقمة ومحمد عزيز، (منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988 م).

27 ـ توفيق سليمان، نقد النظرية السامية، الجزء الأول، (دار دمشق، الطبعة الأولى، 1981 م).

28 ـ ــــــ، دراسات في حضارات غربي آسية القديمة

، من أقدم العصور إلى عام 1190 ق. م، (الشرق الأدنى القديم، بلاد ما بين النهرين، بلاد الشام، دار دمشق، الطبعة الأولى، 1985 م).

29 ـ توفيق سليمان، جمال الحرامي وآخرون، أعمال التنقيب التدريبية عن الآثار، بجامعة قاريونس، بنغازي في ليبيا، 1983/1974 م، توكرة، الجزء الأول، (دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1986 م).

30 ـ تارن و. و، الإسكندر الأكبر، ترجمة زكي علي، مراجعة محمد سليم سالم، (مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 1963 م).

31 ـ جمال الدين الدنياصوري، دولت أحمد صادق ومحمد السيد غلاب، جغرافية العالم الأقليمية، دراسة أقليمية، الجزء الأول، آسيا وأوربا، (القاهرة، 1970 م).

32 ـ جود شايلد ر.ج. ، قورينا وأبولونيا، دليل تاريخي ووصف عام لآثار المدينتين، (نشر إدارة البحوث الأثرية، بمصلحة الآثار، طرابلس، 1970 م).

33 ـ جون رايت، تاريخ ليبيا من أقدم العصور، تعريب عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، (دار الفرجاني، طرابلس، الطبعة الأولى، 1972 م).

34 ـ جورج حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، (المطبعة الجامعية السورية، دمشق، 1958 م).

35 ـ جيمس هنري برستد، انتصار الحضارة، ترجمة أحمد فخري، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ؟).

36 ـ حسين عبد العال مراجع، العلاقات الليبية الفرعونية، منذ ما قبل

الأسرات وحتى بداية حكم الليبيين لمصر، (دار أماني، طرطوس، الطبعة الأولى، 1989 م).

37 ـ خالد عبد المنعم العاني، موسوعة العراق الحديث، المجلد الأول، (الدار العربية للموسوعات، بغداد، 1977 م).

38 ـ ر. أ. ج. أربري، تراث فارس، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1959 م).

39 ـ رجب عبد الحميد الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، منذ القرن السابع ق. م وحتى بداية العصر الروماني، (منشورات قورنيا للنشر والتوزيع، 1975 م).

40 ـ ـــــــ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، (دار أماني، طرطوس، الطبعة الأولى، 1989 م).

41 ـ رشيد الناضوري، تاريخ المغرب الكبير، الجزء الأول، (دار النهضة العربية، بيروت، 1981 م).

42 ـ ـــــــ، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الأول، مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي من العصر الحجري الحديث حتى نهاية الألف الثالثة ق. م، (دار النهضة العربية، بيروت، ؟).

43 ـ سليم حسن، مصر القديمة، الجزء الثاني عشر.

44 ـ ـــــــ، ـــــــ، الجزء الثالث عشر، (مطابع دار الكتاب العربي، بمصر، ؟).

45 ـ شمس الدين فارس وسليمان عيسى الخطاط، تاريخ الفن القديم، (دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1980 م).

46 ـ صادق نشأت ومصطفى حجازي، صفحات عن إيران، (مطبعة مخيمر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1960 م).

47 ـ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، (مطبعة الحوادث، بغداد، الطبعة الأولى، 1973 م).

48 ـ عائدة سليمان عارف، مدارس الفن القديم، (دار صادر، بيروت، 1972 م).

49 ـ عبد الحميد عبد السيد، مدينة برقة، المرج الحديثة، ليبيا القديمة، المجلد الثامن، 1971 م.

50 ـ عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، (القاهرة، الطبعة الثانية، 1971 م).

51 ـ عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، العصر الهلادي، الجزء الأول، (دار النهضة العربية، بيروت، 1974 م).

52 ـ عبد اللطيف أحمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، (دار صادر، بيروت، 1971 م).

53 ـ عبد الله حسن المسلمي، كاليماخوس القوريني، شاعر الإسكندرية، (منشورات الجامعة الليبية، 1973 م).

54 ـ علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الجزء الأول، (دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة، 1966 م).

55 ـ علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، (القاهرة، 1950 م).

56 ـ عمر حاج زكي، الإله آمون، في مملكة مروى 750 ق. م ـ 350 م، (مطبوعات جامعة الخرطوم، الطبعة الأولى، 1980 م).

57 ـ علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، (دار الفكر، طرابلس، 1975 م).

58 ـ غريغورس أبي الفرج بن العبري، تاريخ مختصر الدول، (بيروت، 1890 م).

59 ـ فرانسوا أشامو، الاغريق، الأسطورة والتاريخ نقله عن الفرنسية وشرح متونه وقدم له محمد عبد الكريم الوافي، (منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1995 م).

60 ـ فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، راجعه جبرائيل جبور، (دار الثقافة، بيروت 1958 م).

61 ـ ـــــــ، موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة أنيس فريحة، (دار الثقافة، بيروت، ؟).

62 ـ ق.م. هلير، تاريخ العالم، ترجمة إبراهيم ميخائيل عودة، (مطابع فتى العرب، شارع الفردوس، ؟).

63 ـ كونتنو، ج، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، راجعه طه حسين (الناشر شركة مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ؟).

64 ـ كيتو هـ.د.، الأغريق، ترجمة عبد الرازق يسري، وراجعه محمد صقر خفاجة، (دار الفكر العربي، القاهرة، 1962 م).

65 ـ كمال الدين حلمي، 3500 عام من عمر إيران، الجزء الأول، منذ أقدم العصور حتى نهاية العصر الغزنوي، (مؤسسة علي الجرّاح الصبّاح، الكويت، الطبعة الأولى، 1979 م).

66 ـ لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان، مقدمة في التاريخ الحضاري، (دار النهضة العربية، بيروت 1979 م).

67 ـ محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، (دار النهضة العربية، بيروت، 1981 م).

68 ـ ـــــــ، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، (دار النهضة العربية، بيروت، 1987 م).

69 ـ م. ج. درسدن، أساطير إيران القديمة، في أساطير العالم القديم، نشر وتقديم صمويل نوح كريمر، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، (الهيئة المصرية للكتاب، 1974 م).

70 ـ مجلة الآثار الشرقية، إدارة البطرقية الأنطاكية السريانية، بيروت (26ـ1928ت م).

71 ـ محمد أسد الله صفا، الإسكندر المقدوني الكبير، (دار النفائس، بيروت الطبعة الأولى 1985 م).

72 ـ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، (بيروت، الطبعة الثانية 1982 م).

73 ـ محمد عبد القادر حاتم وآخرون، الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول، الجزء الأول، (وزارة الثقافة والإعلام، جمهورية مصر العربية).

74 ـ محمد عبد القادر محمد، إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي، (مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 1982 م).

75 ـ محمود شاكر، إيران، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1975 م).

76 ـ محمد عزت مصطفى، قصة الفن التشكيلي، الجزء الأول، العالم القديم، (دار المعارف بمصر، ؟).

77 ـ محمود فهمي، تاريخ اليونان، (؟).

78 ـ محمد محمد سطيحة، الجغرافية الأقليمية، دراسة لمناطق العالم الكبرى، (دار النهضة العربية، بيروت، 1974 م).

79 ـ محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، الجزء الأول، (دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، 1980 م).

80 ـ محمد لطفي جمعة، حياة الشرق، دوله وشعوبه، ماضيه وحاضره، (دار إحياء الكتب، ؟).

81 ـ محمد مصطفى بازامة، ليبيا، هذا الاسم في جذوره التاريخية، (طرابلس، وزارة الأنباء والإرشاد، اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب، 1965 م).

82 ـ ـــــــ، قورينة وبرقة، نشأة المدينتين في التاريخ، (مكتبة قورينا، بنغازي، 1973 م).

83 ـ مرجريت مري، مصر ومجدها الغابر، ترجمة محرم كمال، (لجنة

البيان العربي، القاهرة، 1957 م).
84 ـ مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، (منشورات الجامعة الليبية المطبعة الأهلية، بنغازي، الطبعة الأولى، 1966 م).
85 ـ نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني، مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الإسكندر، (دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1966 م).
86 ـ ــــــ، مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء السادس، حضارات الشرق القديم، العراق وفارس، (دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية 1967 م).
87 ـ نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، الجزء الأول، حضارات العصور القديمة، (مطبعة الكمال، 1965 م).
88 ـ و.ج. دي بورج، تراث العالم القديم، الجزء الأول، ترجمة زكي سوس، راجعه يحيى الخشاب وصقر خفاجة، (دار الكرنك، القاهرة، 1965 م).
89 ـ ول ديورانت، قصة الحضارة الفارسية، ترجمة إبراهيم أمين الشوربي (مكتبة الخانجي، 1947 م).
90 ـ وليام لانجر، موسوعة تاريخ العالم، الجزء الأول، أشرف على الترجمة محمد مصطفى زيادة، (مكتبة النهضة المصرية، ؟).
91 ـ وهيب كامل، هيرودوت في مصر، (دار المعارف بمصر، 1946 م).
92 ـ ويلز هـ. ج، معالم تاريخ الإنسانية، المجلد الثاني، ترجمة عبد العزيز أجاويد راجعه زكي علي، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1959 م).
93 ـ هارفي بورتر، النهج القويم في التاريخ القديم، (بيروت، 1884 م).

رابعاً: التقارير غير المنشورة

(1) - DORE JOHN, A REPORT ON WORK SUMMARY, 1989, "SOCIETY FOR LIBYAN STUDIES".

(2) - LITTLE, JOHN H., A REPORT ON WORK SUMMARY AT EL-MERJ (BARQA), "SOCIETY FOR LIBYAN STUDIES, 28 SEPTEMBER, 1990.

3 ـ تقرير عن أعمال الحفر في منطقة الزردة، مراقبة آثار شحات، بتاريخ 1975/12/4 م ويحمل رقم ت/ ط/ 1/ 95/901.

4 ـ تقرير عن الأعمال التي أُجريت في أم عزية بالمرج القديمة، مراقبة آثار شحات بتاريخ 1975/12/4 م، ويحمل رقم ث/ ط/ 3/95 هـ.

CYRENAICA AND ACHAEMENIANE PERSIA

From the Foundation of CYRENAICA till the Lapse of PATIOS Family

The subject of this Study is CYRENAICA AND THE PERSIAN since the Sixth century till the Fifth century before Christ.

It is devided into two parts - Each part of Three chapters as follows:

Ist Part:

Addressed: The Achaemeniane Persian Empire.

1st Chapter: The Persian from the Nineth Century till the Fourth Century before Christ.

2nd Chapter: The Persian Hellinic Wars.

3rd Chapter: the Persian Civilization - also discussed the religional management, Economical life, Social life, Idial means and Architecture and Arts.

Second Part:

Addressed: CYRENAICA.

1st Chapter: About the Foundation of CYRENAICA in the Seventh Century before Christ till laspe of PATIOS family in the middle of the Fifth Century before Christ.

2nd Chapter: About CYRENAICA City, talked about the foundation of this City, location of the City, economic of the City, the port of the City.

3rd Chapter: About the two Campaigns of Achaemeniane persian on Cyrenaica. Discussed about the 1st campaign and the reasons for it and its results and its date - then it discussed about the 2nd campaign - reasons - results.

With this study we had reached to many results:

1st. Cyrenaica area had declared its loyal to the persian and in this case it the same as what happend ot LIKIA & SAMOS - and that happened in the time of Arcesilaus (the 3rd) who had passed with polication difficultues in Cyrenaica which obliged him to be loyal to the

Persian when KAMBYSES (the 2nd) had conquered EGYPT on 525 B.C.

2nd. The Persians had put Cyrenaica withen the Sth Province which included Egypt also and may ETHYOBIA.

They also asked Cyrenaica to pay the tribute in all its kinds to the Persian, the defferenciation in the population of the zone between Libyan famililities and Greek people - Cyrenaica zone - and this system was abnormal in all the zones of the Persian Empire.

3rd. The had been assured whien the Cyrenaica zone went to fihgt with XERXES campaign against the Greed, and also it is assured from the drawings which the persian had made to the Libyans while they were offereing it to the King of Kings in Persia.

4th. One of the important results also is that the zone of Cyrenaica remained Loyal and under the nose of the Persian Empore till the lapse of PATIOS family and lator - and this matter deserves to be discussed a private study.

محتويات الملحق

ملحــــق رقـم (1)

مـصادر البحـث:

كما سبق وذُكر، أن البحث في موضوع كهذا ليس بالأمر الهين، فجميع أشكال البيانات والمعلومات التي ستُعتمد خلال الدراسة هي مستمدة من عدة مصادر بعضها مادي وبعضها الآخر أدبي، وجميعها في لغة غير عربية.

ومن المصادر المادية النقوش الكتابية، سواء منها الفارسية القديمة أو الآرامية أو الهللينية، وفي هذا المجال تمت الاستفادة على نطاق واسع من النقوش المعثور عليها أو المكتشفة بالقصور الملكية وعواصم الفرس أو في غيرها، والتي دأبت على ترجمتها إلى اللغات الأوربية الحديثة الدوريات العلمية الأجنبية ومنها على سبيل المثال: ـ

- American Journal of Archaeology.
- Amercian Journal of Semitic Languages and Literatures.
- Journal of Near Eastern Studies.
- Journal of Hellenistic Studies.

وفيما يتعلق بالنقوش الخاصة بأقليم قورينائية، فهي وإن كانت تُعاني من اقتصار المعلومات الواردة بها على جانب الهللينيين فقط دون التعرض لذكر القبائل الليبية التي كانت على اتصال بهم، إلا أنها مع ذلك تُعطي صورة تكاد الآن تكون مُتكاملة لعدم التوفيق في العثور على نقوش بذلك الخصوص.

وأهم مراجع نقوش قورينائية، التي استندت إليها هذه الدراسة كان
KlaFFenback G., Supplementum Epigraphicum Graecum, IX.

ومن المصادر الأدبية القديمة، سواءً منها المعاصرة أو اللاحقة لذلك: -

بنداروس Πινδαρος:

شاعر غنائي هلليني، ولد حوالي سنة 518 ق. م في بلدة كينو سكفلاي في أقليم بيؤتية، كما يُعتقد بأنه ولد في طيبة حيث عاش، وتوفى في أرجوس حوالي 438 ق. م.

مدح في شعره الألهة، وبعض المدن، كما مدح عظماء الرجال خاصة من الطغاة، فقد مدح ملك مقدونية وحكام أسبرطة، رودس، كورنثة، وطاغية سيراكوزا بصقلية، وأركسيلاوس (الرابع) ملك قوريني التي زارها، ومدح أيضاً الأبطال الرياضيين والذين كان منهم تيلسكراتس بن كازنئاد القوريني بمناسبة فوزه في الألعاب البيثية الثامنة والعشرين حوالي سنة 474 ق. م

من أهم مؤلفات هذا الشاعر أناشيد النصر والبيثيات Bythiques التي سُميت بذلك نسبة إلى اسم تنين أو ثعبان قتله الإله أبوللو، وأمر هذا الإله الهللينيين بالاحتفال بذلك سنوياً، فسُميت الألعاب التي تُجرى في ذلك الاحتفال بالألعاب البوثية وعلى ذلك أطلق الشاعر تلك التسمية على بعض قصائده والتي منها بوثيته الخامسة والرابعة، والمتعلقتان بتاريخ قوريني.

وهاتان البوثيتان رغم ما بهما من معلومات تبدو صادقة، إلا أنها إنتاج خيال شاعر، والشعراء في كل زمان ومكان، في الغالب في كل وادي، يهيمون ويقولون ما لا يعلمون [يفعلون].

هيرودوتس Ηροδτος:

أو عطية الآلهة هيرا، أحد مواطني مدينة هاليكارنا سوس في كاريا،

يُرجح أنه ولد عام 484 ق. م، وتُوفي عام 424 ق. م، طاف العالم المعروف آنذاك، ومنه ليبيا وهو أول من صنَّف كتاباً جمع فيه ما دار من أحداث قبله وفي أيامه، وكان حافزه على ذلك الحروب الهللينية الفارسية، ولذلك عُرف بأبي التاريخ.

خرج هيرودوتس من موطنه فراراً من ظلم لجدامس (الثاني) طاغية المدينة والمُنصَّب عليها من قبل الفرس، طاف العالم المعروف آنذاك، وذلك قبل أن يعود إلى مسقط رأسه والاشتراك في خلع ذلك الطاغية وطرده.

ألّف هيرودوتس تاريخه في تسع كُتب، أسمى كل كتاب منها باسم آلهة من آلهة الفنون التسع الهللينية، تناول فيها الأحداث السابقة له، وإن كانت في مُجملها أقرب ما يكون تاريخ الشرق الأدنى القديم.

من المآخذ التي تؤخذ على هذا المؤرخ، الاستطراد في نقاط جانبية لا تمت بصلة لموضوعه المطروح، وفي أسلوب تقريري وصفي، يفتقر غالباً إلى التحليل، ثم صمته المطبق عن بعض الأحداث التاريخية المعاصرة لها، وخلطه الكثير من الوقائع التاريخية بالأسطورية، وتعويله كثيراً في تفسيرها «بعاملين أحدهما العواطف والرغبات الشخصية وبوجه خاص دور المرأة، والآخر الإرادة الإلهية، أو بهذين العاملين معاً حتى يبدو على حد قول البعض وكأنه قد جعل شعاره إبحث عن المرأة ولا تغفل الله»، كما يؤخذ عليه إطلاقه في الغالب لتسميات هيللينية سواءً على الأشخاص أو الأماكن التي تناولها وعدم إيجاده للمرادف لها في مواطنها الأصلية.

كتسياس Ctesias:

طبيب ومؤرخ هلليني، عمل في البلاط زمن العاهل أرتاكسركسيس (الثاني) فاشتغل في البلاط أكثر من وظيفة منها مبعوث شخصي للامبراطور الفارسي، استغرق عمله في ذلك البلاط لمدة سبعة عشر عاماً، ألف بعدها عدة كتب منها رحلة عبر العالم، والجزية في كل آسية، والتاريخ الفارسي،

وهذا الأخير كتاب عمومي اعتمد فيه على ما كان يقال من إشاعات يتداولها من يعمل بالبلاط الفارسي، وبالتالي فقد ضيَّع هذا الهلليني فرصة ثمينة على نفسه وعلى الباحثين من بعده لعدم استغلاله قربه من المصادر الفارسية في تدوين ذلك التاريخ والشيء الآخر الذي يُقال عن مؤلفات كنسياس خلطه للحقائق بما يسمعه من الرواة من قصص، فجاءت كتاباته إضافة لبعض الحقائق، مُفعمة بالخيال مملوءة بالآحاجي والألغاز، وأفضل من ترجم شذرات ما تبقى من كتاب التاريخ الفارسي هو: -

John Gilmores, The Fragments of the Persika of Ktesias, (London, 1888).

توكيديدس Θουκυδλδης:

مؤرخ هلليني وُلِد في أثينة حوالي 465 ق. م، وتوفى حوالي 395 ق. م، وهو مؤلف كتاب «تاريخ الحروب البلوبونيسية» التي وقعت عقب اندحار الفرس عن بلاد الهلينيين بين أسبرطة وأثينة في الثلث الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد.

وتوكيديدس أعظم مؤرخي العصر الهلليني، إذ تميز بموضوعيته وعدم تحيزه ويغلب طابع الاختصار والإيجاز على أسلوبه في سرد الوقائع التاريخية، وإن كان في أسلوب رصين يجمع بين جمال الأدب الرفيع ودقة العلم المكين، مع حرصه على أن يُودع أكبر قدر من المعاني في أقل قدر من الكلمات، ويهتم بتعليل ما يورده من وقائع، لذلك أُعتبر أَول مؤرخ اتبع المنهج العلمي التحليلي في التأليف، كما يعود إليه الفضل في خلق التاريخ السياسي.

أكسينوفونتس Εενοφωντος:

ولد حوالي 430 ق. م وتوفى حوالي 355 ق. م، فيلسوف وطبيب وعسكري ومؤرخ هلليني، من أثينة، وضع عدة مؤلفات في الفلسفة

والاقتصاد والسياسة والتاريخ، ومن أهم مؤلفاته في هذا المجال الأخير (الرحلة) ΚΥΡΟΥ ΑΝΑΒΑΣΙΣ، وهو يتناول تفاصيل حملته العسكرية التي قادها «حملة العشرة الآف جندي».

ثم كتاب ΚΥΡΟΥ ΠΑΙΔΕΙΑ، والذي يُعرف بتربية قورش، تناول فيه سيرة شخصية لذلك العاهل الفارسي.

أهم حسنات هذا المؤرخ، المعلومات الجغرافية، خاصة التي ذكرها عن المواضع والأماكن التي مر بها خلال عبوره الأراضي الفارسية ضمن حملة العشرة الآف، إضافة إلى الشذرات التي جاءت عرضاً عن عادات الفرس.

وأهم ما يؤخذ عليه، وخاصة في المؤلف الثاني، خلطه للأمور الفلسفية بالتاريخية، زيادة على خلطه بين الفيلسوف وشخصية الامبراطور قورش محور الكتاب، وعليه يصفه البعض بلغة العصر «بأنه مُراسل صحفي ممتاز، يعطي معلومات طريفة ومتعددة ولكنه لا يرقى إلى مستوى الكتابة التاريخية العلمية».

أسترابون Στραπον:

ولد في أماسيا بأقليم بحر مرمرة عام 46 أو 58 ق. م، وتوفى حوالي 25 بعد الميلاد مكّنه ثراء أسرته التي كانت على اتصال بالسياسة والحياة العسكرية الرومانية من تخصيص حياته للعلم ولطلبه، فزار لذلك روما ومصر، حيث استفاد من مكتبة الإسكندرية على نطاق واسع.

لقد عُرف استرابون بأنه جغرافي، وأهم مؤلفاته الجغرافيا والمذكرات التاريخية وأهم ما يُؤخذ عليه، اعتماده على النص من مؤلفات سابقة خاصة من العصر الهلليني الذي عُرف عن مؤرخيه عدم توانيهم في التدقيق في تسجيل الأحداث السابقة عليهم.

بلوتارخوس Πλουταρχος 46 ـ 120 م:

وُلد بأقليم خيرونيا Chaeronea، بأقليم بيؤتية في بلاد الهللينيين، درس الفلسفة والبلاغة في أثينة، ورحل إلى روما، واتصل بأقطابها، وتعلم اللاتينية، وزار الإسكندرية ثم قضى معظم حياته في مسقط رأسه حيث أنشأ مدرسة خاصة، ظلت قائمة إلى ما بعد وفاته بقرن من الزمان تقريباً.

أهم مؤلفاته الأخلاقيات Moralia ينتقد فيها هيرودوتس، والتراجم Vitae وهي أهم كتاباته من الناحية التاريخية، تشمل سير بعض القواد والساسة الهلينيين والرومان وبها شيء من المقارنة بين تلك الشخصيات اعتنى فيها بالشكل أكثر من الجوهر، في أسلوب امتاز بالبساطة، واتسمت آراؤه فيها بصبغة تصوفيه، مؤمن فيها بتفوق الثقافة الهللينية على ما سواها.

ملحق رقم 2 ـ العائلة الأخمينية الحاكمة(1)

أخيمنس أو أخايمنس

↓

تايـزب

أريارامنس

↓

أرساميس

↓

هستاسبس

↓

داريوس (الأول)522 ـ 486 ق.م

↓

أكسركسيس (الأول) 486 ـ 465 ق.م

↓

أرتاكسركسيس (الثاني) لونجمانوس 645 ـ 424 ق.م

داريوس (الثاني) نوثوس 424 ـ 423 ← أكسركسيس (الثاني)

كورش (الأول)

↓

كمبيز (الأول)

↓

قورش (الثاني) 559 ـ 530 ق.م

↓

كمبيز (الثاني) 530 ـ 522 ق.م

سمير ديس (برديا ـ جوموتا) 522 ق.م

---

(1) هذا المرتسم ترجم عن: ـ

Frey R.N., The Heritage of Persia; Matheson S.A., Persia An Archaeological Guide, P., 292.

↓	↓
أرتومستيس قورش (الأصغر)	أرتاكسركسيس (الثاني) منمون 404 ـ 359 ق.م
↓ توفي سنة 401 ق.م	↓
أرساميس	أرتاكسركسيس (الثالث) أوخوس 354 ـ 338 ق.م
↓	↓
داريوس (الثالث) كودومانوس 336 ـ 330 ق.م	أرسيس 338 ـ 336 ق.م

ملحق رقم 3 ـ أسماء العائلة الأخمينية الحاكمة كما وردت ببعض المصادر

الفارسية	الهللينية	الفرعونية	العربية	تاريخ حكمه
هخامنش	Αχαιμενεας		أخيمين/ أخيمنس	
جا أش بش	Τασεβης		تسبس/ تايزب	475/640ق.م
أريارامنس	Αριαραμνης		أريامين	640/15دق.م
أرسامس	Αριαμης		أريام	
كورش	Κυρος		قورش	
كمبوجيه	Καμβυσης		قمبيز	
كورش[1]	Κυρος		قورش	554/530ق.م
كمبوجيه	Καμβυσης	كامبوزيا	قمبيز	530/522ق.م
داريوس	Δαρειος	نسوت رع تاريوشا	دارا	522/486ق.م
خشايارشاه	Ξερχης	خشاروشا	خشايارشا	486/465ق.م
ارتخشتير[2]	Αρταξερξης	أرتاششاس	أردشير	465/424ق.م
خشايارشاه	Ξερξης	خشويرش	خشايارشا	424/424ق.م
سفديانوس			صفديانوس	ستة أشهر424/423ق.م
داريوش[3]	Δαρειος	أنتريوش	دارا	423/404ق.م
أرتخشاشاه[4]	Αρταξερξης		أردشير	404/359ق.م
أرتخشاشا[5]	Αρταξερξης		أردشير	359/338ق.م
أرشا	Αρσης		أرشك	338/336ق.م
داريوس[6]	Δαρειος		دارا	336/330ق.م

(1) وقد لُقب بكورش أو قورش الكبير العظيم ويرد هذا الاسم في المصادر العبرية بشكل «خورش».
(2) وقد لُقب لونجمانوس.
(3) وقد لُقب في المصادر الهللينية بلقب نوثوس.
(4) وقد لُقب منمون.
(5) وقد لُقب في المصادر الهللينية بلقب أخوس.
(6) وقد لُقب في المصادر الهللينية بلقب كودومانوس.

مع ملاحظة أن الصفات الترتيبية، الأول، الثاني، الثالث، أطلقها الباحثون المحدثون للتفريق بين الاسماء المتكررة.

ملحق رقم 4 ـ قائمة بأسماء وترتيب الولايات الفارسية طبقاً لهيرودوتس(1)

الرقم المسلسل ومقدار الجزية النقدية III, 90FF	اسم الولاية كما عند هيرودوتس	المرادف لها بالفارسية	فرق مشاة تمثل الولاية في الجيش VII, 62FF	الفرسان وعدد السفن في الجيش VII, 89FF
1	أيونية Ιωνων	يانا Yauna		100
400 وزنة فضية	ماجنتيس آسية Μαγνητων			
(تالنت)	الأيوليون في آسية Αιολεων			60
	الكاريون Καρων	كاركا Karka		70
	الليكيون Λυκιων			50
	الميليون Μιλυεων		24	
	البامفليون Παμφυλων			30
2	ميسيانيا Μυσων		22	
500 وزنة فضية	ليديا Λυδων	سفاردا Sfarda		
(تالنت)	لاسونيون Λασονιων		24	

(1) هذه القائمة مقتبسة بتحوير عن :ـ Burn A.R, OP. Cit., PP., 123 FF.

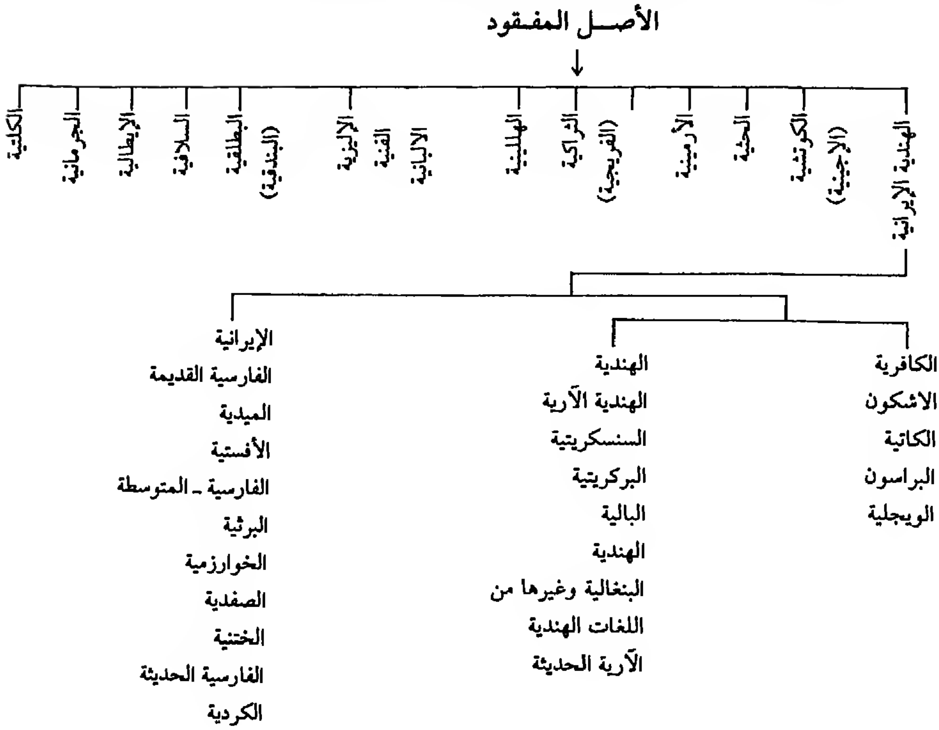
6 700 وزنة فضية + نفقات حاميات الفرس بها	مصر Αλγυπτου ليبيا Λιβυων	Mudraya مودارايا Putaya بيوتايا	18	عربات
7 170 وزنة فضية	ساتاجيديا وجندارا Σατταγυδαι دادكاي Δαδικαι أباريوتاي Απαρυται	Thatagush ثاتاقوش Gadara جادارا Harauvatish هارايفاتش	11	
8 300 وزنة فضية	سوسيانا (عيلام) Σουσαων كسيانس Κισστων	Uvja يوفجا	3	فرسان
9 1000 وزنة فضية + 500 شاب مخصي	بابل Βαβυλωνος آشور Ασσυριvς	Babirush بابريوش Athura أثورا	5	
10 500 وزنة فضية	ميديا Μηδικγς الباركانيون Παρικανιων	Mada مادا	2	فرسان وبحارة
11 200 وزنة فضية	كاسباي Κασριοι	AkauFaciya	12	

	بوسكاي	Παυσικαι			
	بانتماثوي	Παντιμαθοι			
	داريتاي	Δαρειται			
12					
360 وزنة فضية	باكتيريا	Βακτριανων	باكتيرش Baktrish	6 بالاشتراك مع ساكا	فرسان
13					
400 وزنة فضية	باكتوس	Πακτυικης		13	
	أرمينيا	Αρμενιων	أرمينا Armina	21 بالاشتراك مع فريجيا	
14					
600 وزنة فضية	ساجارتيا	Σαγαρτιων	أساجارتا Asagarta		3000 فارس
	سارانجايا	ΣΣαραγγεων	زارانكا Zaranka	14	بالاشتراك مع سارانجايا
	الأتويون	Ουτιων			
	الماكاي	Μυκων		15	
	أناسباستوي	Ανασραστους			
15					
250 وزنة فضية	ساكاأميرجوي	Σακαι	ساكاهايومازجا Saka houmavarga	6 بالاشتراك مع باكتيريا	فرسان وبحارة
	الكاسبيون	Κασριοι		12 ريما بالاشتراك مع	فُرسان

			الولاية رقم (11)	
16				
300 وزنة فضية	Παρθοι بارثيا	Parthava بارثافا		
	Χορασμιοι خوارزم	Uvarazmiya يوفارزميا	9	
	Σογδοι سوجودي	Suguda سوجودا		
	Αρειοι أروى	Araiva أرافا	10	
			8	
	Υρκανιων الهاركنيون	Varkana فاركانا	4	
17				
400 وزنة فضية	Παρικανιοι باركانيا		16	فرسان
	Αλγιοπε οι أثيوبيو آسية		7 بالاشتراك	
	εκ Της Ασιης		مع الولاية (20	
18				
200 وزنة فضية	Ματιηοιοι ماتينوي		19 بالاشتراك	
			مع إحدى	
			دول الولاية	
			رقم (3).	
	Σασπειρσι سابيرس			
	Αλαροδιοισι ألاروديا		28	

				19
			Μοδχοισι موسشي	300 وزنة فضية
	25		Τιβαρηνοισι تيباري	
	26		Μακρωσλ ماكرونيس	
			Μοσσυνοικοισι موسينوكوي	
/	27		Μαρσι ماريس	
عربات وفرسان	7	Hindush هندوش	Ινδων الهند	20

ملحق رقم 5 ـ اللغة الفارسية وعلاقتها بالهند أوربية الأخرى(1)



(*) رسم يُوضح اللغة الفارسية وصلتها باللغات الهندية الأوربية الأخرى.
مأخوذ عن كتاب تراث فارس، تأليف مجموعة من الأساتذة من المستشرقين اشترك في كتابته وأشرف على نشره أز جز أربري، نقله للعربية محمد كفافي وآخرون، اشترك في كتابه وراجع ترجمته يحيى الخشّاب، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1959 م)، ص 254.

ملحق رقم (6) مرسوم قورش (الثاني)

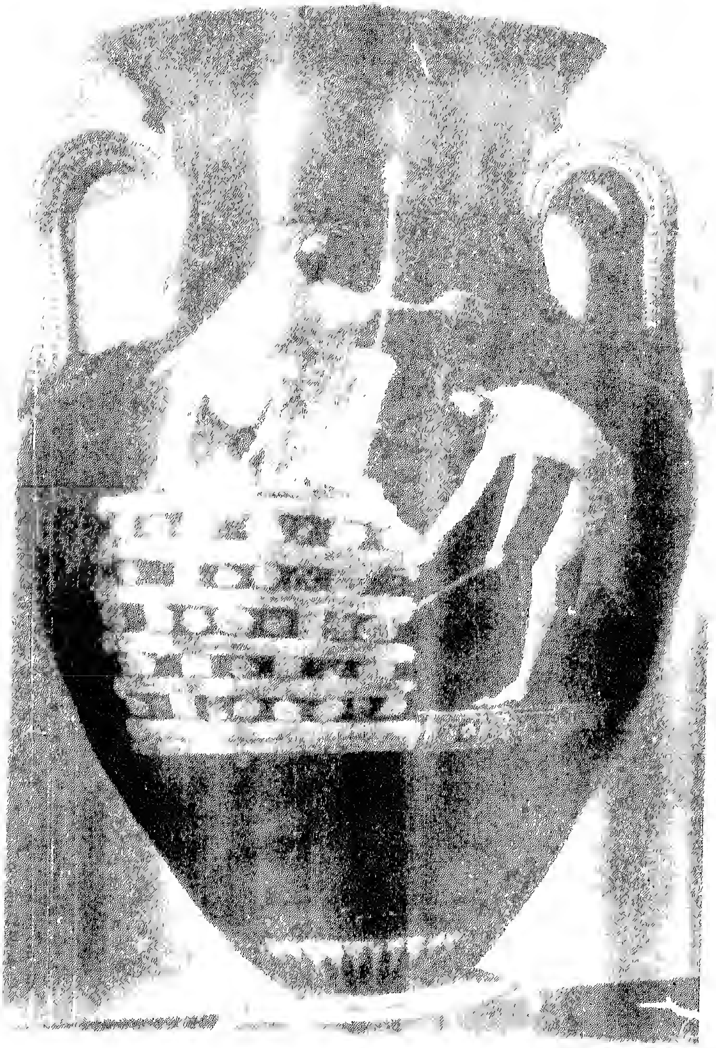
مرسوم قورش (الثاني) الذي أصدره بعد دخوله لبابل بعد فتحها سنة 539 ق. م، وقد وجد هذا المرسوم منقوشاً على اسطوانة من الطين المشوي باللغة البابلية، ويُحفظ الآن بالمتحف البريطاني بلندن.

ومما قاله قورش (الثاني) في هذا المرسوم: ـ «أنا قورش، ملك العالم الملك الكبير، الملك القوي، ملك بابل، ملك سومر وأكد، ملك الأطراف الأربعة للعالم، ابن كمبيز الملك الكبير، ملك أنشان، دوحة السلطنة الأبدية، موئل عناية بعل ونبو، ومحل رعايتها، دخلتُ تين تير [بابل] بلا حرب ولا مقاومة، فاستبشر الناس بي، وجلستُ في قصور السلاطين، فمردوك الإله الكبير ربط قلوب الناس بي، لأني كنتُ منشغلاً دائماً بالثناء عليه، دخل جيشي العظيم تين تير [بابل] بكل سهولة، ولم أسمح لأي شخص أن ينشر الخوف والرعب في أرض سومر وأكد، تألمت للأوضاع الداخلية ببابل، وأمكنتها المقدسة فعمدت إلى إصلاح الأوضاع، وقد لقى أهلها في ظلي ما أملوا وتخلصوا من رق الملحدين كما وضعت حداً لتخريب بيوتهم، كذلك لم أترك مواردهم المادية تذهب هباءً.

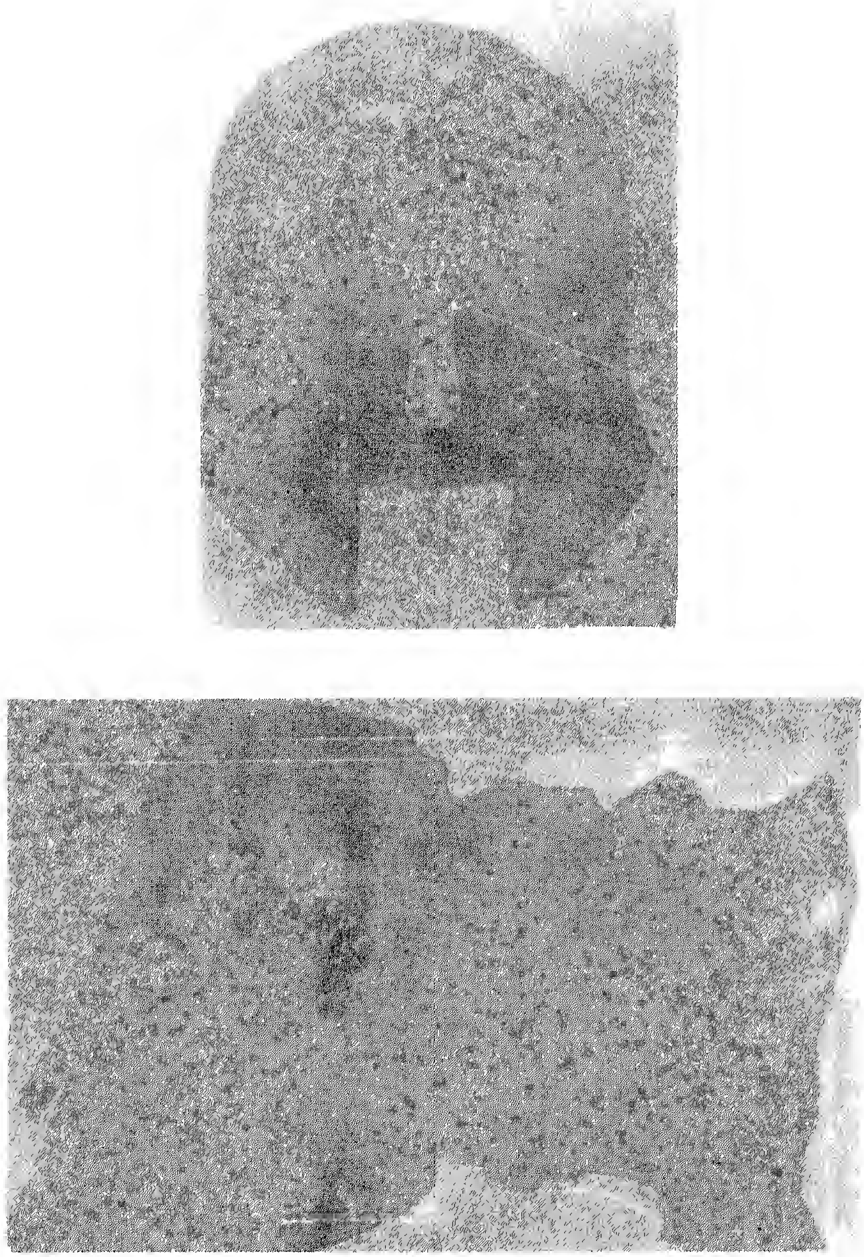
فرح مردوك الإله الكبير بأعمالي، وحيث أني أثنيت عليه بسرور بالغ، غمرني عن طريق العناية الإلهية، أنا قورش الذي أعبده وابني كمبيز وجمع جيشي ببركاته، فملوك العالم الجالسون في قصورهم من البحر الأعلى حتى البحر الأسفل، وملوك المغرب الذين يسكنون في خيامهم قدموا لي الخراج

والهدايا الكثيرة وقبلوا قدمي في بابل من آشور والسوس وأكاده وأشنوناك وزامبان ومتورنو حتى نواحي أرض كيوتيوم ومن وراء النهر دجلة المقدسة، أرجعت الإلهة التي نُقلت إليها إلى مواطنها، جمعتُ الناس وبنيت مساكنهم من جديد وأعدت إلى سومر وأكد ألهتها التي حُمِلت إلى بابل ووضعتها في قصورها التي تُسمى شادي دل، وبذلك أنهيت غضب إله الآلهة بأمر من مردوك الإله الأكبر.

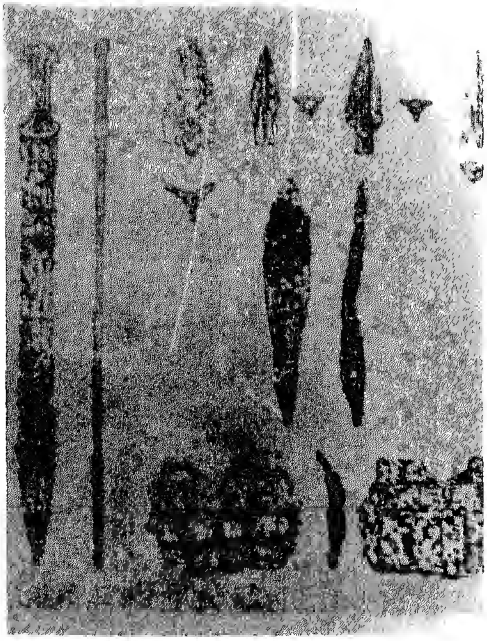
الملحق رقم (7) الصور الفوتوغرافية



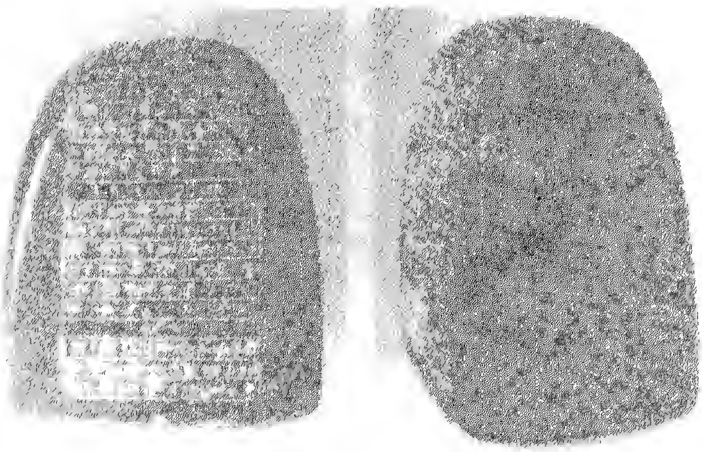
الآنية الفخارية التي جسد عليها الفنانون الهللينيون حادثة
محاولة قورش الثاني / إحراق كرسيوس ملك ليديا، ثم عفوه منه



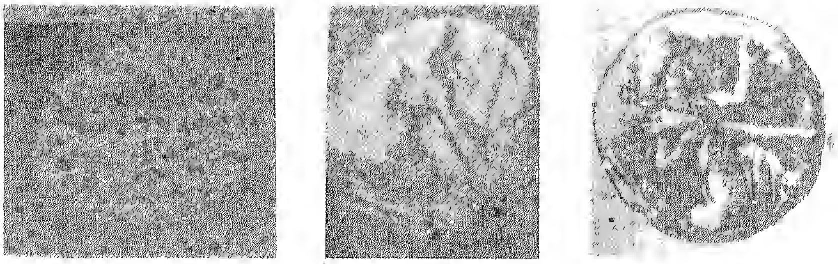
نماذج من أدوات حرب الهلليين مع الفرس الأخمينيين



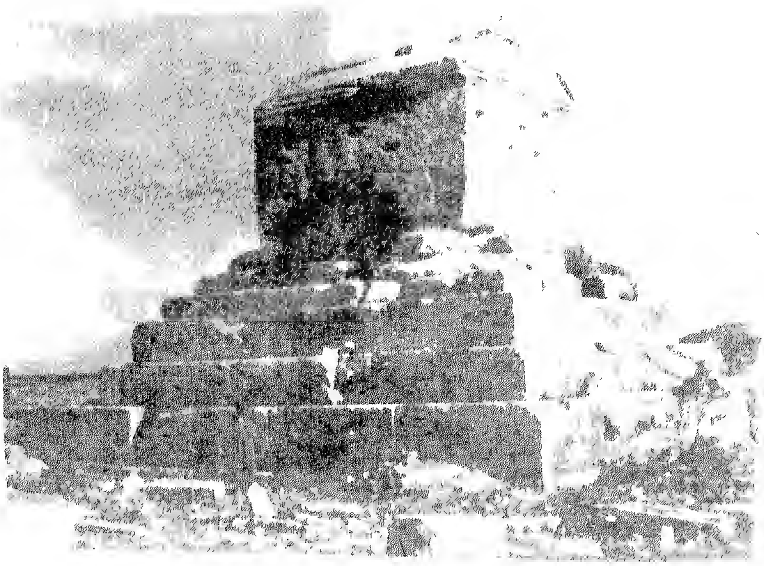
نماذج من أدوات قتال الفرس الأخمينيين مع الهللينيين



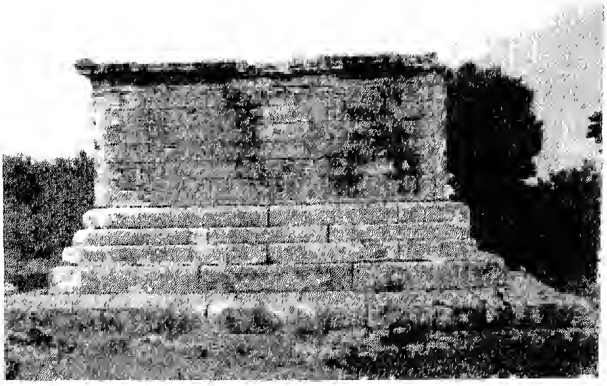
نماذج من حجر الأوزان الأخمينية



نماذج لعملة داريوس (الأول) المسماة بالدارك

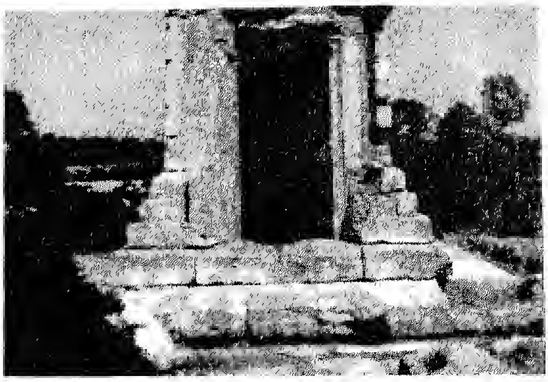


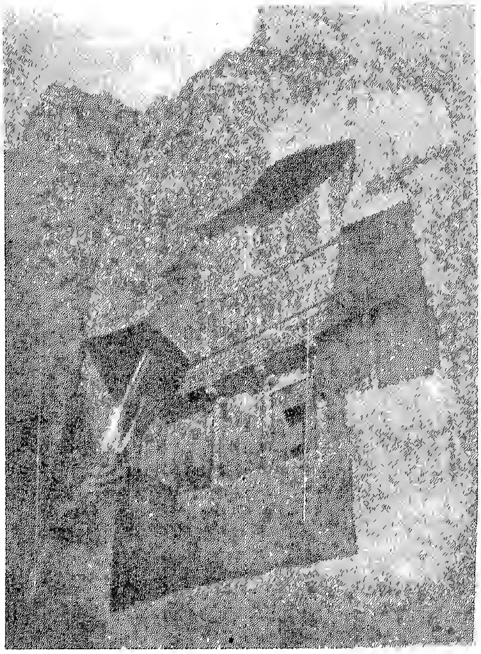
قبر قورش (الثاني)



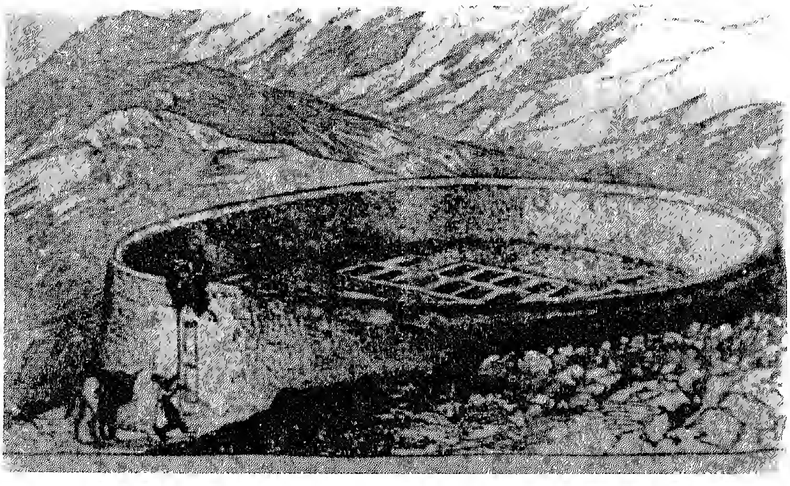


نماذج من مقابر قورينائية
المشـابهـة لقبـر قـورش
(الثاني)

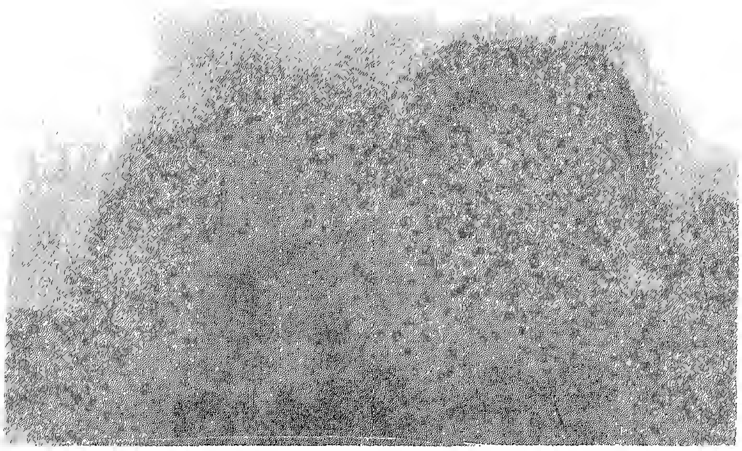




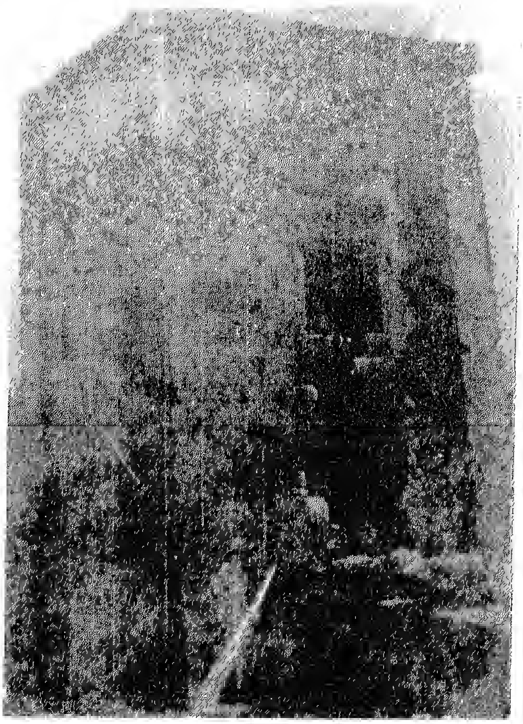
مقبرة داريوس (الأول)



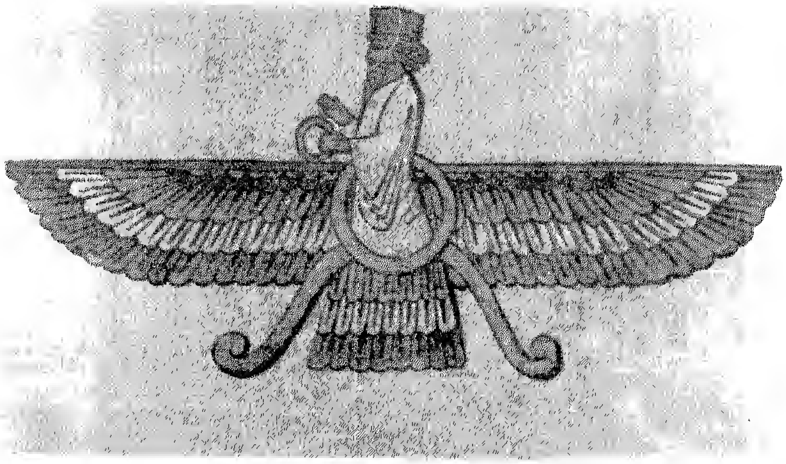
مقبرة للعامة من الفرس الأخمينيين



نماذج للمذابح أو مواقد النار الفارسية



نموذج للقليل من المعابد العائدة للعهد الأخميني



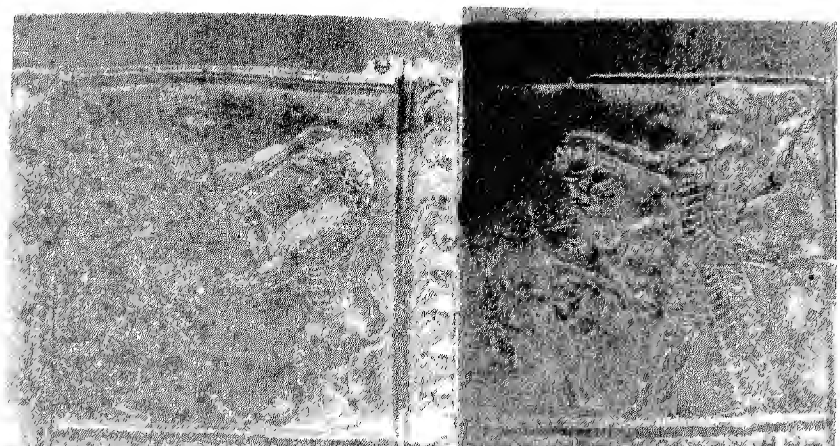
نموذج لشعار الإله أهورا مازدا



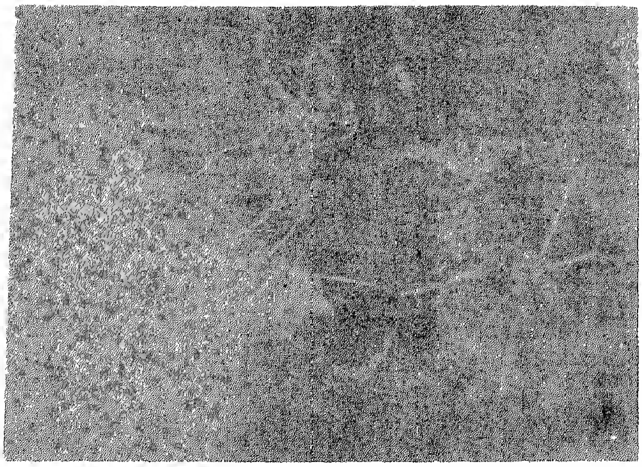
نحت بارز يمثل رأس الأمبراطور داريوس (الأول)، يوضح التاج، تسريحة الشعر، اللحية، زينة العينين، والأقراط بالأذن



نحت بارز يمثل الامبراطور داريوس (الأول) يُقاتل أسداً



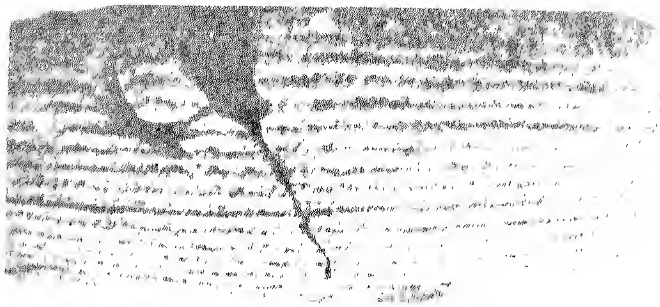
حلية ذهبية بها رسم للامبراطور داريوس (الأول) يُقاتل أسداً



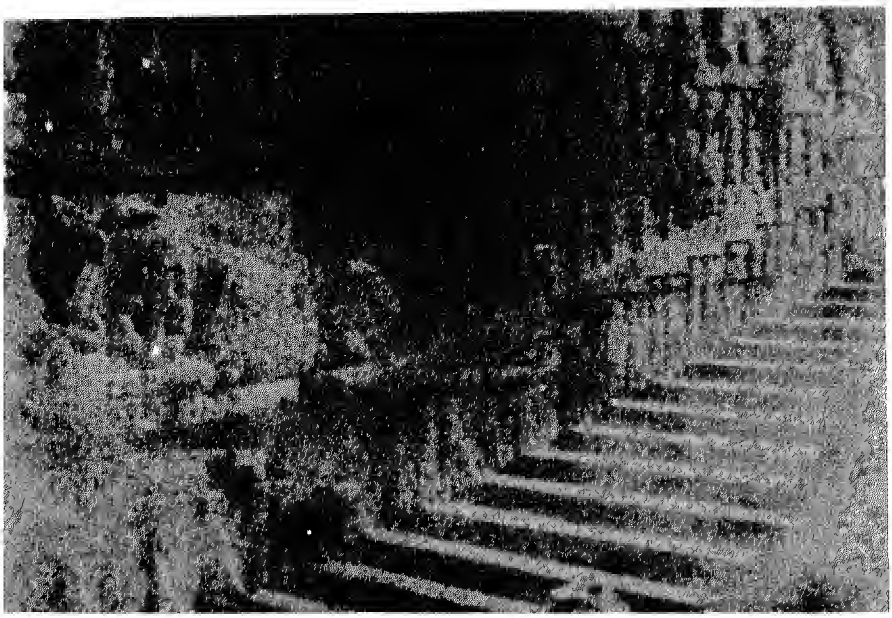
لقية أثرية على هيئة عربة تجرها أربعة جياد من الذهب تعود
لعهد الامبراطور أكسركسيس (الأول)



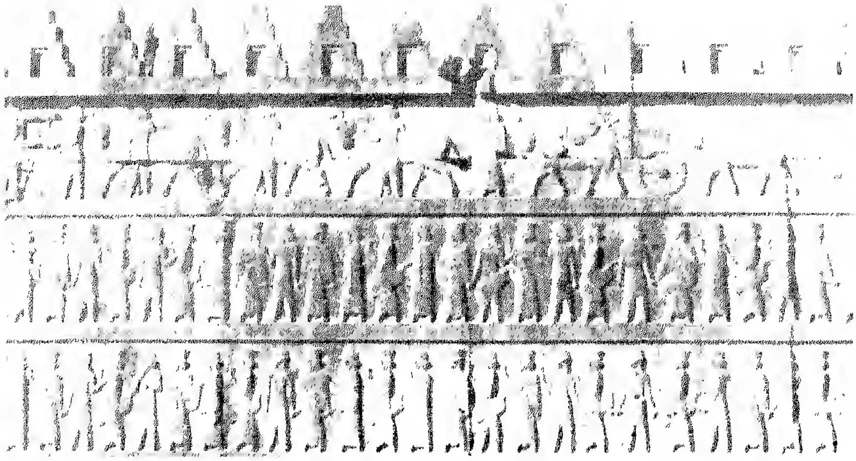
نحت بارز يمثل الامبراطور قورش (الثاني) مجنحاً ومرتدياً التاج ذي القرنين



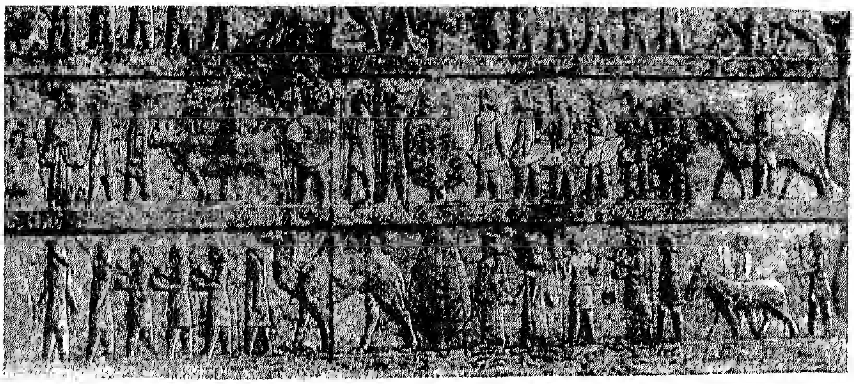
الأسطوانة التي نقش عليها الامبراطور قورش (الثاني) مرسومه عقب دخوله بابل



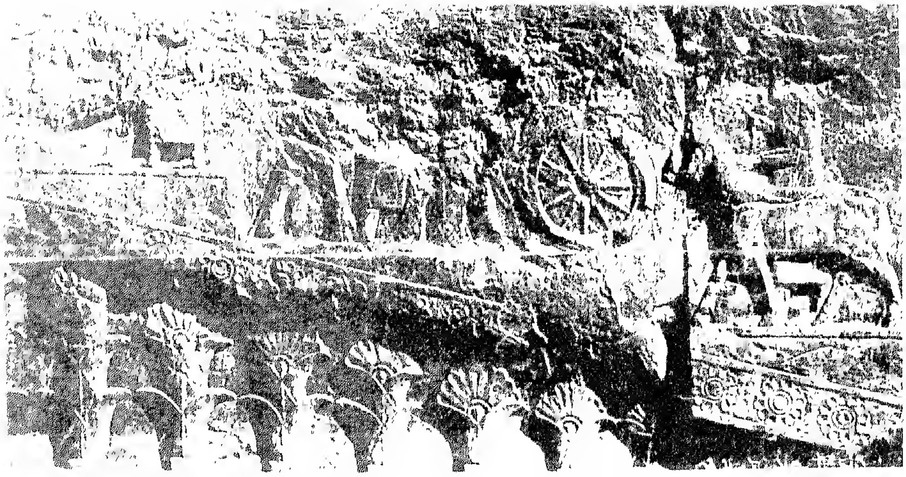
جزء من سلالم برسيبولس



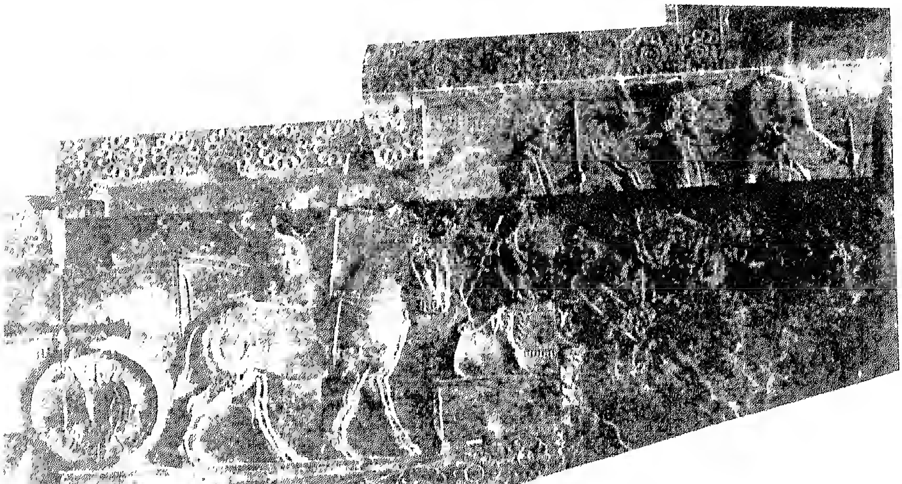
جزء من منحوتات سلالم قصر أكسركسيس (الأول) في برسيبولس،
يتضح به بعض أفراد الخالدين وقادة العربات الملكية



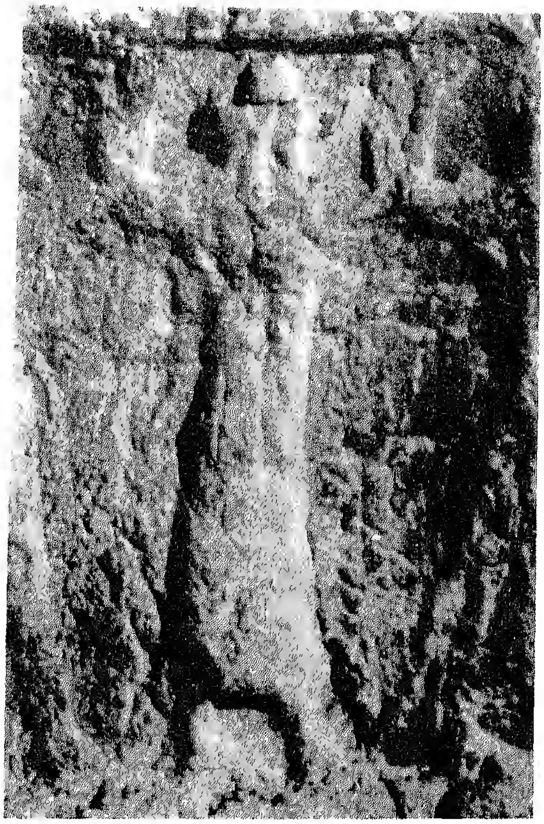
جزء من منحوتات سلالم الابادانا في برسيبولس يتضح فيه
بعض سلالم حملة الجزية النوعية



بعض منحوتات الابادانا في برسيبولس، تظهر الليبيين وهم
يقدمون الجزية النوعية للامبراطور داريوس (الأول)



بعض منحوتات الابادانا في برسيبولس، تُظهر الليبيين وهم يقدمون
الجزية النوعية للامبراطور اكسركسيس (الأول)



نحت بارز يمثل ليبي حاملاً عرش الامبراطور داريوس (الأول)



نحت بارز يمثل ليبي حاملاً عرش الامبراطور اكسركسيس (الأول)
كما صُوِّرَ على مقبرته



نحت بارز يمثل ليبي حاملاً عرش الامبراطور ارتاكسركسيس (الأول)
كما تم تصويره على مقبرته



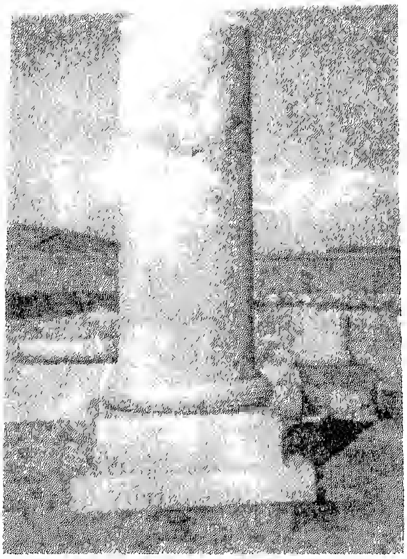
نحت بارز يمثل ليبي حاملاً عرش الامبراطور ارتاكسركسيس (الثاني)
كما تم تصويره على مقبرته



نحت بارز يمثل ليبي حاملاً عرش الامبراطور ارتاكسركسيس (الثالث)
كما تم تصويره على مقبرته



نحت بارز يمثل ليبي حاملاً عرش الامبراطور داريوس (الثاني)
كما تم تصويره على مقبرته

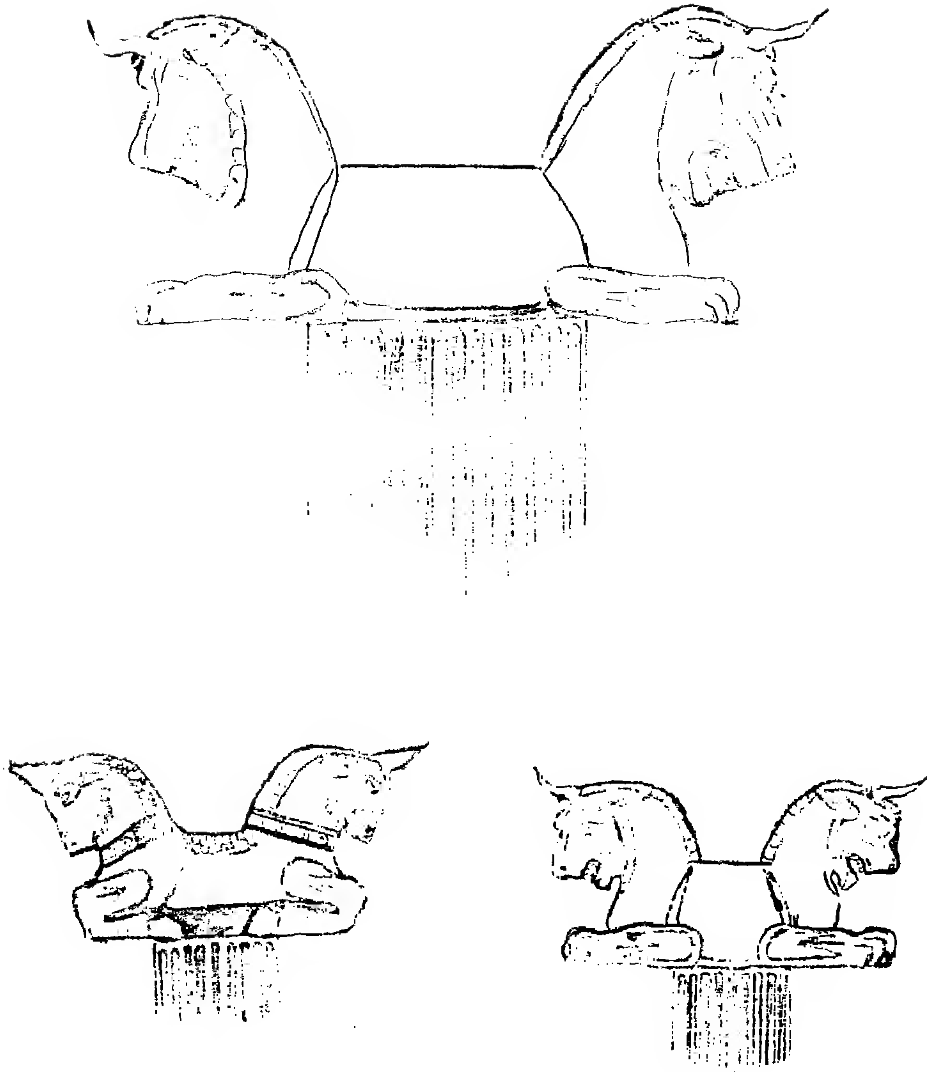


نموذج لقاعدة وبدت عمود فارسي أخميني مبكر

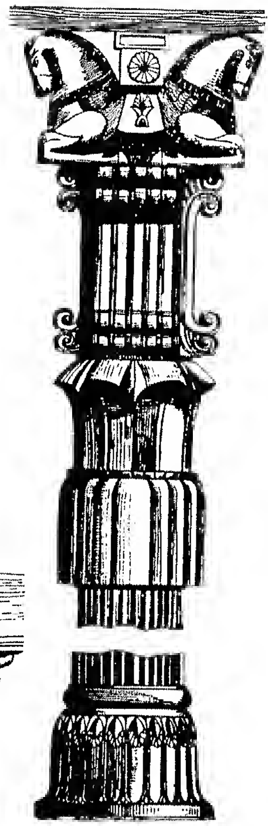


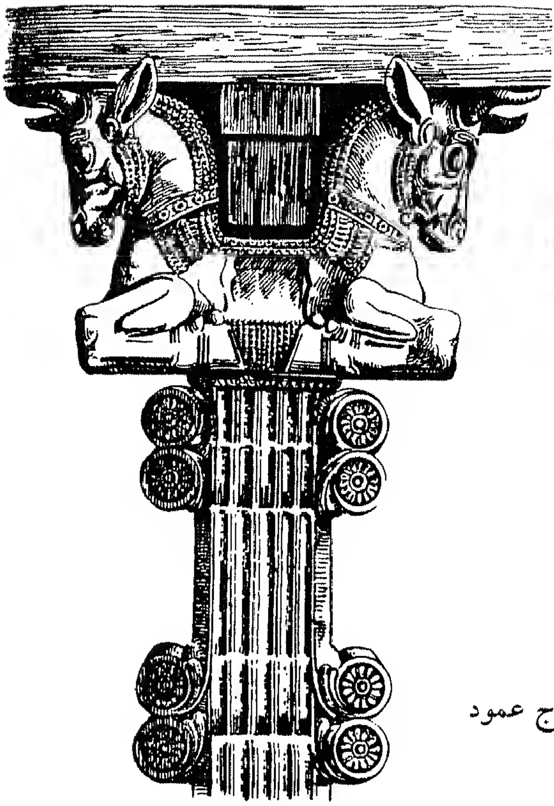


نموذج لثيران مجنحة منحوتة نحتاً بارزاً



رسم لبعض نماذج تيجان الأعمدة الفارسية المتطورة





نموذج لقاعدة وبدن وتاج عمود
فارسي اخميني متطور